موسوعة

من تراث القبط

راعي الكنيسة
أ. د. نصحي عبد الله حبيب

المجلد الرابع

موسوعة

من تراث القبط

المجلد الرابع

الطب والعلوم
التعليم والثقافة
الحياة الاجتماعية
الصحافة القبطية
واللغة العربية

رئيس تحرير الموسوعة
د. سمير فوزى جرجس

رئيس تحرير المجلد
د. موريس أسعد

مدير تحرير الموسوعة
د. موريس أسعد

اسم الكتاب : موسوعة من تراث القبط
المجلد الرابع: الطب والعلوم والحياة الاجتماعية والصحافة القبطية واللغة العربية .
رئيس التحرير : د. موريس ميخائيل أسعد
الطبعة : الأولى
الجمع التصويري دار القديس يوحنا الحبيب للنشر
والطباعة والنشر ١ شارع تيمور - سانت فاتيما - مصر الجديدة
تليفون : ٦٣٤٨٦٧٢ - فاكس ٢٤١٧٩٩١
التوزيع : مكتبة الرجاء
١٨٦ شارع النزهة - مصر الجديدة - ت: ٦٣٤٥٧٧٤
رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٤/٨٧٤٨
الترقيم الدولي I.S.B.N. : 977-5506-25-5

مقدمة المجلد الرابع

يحتوى هذا المجلد على خمسة أبواب، تتناول الطب والعلوم، والتعليم والثقافة، والحياة الاجتماعية، والصحافة القبطية وكتابات الأقباط فى اللغة العربية.

موضوع الباب الأول هو "الطب والعلوم عند الأقباط"، مبتدئاً بالطب عند المصريين القدماء، والبرديات الطبية وآلات الجراحة عند المصريين القدماء، وانتقال الطب الفرعونى إلى اليونان والعرب. ثم ينتقل إلى الطب فى العصر القبطى، وبعض مشاهير الأطباء الأقباط، وكذلك قيام المستشفيات فى العصر القبطى. ويتناول هذا الباب كذلك علم الفلك والرياضيات والكيمياء، والصناعات. ويُختم هذا الباب بالتقويم القبطى، وحساب الأبقطى، وآلات بيان الوقت.

ويقدم الباب الثانى "الأقباط والتعليم والثقافة". فيعرض التراث التعليمى للأقباط فى مصر القديمة وفى العصر القبطى والعصور الوسطى، ثم يتناول نظام الكتاتيب فى مصر الحديثة ودوره فى التعليم، وأحوال التعليم منذ عصر إسماعيل حتى إعلان قيام الدولة المصرية، وينتقل بعد ذلك إلى دراسة امتداد حركة التجديد التربوى بعد البابا كيرلس الرابع. ويختم هذا الباب بالنشاط التربوى للإرساليات الأجنبية فى مصر من القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٥٦.

أما الباب الثالث عن "الأقباط فى الحياة الاجتماعية المصرية" فهو يتناول الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ورعاية الانسان، ومظاهر الحياة القبطية واستمرارها فى الحياة المعاصرة، والأسرة القبطية والتحولات الاجتماعية، والعائلة القبطية فى الكنيسة، والمرأة فى العصر القبطى، والمرأة القبطية فى العصر الحديث، والجمعيات والمؤسسات القبطية الأرثوذكسية.

ويقدم الباب الرابع "الصحافة القبطية" مبتدئاً ببدايات الصحافة القبطية، ثم يقدم الجرائد القبطية، والمجلات القبطية التى توقفت عن الصدور، والمجلات القبطية التى يتواصل صدورها، والمجلات القبطية للشباب والخدام، والمجلات القبطية للنشء، والأسرة وكبار السن.

وموضوع الباب الخامس "من تراث القبط فى اللغة العربية". ويحتوى هذا الباب على التحول من اللغة القبطية إلى اللغة العربية، وعصور الإزدهار والإنتشار، وعصور الكمون والسكون، ثم يختم هذا الباب بالنهضة الأدبية للأقباط فى القرنين التاسع عشر والعشرين.

دكتور موريس أسعد

الباب الأول

الطب والعلوم فى العصر القبطى

إشراف

ا.د. خليل مسيحة جرجس

الفصل الأول

الطب والعلوم عند الأقباط

أ. د. خليل مسيحة جرجس

مقدمة

إن أقباط مصر، هم ورثة الحضارة الفرعونية، ومنهم العلماء الذين حافظوا على أسرار العلوم المختلفة والتراث المصرى فى الوقت الذى حلت فيه على مصر غيوم المستعمر من بعد إنتهاء عصر الأسرات المصرية الفرعونية. ثم اضاء العلم فيها مرة اخرى مع تأسيس أكاديمية الإسكندرية، والتى أرسلت إشعاعها الحضارى فى أنحاء العالم القديم، وفى الوقت الذى كانت أوربا غارقة فى ظلام العصور الوسطى، نجد فى مصر أفضل علماء الطب والهندسة والفلك والأدب والشعر والذين ظلت نظرياتهم وأبحاثهم العلمية نبراسا للعالم كله حتى القرن الخامس عشر الميلادى. ومازال الطب الحديث يستخدم بعض العقاقير، وآلات الجراحة، وطرق علاج الكسور المأخوذة عن الطب المصرى القديم. والقصد من هذه العجالة عن الطب والعلوم عند الأقباط، هو إبراز العناصر الهامه فى هذا الموضوع، والتى وجد الكاتب صعوبة فى جمع شتاتها وتفاصيلها من بطون الكتب والمراجع القديمة والحديثة. والباحث فى هذا الاتجاه تواجهه عقبات كثيرة، أولها اختلاف وجهات النظر العلمية القديمة عما هو موجود حاليا، فالعالم أو الباحث فى العصور القديمة لم يكن لديه ميكروسكوب أو تلسكوب ولا أجهزة الكترونية تعينه فى أبحاثه، إنما اعتمد على قدراته الذهنية فى التفكير المنطقى والتحليلى مع دقة الملاحظه وحواسه الزائدة، ثم استخدم مهارته اليدوية فى التطبيق العملى. هذا ولا ننسى عدم وجود التسهيلات المعيشية من إضاءة ومياه نقية، وسهولة التنقلات وغير ذلك مما يوفر الكثير من المشقة على الباحث فى العصر الحديث.

أطباء مصر القديمة

كان فى مصر القديمة منذ العصر العتيق عدداً كبيراً من الأطباء، الذين تخصصوا فى فروع الطب المختلفة. فكان منهم الطبيب الباطنى ويلقب "سونو" وطبيب أمراض النسا، وطبيب العيون، وطبيب الأطفال، والجراح، وطبيب الروح (النفسانى). وكان هناك من يقوم بعملية الكى الجراحية واسمه بالهيروغليفية "سا ـ حمم" (ايبرس ـ فصل الأورام، ص٨٥٧ ـ٨٧٧). وكان كاهن "القرين" يقوم بإجراء عملية الختان بجوار خدمته الكهنوتية. وكان هناك مساعدون للأطباء، تمورجية وممرضين، يساعدونهم فى العمليات والتمريض.

واشتهر أطباء بأنهم يشرفون على الصحة العامة فمنهم الطبيب "ايبى" ولقبه "رئيس أطباء الشمال"، وآخر لقبه "رئيس أطباء مصر العليا والسفلى"، والأوامر والمستندات الصادرة منه لرؤساء الأطباء كانت تختم بختم رئيس اطباء مصر العليا والسفلى، مما يؤكد التنظيم الدقيق لمهنة الطب.

وكان للطبيب المصرى شهرة عالمية، ففى رسائل تل العمارنة، أرسل أمير ميتانى "شامدا - أددا" طلباً لأخناتون أن يرسل له طبيب مصرى من أطباء السراى لعلاجه. وكتب رمسيس الثانى إلى ملك الحيثيين "خاتوسيل" يقول "لقد أرسلت لك طبيباً ومعه كل الأعشاب المفيدة". وكان هناك أطباء للمناجم والمحاجر، ووجدنا لهم "نقش أثرى" Graf-fitti فى أحد محاجر "حاتنوب".

(Ange-Pierre Leca: "La Medecine d´ Egypte", pp. 111 - 117)

وسنختار أمثلة لمشاهير أطباء مصر القديمة (حسن كمال:الطب المصرى القديم، مجلد ١، من ٩٢ - ١٠٠):-

"حسزى رع" Hesi Re وهو أقدم من حمل لقب طبيب "سونو" ومقبرته فى سقارة، وكان من الشخصيات الهامة فى الأسرة الثالثة، ومن القابه رئيس أطباء الأسنان، الكاتب الملكى و كاهن حورس.

إيمحوتب: Imhotep ومعنى اسمه "الآتى بسلام" وهو أقدم طبيب ومهندس معمارى ووزير وكاهن وحكيم، وهو الذى شيد هرم زوسر المدرج (٢٦٨٦ - ٢٦١٣ ق.م) وكان رئيسا لكهنة عين شمس ويشترط فيه الإلمام بعلوم الطب والتحنيط والفلك والهندسة والمنطق، وبعد وفاته رفعه المصريون إلى مرتبة الأرباب. ويظن إنه كاتب بردية ادوين سميث الجراحية وأن البردية الحالية منقولة عن البردية القديمة.

(J. B. Hurry: "Imhotep", 1928)

الطبيب "متن" Meten من الأسرة الرابعة وله مصطبة فى سقارة.

الطبيب "نى عنخ رع" Ni-Ankh-Re من الأسرة الخامسة ومقبرته فى الجيزة، وكان مفتشا لأطباء السراى، وله لوحة فى المتحف المصرى تبين أنه كان طبيبا للأنف والأذن والحنجرة.

الطبيب "ميرا" Mera من الأسرة الخامسة، ومن القابه "رئيس مجموعتى أطباء السراى ومقبرته بسقارة.

الطبيب "عكمو" Ekmo وكان طبيباً للجنود، من الأسرة الثانية عشرة.

الطبيب "بسماتيك" Psammatik وهو كبير أطباء مصر العليا والسفلى، من الأسرة ٢٦ ومقبرته بسقارة.

إرتباط الطب المصرى القديم بالعقيدة

على مر العصور إرتبط الطب بالعقيدة وأرباب الشفاء، وبعد إنتشار المسيحية استبدل الناس والأطباء أرباب الشفاء بالقديسين. ولسنا هنا بصدد الحكم على صحة هذه الإعتقادات، إنما سنورد بعض أمثلة لذلك، وفى كتاب الموتى ذكر للإله الواحد "نب - واع"، "نتر - واع". أما السواد الأعظم من الشعب فقد اعتقد ولجأ إلى الأرباب وهى لشخصيات معنوية أو حقيقية رفعت لمرتبة القداسة كما نقول بالقديسين والملائكة حاليا. وسنوجز لبعض من اشتهر من هذه الأرباب ممن

كان لهم إرتباط بالطب والشفاء. (خليل مسيحة: رسالة دكتوراه "تأثير الطب الفرعوني....". الفصل الثاني)

تـوت: Thoth مخترع العلوم والكتابة. قسم الزمن إلى فصول وسنين وشهور، وهو مخترع العقاقير. وأسماه الإغريق هرمس المثلث العظمة، شفيع أطباء العيون...الخ.

إيمحـوتب: وهو وزير الملك زوسر والمهندس والطبيب والحكيم. اعتبره المصريون القدماء شفيع المرضى وكانوا يحجون إلى معابده في سقارة والدير البحري والكرنك وغيرها وظل هذا مستمرا لمئات السنين.

حورس: Horus وهو الذي انتصر على الشر والأمراض وهو حارس العينين (حور ـ خنتي ـ ايرتي).

إيزيس: Isis علمت الرجال فن علاج المرضى.

تـاوريـس: Taueris الحامية والمشرفة على الحمل والرضاعة، وكانت زجاجة اللبن تصنع على شكل تاورت لإرضاع الطفل صناعياً، وتملأ الزجاجة بلبن الأم او المرضعة.

سخمت: Sekhmet ربة الجراحة والكي وهي تنشر الأوبئة وتشفي الأمراض أيضاً.

نيت: Neith وكان لها معبداً في سايس ملحق به مدرسة لتعليم الطب. وكانت حامية للأطباء والحبالى في سايس في العصر المتأخر.

البرديات الطبية

البرديات الطبية المصرية القديمة التي عثر عليها في الآثار غالباً نسخها الكاتب المصري عن أصول أقدم منها، ويرجح أن إيمحوتب ألف بعضها والذي سماه الإغريق "اسكلوبيوس". والبرديات الطبية تمثل مجموعة من الكتب الطبية مثل "كتاب القلب" وكتاب "العض واللدغات". والبرديات الطبية التي وصلت إلينا تحتوي على مقتطفات من هذه الكتب الطبية. وكان الطب يلقن من الأب لإبنه ومن الأستاذ لتلاميذه في سرية تامة في بيت الحكمة. ومحتويات البرديات الطبية هي غالباً وصفات علاجية ما عدا بردية "إدوين سميث الجراحية" والتي سجل فيها كيفية فحص وتشخيص وعلاج حالات جراحية (حسن كمال، المجلد الثاني ص ٤٠٧) وسنلخص موجزاً عن البرديات الطبية في جدول (خليل مسيحه، رسالة دكتوراه: "تأثير الطب الفرعوني في الطب المصري"، حسن كمال: "الطب المصري القديم"، المجلد الثاني.

(P. Ghalioungui: "Magic and Medical Science"

لفافات البردى مرصوصة على أرفف، وفى آثار أكاديمية الإسكندرية وجدت تجاويف فى حوائط مكتبة السرابيوم بها أرفف حجرية لهذا الغرض

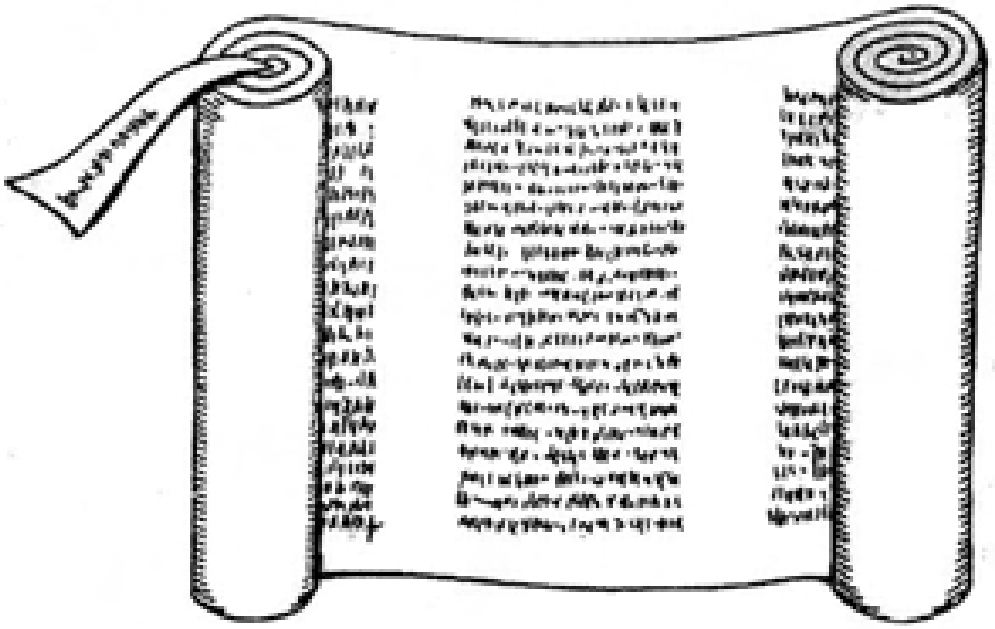

لفافة بردى

الفصل الثانى

آلات الجراحة والعقاقير المصرية القديمة

أ. د. خليل مسيحه جرجس

آلات الجراحة المصرية القديمة لها أهمية كبيرة فى تاريخ الجراحة حيث ظل استعمالها فى الطب بعد إنتهاء عهد الأسرات الفرعونية فى أيام حكم البطالمة (أكاديمية الإسكندرية) وبعد ذلك فى الطب القبطى والعربى فى مصر. وبعض هذه الآلات تطور، وهو يستخدم فى الطب الحديث مثل المشارط والمسابر والجفوت، والقديم منها من النحاس أو البرونز، والقليل من الحديد. أما الحديث فمن الصلب الذى لا يصدأ، وبالمتحف المصرى بالقاهرة مجموعة كبيرة منها، وكذلك فى المتحف الإسلامى والقبطى وفى المتاحف العالمية. والموجود منها فى المتحف المصرى مرسوم وموصوف فى مخطوط حديث على ورق البردى

Khalil Messiha: "First Papyrus Book 1 of Ancient Egyptian Surgical Instruments", 1980.

وفى معبد كوم امبو نقش حائطى لأربع صفوف، ومحتوياتها من أعلى إلى أسفل كالآتى:

الصف الأول: مجموعة إبر ـ مجس ـ مكواه ـ منشار ـ مجموعة مكاوى.

الصف الثانى: هاون ومدق ـ ملاقط ـ كماشات ـ مجسات ـ ملاعق.

الصف الثالث: ميزان ـ تميمتين على شكل عين حورس ـ كماشات.

الصف الرابع: مشارط ـ ملاعق ـ مقص زنبركى.

أما الآلات الموجودة بالمتحف المصرى والمتاحف الأخرى (انظر الرسوم التوضيحية) فيقسمها الباحث إلى مجموعات كما يلى:

١ ـ آلات قاطعة Cutting tools منها سكاكين من حجر الصوان لعمليات الطهارة، ومنها ما يستخدم للتحنيط لشق الجنب. ومشارط من البرونز ذات أشكال وأحجام مختلفة.

٢ ـ المكاوى Cauteries من البرونز والنحاس ذات أشكال مختلفة تستخدم لإيقاف النزيف وكى الفروح والأورام، ومنها مازال مستخدماً حتى الآن لنفس الأغراض لكنها تسخن بالكهرباء.

٣ ـ الملاقط والجفوت Tweezers and Forceps أيضاً من النحاس والبرونز مختلفة الأشكال والأحجام حسب الغرض من استعمالها. منها ما هو كبير الحجم لإستخراج رؤوس السهام أو قطع العظام من الكسور، ومنها الدقيق الحجم لاستخراج الأشواك أو الأجسام الغريبة من الأنف والأذن والعين. وبالمتحف المصرى جفت له أسنان دقيقة وحلقة حابسة (قفل) ليمسك الأنسجة الرخوة بشدة.

٤ ـ ملاعق وملاوق Spoons and Spatulas لوضع مساحيق الأدوية على اللثة واللهاة واللسان واللوزتين والجروح العميقة، ولها أشكال كثيرة منها المفلطح ومنها المستدير

و الأسية الشكل ...الخ.

٥ ـ خافض اللسان Tongue depressor من البرونز أو العاج لخفض اللسان عند فحص الفم والأسنان.

٦ ـ الات مدببة وإبر Pointed tools and needles تستخدم الإبر فى خياطة الجروح كما جاء فى البرديات الطبية، والآلات المدببة للعلاج بالوخز (مثل الإبر الصينية) وبذلك يكون المصرى القديم قد سبق الصين فى هذا النوع من العلاج (خليل مسيحه، رسالة دكتوراه عن تأثير الطب الفرعونى).

٧ ـ الموسعات والمجسات Dilators and Probes كلها تقريبا الات إسطوانية معدنية غالباً من البرونز وأطرافها مدورة او مبططة لتوسيع الجروح وجس الكسور ومنها ما يدس فى الخراريج والأورام لإختبار مادتها.

٨ ـ الروافع Levers تستخدم فى جراحة العظام لرفع عظام الكسر المنخسف فى قبوة الراس أو لرفع الكسور المركبة فى العظام الطويلة، وكانت الكسور كثيرة الحدوث فى الحروب.

٩ ـ المكاحت Curettes لكحت الإفرازات والأنسجة الميتة من القروح والعظام الملوثة.

١٠ ـ المنشار Saw منقوش ضمن الات لوحة كوم امبو الجراحية ليستخدم فى جراحة العظام.

١١ ـ المقصات Scissors منها المقص "الزنبركى" المرسوم فى لوحة كوم امبو ومنه نموذج بالمتحف القبطى، والنوع الثانى بالمتحف المصرى بالقاهرة، وهو دقيق الصنع ويشبه المقص الجراحي الحديث.

١٢ ـ الموس Razor يستخدم لحلاقة الشعر قبل إجراء العمليات.

١٣ ـ الة التربنة Trephine وقد عثر كاتب هذه السطور على الة التربنة الفرعونية أثناء قيامه ببحث المجموعة الموجودة بالمتحف المصرى بالقاهرة ولم تكن معروفة من قبل وتشبه شكل حربة قصيرة وغليظة، ويستخدمها الجراح لثقب الجمجمة فى حالة النزيف المخى أو إستئصال الأورام. وقد وجدت جماجم من عصور قديمة بها تربنة ملتئمة دليل أن أصحابها عاشوا بعد ذلك (خليل مسيحة: "تأثير الطب الفرعونى فى الطب المصرى"، ص ١٩٨/ب ـ ٢٠٠)

١٤ ـ ممسحة أو فتيلة Swab، وهى قطعة من البوص ملفوف على طرفها كتان لتجفيف وتنظيف الجروح ولوضع الأدوية السائلة عليها أو على اللثة واللوزتين والقروح.

١٥ ـ الجبائر Supports، وكانت تصنع من فروع الأشجار أو الخشب أو "الكارتوناج" (كتان مشبع بمواد غروية أو عجينة من دقيق الفول أو الشعير مع العسل والغراء) وتستخدم فى تجبير كسور العظام.

آلات جراحة مصرية قديمة (من المتحف المصرى بالقاهرة)

مشرط من البرونز بالحجم الطبيعى

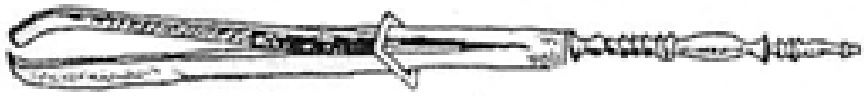

جفت له قفل وطرفاه باسنان دقيقة، من البرونز (بالحجم الطبيعى)

مقص "زنبركى" مرسوم على لوحة كوم امبو الجراحية، ومنه نماذج بالمتحف القبطى والإسلامى، وكان يستخدم فى عملية الختان بوجه قبلى إلى عهد قريب. مصنوع من الحديد.

موسع طرفه "زيتونى" ناعم، وربما استخدم أيضا مكواة. مصنوع من البرونز

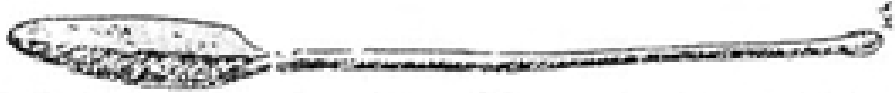

"مدس" أسى الطرف، يدس فى الجروح المنفيحة لفحصها ويستخدم كملعقة لوضع "الأدوية الكاوية فى الجروح العميقة.

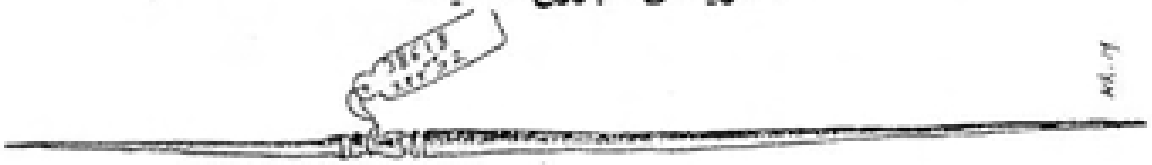

"آلة وخز" acupuncture needle للعلاج بطريقه الوخز، مصنوعة من البرونز (بالحجم الطبيعى)

آلات الجراحة المصرية القديمة

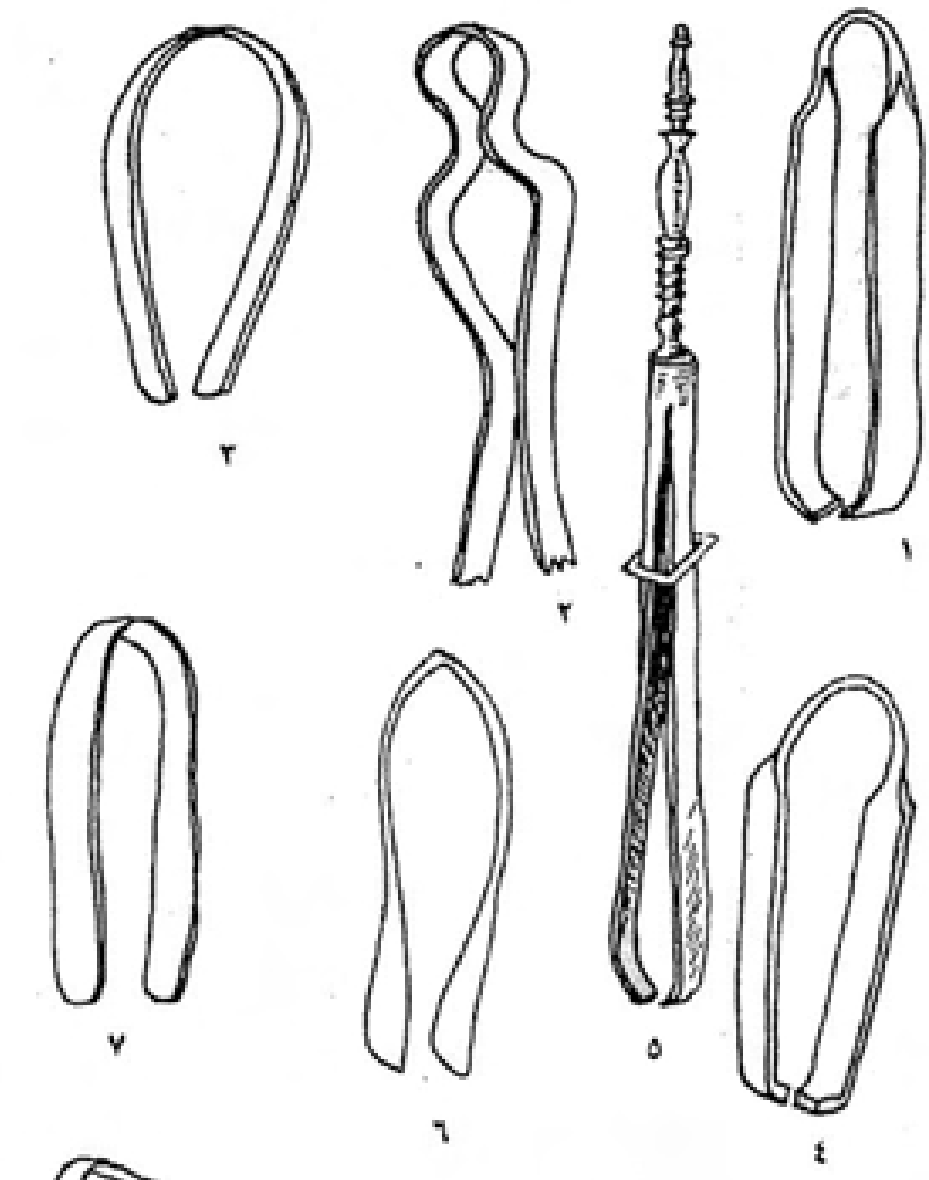

من ١ ـ ٨ ملاقط مختلفة الشكل والحجم تستخدم لإخراج الأشواك والأجسام الغريبة من الأنف والأذن والجروح ولقلع الشعر المرضى من العين (الشطرة الداخلة). أما رقم ٥ فهو يشبه الجفت الجراحى الحديث حيث له أسنان دقيقة وحلقة مربعة لإمساك الأنسجة الرخوة.

الآت طبية (١)

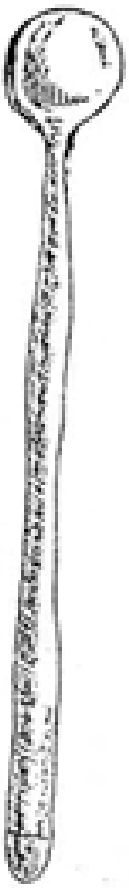

ملعقة لوضع الأدوية فى الجروح واللثة والأسنان واللهاة.

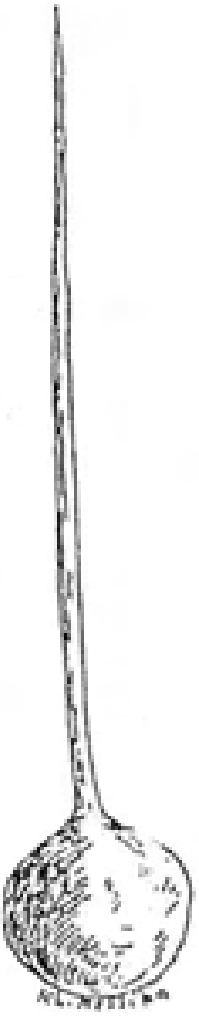

آله مدببه تستخدم للوخز ولتنظيف السن المسوسة

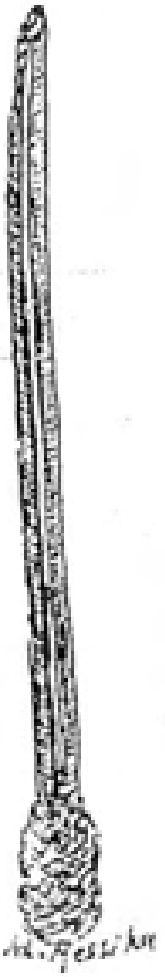

قطعه بوص ملفوف على طرفها غيار كتان Swab إما لتجفيف الجروح الصغيرة أو لمسها بسائل طبى.

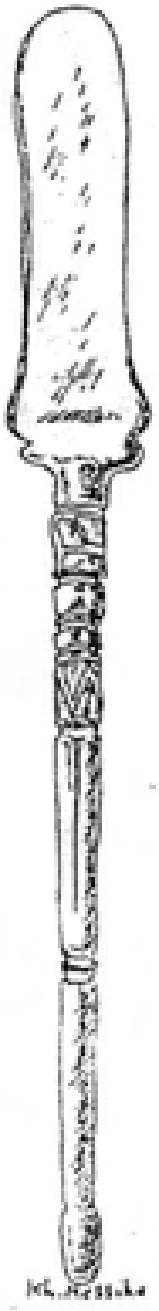

ملعقة جميلة الصنع لوضع الأدوية فى الجروح الكبيرة

١ - خليل مسيحه جرجس، أطباء مصر من القرن الثالث إلى القرن السادس الميلادى. رسالة دكتوراه.

التخدير Anaesthesia: سنذكر موجزا عن تخدير المرضى فى تاريخ الطب الفرعونى وفى العصر القبطى الأول (الهلنستى والرومانى فى مصر) ثم فى الطب العربى. وقد نشر الكثيرون عن استخدام "حجر ممفيس" (ديوسقوريدس. الجزء الخامس ص ١٥٨) وأنه يسحق مع الخل ويوضع على الجلد فيخدره. وقد تبين خطأ هذا (P.Ghalioungui: "Magic and Medical Science",p.104) والواقع أن الجراحين القدماء استخدموا أعشابا طبية مخدرة شديدة منها: اليبروح أو اللفاح Mandragora واستخدم منه فى الطب الفرعونى الجذور والأوراق (هيرست ص٧١٥، ٢٣١ ـ ٢٣٣). واستخدمه أطباء اليونان وأطباء الإسكندرية (أكاديمية الإسكندرية). وذكر استخدامه ابن سيناء فى كتابه "القانون فى الطب".

الخشخاش Papaver Somniferum واسمه بالهيروغليفية (خابت) واستخدم مسحوقه عن طريق الفم لتسكين صراخ الأطفال. أما "الأفيون" المستخرج من الخشخاش فكان له أهمية اقتصادية فى (العصر الهلنستى والرومانى) القبطى الأول – وورد ذكر الخشخاش فى النصوص الطبية القبطية. وتكلم عنه الطبيب العربى داود الإنطاكى (تذكرة أولى الألباب حرف خ) وعن الأفيون opium.

السكران ـ البنج Hyoscyamus وكان يستخدم لتسكين الآلام العصبية والأرق وآلام العمود الفقرى ومسكن موضعى (هيرست ص٢٠٤) وداخليا لآلام البطن الناتجة عن الديدان المعوية. وقال داود الإنطاكى (تذكرة أولى الألباب حرف س) إنه يزيل العقل لمدة يومين أو ثلاثة.

الداتورة Datura: أوراقها وبذورها مخدرة شديدة.

قنب هندى ـ حشيش Cannabis Indica استخدم فى الطب المصرى القديم (هيرست ٢ ص ١٧٧ ـ ١٨٨) مسكن موضعى وكذلك لتسكين آلام المثانة وآلام العين وضمن حقن مهبلية لإلتهاب الرحم.

وهناك نباتات أخرى يختلف مفعولها المخدر واستخدمت أيضاً مثل الخس البرى Lactuca، والبنج الأسود Hyoscyamus Niger وأوراقه وبذوره مخدره وسامة واستخدم كمسكن (وليم نظير، ص٢٢٠). وعرف أطباء العرب التخدير بالسكران وست الحسن Belladonna، "والإسفنج المخدر" وهى إسفنجة تشرب بعصير الأفيون والحشيش وست الحسن والزوان وتوضع فى أنف المريض فيذهب فى نوم عميق (خليل مسيحه: تأثير الطب الفرعونى على الطب المصرى، ٢٠٧).

الفصل الثالث

انتقال الطب الفرعونى والوصفات الطبيه عبر التاريخ

إلى اليونان والعرب وأوروبا(١)

أ. د. خليل مسيحه جرجس

ظل الطب الفرعونى يمارس فى مصر حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد، ولما تأسست أكاديمية الإسكندرية، دخلها شيء من الطب اليونانى، وقام الأطباء الإسكندرانيون بابتكار جراحات جديدة مثل تخديع عدسة العين (للمياه البيضاء Cataract) لإعادة الإبصار، وأخذ أطباء اليونان الكثير عن الطب المصرى القديم، فأخذ أبقراط طريقة "رد خلع الفك" من البرديات الفرعونية وكتبها فى مؤلفاته، وحضر جالينوس لأكاديمية الإسكندرية فى القرن الثانى للميلاد ودرس جراحة العظام، ولما دخل العرب مصر قاموا بترجمة ما كتب باليونانية فى أكاديمية الإسكندرية، من مؤلفات كانت تسمى "الجوامع" والتى ألفها أساتذه إسكندرانيون . وفى عام ١٨٨٠م قال العالم ليبلاين Lieblein إن مدرسة سالرنو التى تأسست فى القرن ١١ للميلاد ترجمت الكتب العربية إلى اللاتينية ونشرت بطريق غير مباشر الطب المصرى القديم فى القارة الأوربية، واعتبروا أن قسطنطينوس الإفريقى Constantine the African والذى قضى حياته يترجم كتب الطب من العربية إلى اللاتينية هو الواسطة بين الطب المصرى القديم ومدرسة سالرنو ("Hassan Kamal: "Encyclopedia of Islamic Medicin).

اما مدرسة حران School of Haran والتى إزدهرت فى أيام الخليفة المتوكل فكانت مركزاً لمدرسة الفلسفة والطب والتى سبق إنتقالها من الإسكندرية إلى أنطاكية. وعاش ثابت بن قرة فى حران وترجم كتب الطب من اليونانية إلى العربية فى مدرسة بغداد أيام الخليفة المأمون. أما البرديات الطبية القبطية وأولها بردية شاسيناه والتى ترجع إلى القرنين ٩، ١٠ ميلادية فهى مكتوبة باللغة القبطية الصعيدية، مذكور بها الكثير من العقاقير المصرية القديمة وأسماء بعضها بالعربية بحروف قبطية مثل "المر" ⲁⲣⲙⲟⲣ و"الفول" ⲁⲃⲁⲩⲉ وبها وصفات عن بردية إيبرس. ووصفة (١١) وهى قطرة للعين منسوبة إلى أبى كيرلس الطبيب. وبردية زويجا .Zwega pap وهى باللغة القبطية الصعيدية، وفيها علاج الأمراض الجلدية وهى مأخوذة عن البردية الطبية التى كانت محفوظة فى مكتبة إيمحوتب بمنف. وقد أبدل الكاتب المعبودات الفرعونية الوارد أسماؤها فى الدعوات باسماء الملائكة (جبرائيل) و (رفائيل)...الخ (خليل مسيحه: تأثير الطب الفرعونى ... ص٤٩ ـ ٥٣) (حسن كمال: "الطب المصرى القديم"، مجلد ٢، ص ٦٩٠ ـ ٦٩٩).

هاتين البرديتين القبطيتين إثبات لاشك فيه لاستمرار تأثير الطب الفرعونى فى الطب المصرى حتى وقت كتابة هذه البرديات فى القرن العاشر للميلاد. وفى القرن الرابع الميلادى فى بلاد فارس تأسست مدرسة "جندى شابور" الطبية ومن مشاهير أطبائها جرجس بن بختيشوع

---

١ ـ خليل مسيحه جرجس: تأثير الطب الفرعونى ... ص ١٩ ـ ٥٧.

والذى صار طبيبا لأبى جعفر المنصور ثم لهارون الرشيد وترجم جرجس عدة كتب من اليونانية للعربية.

وفى القرن الأول الميلادى قام الطبيب اليونانى ديوسقوريدس بتأليف كتاب "الحشائش" باليونانية وأخذ الكثير من العقاقير المصرية القديمة (حسن كمال: "الطب المصرى القديم"، مجلد ٢، ص ٢١٨) وظل كتابه المرجع الأساسى من أيام جالينوس وحتى ابن سينا وداود الأنطاكى. وترجم إلى العربية فى بغداد فى الدولة العباسية أيام جعفر المتوكل (٨٤٧ ـ ٨٦١م) ترجمه اصطفن بن باسيل ثم صحح الترجمة حنين بن اسحق وأجازها (ابن أبى أصيبعه: "عيون الأنباء فى طبقات الأطباء"، جزء ٢، ص ٤٦ ـ ٤٨).

آلات الجراحة المصرية القديمة

آلة التربنة Trephine [1]

عثر على عدة جماجم بها عمليات تربنة منها واحدة من اللشت ومحفوظة فى معهد سميثونيان بواشنطن وجماجم أخرى نشر عنها البطراوى.

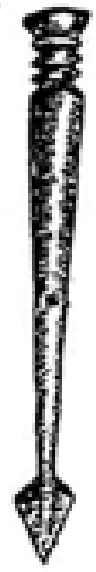

آلة تربنه محفوظه بالمتحف المصرى
(ينشر عنها لاول مرة)

عظم جبهى به ثقب تربنة
(عن البطراوى)

الآلة المرسومه هنا موجودة بالمتحف المصرى ولم يكن يعرف استخدامها.

وبمقارنة شكل طرفها الحاد الجوانب والمدعم بجزء رأسى بارز نجده يطابق شكل الثقب الذى يحدثه فى عظام الجمجمة، حيث يحدث ثقب له جوانب مائلة كما هو موضح بالرسم المجاور (شكل أ)

(شكل أ)

ويعتقد د. خليل مسيحه أنه كان هناك مقاسات مختلفة تحدث ثقوب مختلفة الأحجام.

(شكل ب)

أما آلة التربنة الأسطوانية ذات الحرف المنشارى فيكون حواف الثقب الحادث منها رأسية وليست مائلة (انظر شكل ب).

١ - خليل مسيحه جرجس: تأثير الطب المصرى القديم على الطب الفرعونى من القرن الثالث ق.م. إلى القرن السادس للميلاد.
٢ - تخطيط ورسم آلات الجراحة المصرية القديمة والقبطية فى مقالات الطب والعلوم عند الاقباط من عمل ا.د. خليل مسيحه جرجس.

آلات لجراحة العيون ـ من عهد أكاديمية الإسكندرية (١)

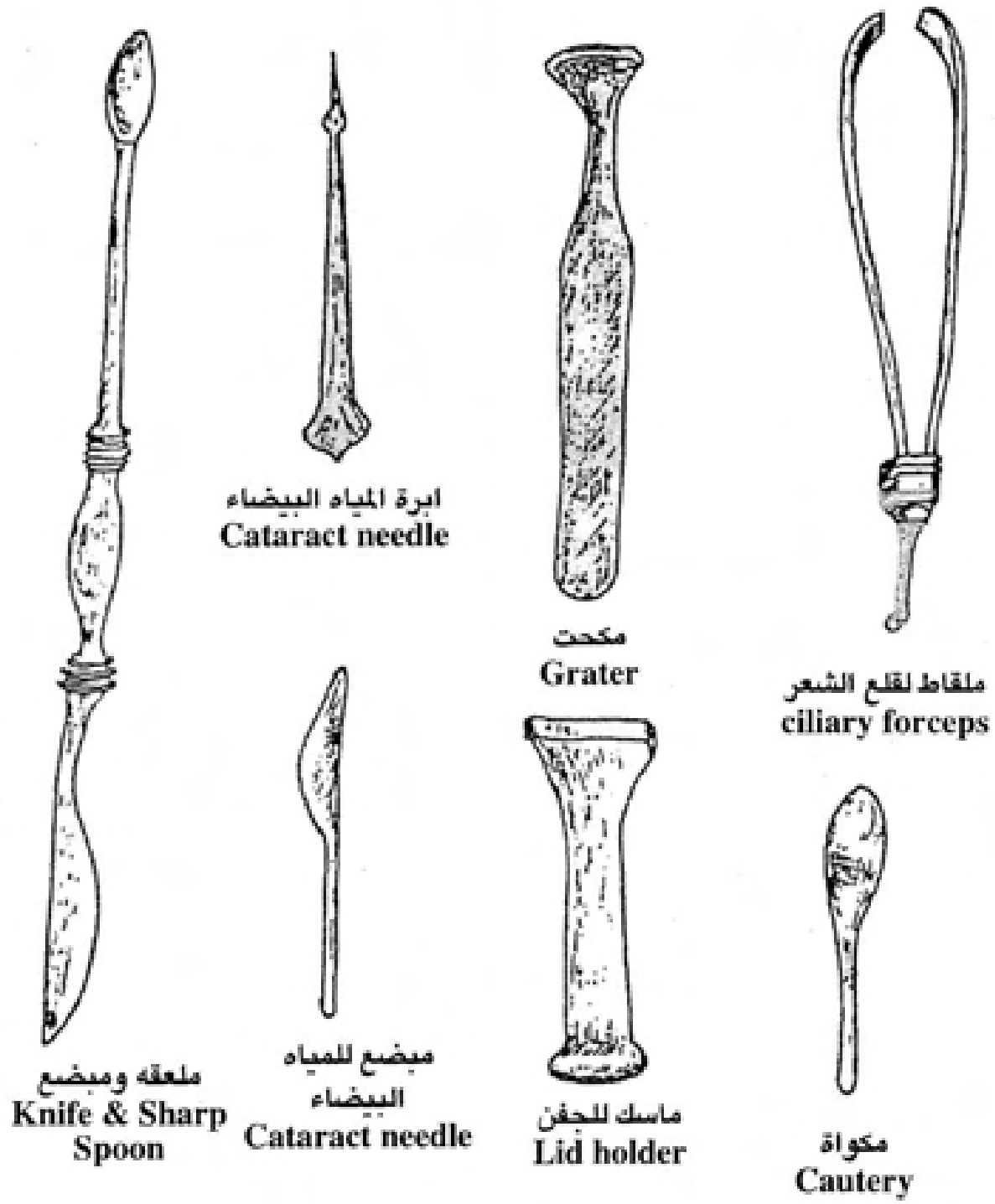

١ ـ رسوم الآت وأدوات الجراحة من عمل أ.د. خليل مسيحه جرجس.

آلات جراحة مختلفة
من عهد أكاديمية الاسكندرية
(Collection of Th. Meyer Steinig)

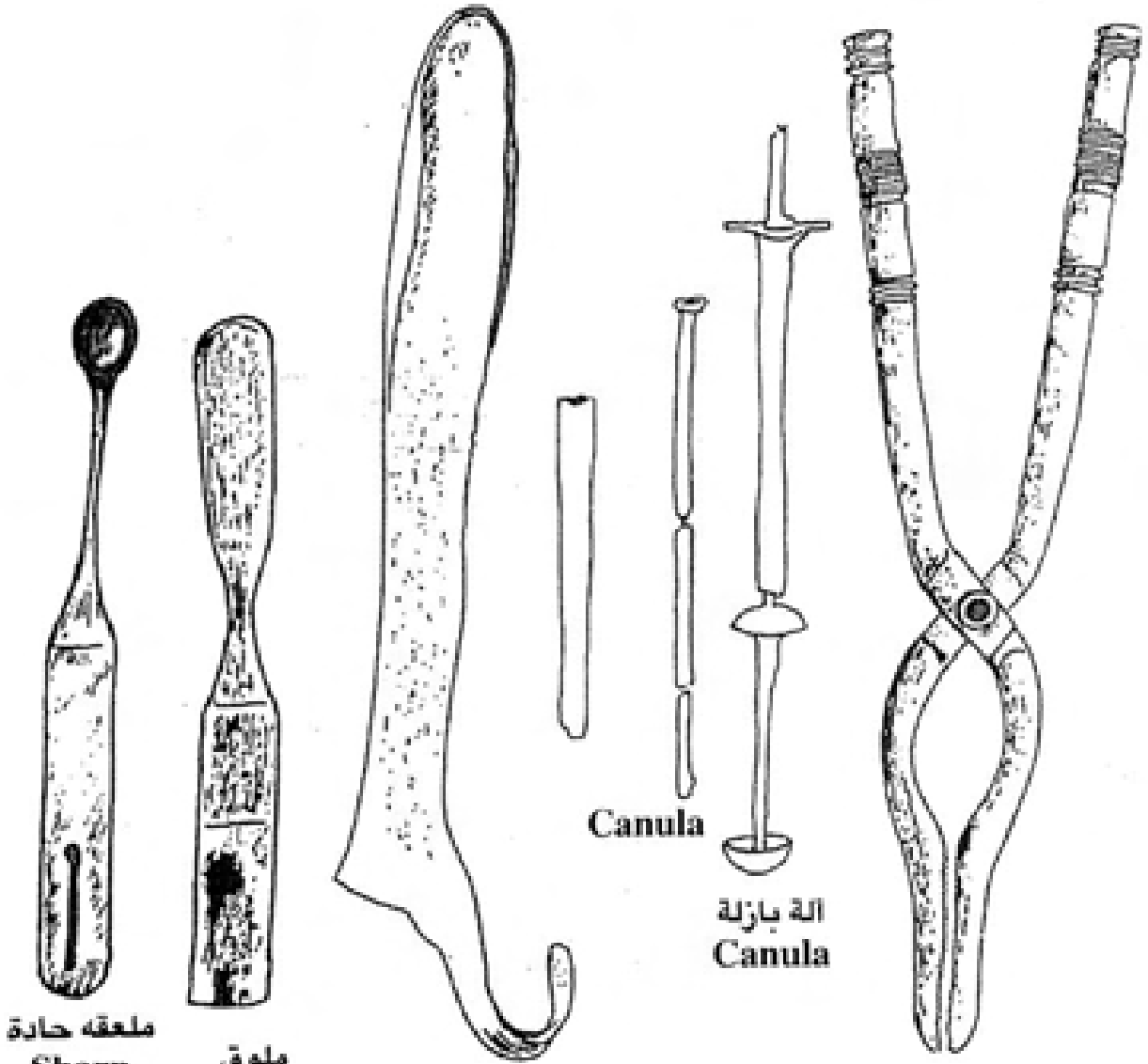

---

١ . خليل مسيحه جرجس. تأثير الطب الفرعوني في الطب المصري من القرن الثالث ق.م. إلى القرن السادس للميلاد.
٢ . رسوم الآت وأدوات الجراحة من عمل أ . د. خليل مسيحه جرجس.

آلات جراحة فى العصر الإسلامى

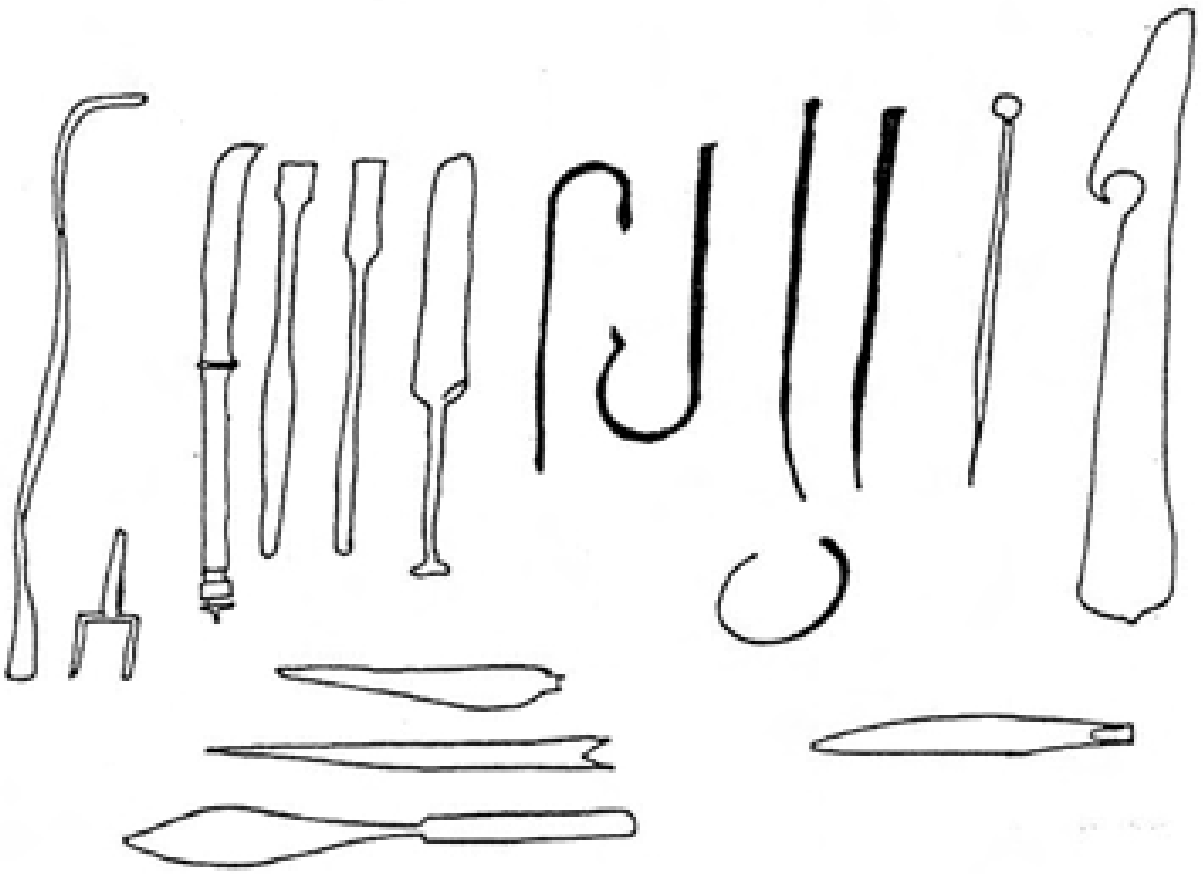

آلات جراحة "إسلامية" مما وجد فى الفسطاط (عن سامى حمارنه وهنرى عوض)، قارنها بالآت الجراحة المصرية القديمة من عهد اكاديمية الإسكندرية والتى استخدمت فى الطب القبطى.

آلات جراحة محفوظة بالمتحف القبطى

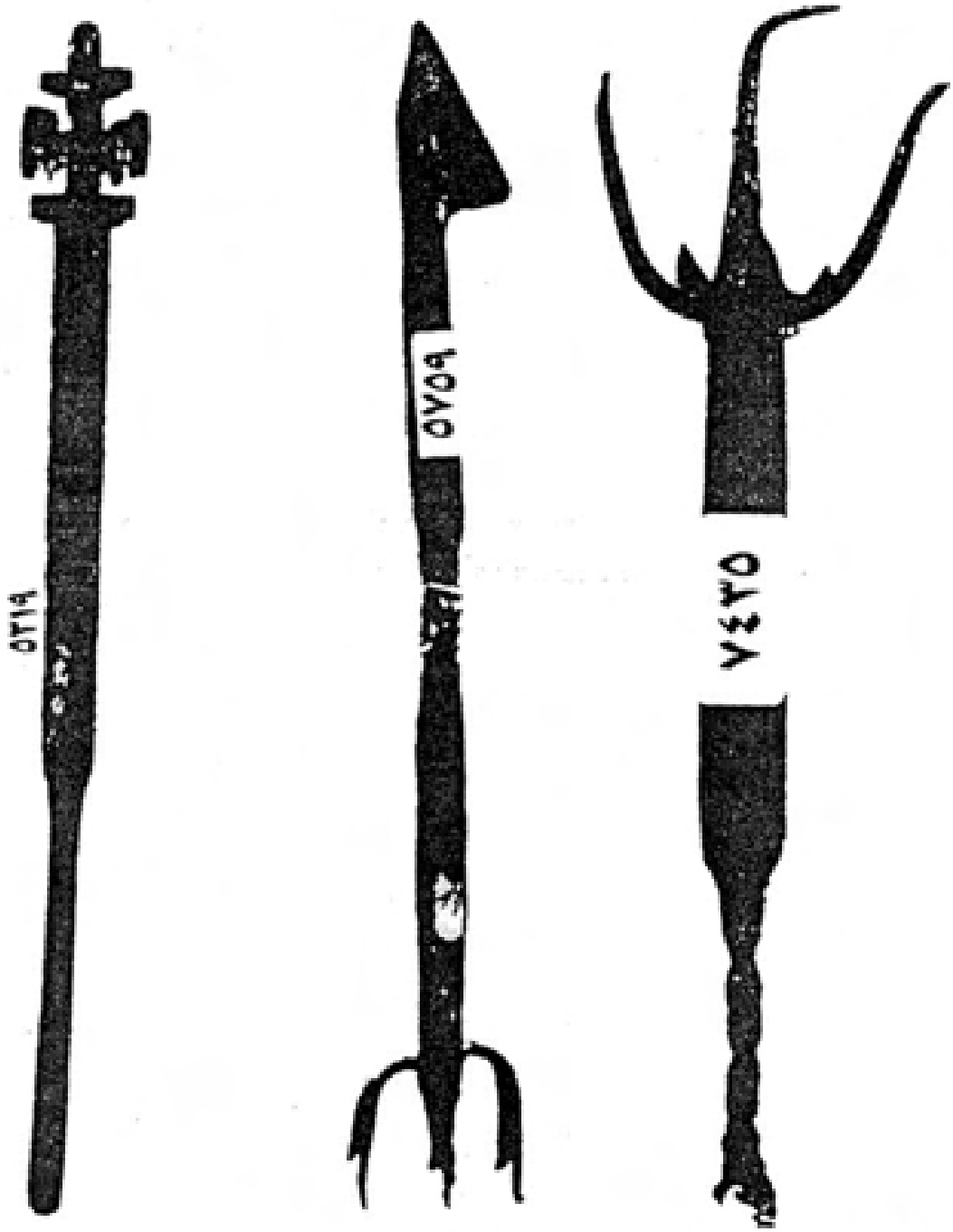

شوكة ذات ثلاث شُعب لتشمير الجلد

شوكه لتشمير الجلد ومعها مشرط

أداه جراحية يظن انها "مكواة" وعليها صليب.

آلات الجراحة منها ما يحمل شكل الصليب، مما يدل على استخدامها فى العصور التالية لدخول المسيحية مصر،
بعضها يشبه المستخدم فى مصر القديمة وفى عصر أكاديمية الإسكندرية.

آلات جراحة بالمتحف القبطى [1]

الأشكال الموضحه أرقام ١، ٢، ٣، ٤ موسعات وتستخدم أيضا للكى، آله رقم ٣ طرفها العلوى على شكل صلبان.
رقم ٥ ملعقة مبططة لوضع مساحيق الأدوية الكاوية على الجروح والقروح وأجزاء الفم.
رقم ٦ صنارة ذات ثلاث شعب ومشرط مثلث غالبا تستخدم لجذب الجنين (الميت) وتقطيعه.

(١) رسوم آلات الجراحة من عمل أ.د. خليل مسيحه جرجس.

آلات جراحة بالمتحف القبطى[1]

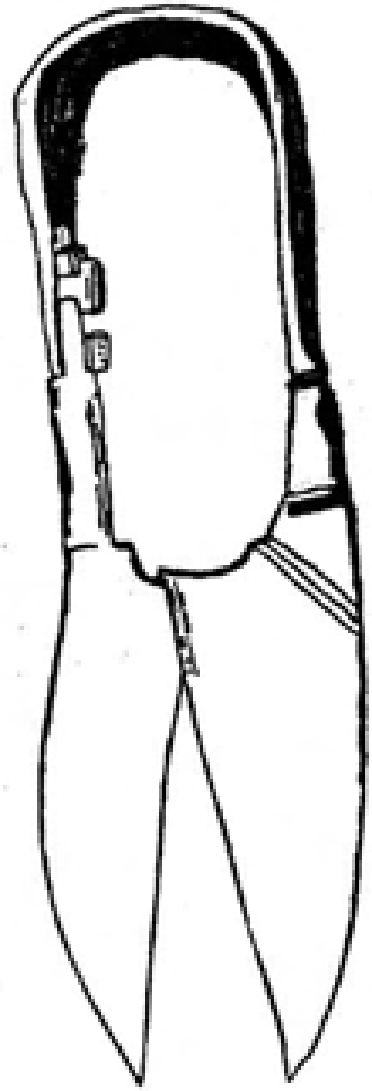

مقص زنبركى فى حالة جيدة وكان يستخدم حتى عهد قريب فى عملية الطهارة

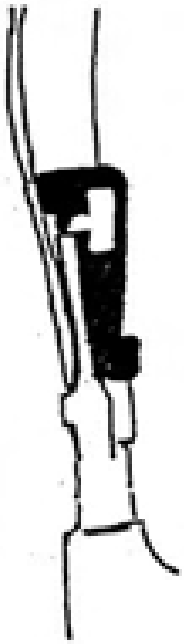

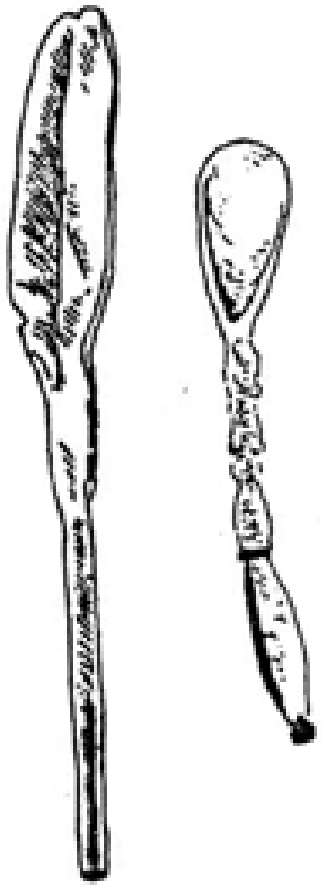

ملعقتان لوضع الأدوية الكاوية فى الجروح العميقة وعلى اللهاة واللثة

١ ـ رسوم آلات الجراحة من عمل أ.د. خليل مسيحه جرجس.

الفصل الرابع

مقدمة في تعليم الطب في العصر القبطي

أ. د. خليل مسيحه جرجس

ورث الأقباط عن أجدادهم الفراعنة براعة في الطب والتشريح والكيمياء والصيدلة والهندسة والفلك وعلم النجوم، واستمروا على نبوغهم في هذه العلوم طوال العصرين اليوناني والروماني حتى أصبحت مدرسة الإسكندرية الوثنية القديمة هي أقوى مدارس العالم في هذه الدراسات، ثم تأسست المدرسة القبطية المسيحية واضطرت أن تدرس هذه المواد أيضاً، ونبغ من الأقباط أساتذه تخرج عليهم كثير من علماء العالم القديم. ولأطباء القبط فضل كبير على المصطلحات الطبية نذكر منها على سبيل المثال كلمات:

Medicina عقاقير.

Medicamentus دواء أو سم.

Apotheca مخزن دواء (ويقال ان اللفظ مشتق من اسم بلدة ابو تيج).

وشهرة مدرسة الإسكندرية هي التي جذبت الطبيب اليوناني الشهير جالينوس (النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي) إلى الإسكندرية وأخذ عنها الفلسفة والطب والصيدلة، وكان بذلك همزة وصل هامة بين الطب القبطي والطب الأوربي والعربي.

والبرديات الطبية القبطية (شاسيناه - زينون - زويجا) توضح لنا ما وصل اليه أطباء القبط من معرفة بالأمراض وفن صناعة الدواء ويقول نيتولسكي في كتابه الطب الشعبي المقارن ، أن كثيراً من العلاجات والمستحضرات العلاجية المعروفة في أوربا منذ القرون الوسطى تحمل الطابع المصري القديم، كما أن الكثير من هذه الوصفات لازال مستعملاً في مصر وفي كثير من بلدان الشرق (تاريخ الحضارة المصرية - "العصر اليوناني والعصر الإسلامي"، مجلد ٢، ص ٢٤٥ - ٢٤٧).

وفي أيام حكم العرب لمصر كان تعليم الطب يختلف عن عصر أكاديمية الإسكندرية، فكان الطالب "يقرأ" الطب على أستاذه الطبيب، وقد التزم الأقباط بدراسة الطب وممارسته بنزاهة حتى ظهر من بينهم قديسون أمثال قلته الطبيب وأبا كيرلس (جاء ذكرهم في بردية شاسيناه). ولابد أنهم درسوا ما قام العرب بترجمته من أمهات الكتب اليونانية والكثير منها مأخوذ عن الكتب والمراجع التي كانت تدرس في أكاديمية الإسكندرية.

ويقول داود الإنطاكي في كتابه (تذكره أولى الألباب، حـ ١، ص ١٦) "ثم إنتقلت الصناعة إلى أيدي النصارى فأول من هذب المفردات الطبية ونقلها إلى اللسان السرياني "دويدرس" البابلي، ولم يزد على ما ذكروه شيئا حتى الفاضل المعرب والكامل المجرب اسحق بن حنين النيسابوري، فعرب اليونانيات والسريانيات وأضاف إليها مصطلح الأقباط لأنه أخذ العلم عن حكماء مصر وانطاكية وإستخرج مضار الأدوية ومصطلحاتها. ثم تلاه ولده حنين ففصل الأغذية من الأدوية فقط، ولم أعلم من النصارى من أفرد هذا الفن غير هؤلاء ... ثم ترادف المصنفون على اختلاف أحوالهم فوضعوا في هذا الفن كتب كثيرة من أجلّها مفردات ابن الأشعث وأبي حنيفة... وجرجس بن يوحنا"

وكان لعلم النجوم أهمية خاصة حيث يستدل به الطبيب على طبيعة المريض وطبيعة المرض والإنتقال من حالة المرض إلى الصحة (البحران الجيد) أو الانتقال إلى حالة أسوأ (البحران الردئ).. ويقول داود الأنطاكي في كتابه تذكرة أولي الألباب (جزء ٢، ص ٢١-٢٢) "لأن حاجة الطب إليه شديدة أكيدة حتى إنه لا ثقة لطب من لم يتقنه كما صرح به في الجوامع. وقال الأستاذ أبقراط من لم يستمد البحارين من الطوالع قبل ومن لم يحكم أزمنة الانتقال فشل ومن أساء النظر في المقومات فقد عرض المريض للهلاك وهدم بنية الحكيم".

مدارس الفكر الطبي (١)

في كل عصر نجد من الأطباء من يفسر سبب إصابة الإنسان بالعلل والأمراض، وفي العصر الحديث وبداية من النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأ يسود العالم نظرية "الجراثيم المرضية" خصوصاً بعد أبحاث العالم الفرنسي باستير، وحالياً أصبح المضاد الحيوي هو المسيطر على قائمة العلاجات المختلفة.

وفي العالم القديم نشأت مدارس الفكر الطبي، ولكل مدرسة أتباع مارسوا الطب حسب فكر طبي وضعه أحد أعلام الطب في العالم القديم، وأحيانا تنسب المدرسة إلى المكان الذي نشأت فيه، ومن امثلة ذلك "المدرسة الفلسفية" والتي نشأت في "أيونيا" على الساحل الشرقي من بحر إيجه، وأشتهرت ثلاث مدارس، وكان من أتباعها أكاديمية الإسكندرية، واستمر تأثيرها بعد ذلك في الطب القبطي والعربي في مصر ولعدة قرون، وأتباع هذه المدارس عرفوا باسم "أصحاب الفرق الثلاث".

"المدرسة التجريبية" في الإسكندرية أسسها فيلينوس وسرابيون الإسكندارني (٣٨٠ ق.م) وكانوا يجتهدون في البحث عن الأسباب المباشرة للمرض، ووجهوا إنتباههم إلى الملاحظات السريرية Clinical.

"أصحاب القياس" ويقصد بالقياس في الطب التحري عن سبب المرض ومعالجته قياسا على ذلك. والطبيب يكون عنده علم مسبق بمفعول الدواء الذي سيستخدمه قبل استعماله في العلاج، ونجد جالينوس يعالج بطريقة القياس في كتابه "حيلة البرء".

"أصحاب الحيل" وكانوا ينظرون إلى العلاجات الشافية لظواهر الأمراض وأعراضها دون الإلتفات إلى ما تكشف عنه التجربة او القياس، وكان الطبيب علي بن رضوان المصري يميل لأصحاب الحيل، وهو الذي كتب عن تعليم الطب في مدرسة الإسكندرية.

أما النظريات التي سادت في أيام اكاديمية الإسكندرية حتى نهاية وجودها وانتقلت إلى الطب العربي والأوربي فهي تقول:

أن هناك أربعة أخلاط Humours في جسم الإنسان وهي:

الدم - البلغم - الصفراء - السوداء.

واتزانها في الجسم معناه الصحة وعدم اتزانها يحدث الأمراض.

---

١ - أ.د. خليل مسيحه جرجس: "تأثير الطب الفرعوني في الطب المصري". ص ٢٥١ - ٢٦١.
كمال السامرائي: "الكتاب النافع في تعليم الطب" ص ٤٠.

وأنْ هناك أربعة عناصر مهمة يتكون منها كل شيء هي:

التراب - النار - الهواء - الماء.

ثم ضموا الأخلاط إلى العناصر وصفاتها، وأصبحت أساس للنظرية النهائية والتى سادت فى الفكر العالمى كله شرقاً وغرباً حتى القرن السابع عشر الميلادى.

وتقول النظرية الموحدة إن:

الدم مكون من : الحرارة + الرطوبة.

البلغم مكون من: البرودة + الرطوبة.

الصفراء مكونة من: الحرارة + الجفاف.

السوداء مكونة من: البرودة + الجفاف.

وزاد جالينوس على ذلك الأمزجة والغرائز وأخذ عنه العرب ذلك، فقال عن الأمزجة

أشخاص مزاجهم بلغمى

أشخاص مزاجهم صفراوى

أشخاص مزاجهم سوداوى

ومازال الطب النفسى يستخدم بعض هذه التعبيرات فيقول مزاج سوداوى.

ونوجز كلمة عن الأخلاط الأربعة فنقول إن الدم رطب حار، فائدته تغذية البدن والطبيعى منه أحمر اللون معتدل القوام حلو.

والبلغم رطب بارد، فائدته أن يستحيل دماً إذا فقد البدن الغذاء وان يرطب الأعضاء، أما من جهة القوام كالرقيق جدا المائى، والغليظ جدا الحبصى، والمختلف القوام الخام المخاطى.

الصفراء حارة يابسة، فائدتها تلطيف الدم وتنفيذه، وأن تدخل فى تغذية مثل الرئة وينصب منها جزء إلى الأمعاء فيغسلها من الثفل والبلغم اللزج والطبيعي منها أحمر ناصع خفيف حاد.

السوداء يابسة باردة، فائدتها إفادة الدم غلظا ومتانة، وتدخل فى تغذية مثل العظام وينصب جزءاً منها إلى فم المعدة فينبه على الجوع ويحرك الشهية والطبيعى منها دردى الدم (الدردى ما رسب أسفل العسل). (ابن النفيس: "الموجز فى الطب").

العقاقير والأدوية التى استخدمها الطبيب القبطى

إن العقاقير والأدوية التى استخدمت فى الطب القبطى تقريباً هى نفسها التى استخدمها الطبيب المصرى القديم، وهذا ثابت من مراجعة البرديات الطبية المصرية القديمة والبرديات القبطية والطب اليوناني والعربي. ولابد ان هناك بعض إضافات من الطرق والمواد الطبية التى كانت مستخدمة فى بلاد أخرى مثل بلاد اليونان والفرس والشام وغيرها. وسنذكر على سبيل المثال لا الحصر بعضا من مجموعات العقاقير ذات المصدر النباتي والحيواني والمعدني وغيرها من المصادر.

عقاقير مصدرها نباتى

الاسم بالعربية	بالقبطيه	الاسم بالعربية	بالقبطيه
صمغ المر	ⲙⲟⲩⲗ	تين	ⲕⲉⲛⲧⲉ
	ⲙⲟⲣ	جميز	ⲛ̄ⲛⲟⲩⲥⲉ
صمغ عربى	ⲕⲟⲩⲙⲓ	بلح	ϩⲉⲛⲃⲏⲛⲛⲉ
	ⲁⲣⲁⲃⲓⲕⲟⲛ	خس	ⲟⲛⲟϥ
كيثراء	ⲁⲣⲭⲓⲟⲣϩ	خس برى	ⲛ̄ⲱⲃ ⲛ̄ⲥⲓϣⲉ
صبر	ⲥⲁⲡⲣ	بصل	ⲛ̄ϩⲥⲧⲓⲧ
مصطكى	ⲁⲗⲗⲓⲥ†ⲕⲉ		ⲥⲙⲭⲟⲗ
كافور	ⲕⲁⲫⲱⲣⲁ	فجل	ⲣⲉⲫⲁⲛⲟⲛ
ميعه (زنف)	ⲣⲟⲩⲙⲛⲁ	ورقه بردى	ⲟⲩⲱⲛ ⲛ̄ⲭⲁⲣⲧⲏⲥ
لبان (بخور)	ⲗⲓⲃⲁⲛⲟⲥ		ⲛ̄ⲧⲉ ⲁⲭⲁⲣ†ⲟⲛ
قلفونية	ⲕⲁⲗⲁⲫⲟⲓⲛⲓⲁ	دمسيسه(ارتماسيا)	ⲧⲉⲙⲉⲥⲓⲁ
فول	ⲁⲗⲃⲟⲩⲗ		ⲛ̄ⲁⲣⲧⲓⲙⲉⲥⲓⲥ
سلجم	ⲥⲉⲗⲅⲁⲙ	دقيق قمح(سميذ)	ⲥⲁⲙⲓ†ⲧ
هليلج اصفر	ⲅⲓⲗⲓⲗⲁⲅ ⲁⲥⲃⲁⲣ	بيرة	ϩⲉⲛⲕⲉ
خولنجان	ϩⲟⲩⲗⲓⲛⲅⲁⲛ	نبيذ	ⲏⲣⲛ
صندل	ⲥⲁⲛⲧⲉⲗ		ⲛ̄ⲏⲏⲣⲛ
كمون	ⲯ≡ⲕ|||≡	زيت	ⲛ̄ⲛⲉϩ
	ⲧⲉⲛ̄	عصير	ⲙⲟⲟⲩ
	ⲁⲗⲭⲁⲙⲙ	خل ـ حمض	ϩⲙⲛ̄ⲭ
خروع	ⲕⲓⲕⲓⲥ		
اقاقيا	ⲁⲕⲁⲕⲓⲁⲥ		
سنط	ⲛ̄ⲅⲱⲟⲧⲉ		
خيار	ⲕⲱⲙⲃⲉ		
افيون	ⲟⲡⲓⲟⲩ		
	ⲟⲡⲓⲟⲛ		

عقاقير مصدرها حيواني **عقاقير مصدرها معدني**

الاسم بالعربية	بالقبطية	الاسم بالعربية	بالقبطية
مسك	ⲛ̅ⲙⲩⲥ̅ⲭ	كحل	ϫⲱⲃⲉⲗ
عسل	ⲉϥⲙⲟ	زرنيخ	ⲥⲁⲗⲛⲉⲩ
	ⲟⲩⲉⲉϥⲙⲟ	ملح	ⲙⲛⲗⲟⲥ
غراب	ⲛ̅ⲁⲃⲟⲩⲕ		ⲁⲗⲟⲥ
شمع	ⲙⲟⲩⲗⲁⲉ	الزنبق	ⲁⲥⲥⲓⲛⲁⲕ
دهن	ⲕⲉⲛⲛⲉ		ⲧⲁⲙⲛⲁⲕⲟⲛ
لبن	ⲉⲣⲱ	ملح نوشادر	ⲛⲟⲩϣⲁⲧⲣ̅
حية	ⲟⲩⲉⲑⲟⲛ	انتيمون	ⲥ†ⲙⲉⲟ
مرارة	ⲥⲓϣⲉ		ⲥⲧⲓⲙⲉ
براز	ⲕⲟⲛⲣⲟⲥ	زاج ازرق	ⲕⲁⲗⲁⲕⲁⲛⲟ
بول	ⲙⲏ	(قلقنت)	ⲉⲙⲓϫ
شعر	ϥⲱ		
طحال	ⲛ̅ⲛⲉⲧϣⲱⲛⲛⲉ		

جداول أمثلة العقاقير بالعربية والقبطية مأخوذة عن بردية شاسيناه
Chassinat (E):"Un Papyrus Medicale Copte", Le Caire, 1921. Mem. de l´Institut Franç. D´Archaeol. Orient. Du Caire, I, XXXII.

ومن العقاقير التى اشتهرت فى الطب المصرى القديم والطب القبطى وما زال إستعمالها مستمراً حتى القرن العشرين الميلادى . الأمثلة الآتية:

الشيح البابونج: وهو طارد للأرياح ومهدئ للأعصاب ولمغص الجهاز الهضمي.

الشيح الخراساني : البصل + الشيح يوضع على الخراجات لتجميع الصديد.

كبريت عمود : يدخل فى مراهم وصابون علاج الأمراض الجلدية.

قطران: يدخل فى مراهم علاج الصدفية والاكزيما.

نعناع: طارد للأرياح، وحالياً هناك كبسولات تحتوى على زيت النعناع لعلاج أمراض الكبد والمرارة.

كمون: طارد للأرياح ومسكن لمغص الجهاز الهضمي.

كسبرة: مخفضة للسكر.

فحم نباتي: تصنع منه أقراص لإمتصاص الغازات فى حالات الانتفاخ.

عفص: مادة قابضة، ويستخدم فى صناعة صبغات الشعر وبعض مستحضرات التجميل.

الحناء: يصنع منها أفضل أنواع صبغات الشعر، وكانت تستخدم لعلاج بعض الأمراض الجلدية.

صبر: أصبح الصبر وخلاصة الصبار من أشهر الأدوية للجلد ولتقوية الشعر وللحروق، وكان يستخدم لتقرحات العين واستخرج منه علماء الروس دواءاً (حقن) تستخدم لنفس الغرض.

خله منها نوعان: الخله المعتادة ويصنع منها حقن وحبوب لعلاج عسر التبول وحصوات الكلى والمغص الكلوى، والنوع الثانى الخله الشيطانى وتستخدم فى علاج البهاق والصدفيه.

شعير: وهو مدر للبول، وتصنع منه البيره ويدخل فى صناعة (مربى زيت السمك المقوية للأطفال).

خشخاش : يستخرج منه المواد المخدرة والمسكنة الشديدة للألم والسعال .

خروع: زيته مسهل ويدخل فى تركيب الزيوت المغذية للشعر.

حلبه: تستخدم كمشروب منزلى، وزيتها مدر للبن المرضعات.

جميز: العصارة اللبنية لشجرة الجميز تحتوى مواد مفيدة لعلاج بعض الأمراض الجلدية مثل الصدفية.

ثوم: حالياً تصنع منه مستحضرات كثيرة على هيئة حبوب وكبسولات تحتوى على زيت الثوم لعلاج ضغط الدم وتصلب الشرايين وتخفيض نسبة الكولسترول، وللتنشيط عموماً. وكان الالمان يصنعون منه خلاصة لعلاج حمى التيفود قبل اكتشاف المضادات الحيوية.

تين: العصارة اللبنية لشجرة التين مفيده فى بعض الأمراض الجلدية كالصدفية.

ترينتينا: وهى تسيل من الأشجار الصنوبرية، وتدخل فى صناعة دهانات طبية للروماتزم المفصلى.

بقدونس: مدر للبول وخافض للضغط.

بصل: كان له استخدامات طبية عديدة، وحاليا وجد أنه يخفض السكر واستخدمه الروس لعلاج القروح المتقيحة التى لا تلتئم.

برسيم حلو : يحتوى على فيتامين "ك" لذلك استخدموه فى الحرب العالمية الثانية فى حالات النزيف.

ينسون : طارد للأرياح ومهدئ ويدخل فى صناعة الأشربة المهدئة لمغص الأطفال.

الفصل الخامس

بعض مشاهير أطباء القبط (١)

أ.د. خليل مسيحه جرجس

يحيى النحوى

كان طبيباً إسكندرانيا ضمن المجموعة التي جمعت كتب جالينوس الستة عشرة وفسروها. وكان مسيحياً، وكان في أول أمره أسقفاً في بعض كنائس مصر (الفهرست لابن النديم الوراقي ٩٣٦ ـ ٩٩٥م، المولود في بغداد). ولما فتح عمرو بن العاص مصر دخل اليه وأكرمه ورأى له موضعاً، وقال ابي سليمان السجستاني أن يحيى قرأ على أميونيس، وأميونيس قرأ على برقليس. ولما كان يحيى قوياً في علم النحو والفلسفة فقد سمي بالنحوي، وله مصنفات كثيرة في الطب وغيره، ومن هذه الكتب تفسير كتاب "قاطيغورياس" Categories لأرسطاطاليس، وتفسير كتاب "الفرق" لجالينوس، وتفسير كتاب "الصناعة الصغيرة لجالينوس، وكتب اخرى.

انقلاوس

(أنظر القفطي: ص ٥١، ٥٢، ابن أبي أصيبعة: ص ١٥٠)

أنقلاوس الإسكندراني، حكيم فاضل طبائعي مصري، وهو أحد الإسكندرانيين الذين عنوا بجمع كلام جالينوس واختصار كتب وتاليفها على المسئله والجواب، ودل حسن إختصارهم على معرفتهم بجوامع الكلام وإتقانهم لصناعة الطب. وكان انقلاوس هو رئيسهم، وهو الجامع لمنثوز كلام جالينوس والمرتب للكتب والمستخرج لاكثرها. والإسكندرانيون هم الذين رتبوا بالإسكندريه دار العلم ومجالس الدرس الطبي، وكانوا يقراون كتب جالينوس ويرتبونها على هذا الشكل الذى يقرأ اليوم، وعملوا لها تفاسير وجوامع تختصر معانيها، ويسهل على القارئ حفظها وحملها في الأسفار. فأولهم على ما رتبه إسحق بن حنين واصطفن الإسكندراني ثم جاسيوس وأنقلاوس ومارينوس، فهؤلاء الأربعة هم عمدة الأطباء الإسكندرانيين.

اصطفن الإسكندراني

(أنظر القفطي ص ٥٢) أحد الأربعة أطباء الذين يعتبرهم القفطي عمدة الأطباء الإسكندرانيين والذين عملوا "الجوامع" والتفاسير.

جاسيوس الاسكندراني

(أنظر القفطي ص ٥٢) أحد الأربعة أطباء الذين يعتبرهم القفطي عمدة الأطباء الإسكندرانيين والذين عملوا "الجوامع" والتفاسير.

مارينوس الإسكندراني

(القفطي: ص ٥٢) أحد الأربعة أطباء الذين كتبوا الجوامع والتفاسير لكتب جالينوس.

---

١ ـ راجع ابن ابي اصيبعة "عيون الانباء". (ص ١٥٦ ـ ١٥٨). القفطي: ص ٦٦

أطباء معاصرون للسبعة الذين جمعوا كتب جالينوس

(أنظر ابن أبي أصيبعة ص ١٥٨ ـ ١٥٩) سبق ذكر الأطباء الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشرة وهم اصطفن واكيلاوس وجاسيوس وانقلاوس وثاودوسيوس وفلاذيوس ويحيى النحوى ـ والأطباء الذين عاصروهم من النصارى هم:

١ ـ **شمعون الراهب:** والمعروف بطوبويه.

٢ ـ **أهرن القس:** صاحب الكناش، والف كناشه بالسريانية ونقله ما سرجيوس إلى العربية، وهو ثلاثون مقاله، وزاد ما سرجيوس مقالتين.

٣ ـ **يوحنا بن سرابيون،** وجميع ما الف سرياني، وكان والده سيرابيون طبيبا من أهل باجرمي. وخرج ولداه طبيبين فاضلين وهما: يوحنا وداود. وليوحنا بن سيرابيون من الكتب كناشه الكبير، وبه اثنتا عشر مقاله، كناشه الصغير، وهو المشهور وبه سبع مقالات. ونقله الجبرتي الكاتب لابي الحسن بن نفيس المتطبب سنه ثمان عشرة وثلثمائه ميلادية.

٤ ـ **انطيلس**

٥ ـ **برطلاوس**

٦ ـ **سندهشار**

٧ ـ **الفهلمان**

٨ ـ **أبو جريج الراهب**

٩ ـ **أوراس**

١٠ ـ **بونيوس البيروتى**

١١ ـ **سيور خنا**

١٢ ـ **فلاغوسوس**

١٣ ـ **أرس**

١٤ ـ **عيسى بن قسطنطين ويكنى أباموسى،** وكان من جملة افاضل الأطباء وله من الكتب: كتاب فى البواسير عللها وعلاجها.

١٥ ـ **سرجس الرأس عينى:** وهو أول من نقل كتب اليونانيين على ما قيل إلى لغة سريانية، وكان فاضلا، وله مصنفات كثيرة فى الطب والفلسفة.

١٦ ـ **أطنوس الآمدى:** صاحب الكناش المعروف ببقونا.

١٧ ـ **غريغوريوس:** صاحب الكناش.

ويقول ابن أبي اصيبعة أن اكثر كتب هؤلاء موجودة ونقل ابو بكر محمد بن زكريا الرازى (مولود ٨٦٤م) كثيراً من كلامهم فى كناشه الكبير الجامع المعروف "بالحاوى".

أبوللونيوس الراهب الطبيب

(أنظر الأب متى المسكين: "الرهبنة القبطية"، ص ٣١٧، ٣١٨) (خليل مسيحه: "تأثير الطب الفرعونى فى الطب المصرى"، ص ١٦٢-١٦٣). "وفى نتريا كان يوجد أطباء يعيشون هناك مع الرهبان، ويقص لنا بالليديرس عن طبيب مقيم فى نتريا شاهده بنفسه يدعى أبوللونيوس، اعتزل العالم وأقام فى نتريا وكان قد تقدم فى الأيام بدرجة لا تسمح له باكتساب خبرة صنعة أخرى يتعيش منها وسط الرهبان. هذا عاش فى نتريا عشرين سنة يزاول مهنته، ومن ماله كان يشترى بنفسه الأدوية والعقاقير من الإسكندريه ويحضرها لعلاج المرضى من الرهبان، وكان يرى فى كل أنحاء نتريا، وهو يخرج كل يوم يمر على الجماعات والقلالى من الصباح الباكر حتى الثالثة بعد الظهر متنقلا من باب إلى باب يسأل عن المرضى، وكان يحمل معه دائما كمية من العنب والرمان والبيض والبسكويت لغذاء المرضى. ونتريا واقعة على حافة الصحراء، وكان يشحن منها النطرون المأخوذ من وادى النطرون إلى الإسكندرية ومنها يصدر للخارج.

طبقات الأطباء المشهورين من أطباء مصر

بليطيان البطريرك

(ابن أبى أصيبعة، ص ٥٤٠) كان طبيباً مشهوراً بديار مصر، نصرانياً عالماً بشريعة النصارى الملكية. قال سعيد بن البطريق فى كتابه "نظم الجوهر" لما كان فى السنة الرابعة من خلافة المنصور من الخلفاء العباسيين صير بليطيان بطريركاً على الإسكندرية وكان طبيباً أقام ست وأربعين سنة ومات وعالج جارية الرشيد، وكان قد عجز أطباء العراق عن ذلك فأعطاه الرشيد مالاً كثيراً وكتب له منشوراً فى كل كنيسة فى يد اليعقوبية مما أخذوها فاسترد كنائس كثيرة، وتوفى سنة ١٨٦هـ.

ابراهيم بن عيسى

كان طبيباً فاضلاً متميزاً فى زمانه، صحب يوحنا بن ماسويه فى بغداد، وقرأ عليه وأخذ عنه. خدم بصناعة الطب الأمير أحمد بن طولون (أول من أجرى تأميم مناجم النطرون) وسافر معه إلى مصر، وكان مقيماً فى الفسطاط، وتوفى عام ٢٦٠ هـ.

سعيد بن توفيل

(ابن أبى أصيبعة: ص ٥٤١، عبد الرحمن زكى: ص ٩) كان طبيباً نصرانياً متميزاً فى صناعة الطب، طبيب أحمد ابن طولون الخاص يصحبه فى أسفاره. وأصيب أحمد بن طولون بنزلة معوية بالشام ولم يأخذ رأى سعيد بن توفيل، وأكل أكلا غليظا فاشتدت عليه العلة ومات أثناء سفره لمصر، وقبل موته أمر بضرب سعيد بن توفيل مائتى جلده ونهبوا منزله فمات ربما عام ٢٦٩ هـ أو ٢٧٩ هـ. وهى السنة التى مات فيها أحمد بن طولون فى ذى القعدة.

أنبا قلته الطبيب الانصناوى

(أنظر خليل مسيحه "تأثير الطب الفرعونى على الطب المصرى"، ص ١٥٤) عاش فى القرن

الثالث للميلاد واسمه بالقبطية "كولوثيوس" κολλοθεος وتذكره بردية شاسيناه الطبية القبطية لأنه صاحب وصفات قطرة لعلاج العيون مدونة بها. وكان أطباء هذا الوقت يشتغلون بعلاج جميع أجزاء الجسم وضمنها العيون. والسنكسار يقول إن الأنبا قلته قرأ الطب وصار طبيباً وكان لا يتقاضى أجراً من المرضى، وقد استشهد في عهد دقلديانوس، وجسده موجود حالياً في كنيسة قديمة ضمن جامع معروف باسم "الشيخ قلته" ومازال الجامع به معمودية. والجامع يقع في بلدة "المنشل" بمحافظة سوهاج حالياً، وكانت قديماً تسمى "ابصاى". والأنبا قلته له أيقونة في كنيسة أبي سيفين بمصر القديمة، ونراه فيها واقفاً ممسكاً بعلبة مقسمة إلى ست أقسام للأدوات الطبية والعقاقير. والأيقونة موجودة على الحائط الغربي للكنيسة بجوار أيقونتات للملاك غبريال.

نسطاس بن جريج

(ابن أبي أصيبعة، ص ٥٤٤. القفطي، ص ٢٢١) كان طبيباً نصرانياً في دولة الإخشيد بن طغج وهو أحد ملوك الإخشيديين الذي تولوا حكم مصر وسوريا وأصلهم من إيران. وله عدة كتب منها: كتاش إلى يزيد بن رومان النصراني الأندلسي وهي في البول.

اسحق بن ابراهيم بن نسطاس

هو أبو يعقوب إسحق بن إبراهيم بن نسطاس بن جريج، نصراني فاضل في صناعة الطب. كان في خدمة الحاكم بأمر الله (هو المنصور بن عبد العزيز سادس الخلفاء الفاطميين ٩٨٥ - ١٠٢١م) وتوفي إسحق بالقاهرة أيام الحاكم، واستطب بعده أبا الحسن علي بن رضوان واستمر في خدمته وجعله رئيساً للأطباء.

يوسف النصراني (كان بطريكا على بيت المقدس)

(ابن أبي أصيبعة: ص ٥٤٥) كان طبيباً عارفاً بصناعة الطب فاضلا في العلوم. قال يحيى بن سعيد بن يحيى في كتابه "تاريخ الذيل" أنه في السنة الخامسة من خلافه العزيز صار يوسف الطبيب بطريركاً على بيت المقدس. أقام في الرئاسة ثلاث سنين وثمانية أشهر. ومات بمصر ودفن في كنيسة توادرس مع آباء آخر منهم منطودلا القيسراني.

القديسان الطبيبان قزمان ودميان

(أنظر أبا المكارم: "تاريخ الكنائس والأديرة في القرن ١٢"، جزء أول، ص ٥٨) عاش القديسان في العصر البيزنطي ومارسا الطب في بداية حياتهم ثم استخدما معه "فن الشفاء بالإيمان". واستشهدا في عهد دقلديانوس (٣٠٣م). ويقول أبو المكارم إن لهما بيعة "أبو قزمان الطبيب" في ناحية نمرة البصل، مركز المحلة الكبرى - غربية. وأيضاً بيعة الملاك ميخائيل وتعرف بالدير الأحمر على شاطئ النيل. وبيعة باسم قزمان ودميان بقبة حجر شاهقه بالدير المذكور. وفي كنيسة المعلقة بمصر القديمة بأعلى الجدار الغربي رسم للقديسين الأطباء قزمان ودميان KOZMAN & DIMIAN

البابا ديونيسيوس الحكيم

(انظر أبا المكارم: جزء أول، ص ١٦٨. كامل صالح وفريد كامل، "تاريخ الأمة القبطية" ص ٥٣)

عاش في القرن الثالث للميلاد معاصراً للأنبا قلته الطبيب. كان طبيباً ماهراً ومن عبدة الكواكب (الصابئة) وآمن بالمسيحية وصار مديراً للمدرسة اللاهوتية أيام أوريجانوس، وهو من تلاميذه ثم خلفه على رياسة المدرسة، وانتخب بطريركاً بعد موت باركلاس البابا الثالث عشر.

سعيد بن البطريق البطريرك

(انظر ابن أبي أصيبعة ص ٥٤٥، عبد الرحمن زكي ص ٩) هو من أهل فسطاط مصر، وكان طبيباً نصرانياً مشهوراً عالماً عارفاً بصناعة الطب وعملها، متقدماً في زمانه، وكانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم. ولد في ٢٦٣ هـ وفي أول سنة من خلافة محمد بن أحمد المعتضد بالله صير سعيد بن البطريق بطريركاً على الإسكندرية وسمي أتوشيوس، وكان عمره نحو ستين سنة، وبقي في الكرسي والرئاسة سبع سنين وستة أشهر. واعتل بالإسهال بمصر فعاد إلى الإسكندرية ومات في ٣٢٨ هـ . وله عدة كتب: كتاب في الطب علم وعمل، كتاب "كتاب الجدل بين المخالف والنصراني". كتاب "نظم الجوهر" ثلاث مقالات. كتبه إلى أخيه المتطبب عيسى بن البطريق في معرفة صوم النصارى وفطرهم وتواريخهم وأعيادهم، وتواريخ الخلفاء والملوك المتقدمين وذكر البطاركة وأحوالهم ومدة حياتهم ومواضعهم وما جرى لهم أيام ولايتهم.

عيسى بن البطريق

(ابن أبي أصيبعة، ص ٥٤٦. عبد الرحمن زكي، ص ٩) كان طبيباً نصرانياً عالماً بصناعة الطب متميزاً في جزئيات المداواة والعلاج مشكوراً فيها. كان مقامه بمدينة مصر القديمة، وهو أخو سعيد بن البطريق، توفي بمصر.

سهلان:

(ابن أبي أصيبعة، ص ٥٤٨-٥٤٩. القفطي: ص ١٠) هو أبو الحسن سهلان بن عثمان بن كيسان، كان طبيباً نصرانياً من أهل مصر. خدم الخلفاء المصريين وارتفع جاهه في الأيام العزيزية. توفي بمصر أيام العزيز بالله عام ٣٠٨ هـ ، وصلى عليه بكنيسة الروم بقصر الشمع وخلفه أبو الفتح منصور بن مقشر الطبيب ... وله كتاب في الأقرباذين، كان مجهولاً حتى عثر على نسخة منه الآب بولس سباط سنه ١٩٢٠م بحلب.

أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر

(ابن أبي أصيبعة، ص ٥٤٨-٥٤٩. القفطي، ص ١١) كان طبيباً نصرانياً مشهوراً، وكان طبيب الحاكم بأمر الله ومن الخواص عنده. وكان العزيز يستطبه ويحترمه، وكان متقدماً في الدولة. توفي في أيام الحاكم واستطب الحاكم بعده إسحق بن إبراهيم بن نسطاس. ومات إسحق بن نسطاس أيضاً في أيام الحاكم بعد ذلك.

ابو سليمان داود بن ابى المنى بن ابى فانة

(ابن أبى أصيبعة، ص ٥٨٧. عبد الرحمن زكى، ص ١٢) كان طبيباً نصرانياً بمصر أيام الخلفاء، حظياً عندهم متميزاً في الصناعة الطبية والعلوم وكان من اهل القدس ثمّ انتقل للديار المصرية، وكانت له معرفة بالغة بأحكام النجوم (حوالى سنه ١١٨٧م تقريبا).

ابو سعيد بن ابى سليمان

(ابن أبى أصيبعة، ص ٥٨٩) هو الحكيم مهذب الدين أبو سعيد بن أبى سليمان بن المنى بن أبى فانه. كان فاضلاً في صناعة الطب، عالماً بها متقدماً في الدولة، قرأ علم الطب على ابيه وعلى غيره، وكان السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب قد جعله في خدمة ولده الملك المعظم. وخدم ابو سعيد بن ابي سليمان الملك الناصر صلاح الدين والملك العادل ايضاً بالطب. وانتقل إلى الديار المصرية، وتوفى عام ٦١٣ هـ ودفن بدير الخندق عند القاهرة.

ابو شاكر بن ابى سليمان

(ابن أبى أصيبعة، ص ٥٨٩. عبد الرحمن زكى، ص ١٢) هو الحكيم موفق الدين ابو شاكر بن ابى سليمان داود، متقناً لصناعة الطب متميزاً فى علمها وعملها. قرأ صناعة الطب على اخيه أبى سعيد بن أبى سليمان، وكان السطان الملك العادل قد جعله فى خدمه ولده الملك الكامل، وكان الملك العادل يعتمد عليه فى المداواة ويصفه بحسن العلاج. ولما سكن الملك العادل فى قصر القاهرة المحروسة أسكنه عنده فيه. وتوفى عام ٦١٣ هـ ودفن بدير الخندق بالقاهرة.

ابو الفضل ابن أبى سليمان

كان طبيباً مشهوراً فى صناعة الطب متميزاً فى المعالجة والمداواة، وكان أصغر إخوته وعمر من دونهم. ولد فى ٥٦٠ هـ وتوفى عام ٦٤٤ هـ ، فمدة حياته أربع وثمانون سنة لم يبلغها أحد إخوته. وكان طبيباً للملك المعظم (الأيوبى ١١٨٠ ـ ١٢٢٨م تولى الحكم فى دمشق) ثم خدم الملك الكامل بالديار المصرية وتوفى فيها.

رشيد الدين ابوحليقة

(ابن أبى أصيبعة: ص ٥٩٠ ـ ٥٩٩م. عبد الرحمن زكى ص ١٣) هو الحكيم الأجل العالم رشيد الدين أبو الوحش بن الفارس بن سليمان داود بن أبى المنى بن أبى فانة ويعرف بأبى حليقه. كان واحد زمانه فى صناعة الطب والعلوم الحكمية، متفننا فى العلوم والآداب، حسن المعالجة، لطيف المداواة، رؤوف بالمرضى محب لفعل الخير، مواظبا للأمور الشرعية التى هو عليها كثير العبادة. واشتغل بصناعة الطب فى أول مرة على عمه مهذب الدين أبى سعيد بدمشق، واشتغل بعد ذلك بالديار المصرية. وقرأ أيضاً على شيخنا مهذب الدين عبد الرحيم ابن على رحمه الله، ولم يزل دائم الاشتغال ملازماً للقراءة. وكان مولده بقلعة جعبر عام ٥٩١ هـ . وسيره والده إلى الحكيم أبى سعيد بدمشق ليقرئه الطب حسب ما أمر به الملك الكامل، فاقام فى دمشق سنة حفظ فيها كتاب "الفصول" لأبقراط "وتقدمة المعرفة" ثم وصل القاهرة وأقام بها وخدم بصناعة

الطب الملك الكامل وظل في خدمته حتى وفاة الملك. ثم خدم بعد ذلك الملك طوران شاه بن الملك الكامل (١٢٤٩م) حتى قتل، ثم استولى الظاهر بيبرس على مصر فصار في خدمته أيضاً، وكان يستخدم "الترياق الفاروق" فكان يفتت الحصى ويعالج انسداد مجرى البول. وجماعة أهل الحكيم رشيد الدين أبي حليقة أكثر شهرتهم في الديار المصرية والشام "ببني شاكر" لشهرة الحكيم أبي شاكر وسمعته الذائعة، فصار كل من له نسب إليه يعرفون ببني شاكر، وإن لم يكونوا من أولاده. وله من الكتب: "مقالة في حفظ الصحة" ومقالة "في أن الملاذ الروحانية الذ من الملاذ الجسمانية" إذ الروحانية كمالات وادراك الكمالات، والجسمانية إنما هي دفع الام خاصة، وأن زادت أوقعت في الام أخر، و كتاب "المختار في الألف عقار" وكتاب في "الأمراض أسبابها وعلاماتها ومدواتها".

اباكير ويوحنا

لهما كنيسة قرب ابي قير حيث يوجد جسديهما، وكان ذلك في القرنين ٥ ، ٦ للميلاد. وكان المرضى يذهبون إلى هذه الكنيسة طلباً للشفاء عن طريق "الحلم الشافي" وقد شفي البطريرك اليوناني سوفرونيوس من مرضي في عينيه. وكان المريض يبيت في الكنيسة ويرى القديس الذي يقوم بشفائه، والكثير من معجزات الشفاء هذه مكتوبة باللغة العربية واليونانية.

بولس الأجينى أو فوليس الأجانيطى أو القوابلى (٥٢٦ ـ ٥٩٠م)

درس الطب في الإسكندرية وذاع صيته كمولد وجراح لذا سمي القوابلي. ألف كتاب عن التوليد وطرق علاج أمراض النساء، وألف موسوعة طبية من سبع كتب أخذا عن جالينوس واوريباريوس مضيفاً إليها خبرته وعلمه، ويبدو أن حنين ابن اسحق ترجم هذه الموسوعة وذكرها ابن ابي اصيبعه تحت اسم "كناش الثريا".

جدول ملخص لمشاهير علماء وأطباء القبط[1]

الاسم	العصر أو العهد الذى عاش فيه	جنسيته	ملاحظات
إراسستراتوس	القرن ٣ ق.م	عاش فى الإسكندرية	(٣١٠ - ٢٥٠ق.م) إشتهر فى وظائف الأعضاء (زص ١٣٠)،(ا ص ٥)
فيلينوس	القرن ٣ ق.م	عاش فى الإسكندرية	(٢٥٠ ق.م.) مؤسس المدرسة التجريبية فى الإسكندرية (ج ص ١٣٠ - ا ص ٥)
مانتياس	القرن ٣ ق.م		تلميذ هيروفيلوس
هيروفيلوس	القرن ٣ ق.م	عاش فى الإسكندرية	اشتهر بأبحاثه فى التشريح (ا. ص ٤) - (ز ص ١٣٠)
سيرابيون الكبير	القرن الثانى ق.م	سكندرى	(٢٠٠ - ١٥٠ ق.م) تخصص فى دراسة عقاقير قدماء المصريين (ا ص ٧ - ز ص ١٣٠)
مترودورا	عصر البطالمة	سكندرية	طبيبة امراض نساء (ز ص ١٣٠)
انتيللوس	عصر البطالمة	سكندرى	
هيجاتور	القرن الأول ق.م	سكندرى	جراح (ز ص ١٣٠)
هيراكليوس	القرن الأول ق.م		جراح من اتباع المدرسة التجريبية (ز ص ١٣٠)
كلسوس (كرنيليوس كلسوس)	القرن الأول ق.م		عالم فى الطب والتشريح من مدرسة الإسكندرية (ز ص ١٣٠)،(ا ص ٧)
اصطفن الإسكندرانى	القرون الأولى بعد الميلاد	سكندرى	اصطفن وانقيلاوس وجاسيوس وماينوس هم الذين قاموا بتأليف الكتب "الجوامع" التى كانت تدرس فى أكاديمية الإسكندرية فى عهدها المتأخر (ما بعد الميلاد) (ز ص ١٣٢) (ب ص ٥١) (حـ ص ٤٠)
انقيلاوس (رئيس الجماعة التى نقلت كتب جالينوس)		سكندرى	
جاسيوس			
ماينوس			

(١) سنذكر اهم المراجع ويرمز لكل مرجع بحرف أبجدى يوضع فى خانة الملاحظات:
رمز (ا) عبد الرحمن زكي: "مشاهير أطباء القبط"، المعهد العالى للدراسات القبطية، ١٩٧٠.
رمز (ب) يوسف القفطى: "أخبار العلماء بأخبار الحكماء"، دار الآثار للطباعة والنشر بيروت.
رمز (جـ) ابن ابى اصيبعه: "عيون الأنباء فى طبقات الأطباء"، مطبعة الوهبية، القاهرة طبعه ١٨٨٢، انظر الأبواب ١٦، ١٧.
رمز (د) بول غالبونجى: "قطوف من تاريخ الطب دار المعارف"، ١٩٨٦.
رمز (هـ) Hassan Kamel: Encyclop. of Islamic Med., Gen. Egypt. Book Org., 1975
رمز (و) جورج شحاته قنواتى: المسيحية والحضارة العربية، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٢.
رمز (ز) خليل مسيحه جرجس: رسالة دكتوراه "تأثير الطب الفرعونى على الطب المصرى فى الفترة بين القرن الثالث ق.م إلى السادس الميلادى"، معهد الدراسات القبطية، ١٩٩٢.

الاسم	العصر أو العهد الذى عاش فيه	جنسيته	ملاحظات
شمعون الراهب، قرن القس يوحنا بن سرابيون، بركلاوس ستدهشار، الفهلمان بو جريج الراهب، وراس، عيسى بن قسطنطين، أرس طنوس الأميدى، غريغوريوس صاحب الكتاش.	بعد الميلاد	سكندرى	هؤلاء الأطباء كانوا معاصرين للأطباء الإسكندانيين اللذين جمعوا كتب جالينوس فى "جوامع" القس (ب ص ٥٧) والباقى (ز ص ١٣٠)، (جـ ص ١٥٨ ـ ١٥٩) واكثر كتب هؤلاء موجودة وقد نقل الرازى كثيراً من كلامهم فى كناشه الكبير الجامع المعروف بالحاوى (جـ ص ١٥٩).
انبا فلته الطبيب	القرن الثالث الميلادى	مصرى	من الشهداء ومذكور فى بردية شاسيناه
يحيى النحوى الطبيب	أيام عمرو بن العاص	سكندرى	(ب ص ٦٦)
يحيى بن التلميذ الحكيم النصرانى	الدولة العباسية		طبيب واديب (ب ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩)
يوسف الساهر ويعرف بالقس	أيام المكتفى		طبيب.
ماغنس	فى أول الملة الإسلامية ٦٤٠م؟		(ب ص٢١٢)
فوليس الأجانيطى ويعرف بالقوابلى	فى أول الملة الإسلامية	سكندرى	(ب ص ١٧٢) وله كناشات
جرجيس الفيلسوف الأنطاكى		عاش بمصر	(ب ص ١٠٩)
حنين بن اسحق			(ب ص ١١٨ ـ ١١٩، ١٢٠ ـ ١٢١)
بو الحسن كيسان بن عثمان بن كيسان أبو سهل النصرانى	اسكن القصر (أيام العزيز بالله) العصر الفاطمى .	مصرى	طبيب (ب ص ٧٦) توفى عام ٩٩٦م (ا ص ١٠)

الاسم	العصر أو العهد الذى عاش فيه	جنسيته	ملاحظات
منصور بن مقشر أبو الفتح النصرانى	عاش أيام (العزيز بالله) العصر الفاطمى	مصرى	طبيب له منزلة سامية أيام العزيز (ب ص ٢١٩) (أ ص ١٠).
نسطاس النصرانى الطبيب	أيام دولة الإخشيد بن طغج ٩٣٥ - ٩٦٩م	مصرى	طبيب وله كناشا فى الطب (ز ص ٢٢١)
سعيد بن ثيوفيل الطبيب	أيام الدولة الطولونية ٨٦٨ - ٩٠٥م	مصرى	توفى عام ٨٩٢م (أ ص ٩).
سعيد بن البطريق الطبيب	أيام الدولة الطولونية ولد عام ٨٧٦م	مصرى من أهل الفسطاط	نصب بطريركاً على الإسكندرية عام ٩٣٢م وسمى "أوتيخا" (أ ص ٩) وله مؤلفات فى الطب.
عيسى بن البطريق الطبيب	أيام الدولة الطولونية	مصرى	(ب ص ٩).
ابو يعقوب اسحق بن ابراهيم الطبيب	العصر الفاطمى	مصرى	طبيب الخليفة الحاكم بأمر الله الخاص. (أص ١٠).
أبو الفتح منصور بن سهلان	اواخر القرن العاشر	مصرى	طبيب العزيز بالله المفضل، ثم من بعده طبيب الحاكم بامر الله.
يوسف البطريرك الطبيب العلامة	العصر الفاطمى توفى عام ٩٨٤م	مصرى	وقد نصب بطريركاً على القدس عام ٩٨٠م واقام فى الرياسة ثلاث سنوات وثمانية أشهر ومات بمصر (أ ص ١١).
أبو الفتح منصور بن مقشر النصرانى الطبيب	العصر الفاطمى أيام الحاكم بأمر الله	مصرى	(أ ص ١١).
أبو اليمان المدور الطبيب	العصر الفاطمى ثم أصبح طبيب صلاح الدين	مصرى	توفى فى ١١٩٣م، وعمل فى بيمارستان صلاح الدين، وكتب "رسالة المجربات فى الطب"، وفى الصيدلة كتب "الدستور الماريستانى" (أ ص ١١).
ابو المكارم هبة الله بن الحسن بن جامع الطبيب النصرانى	أيام صلاح الدين الأيوبى	مصرى	ولد فى الفسطاط، وله كتب ورسائل فى الطب (أ ص ١٢).
أبو سليمان داود بن أبى المنى الطبيب	أيام صلاح الدين الأيوبى	مصرى	توفى عام ١١٨٧م. امتاز فى الطب وفى المعرفه بأحكام النجوم (أ ص ١٢).

الاسم	العصر أو العهد الذى عاش فيه	جنسيته	ملاحظات
مهذب الدين أبو سعيد الطبيب	خدم صلاح الدين وشقيقه الملك العادل	مصرى	توفى عام ١٢١٦م وهو بن سليمان المتقدم ذكره، وقد انتقل ابو سعيد من القدس إلى مصر (أ ص ١٢).
موفق الدين ابو شاكر الطبيب	كان طبيب الملك العادل	مصرى	توفى عام ١٢١٦م وهو ابن ابى سليمان واخو مهذب الدين (أ ص ١٢).
أبو الفضل بن سليمان الطبيب	كان طبيب الملك المعظم بن الملك العادل	مصرى	توفى عام ١٢٤٦م وهو أخو مهذب وموفق (أ ص ١٢).
رشيد الدين ابو سعيد بن موفق الدين الطبيب.	خدم الملك الصالح نجم الدين ايوب.		توفى عام ١٢٤٨م فى دمشق وله كتاب "عيون الطب" وتعليقات على كتاب الحاوى للرازى فى الطب.
إبراهيم بن ابى الوحش بن ابى حليقه بن رشيد الطبيب النصرانى.			توفى عام ١٣٠٨م كان رئيس الاطباء بمصر والشام (أ ص ١٣).
رشيد الدين ابو حليقة الطبيب ويعرف بابى حليقة	خدم ايام الملوك الكامل ثم الصالح نجم الدين ايوب ثم الملك المعظم ثم الملك الظاهر بيبرس.		توفى عام ١٢٧٧م وحضر للقاهرة وأقام بها ١٢٠٣م وله مقالات وكتب فى الطب (أ ص ١٣).
مهذب الدين ابو سعيد بن ابى حليقة	خدم السلطان الظاهر بيبرس		ولد بالقاهرة عام ١٢٢٣م وله كتاب فى الطب.

علماء ذكرهم القفطى فى كتابه أخبار العلماء بأخبار الحكماء

الاسم	العصر أو العهد الذى عاش فيه	جنسيته	ملاحظات
ابلونيوس النجار عالم رياضيات	اقدم من اقليدس	سكندرى	(ب ص ٤٤ ـ ٤٥) له كتب فى المخروطات.
ارشميدس الحكيم الرياضى	يونانى امضى بمصر مدة	يونانى	يذكر تعلمه بمصر واعماله الهندسيه والجسور ... الخ (ب ص ٤٨ ـ ٤٩)

الاسم	العصر أو العهد الذى عاش فيه	جنسيته	ملاحظات
افطيمن الحكيم	قبل البطالمة ؟	سكندرى	عاش قبل بطليموس بمدة ٥٧١ سنه (ب ص ٥٠)
ارسطرخس الفلكى		سكندرى	(ب ص ٥١)
ابنون البطريق الحكيم الرياضى المهندس	فى حدود مبدأ الاسلام.	مصرى	(ب ص ٥١)
ثاون مهندس رياضى	بعد بطليموس ؟	مصرى	له مؤلفات مذكورة فى (ب ص ٧٦، ٨٩، ٩٠)
ذو النون بن ابراهيم الإخميمى المصرى الكيمائى.		مصرى	وقد تقلد علم الباطن وكان ملازما لبيت الحكمة فى بربا أخميم (يقصد معبد فرعونى) (ب ص ١٢٧)
روشم المصرى الكيميائى	عاش بمصر قبل الاسلام	مصرى	وله كتب كثيرة (ب ص ١٢٧)
اطوقسيوس أو أوطرقيوس المهندس		سكندرى	مهندس يونانى سكندرى
رزق الله المنجم النحاس		مصرى	وهو شيخ اكثر المنجمين بمصر (ب ص ١٢٧)
علوى الديرى المنجم	مات عام ٥٩٥م	مصرى	من دير البلاص بصعيد مصر وكان يعمل بالتقاويم (ب ص ١٦٦ ـ ١٦٧)
ميسطن الفلكى	عاش قبل بطليموس بمدة ٧٥٠ سنة	سكندرى	وهو اساسا فى علوم الفلك والرصد واجتمع مع افطيمن بالإسكندريه على احكام الآت الرصد ... الخ (ب ص ٢١١).
منالاوس المهندس		يونانى	من أئمه علماء الهندسة وذكره كتاب المجسطى ويبدو أن علمه كان بدرس بالاسكندريه (ب ص ٢١١) وكتبه مذكوره (ب ص ٢٢٧ ـ ٢٢٩).
يعقوب بن اسحق			له كتب فى الفلسفه والموسيقى والهندسة والنجوميات ... الخ تعطى فكرة عن علوم القدماء (ب ص ٢٤٠ إلى ٢٤٧).

الاسم	العصر أو العهد الذى عاش فيه	جنسيته	ملاحظات
ابن السنيدى		مصرى	من أهل المعرفة والعلم في الاصطرلاب ... الخ (ب ص ٢٨٦)
بطليموس القلوذى		مصرى	صاحب المجسطى (ب ص ٦٧ إلى ٧٠)
اقليمون الحكيم		مصرى	كان يعرف اخلاق الناس من اسنانهم (ب ص ٦٤)
هيرو أو هيرون المهندس العالم		سكندرى	اخترع آلات كثيرة تستغل قوة البخار ومنها آله على شكل كرة تخرج منها انابيب وهي تدور بالبخار، وآله اخرى تفتح باب المعبد بقوه البخار S. Toulmin: The Architecture of Matter, Penguin Books. pp. 115 - 116. London, 1962.

الفصل السادس

المستشفيات والصحة في العصر القبطي

أ.د. خليل مسيحه جرجس

جاء في سيرة القديس باخوميوس (القرن ٤م)، انه انشأ مستشفى في أديرته. والقديس باخوميوس ولد عام ٢٩٠م، وكانت أديرته تضم غير الاقباط رهباناً من اليونان والرومان والأحباش والسريان. وكان النظام الباخومي يهتم بالعلم، وكان المرضى والرازحون تحت الآم الحياة يلجأون إلى الأديرة يلتمسون الراحة والعلاج من أناس غمرت قلوبهم بالإيمان ومازال الكثيرون يفعلون هذا حتى الآن.

وكان يجاور بعض الكنائس مستشفى لعلاج المرضى (تاريخ الحضارة المصرية: "العصر اليوناني والروماني والعصر الإسلامي" مجلد ٢، ص ٢٩٣، ٣٠٨ ـ ٣١٢).

ويذكر عبد اللطيف أحمد على (مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: ص ١٦٦ ـ ١٦٧) قائلا "ولدينا أدلة وفيرة على كثرة التجاء مرضى النفس والبدن إلى هؤلاء الرهبان الزاهدين يلتمسون عندهم البرء والشفاء، من ذلك تلك المجموعة البردية الطريفة المحفوظة بالمتحف البريطاني، وهى عبارة عن رسائل موجهة إلى بافنوتيوس Paphnutius أحد رهبان القرن ٤م يضرع إليه أصحابها على إختلاف طبقاتهم أن يصلى من أجلهم". وتوسلت إليه سيدة تدعى فاليريا Valeria فكتبت له تطلب الشفاء على يديه وبقوة السيد المسيح من ضيق فى التنفس.

وفى كتاب الأب متى المسكين (الرهبانية أيام القديس مقاريوس) وصف لكيفية الصلاة وعلاج المرضى، وذكر أن من الرهبان طبيباً كان يحمل معه الأدوية والفاكهة مثل المشمش الجاف، إلى المرضى من المتوحدين وغيرهم.

وأثناء حكم العرب لمصر أنشأ الملوك والسلاطين البيمارستانات (المستشفيات) والتى عمل بها بعض أطباء القبط. فقام السلطان قلاوون ببناء المستشفى المنصورى عام ٦٨٣ هـ على نظام مستشفى دمشق بالشام. وقد وصفها المقريزى بالتفصيل فى كتابه "خطط مصر"، الجزء الثانى، وهى مازالت موجودة حتى اليوم فى شارع النحاسين بالقاهرة. ثم بنى الملك المؤيد مستشفى المؤيدى عام ٨٢١ هـ. وكانت هذه المستشفيات تستقبل المرضى المصريين بكافة مستوياتهم وعقائدهم، ويطوف الأطباء ومساعديهم على المرضى لتقديم الرعايةالطبية لهم: (Hassan Kamal: "Islamic Encyclopedia, pp. 345-346)

وقد عثر فى حفائر الفسطاط على أدوات جراحة تطابق ما هو موجود منها فى المتحف المصرى من مشارط وملاقط وجفوت وموسعات، وبالمتحف القبطى بعضاً من هذه الأدوات، ومنها موسع فى طرفه الأعلى صليب وكذلك ميزان صغير لوزن العقاقير. ولا شك أن أطباء البيمارستانات كانوا يستخدمون مثل هذه الأدوات فى الجراحات الموصوفة فى كتب ابن سينا وداود الإنطاكى وأبو القاسم الزهراوى. وكما سبق القول أن الطب تقدم أيام أكاديمية الإسكندرية والتى أضاف أطبائها

جراحات وأدوات جديدة للجراحة.

الصحة العامة في العصر القبطي

تبين من الحفائر الحديثة أن تحت مدينة الإسكندرية ما لا يقل عن سبعمائة صهريج لتجميع المياه. وقبل ذلك أيام البطالمة والرومان كان بها أكثر من أربعة آلاف صهريج. واستخدم الناس الأوانى الفخارية لحفظ مياه الشرب وكانت أنابيب المياه فى هذا العهد مصنوعة من الفخار وترفع إلى خزانات عليا بشواديف تعمل بواسطة ثيران.

وإنتشرت الحمامات العامة فى مصر، وكانت مطابقه للنمط اليونانى والرومانى، وبعد سقوط الإسكندرية فى يد عمر بن العاص كان بها أربعة آلاف حمام (CF. Botti: Bult. de la Soc. d´arch. D´Alex. II, p. 22)

فى كوم النجيلة خزان كبير من الحجر الجيرى، وثلاث مغاطس للإستحمام من الطوب المحروق والمبطن بطبقة مونة غير منفذة للماء، وهو مائل بحيث تنصرف مياهه إلى خزان صرف وبه أيضاً (بانيو) على شكل متوازى مستطيلات وحمامين قدم. وفى الجنوب الغربى من الفيوم فى قرية بطن حريت حمام نمطه إغريقى مكون من غرفتين مربعتين لإحداهما قبو فيها أحواض للإستحمام مزودة بدرجات للوصول إليها. وتنصرف مياهها بمواسير رصاص ويعتبر هذا أقدم إكتشاف لمواسير الرصاص فى حمام مصرى. وفى مدينة ادفو حمام من القرن الأول للميلاد به خمس حجرات للجمهور، وحجرة الحمام بها حوض عميق وحوضين للجلوس على شكل مقعدين بمساند، وفى إدفو عثر أيضاً على حمامين بهما أنواع من "الدوش"، وفى تل أتريب بوجه بحرى عثر على ثلاث حمامات عامة وبها خزانات مياة وكراسى حجرية للمستحمين ومواسير رصاص لنقل المياه.

وفى أيام الحكم العربى لمصر أنشئت حمامات عامة، مازال منها البعض موجوداً، ثم شيدت الأسبلة لتزويد الناس بالماء العذب ومنها سبيل السلطان قايتباى (٨٨٤ هـ) بالصليبه وهو مبنى صغير فى أسفله مورد للماء العذب وفى أعلاه كتاب لتحفيظ القرآن.

وفى المتحف القبطى حوض للإستحمام المنزلى (أثر رقم ٣٩٥١) ونقش يمثل طفل فى حوض إستحمام وأمشاط للشعر، وقد استخدم الأقباط الإبريق والطشت المعدنى لغسل الأيدى والوجه ومنها عدة نماذج بقسم المعادن بالمتحف القبطى.

(حسن كمال: "الطب المصرى القديم"، ص ٦٢ ـ ٦٥).
(Hassan Kamal: "Dict. of Pharaon. Medic.", p. 416)

الرعاية الصحية للحامل

ورث الأقباط عن أجدادهم الفراعنة الاهتمام بالحوامل وأمراض النساء فنجد بردية "كاهون" الطبية تحتوى على ١٧ وصفة لأمراض النساء من الأعشاب والبخور والزيت والبيرة والبلح واللبن يصنع منها لبوسات مهبلية وعجائن وغيرها، وبها وصفة خاصة لمعرفة جنس الجنين إن كان ذكراً أم أنثى. ومثل هذه الوصفات الطبية لرعاية الأم موجودة فى برديات إيبرس والرمسيوم

أيضاً، وبها معلومات خاصة بالحمل والولادة وتتكلم عن لون الوجه والعينين وكيفية فحص الثدى. وفى بردية برلين (وصفه ١٩٨) والتى تجعل الطبيب يعرف إن كانت المراة تلد أو لا تلد و(الوصفة ١٩٩) لمعرفة جنس المولود، وذلك باستخدام بول الحامل فى رى القمح والشعير فإذا نبت القمح اولاً فهو ذكر وإذا نبت الشعير فهى بنت وإن لم ينبت شئ فسوف لا تلد. (حسن كمال: "الطب المصرى القديم"، مجلد ثان، البرديات الطبية).

وبردية "جولينشيف" وهى مكتوبة باليونانية من القرن الثالث الميلادى مخصصة لأمراض النساء. أما بردية شاسيناه فهى مكتوبة بالقبطية وترجع إلى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين وهى خاصة بعلاج أمراض العيون والجلد وأمراض النساء، وهى بردية قبطية فى وصفاتها وتبعد عن الوصفات اليونانية والعربية، وكاتبها كان طبيباً إستعان ببعض ما كتبه أطباء القبط الذين سبقوه.

وفى مصر القديمة استخدموا "كرسى الولادة" ومنه نموذج بالمتحف المصرى وقد ظل مستخدما فى مصر حتى القرن التاسع عشر وربما بداية القرن العشرين خاصة فى بعض مدن الوجه القبلى، وكانت القابلات يقمن بالتوليد ومازال عدداً قليلاً منهن يمارسن هذا فى مصر. وفى عهد مدرسة الإسكندرية قام القديس يوحنا بطريرك الإسكندرية بإنشاء أول مستشفى للولادة فى التاريخ بالإسكندرية للعناية بالسيدات الحوامل من الطبقه الفقيرة. وقد جاء ذكر هذا فى الأدب اليونانى (وزارة الصحة: مجلة "مشروع الحفاظ على حياة الطفل"، عدد رقم ٣، اغسطس ١٩٩٢).

الشفاء الإعجازى Miraculous Healing

يعتبر الشفاء الإعجازى نظاماً طبياً خاصاً لايتبع ولا يخضع للطب المادى الذى يتعلمه الطبيب فى كليات ومدارس الطب القديم منها والحديث. وله تاريخ فى مصر القديمة، وكانت له معابد خاصة مثل معابد إيمحوتب وكهنة تخصصوا فى هذا النوع الذى كان يعرف باسم "الشفاء بالحلم الطبى" ولكن هذا النوع من الشفاء الروحانى كان محدوداً رغم خروجه عن إمكانيات طب هذا الوقت.

ومع مجيئ السيد المسيح له المجد ظهر الشفاء الإعجازى والذى عجز العلم الطبى حتى الآن عن محاربته أو حتى تفسيره، فكيف يعيد الحياة لجسد، قد فسد بعد موته ثلاثة أيام فى القبر؟ وكيف للطب أن يسيطر على روح إنسان فيعيدها لجسده التالف (معجزة إقامه لعازر من .. الأموات). ومن معجزات الشفاء إنه خلق للأعمى عينين من الطين !. ونحن نعرف طبياً أن عين الجنين تتخلق من خلاياها أعصاب الشبكية الحساسة المتصلة بالمخ عن طريق العصب البصرى وكذلك العدسة والقرنية والأوعية الدموية التى تغذيها ... إلخ وحتى الآن لم نستطع نقل عين بشرية بأكملها من إنسان ميت لإنسان حى. ويذكر الكتاب المقدس كيف أن رب المجد أخذ طيناً، ونحن نعلم أن الله أخذ ادم من تراب الأرض، ثم خلط الطين بلعابه وبهذا وضع الحياة فى الطين، فلما طلى به عينى الأعمى أصبح هذا نسيجاً حياً تشكل إلى كل أجزاء العين الحية من عصب بصرى وشبكية وغيرها.

ودخلت المسيحية مصر على يد القديس الشهيد مرقس وأصبح الطب الإعجازى والشفاء الإعجازى مرتبطاً إرتباطاً وثيقاً بأسرار الكنيسة الأرثوذكسية وطقوسها وقديسيها وخدامها.

ولنذكر كلمة عن سر مسحة المرضى. ويقول يعقوب الرسول "أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه. وإن كان قد فعل خطية تغفر له" (يع ٥: ١٤، ١٥).

وقد مارس الرسل هذا السر عندما أرسلهم السيد المسيح للكرازة "ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم" (مر ٦:١٣). ونلاحظ هنا أنه لو كان الزيت دواءاً عادياً لأمكن الأصدقاء أو أحد الأطباء أن يستخدمه واسطه للشفاء، ونرى الكتاب المقدس يقول قوة الشفاء هى فى صلاة الكهنة وهى بالذات "صلاة الإيمان".

والقديس غريغوريوس فى كتابه الأسرار يوضح تتميم سر الزيت مع صلواته ويذكر أن الكاهن يمسح المريض بزيت على اسم الآب والإبن والروح القدس. وكانت العادة قديماً تتميم هذا السر بواسطة سبعه قسوس ولكن بما أنه لم تأت وصية معينة من الرسل بموضوع العدد، فيمكن أن يتمم بأى عدد أقل من السبعة إلى الثلاثة أو الواحد بحسب الظروف (حبيب جرجس: "أسرار الكنيسة السبعة"، سر مسحة المرضى، ص ٢٤٧ ـ ٢٥٨).

والشفاء الإعجازى منذ إنتشار الأديرة والكنائس يتم فيها وفى المزارات المقدسة وأحياناً للمرضى فى محل إقامتهم، وحصول الشفاء الإعجازى يتم بصور متعددة:

ففى الأديرة المنتشرة فى مصر، وبعضها نال شهرة قديمة مثل دير مارمينا بمريوط، وهذا المكان كان يحضر له المرضى من بلاد كثيرة من الخارج ويستشفون بالمياه التى كانت توضع فى أوان من الفخار عليها رسم القديس مينا وجملين. ودير مارجرجس قرب ميت غمر ويزدحم بالمرضى فى شهر أغسطس من كل عام. ولا يمكن وصف كل الأديرة فى هذا المكان المحدود. وحالياً تتم حالات شفاء إعجازى فى كنيسة السيدة العذراء بالزيتون منذ ظهور طيفها وحتى الآن. ويتم الشفاء بصور متعددة مثل الشرب أو الإغتسال بماء البئر الذى كان يعيش على مائه أحد القديسين مثل القديس تادرس (كنيسته بحارة الروم) أو يحضر الاحتفالات المقدسة الخاصة بأحد القديسين مثلما يتم فى كنيسة مارجرجس بميت دمسيس. وفى بعض الأحيان يتم الشفاء عن طريق القديس الذى يظهر للمريض فى منزله ويجرى عملية جراحية. ومن هذا النوع ما جرى لرئيسة معاصرة لأحد الأديرة بمصر القديمة. والطب الحديث يتوقف طويلاً عند مثل هذه الحالات، ويعجز عن وجود تفسير علمى لها. وكاتب هذا المقال [1] يشهد بعدة حالات تتبعها بنفسه قبل وبعد الشفاء الإعجازى خاصة إنه تم فحصها بالوسائل الطبية المعروفة من أشعة وتحليلات معملية وغيره. وقبل إجراء العمليات طبياً يحدث الشفاء الإعجازى. وبعمل الفحوص الطبية والمعملية يثبت اختفاء المرض بدون أن يترك أى أثر على الجسم والذى يعود إلى سابق طبيعته الصحيحة.

ومن طرق الشفاء الإعجازى إستخدام مقتنيات القديسين وجاء عن الرسل فى الإنجيل أن

---

١ ـ كان كاتب المقال د. خليل مسيحه جرجس طبيب باطنى متمرس وأستاذ بالجامعات المصرية.

المرضى كانوا يأخذون مناديل الرسل يستشفون بها، وفى أعمال الرسل آيه تذكر أن وقوع "ظل الرسل" على المرضى كان يشفيهم (أعمال الرسل ٥: ١٥ ـ ١٦). وحالياً يوجد فى كنائس كثيرة وأديرة بعض مقتنيات أو رفات القديسين يتبرك بها الناس طلباً للشفاء.

ومن الطقوس الخاصة بالكنيسة الأرثوذكسية صلاة "ابو طربو" والتى تقام لمن عضه كلب مسعور. وابو طربو Anba Tarabu كان قديساً شفى الإبن الوحيد لسيدة من عضه كلب مسعور. وفى هذا الطقس يأخذون سبع ارغفة، وسبع قطع من الجبن وقليلاً من النبيذ وقليلاً من الزيت الطيب وسبع تمرات وكأس ماء (Galtier. 1905, pp. 124 -127) وبحضور سبع أطفال يقرأ الكاهن سبع صلوات ويقرأ سيره أبو طربو من السنكسار والمزامير أرقام ١٩، ٢٢، ١١٨، ١٢٠. ثم يقرأ صلاة للذى عضه الكلب. ويحيط بالمعضوض مجموعة الأطفال ويدورون حوله سبع مرات ويقرأ الكاهن بضع كلمات معينة "بيستى ناياس ..." بعد هذا يقول الشماس للكاهن "السلام لك يا سيدى" ويرد الكاهن السلام ويسأله عن طلبه فيقول الشماس "لقد حضرت أسأل السلامة والشفاء من الله بشفاعة القديس ابو طربو" فيضع الكاهن قطعة خبز وجبن وملح فى فم الشماس، فيأخذها الشماس ويضعها فى حجر المعضوض. ويقول كلا من الأطفال السبعة "لقد حضرت أطلب السلامة والشفاء من الله وبشفاعة القديس ابو طربو" ويأخذ كلا منهم قطعة خبز وجبن وملح ويعطيها للمعضوض، والذى سيأكل منها كل صباح ويشرب قليلا من النبيذ .. وفى نهاية الطقس يقوم الكاهن برشم الطفل بالزيت المقدس.

(Viaux, G:"Magie et Coutumes Populaires Chez les Coptes d´Egypte, Sisteron," 1978)

(Vie de Saint Tarab; Bullet. de l´Instit. Franç. d´Archaeologie Orientale IV, 1905, pp. 112 -127)

ومن القديسين من كانوا أطباء وشفوا الالف من المرضى مثل أنبا قلته الطبيب من القرن الثالث الميلادى وأباكير ويوحنا والطبيبان قزمان ودميان والبطريرك ديونسيوس الطبيب وغيرهم. ومن يقرأ سيرهم يلمح قدراتهم على الشفاء الإعجازى والذى تجاوز ما كان سائداً فى وقتهم من علوم طبية. وحتى فى القرن العشرين نجد حالات كثيرة يعجز الطب رغم تقدمه الهائل عن شفائها مثل حالات الأورام الخبيثة ومرض الإيدز وغيرها.

والإصابه بالأرواح الشريرة مذكورة فى تاريخ الأمم وكانت من المعضلات الطبية. والسيد المسيح له المجد والرسل شفوا الكثيرين منها. وبالكنيسة القبطية صلوات خاصة لهذا ويتم الشفاء منها فى الكثير من الكنائس والأديرة حتى الآن واشتهر منها فى هذا الإتجاه كنيسة القديس مارى جرجس بميت دمسيس.

الفصل السابع

علم الفلك والرياضيات

ا. د. خليل مسيحه جرجس

نشأ علم الفلك مع نشأة الإنسان، ففى النهار تسطع الشمس وهى النور الأعظم وفى الليل يضئ القمر وهو النور أصغر، وأينما يوجه الإنسان بصره يجد النجوم ترصع السماء، ولاحظ أنها فى مجموعات ذات أشكال مختلفة. وفى مصر الفرعونية بلغ علم الفلك مبلغاً عظيماً، وفى الآثار الكثيرة لعلم الفلك مثل دائرة البروج التى وجدت فى سقف بمعبد دندرة، والمجموعات الكوكبية والنجمية فى سقوف المقابر مثل سقف سيتى الأول، وسقف سنموت، وداخل أغطية التوابيت. وكانت دائرة البروج فى مصر القديمة The twelve zodiacal signs مقسمة إلى ٣٦ قسماً كل منها يستغرق عشرة أيام وكل علامة فلكية تضم ثلاث أقسام، وهى موضوعة على حزام استوائى والسنة تبدأ بنجم الشعرى اليمانية (إسمها سبدت بالهيروغليفية) Sirius "The mistress of the year" أو"سيدة السماء".

وفى العصر القبطى الأول - أو الهلنستى - نجد الفلك يقوم على أيدى العلماء السكندريين اريستيللوس وتيموخارس (فى النصف الأول من القرن ٣ ق.م) واللذين قاما بعمل أرصاد قيمة فى مرصد أكاديمية الإسكندرية مستخدمين فى ذلك الات بسيطة مثل المزاول الشمسية، والشاخص الراسى، وجهاز الهيكل الكروى المكون من عدة دوائر عظمى متحدة فى المركز ومقسمة إلى درجات، ومسطرة متصلة بمركز الكرة لتعيين إتجاه النجم، ولابد أن دوائر الكرة كانت تمثل الكرة الأرضية بحيث تكون إحدى هذه الدوائر واقعة على المستوى الاستوائى والأخرى عمودية عليه، وتدور حول محور العالم، وبذلك توضع الدائرة العمودية فى هذا الإتجاه مع قراءة ميل النجم عليها ورقم المطلع المستقيم على الدائرة القطبية (نبيل راغب، "عصر الإسكندرية الذهبى"، ص ١٠٦). وفى النصف الثانى من القرن الثانى قبل الميلاد نبغ فى الإسكندرية هيبارخوس النيقى وهو من مؤسسى علم المثلثات والذى كان يعتبر ومازال جزءا هاماً من علم الفلك. واخترع الات جديدة للرصد مثل الكرة السماوية التى رسم عليها مواقع الكواكب والنجوم وأجهزة أخرى ذكرها الفلكى السكندرى العظيم بطليموس فى كتابه المجسطى بعد ذلك بثلاث قرون. (نبيل راغب: "عصر الاسكندرية الذهبى"، ص ١٠٩) وبطليموس من ابرز رجال العلم (النصف الأول من القرن الثانى الميلادى) والذى استمد الكثير من هيبارخس النيقى Hipparchus of Nicaia والذى سبق بطليموس بما يقرب من ثلاثة قرون (هيبارخوس نبغ فى الإسكندرية من ١٦١ إلى ١٤٦ ق.م)، وكان بطليموس فلكياً ورياضياً، وظل إثنان من مؤلفاته، هما "المجسطى" و"الجغرافيا" يعتبران المرجعين المعتمدين فى ميدانهما مدى أربعة عشر قرناً على الأقل، ويقال إنه ولد فى بلدة بطلمية هرمياس فى إقليم طيبة، وقام بالأرصاد الفلكية فى الإسكندرية حوالى أعوام ١٢٧ -١٥١م). ووضع بطليموس كتب كثيرة أشهرها جميعاً كتاب "المجسطى" والعنوان الأصلى اليونانى معناه "المجموع الرياضى "Mathématikê. Syntaxis" وكان فى

الواقع مؤلفاً في علم الفلك، وكان الفلك فرعاً من الرياضيات. بطليموس كان يبني علم الفلك على الأرصاد التي يقوم بها بنفسه كما فعل هيبارخوس قبله، وقد استخدم عدة آلات للرصد منها حلقة دائره نصف النهار والإسطرلاب والربع الحائطي. وكتاب المجسطي ينقسم إلى ١٣ مقالة تشرح الفروض الفلكية والرياضية وأن الأرض مركز لكرة السماء التي تدور حولها، ويناقش ميل دائرة البروج، وقسم الدائرة إلى ٣٦٠° ثم تكلم عن طول السنة وحركة الشمس والقمر، وعن صنع الإسطرلاب والنجوم الثوابت وحركات الكواكب السيارة وأبعادها عن الأرض. وقد حدد المجسطي ما نسميه "النظام البطلمي" أي نظام المجموعة الشمسية بإعتبار الأرض مركز لها. ثم وضع كتابه "الجغرافيا" بعد كتاب المجسطي وإستمد اكثر علمه في الجغرافيا عن اراتوستين Eratosthenes وسترابون Strabon. وإنقسم كتاب الجغرافيا إلى ثماني مقالات تختص كلها بالجغرافيا الرياضية وكل ما هو مطلوب معرفته لرسم الخرائط الدقيقه. فهو يضع جداول تبين أطوال وعروض الأماكن المختلفة من كل الأقطار. ولبطليموس كتابان في البصريات الأول منهما Ptolemei. de speculis وقد وجدوا أن صاحبه الحقيقي هو العالم السكندري Heron والذي عاش غالباً قبل بطليموس، وكتابه الثاني "البصريات" وصل إلينا في ترجمة لاتينية، وفيه يحاول تفسير الأبصار ويتكلم عن الإنعكاس والمرايا وغير ذلك. (جورج سارتون: "العلم القديم والمدنية الحديثة، ص ٨٩ ـ ١٥٢)، وله أيضاً كتاب في التنجيم عنوانه "كتاب الأربعة" Tetrabiblos وقد فاقت شهرته شهرة كتابه المجسطي، وهذا الكتاب يضم معتقدات شعبية كلدانية ومصرية وإغريقية وغيرها، ومقالاته تتكلم عن كواكب السعد والنحس ثم التنجيم العام والأثنوغرافية النجومية والأوبئة والحروب والزلازل والطقس ثم التنجيم الخاص بالأشخاص... إلخ

وظلت نظريات بطليموس سائدة ولم يظهر الخطأ في القول بوجود الأرض في الوسط إلا على يدي كوبرنيكوس عام ١٥٤٣م ولم يظهر الخطأ القائم في القول بالمدارات الدائرية إلا على يدي كيبلر عام ١٦٠٩م. ثم ترجم المجسطي إلى اللغة العربية ونقله إلى اللاتينية جيرار الكريموني عام ١١٧٥م في طليطله ثم توالى ترجمة المجسطي عن الفرغاني والبتاني إلى اللاتينية. أما كتاب الأربعة فهو من أول الكتب اليونانية التي ترجمت إلى العربية على يد ابويحيى البطريق في عهد المنصور ثاني الخلفاء العباسيين (خلافته ٧٥٤ ـ ٧٧٥م) ثم ترجمه مرة ثانية حنين بن اسحق وشرح الترجمة الطبيب علي بن رضوان المصري وكثيراً ما استخدم المنجمون هذا الشرح. وللترجمة الإنجليزية للمجسطي انظر

(Catasby Taliafero: "Great Books of the Western World," Chicago, 1952, Vol. XVI, pp. 1- 478)

أقليدس والرياضيات

تاريخه حوالي ٣٠٠ ق.م وهو يقف على مدخل العصر الهلنستي، ولا نعرف مكان ميلاده ولا وفاته بالضبط. درس الرياضيات في الأكاديمية ونبغ في الإسكندرية في عهد بطليموس الأول. وظلت الناس مدة طويلة تخلط بين أقليدس السكندري والفيلسوف أقليدس الميغاري أحد تلاميذ سقراط. وظل هذا الخطأ حتى أواخر القرن ١٦م. وأول كتاب له من المختصرات الجامعة في الهندسة هو كتاب "الأصول" ومكون من ثلاثة عشرة مقالة في الهندسة المستوية للمثلثات

ومتوازيات الأضلاع والدوائر والكثيرة الأضلاع ثم أنواع الأعداد مثل الأعداد الأولية Prime numbers والمتواليات الهندسية ثم يتكلم عن الجوامد الأفلاطونية Platonic Solids وأضيفت مقالة رقم أربعة عشر من وضع ايسقلاوس السكندري Hypisclês في مطلع القرن الثاني ق.م واقليدس له مؤلفات في الفلك والفيزيقا والموسيقي وله كتاب في علم الضوء اسمه "البصريات" Optics، ووصلنا ملخص لكتابه البصريات وكتاب آخر ربما كان منحولا هو كتاب "الإنعكاس" Catoptries وهذا الملخص من عمل ثاون السكندري (القرن ٤ ـ ٢ ق.م) والحجاج بن يوسف المشهور بابن مطر أول من ترجم كتاب الأصول إلى العربية لهارون الرشيد (٧٨٦ ـ ٨٠٩م). وقبل نهاية القرن التاسع كانت قد دونت ترجمات ومناقشات لأقليدس بالعربية بقلم إسحق بن حنين وقسطا بن لوقا وغيرهم (جورج سارتون: "العلم القديم والمدنية الحديثة"، ص ٥١ ـ ٨٤).

العلوم في الفترة بين حوالي ٣٠٠ ق.م إلى عام ٥٢٩ ميلادية

تكلمنا عن اقليدس (حوالي ٣٠٠ ق.م) أي بداية العصر الهلنستي. وبعده بما يزيد على أربعة قرون جاء بطليموس صاحب المجسطي والذي عاش في العالم الروماني والذي اختلف تماماً عن الإسكندرية في عصر أقليدس. وفي بداية القرن الرابع كانت الإمبراطورية الرومانية مسرعة في طريقها للزوال والمسيحية في طريق النمو والإزدهار. ويمكن تقسيم العلوم في هذه الفترة إلى علوم رياضية إغريقية، وطب هلنستي وإغريقي، ثم المحيط الفلسفي والديني.

فبعد بطليموس جاءت فترة خمول استمرت أكثر من قرن حتى جاء أحد عظماء رياضي الإسكندرية وهو پاپوس السكندري Pappos وغالبا عاش في عهد دقلديانوس Diocletian (إمبراطور روماني حكم ٢٨٤ـ ٣٠٥م) وكتب شرحاً عن "المجسطي" وعن اقليدس. وكذلك عاصر عالم الجبر ديوفنطس Diophantus وربما عاش في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي. وقد الف پاپوس كتابه "الجامع في الرياضيات" وقد دون فيه التعليقات على أعلام الرياضيات، وإبتكر ثم حل مسائل جديدة، ورتب ذلك في ثماني مقالات. وضمن هذه المقالات يتناول كتاب أبوللونيوس المفقود "قطع (الخطوط) على نسبة محدودة" Diôrismenê tomê ومقالته الثامنة مأخوذة عن هيرون السكندري Heron. وأيد هيرون في تمييزه لفروع الميكانيكا النظرية أي الهندسة والحساب والفلك والفيزيقا وبين فرعها العملي أو اليدوي، وهذه المقالة يمكن إعتبارها القمة التي وصلت إليها الميكانيكا عند الإغريق وتنوع المشكلات التي اشتغل بها الميكانيكيون في العصر الهلنستي مثل تحريك الأجسام الثقيلة وصنع آلات الحرب والساعات المائية وغيرها. ولم تتوصل الأفكار التي جمعها پاپوس إلى إيقاظ إهتمام الرياضيين في العالم الغربي إلا في عهد متأخر جدا ونتج عن ذلك ميلاد الرياضة الحديثة كالهندسة التحليلية والإسقاطية المعروفة بطريقة مركز الثقل وحدث هذا البعث في سنوات أربعة (من ١٦٣٧ إلى ١٦٤٠م). وكان پاپوس آخر عمالقة الرياضيات في العالم القديم. ومن الرياضيين المبرزين بعده سيرينوس Serenos of Antinopolis وهو مصري هلنستي درس في الإسكندرية ودون شرحاً على كتاب "القطوع المخروطية" لابللونيوس. ومن علماء الإسكندرية ثاون Theon

وابنته هيباتيا وكلاهما تعلم في أكاديمية الإسكندرية وكتب ثيون شرحاً مفصلاً للمجسطي. وراجعت هيباتيا شرح أبيها على المقالة الثالثة وما يليها من المجسطي. وبموت هيباتيا جاءت فترة خمول في مدرسة الإسكندرية (الوثنية) الرياضية. ثم جاء هرمياس Hermias في القرن السادس وبعث مدرسة الإسكندرية وقسم الرياضيات إلى أربعة فروع: الحساب، الهندسة، الفلك، والموسيقى، وكان تلميذه يوانس فيلوپونوس Johannes Philopponos المعروف باسم يحيى النحوى John the Grammarian وكان نصرانياً على مذهب اليعاقبة هو الذى كتب أول كتاب في الإسطرلاب وكتب شرحاً على ارشاطيقا نيقوماخوس.

ثم جاءت فترة كان الإسكندرانيون يدرسون في أثينا، والأثينيون يدرسون في الإسكندرية. و كان من الزعماء الذين تعاقبوا على الاكاديمية على الأقل إثنان من الإسكندرية هما سوريانوس Syrianos الإسكندرى (القرن الخامس الميلادى) وايزودورس Isidoros الإسكندرى (القرن الخامس الميلادى) ولم تعد الاكاديمية في ذلك الوقت معهداً تدرس فيه الرياضيات العليا وكان برقلس أعظم زعماء الاكاديميه في القرن الاخير من وجودها. وتوفى سنه ٤٨٥م وكتب مقدمة للفلك البطلمي وشرح المقالة الأولى من كتاب "الأصول" لاقليدس (جورج سارتون: "العلم القديم والمدنية الحديثة"، ص ١٥٤ ـ ١٧٨).

الكيمياء عند الاقباط

مما لاشك فيه أن تاريخ مصر الفرعونية العلمي يزخر بمعرفة علماء مصر القديمة بالكثير عما نسميه حالياً علم الكيمياء. فكانوا يعرفون الكثير عن المعادن خاصة الذهب والنحاس والفضة والمنجنيز والكبريت والحديد والمركبات المعدنية مثل النطرون والشب والجبس والملاكيت Malachite وكيفية استخلاصها من خاماتها والتحنيط يدل على معرفة تامة بخصائص المواد الكيماوية مثل النطرون والمركبات العضوية التي إستخدموها. وحديثاً تجرى الأبحاث على مجموعة مومياوات محفوظة بالقصر العيني تبين أن بعضها يصدر إشعاع مما يثبت إستخدام خامات مشعة في التحنيط ومنذ نحو خمسة عشر عاماً وجد كاتب هذه السطور[1] ان بعض مومياوات الملوك المحفوظة بالمتحف المصرى مشعة واشدها قوة مومياء رمسيس الثاني.

وقبل الدخول في تفاصيل علمية يحسن التعريف بلفظ Alchemy والذى ترجمته "خيمياء" والخيميائي هو المشتغل بالكيمياء القديمة، وكانت من غاياتها تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب واكتشاف علاج كلى للمرض ووسيلة لإطالة الحياة إلى مالانهاية (منير البعلبكي: "قاموس المورد"، انكليزى ـ عربى). والخيمياء هي نظام يحتوى على أفكار وتقنينات نظرية وعملية سادت في العالم القديم.

وتركزت انظار العالم على الإسكندرية الهلنستية وغربت شمس أثينة والفرق واضح في الفلك والرياضيات فمثلا كتاب المجسطي الذى كتبه بطليموس السكندرى سيطر على الفكر العالمى لمدة أربعة عشر قرناً من الزمان وكذلك كتابه "الأربعة" في علم أحكام النجوم. وكان أهل الإسكندرية خليط من القبط واليونانيين ونازحين من ليبيا وسوريا وميزوبوتاميا (أو بلاد ما بين النهرين كما سميت قديماً) والسودان، هذا بخلاف إتصال الإسكندرية ببلاد كثيرة من دول البحر الأبيض

المتوسط، وأغنياؤها من التجار كانوا يرعون العلم والفن، والأفكار العبقرية وجدت طريقا جديداً الا وهو محاكاة المعادن الثمينة كالذهب وعمل الأشياء الترفيهية. وكان كهنة مصر يحملون الفكر العلمي المصرى والذى اثر تاثيراً عظيماً فى فكر علماء اكاديمية الإسكندرية وإنتقل منها إلى الفكر الأروبى وعاد مرة أخرى خلال نهضة الترجمة التى قام بها العرب. فكان كهنة مصر رعاة لعلوم التعدين والفلك وعلم أحكام النجوم والطب والتنبؤ بالفيضان، وكل هذه العلوم أخذت طريقها للوجود فى داخل المعبد أو تحت إشرافه، ومثال ذلك ما نجده فى مقدمة مجموعة من الوصفات الخيميائية إسمها "عن أشياء طبيعية وخفية" (فى حوالى عام ٢٠٠ ق.م)، والمقدمة تذكر أن هذه الوصفات وجدت فى "المعبد" ويعتبر هذا ضماناً لصحتها، والخيمياء هى ارتباط وثيق بين المعتقدات الدينية والتكنولوجيا. ومن العجيب فى تاريخ الخيمياء أن نجد الوصفات الأساسية المستخدمة فى بداية العصر المسيحى هى نفسها لم تتغير بعد مرور ثلاثة عشر قرناً من الزمن حيث ترجمت مرتين من اليونانية إلى العربية ومن العربية إلى اللاتينية، لكن كان هناك إزدياد فى عدد الطرق والتقنيات المتاحة وكذلك الخامات المستخدمة، وانشغل الخيميائيون فى عمليات تنقية وتلوين المعادن الأصلية بغية إكسابها لون الذهب وصفات الفضة، ولكن هذه المعادن الصناعية كانت تفقد بريقها ولونها بسرعة وفى محاولاتهم هذه إبتكروا سبائك من الذهب والفضة أو النحاس، واستخدموا معدن اطلقوا عليه "صبغ الذهب" أو "الزعفران" Auripigmentum وهو فى الحقيقة ثالث كبريتيد الزرنيخ. ومن الوصفات الخاصة بالسبائك تلك التى تنظف وتلمع المعادن الثمينة أو تغير سطح المعادن الخسيسة (الرخيصة) وتكسبها بريق الذهب والفضة. وهناك وصفات لكيفية عمل "حبر ذهبى" أو "حبر فضى" لإستخدامها فى تذهيب أو تفضيض المخطوطات.

ومن ائمة الخيمياء الأوائل فى الإسكندرية بولس ديموقريطس من منديس (٢٠٠ق.م) وله مؤلف إسمه "فيزيقا" أو اسرار الطبيعة مكون من أربع كتب عن صنع الذهب والفضة، ومعلوماته مشتقة من مصادر مصرية وعبرية وبابلية وفارسية. واهتم بولس بتركيب الصبغات التى تكسب أى معدن لون الذهب أو الفضة، والتلوين بالنسبة للخيميائى يتم نتيجة "تحول" فعلى فى المعدن. ونظريتهم تبدأ "بتحول" المعدن عن طريق إختزال (أى إتلاف) المادة الأولية " إلى (تراب) متعادل تمهيداً لفرز الكميات المطلوبة من (الماء) (عنصر الإنصهار) والهواء (عنصر اللمعان) والنار، ثم إعطاؤه الصفرة وأخيراً تحويله "بالايوسيس" (أى إضفاء اللون الأرجوانى عليه) إلى ذهب حقيقى.

وإبتكر الكيماويون السكندريون أساليب جديدة للتقطير وتسخين المواد فى انابيب وأوان محكمة الغلق، وهاضمات وقدور وغيرها من الأجهزة لإستعادة "نفس" أو "روح" المادة Pneuma او لإسقاطها على المادة المراد تحويلها والتى كانت توضع فى قمة الإناء تتلقى الأبخرة المتصاعدة من الزئبق والكبريت والزرنيخ فيحدث لها تحول. وفى القرون الأولى بعد الميلاد ظهر خيميائيون آخرون يتبعون المدرسة الفلسفية ومن أمثالهم ماريا اليهودية وهيرمس وكوماريوس أو المدرسة العلمية أمثال إيزيس وجاميليخوس وموسى واستانين. ثم ظهرت مجموعات أخرى من الخميائيين الغنوسيين Gnostics ومنهم اسطفانوس ومدرسته (القرن ٨م)، وهم الرواد الحقيقيون للكيمياء الحديثة، واستخدموا الرمزية كثيرا فى عملهم. ومنهج اسطفانوس التجريبى لم يضع نهائياً فقد

أحياء الخيميائيون البيزنطيون من أمثال ميخائيل بسيللوس والذين كانوا على معرفة وثيقة بكتابات بولس وديموقريطس وزوسيموس فقد اقتصروا على التأملات النظرية في معلومات سبق معرفتها. وتخلفت الكيمياء التجريبية في بيزنطة. وقام العرب بترجمة الخيمياء من اليونانية والسريانية إلى العربية، ونجد من بينهم الخيميائيين العمليين أمثال جابر بن حيان (قرن ٩م) والذي قال بان الخصائص النوعية للمواد الكيميائية قابلة للقياس، وغرس بهذا بذرة الكيمياء الحديثة. وعدلوا نظرية "التحول" فقالوا أن خاصية لدونة المعادن وانصهاريتها أتيه من الزئبق وقابليتها للحريق والتاكسد (الصدأ) راجعة إلى الكبريت. واعتقدوا لذلك أن الذهب غني بالزئبق وفقير في الكبريت، بينما المعادن الخسيسة كالحديد يتوفر فيها الكبريت. وأي معدن خسيس يمكن تحويله للذهب إذا اضفنا اليه "الإكسير". وتركيب الإكسير يدخل فيه السلفون الأحمر (كبريتيد زئبق).

وبحث العرب عن "الالكاهست" أو المذيب العام وهو الذي يحلل الأعضاء، أو الأملاح التي تسبب الأمراض في الأجسام الحية وعيوب المعادن والفلزات.

وسرعان ما أدت هذه التجارب النشطة إلى اكتشافات هامة مثل صناعة الكحول (القرن ١٢م) وأحماض الكبريتيك والنتريك (ق١٣م) واتسع المجال اكثر بدخول الصيادلة "الخيميائيون التكنولوجيون" فاستخلصوا الكثير من المواد الطبية والمعادن ودرسوا الكثير من التفاعلات التي افادت منها علوم الكيمياء الحديثة بعد ذلك (أسامه امين الخولي: "تاريخ العلم والتكنولوجيا"، ص ٩٠ ـ ٩٥).

وجابر بن حيان (٧٢١ ـ ٧٧٦م) نادى بتحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، وله مؤلفات استمرت دراستها في أوربا وآسيا الصغرى حتى بعد القرن ١٤م ودرسها روجر بيكون، ومن مؤلفاته كتاب "تركيب الخيمياء". وقد وصفت عمليات التكليس والإختزال وحضر بعض المواد الكيمائية مثل الزنجفر (كبريتيد الزئبق) وإكسيد الزرنيخ وحامض الكبريتيك وغيرها.

(Hassan Kamal: Encyclopedia of Islamic Medicine, pp. 379-380)

وكانت هناك علاقة وثيقة بين الخيمياء وعلم أحكام النجوم، فاعتبروا أن لكل معدن كوكب معين. وقام جابر بن حيان بعمل علاقات بين المعادن المختلفة والأعداد وهي مأخوذة عن "المربعات السحرية" Magic Squares والبعض إستخدم التعزيمات السحرية أثناء عمليات تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، ووصفوا رموزا كثيرة من لا يعرفها يخطئ في العمل خطأ جسيماً، واحتفظوا بمعانيها كأسرار لا تذاع إلا للمريدين فقط. مثال ذلك رمزوا للذهب بلفظ "شمس" والفضة "قمر" والزئبق "العبد الهارب"...إلخ. وكثيراً من الوصفات الخيميائية تجرى هكذا "خذ من العبد الهارب كذا درهم ومن ملح العقاب كذا درهم ومن ملح العقرب كذا درهم ... وطين عليها بطين الحكمة، ودسمها في النار ثلاث أيام فتصير شمس بإذن الله والله أعلم."

وأحيانا يعطى وصف البوتقة وغطاؤها وكيفية العمل بالتفصيل وما قد يقرأ من تعاويذ أثناء العمل، ويعطى أيضاً اليوم والساعة المناسبة لبداية العمل... الخ.

وقد يندهش القارئ إذا علم أن هناك خيميائيون حتى اليوم في مصر وفي أنحاء متفرقة من العالم. ففي فرنسا مثلا لهم جمعيات ومازال منهم من يؤكد توصله إلى صناعة الذهب، ولو ان أعدادهم قليلة ولا يعلنون عن انفسهم.

الفصل الثامن

الصناعات الكيماوية الصغيرة فى العصر القبطى

ا. د. خليل مسيحه جرجس

المقصود بالصناعات الكيماوية الصغيرة صناعات محدودة ولا تحتاج إلى الات لإنتاجها بكميات كبيرة، كما حدث فى العصور الحديثة. فمثلا صناعة الحبر والورق والرق ودباغة الجلود والنبيذ وإستخراج خامات الألوان وصناعة الزجاج الملون ... إلخ. فلم يكن هناك صناعات كيماوية بالمعنى المفهوم حالياً لإنتاج كيماويات مثل الأحماض المركزة أو الأدوية المخلقة بالجملة إلى غير ذلك من المنتجات المنتشرة حالياً فى العالم كله. إنما نجد لورق البردى شهرة عالمية حتى القرن الرابع بعد الميلاد، وكانت تجارته أيام الحكم الرومانى لمصر تتبع الملك نفسه حتى سمى "Pa-ep-ouro" بمعنى الذى هو للملك. والنبيذ كان يصنع محلياً ويعبأ فى جرار من الفخار كبيرة الحجم ومنها نماذج ذات شكل مخروطى مكون من حلقات وموجودة بالمتحف القبطى بالقاهرة. وسنتناول أشهر هذه الصناعات الكيماوية:-

مواد وادوات الكتابة:

(Neuberger, p. 195) (Lucas. pp. 413-418)

ينقسم الكلام عن مواد وأدوات الكتابة إلى قسمين أساسيين: الأول هو المواد الأولية المصنوع منها الحبر، والقسم الثانى خاص بالأوانى التى يوضع فيها الحبر ... الخ. والكتابة بالحبر نشأت فى مصر القديمة منذ العصر العتيق، وكان الكاتب المصرى يستخدم اللونين الأسود والأحمر فى الكتابة. وإذا كان هناك رسومات ملونة فيلونها الفنان بألوان أخرى (أبيض ـ أخضر ـ أحمر ـ أصفر). وكان اللون يصنع على هيئة قرص وذلك بعجن مسحوق السناج Carbon الأسود أو المغره الحمراء بالصمغ وتجفف، واستمر هذا حتى العصر المتأخر. وعند الاستعمال يغمس القلم (مصنوع من السمار) فى الماء ويحكه فى القرص ثم يكتب به. أما فى العصور القبطية فقد ذكر شوبارت Schubart أن الكتابة على برديات من القرن الرابع الميلادى منها حبر إسود (من الكربون) وحبر بنى من أملاح الحديد، واستخدموا اكسيد الرصاص الأحمر أيام الحكم الرومانى. وقام Weisner وايزنر بفحص بردية راينر Reiner pap. (وهى من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر بعد الميلاد) فوجدها مكتوبة بنوعين من الحبر الكربونى، والحبر الحديدى Iron ink (يقصد المصنوع من أملاح الحديد)، وقام لوكاس بفحص عينات مختلفة من الحبر الأسود على مستنداتٍ مختلفة، بعضها لخاف Ostraca وبعضها برديات ذاتَ تاريخ مختلف من العصر الرومانى وحتى القرن التاسع بعد الميلاد، وكلها من الحبر الكربونى. أما حبر المستندات المصنوعة من الرقوق (القرن السابع إلى القرن الثانى عشر بعد الميلاد) فحبرها من أملاح الحديد، وقد وصف أحد قساوسة القبط طريقة صناعة السناج الداخل فى عمل الحبر الأسود إجابه لطلب لوكاس فقال "يوضع بعضاً من البخور على الأرض ويحاط بثلاث قوالب طوب أحمر، ويوضع عليها طبق فخار وجهه إلى أسفل، ويشعل النار فى البخور ثم

يغطى الطبق بقماش مبتل فيترسب الكربون على صفحة الطبق، فيكشط ويعجن بالصمغ ليكون الحبر الأسود."

أما أرضيات الكتابة فهى البردى الذى ازدهرت صناعته فى مصر القديمة وحتى القرن العاشر الميلادى حين ظهرت صناعة الورق فى الصين وصناعة الرق فى برجامون (برغاموس) Pergamun أما برديات (شاسيناه وزويجا) الطبية فترجع إلى القرن العاشر الميلادى - وقد استخدمت عظام الحيوانات للكتابة. فهناك "لوح كتف من عظم الجمل" موجود بالمتحف المصرى ومكتوب عليه بالقبطية، وفى ايام حكم الرومان لمصر استخدموا الواح من الرصاص وكتبوا عليها بالحفر وكذلك الواح من البرونز وهى محفوظة بالمتحف المصرى واستخدموا انواع الرق والجلد الرقى Parchement & Vellum واستخدموا الشقف أو اللخاف وشقوا البوص العريض وكتبوا عليه بالقبطية (محفوظ بالمتحف المصرى)، وكتبوا على الحجر الجيرى الأبيض. وكانوا يغطون الألواح الخشبية بالشمع المصبوغ بالأسود ويكتبون عليه بأداة مسننة Stylus أيام العصر الهلنستى والرومانى، وكذلك كتبوا على الواح خشبيه مغطاة بطبقة رقيقة من الجبس وذلك بالحفر أيضاً.

أقلام الكتابة

استخدم المصرى القديم أقلام مأخوذة من نبات السمار Juncus Maritimus وهى ليست من البوص Reeds، وكان يبرى طرفها على شكل الأزميل ويتراوح طول القلم بين ١٦ ـ ٢٣ سنتيمتر. أما فى العصر الهلنستى والرومانى فى مصر فكانت الأقلام من البوص Phragmitis Communis وتبرى مدببة وتشق بالطول. كما كانوا يفعلون بريشة الكتابة Quill pen فى أوربا قديماً، وهذه الأقلام التى استخدمت فى مصر منذ القرن الثالث قبل الميلاد تكلم عنها بلايني (القرن الاول للميلاد) للكتابة، وعثر عليها بترى من العصر الرومانى فى مصر. وقال ونلوك Winlock إن المصريين استعملوا القلم المشقوق فى القرن الرابع بعد الميلاد لكتابة اللغة المصرية القديمة بالحروف اليونانية (اللغة القبطية). واستخدم رهبان دير ابيفانيوس Ephiphanus فى طيبة الأقلام المشقوقة فى القرنين السادس والسابع للميلاد، للتدريب على كتابة الخط العربى. أما حالياً فقد إنحصر إستخدامها فى مدارس تعليم الخطوط وعلى الخطاطين.

وهناك محابر للكتابة فى المتحف القبطى منها بقايا من المواد وكان النساخون الاكفاء يقطنون الأديرة، وكان الناسخ يضع أدوات الكتابة فى محفظة من الجلد أو مقلمة من الخشب ، وبالمتحف مجموعة من هذه الأقلام والمقلمات. وكانت المخطوطات تغلف بغلاف من الجلد لحفظها وإنتعشت صناعة التغليف فى الأديرة إلى جانب النسخ (دليل المتحف القبطى: طبعة ١٩٨٤).

صناعة النبيذ

صناعة النبيذ والبيرة من الصناعات القديمة جداً ولها تاريخ قديم فى مصر الفرعونية ومرسومة بالألوان على جدران المقابر، وعند اقباط مصر كان لهذه الصناعة أهمية خاصة، فكان

هناك نوع من النبيذ يصنع خصيصاً لطقس التناول تذكاراً للعشاء السرى "سر الشكر أو الأفخارستيا" (حبيب جرجس: "أسرار الكنيسة السبعة"، مكتبة المحبة، ص ١١٥ ـ ١٩٤). ويقول فى تعريف هذا السر "سر الشكر هو سر مقدس به يأكل المؤمن جسد المسيح المقدس، ويشرب دمه الذكى تحت إعراض الخبز والخمر". فيستحيل جوهر المادة لأن الخبز والخمر مع حفظهما شكليهما وأعراضهما يستحيلان بوجه سرى عجيب إلى جسد المسيح ودمه" وفى كل دير من الأديرة القبطية يحضر النبيذ الخاص به وله أدواته وأوانيه الخاصة.

النبيذ فى مصر القديمة كان يحضر بتخمير العنب الطازج، وذلك كان معروفاً منذ الأسرة الأولى، وكان يستخدم كتقدمات وكذلك فى المآدب. ونراه مرسوماً فى مقابر سقارة من الأسرة الخامسة وفى مقبرة دير البرشا من الأسرة الثانية عشرة. وكان العنب يهرس بالأقدام (وهى نفس الطريقة المستخدمة حتى الآن فى فرنسا وإسبانيا) ثم يصفى بعصره داخل أكياس من القماش، ثم يعبأ فى زلع كبيرة، ويسد عليه بإحكام، ويترك ليختمر. وقد عثر ونلوك Winlock على أوانى نبيذ فى دير ابيفانيوس Epiphanus فى طيبة وفوهتها مسدودة بسدادات من ورق وعروق الكرمة ثم طين عليها بعجينة سميكة من الطين الأسود المخلوط بالتبن. أما فى العصر القبطى (Lucas, p. 27) فكانت أوانى النبيذ تطلى من الداخل بطبقة رقيقة من الزانتج لونها أسود تمنع رشح النبيذ وقد وجد منها ونلوك فى دير ابيفانيوس وهى فى هذا تشبه الأوانى اليونانية والرومانية. أما اثيناويوس Athenaeus فيصف أنواعاً جيدة من النبيذ المصرى المصنوع قرب الإسكندرية خصوصاً النبيذ القبطى والذى يمكن إعطاؤه للمرضى دون أى ضرر، وقال اثيناويوس أيضا إن المصريين استعملوا مغلى الكرنب وبذر الكرنب كعلاج ضد السكر والصداع الناتج عن السكر (Lucas, p. 30).

كانت صناعة الخمور منتشرة فى الوجهين البحرى والقبلى. وقد اشار إلى ذلك السيوطى فى القرنين ١٥ ـ ١٦م فقال "فى سنة ثلاث وتسعين واربعمائة امر الحاكم بقطع جميع الكروم التى بديار مصر والصعيد والإسكندرية ودمياط". وكانت هذه الصناعة من الصناعات الواسعة الإنتشار فى مصر عامة والإسكندرية خاصة فيما قبل العصر الإسلامى. وجاء ايضاً عن مدينة نيس أن الصناعات فيها إعتمدت على المنتجات الزراعية فى صناعة السكر وعصر الزيوت وطحن الغلال وعمل الفقاع وربما تركيب بعض العقاقير أو العطور (عاصم محمد رزق عبد الرحمن: "مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية"، ص ١١٠، ١٧٥) وكانت الفيوم أكبر ولاية لصناعة النبيذ. وبالمتحف القبطى عدة امفورات (قدور) ذات شكل مخروطى لخزن النبيذ، وكانت تطلى من الداخل بمواد راتنجية حتى تسد مسام جدارها المصنوع من الفخار. وكان "المزر" و"النيدة" تصنعان فى الفسطاط بتخمير القمح أو الشعير بجوار صناعة الفقاع والنبيذ.

صناعة الصابون

صناعة الزيوت والصابون لها تاريخ قديم فى مصر. وقيل إن الأقباط أول من صنع الصابون فى القرن الثالث الميلادى. وقد وردت الإشارة إلى قفط فى بعض المصادر العربية تؤكد أنها كانت من بين صناعات مدينة قفط خلال العصر الإسلامى منذ ما قبل القرن (٥ هـ/١١م) وحتى

العصر الأيوبى فى القرن (٦ هـ/ ١٢م). وفيما يتعلق بصناعة الصابون ما ذكره الإدريسى فى القرنين (١١ ـ ١٢م) بقوله: "وبها مزارع كثيرة للبقول مثل اللفت والخس وذلك لانهم يجمعون بذورها ويطبخونها ويستخرجون ادهانها ويصنعون منها انواعا من الصابون يتصرفون به فى جميع أرض مصر ومنها ما يتجه به إلى كل الجهات وصابونها معروف بالنظافة" (١٠٦٦م). والمراجع الحديثة عن العصر الأيوبى تذكر استخراج زيت السمسم والخردل والقصب والخس وكانت من أهم الصناعات المصرية فى العصر الإسلامى، وقد استخدمت هذه الزيوت فى مجالى الإضاءة وصناعة الصابون فى مدينة قفط (١٠٦٧م) (عاصم محمد رزق عبد الرحمن: "مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤).

الصباغة

تعتبر الصباغة من الصناعات الهامة والتى لازمت صناعة المنسوجات منذ فجر التاريخ فى مصر القديمة وامتدت عبر العصر الهلنستى وعصر الحكم العربى فى مصر. وهناك برديتان من القرنين الثالث والرابع الميلاديين فيهما وصف لطرق الصباغة والمواد الصابغة وذكرت الألوان المستخدمة والأنواع الأساسية من مواد الصباغة مثل الأرخيل archil وهى صبغة بنفسجية تستخرج من طحالب بحرية تنمو على صخور البحر الأبيض المتوسط والقوة Alkanet وهى صبغة حمراء من نبات الفوة، وصبغة حمراء من حشرة القرمز التى تتكاثر وتعيش على أشجار السنديان فى شمال إفريقيا وجنوب شرق آسيا. أما اللون الأزرق فكان يستخرج بطريقة تخمير أوراق نبات النيلة ومنها نوع كان يزرع فى النوبة وكردفان وسنار والحبشة واستخدم فى العصور القبطية، وقال المقريزى أن النيلة كانت تزرع فى مصر فى القرن الرابع عشر. والصبغة الزرقاء تؤخذ من نبات الوسمة Woad وكان يزرع فى الفيوم من القرن الأول إلى الرابع الميلادى. وقام فيستر Pfister بفحص كميات كبيرة من المنسوجات المصبوغة باللون الأزرق عثر عليها فى مصر العليا ويرجع عهدها إلى القرون ٣ ـ ٧ بعد الميلاد. وبعض هذه المنسوجات القديمة مصبوغ بأحمر الفوة Mudder أو القرمز. واستخدم الأقباط مواد مثبتة للصبغة منها الشبه Alum وكبريتات الحديد. وعثر على أطلال مصبغة قرب سوهاج وأخرى فى كوم البريجات من العصر الرومانى.

(Lucas: "Ancient Egyptian Materials and Industries", pp.172 - 177)

وكان للأقباط حظ وافر فى إنتاج المنسوجات والتى كان منها ما يصدر إلى روما وبيزنطة لاسيما المنسوجات الفاخرة التى كانت تستعمل كثيراً فى الكنائس والأديرة. واستخدمت الألوان فى عصر الولاة للتمييز بين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة، وذكر المقريزى أن الخليفة المتوكل أمر الذميين (سنة ٢٣٥ هـ) بلبس الطيالس العسلية وعمل رقعتين على لباس رجالهم تخالف لون الثوب على قدر كل واحدة منها أربع أصابع ولون كل واحدة منها تختلف عن لون الأخرى. واشتهرت أخميم باستخلاص الصبغة الحمراء المستخلصة من نبات السلجم، واشتهرت أسيوط بالصباغة أيام الحكم العربى حيث كانت تأتيها مواد الصباغة من الواحات المجاورة. وكان لتقدم صنعة الكيمياء فى العصر الفاطمى وخبرة الصباغين الأقباط الكيماوية أثر كبير فى إزدهار فن

الزخرفة فى الأقمشة المنسوجة. واستخدم الأقباط ألواح الخشب لطبع الزخارف، ومن مراكز الصباغة أيضاً الإسكندرية. ويقول المقريزى إن الفسطاط كانت من أهم مراكز صناعة الأصباغ فى مصر (السيد طه أبو سديره: "الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية"، ص ٣٩ ـ ٤٦).

صناعة الشمع

كانت صناعة الشمع من الصناعات الرائجة فى مصر فى العصر القبطى ثم فى أيام الحكم العربى لمصر. وذكرها ابن ظهيره فى القرن (١٠ هـ/١٦م) بقوله إن "بمصر الشمع الذى يفضل شمع الدنيا". ويقول اسامه الخولى ان المسيحية ادخلت الشمعة المصنوعة من شمع النحل فى القرن الثالث الميلادى (اسامه الخولى: "تاريخ العلم والتكنولوجيا"، ص ٧٩) وبالمتحف القبطى العديد من الشمعدانات ومصابيح الزيت.

صناعه السكر والعسل

إشتهرت فى مصر الفسطاط والمنيا وسمنود بصناعة السكر. وقد وصف المؤرخون مطابخ السكر فى الفسطاط واستمرت مطابخ السكر بها خلال القرون ١٤، ١٥م كما ذكرها المقريزى (٣٦٤ ـ ١٤٤٢م)، وتأكد استمراريتها خلال القرن الخامس عشر طبقاً لما ذكره ابن دقماق (١٤١٦م) الذى أحصاها فى ثمانية وخمسين مطبخاً ذكرها تفصيلاً بأسماء مالكيها. ومنذ عام ٧٥٠م كانت زراعة قصب السكر فى مصر قد أصبحت من أنجح الزراعات فى دلتا النيل.. فتقدمت مصر (الفسطاط) كل البلدان التى أسست فيها هذه الصناعة وحققت أعظم التحسينات فى صناعة التكرير. ومن السكر صنع المصريون فى الفسطاط وغيرها نوعاً من الحلوى يسمى "القند" نقلها الأوربيون بنفس التسمية العربية فقالوا Candy. أما صناعة العسل الأبيض والإسود فقد قامت بالفسطاط جنباً إلى جنب مع صناعة السكر. (عاصم محمد رزق عبد الرحمن: "مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية"، ص ٢٤ـ٢٥).

الدباغة

يرجع تاريخ الدباغة إلى مصر الفرعونية فقد كان الكاهن الاكبر يلبس جلد النمر، وكانت النعال وسروج الخيل وغير ذلك من الجلد. ويقول عاصم محمد رزق (مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية ص ٢٩) "ورث المسلمون عن أقباط مصر صناعة الجلود واهتموا فى هذا المجال بشكل خاص بالسروج وأدوات الركوب ... وجلود الكتب والخفاف والأحذية والأحزمة والقرب وغيرها". وصناعة الدباغة كانت قائمة فى الفسطاط، وعثر فى حفائر الفسطاط على بقايا نعال منها ما يزخرف بالذهب أو يرصع بالدر والجوهر، أو يزركش بالقصب والخيوط الملونة. وكان الرق يستخدم للرسم ومن هذا مجموعة من الصور المرسومة بالمداد على الرق ترجع إلى ما بين القرنين (٥ـ ٨ هـ /١١ـ ١٤م) عثر عليها فى حفائر الفسطاط وعليها صور آدمية واشكال حيوانات وطيور محفوظة بالمتحف الإسلامى (عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية، ص ٢٩-٣٠).

المراجع العربية

١ ـ أبو المكارم: "تاريخ الكنائس والأديرة فى القرن الثانى عشر الميلادى"، جزء أول وثان،إعداد الراهب صموئيل السريانى، المعهد القبطى، ١٩٨٤م.

٢ ـ ابن البيطار: "كتاب الدرة البهية فى منافع الأبدان الإنسانية"، ١٩٣٩م، يطلب من محمد عبد الله الغزالى بادارة توزيعات وزارة المعارف العمومية.

٣ ـ ابن أبى أصيبعه: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء"، شرح وتحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

٤ ـ ابن سينا: "القانون فى الطب. ثلاث أجزاء". مؤسسة الحلبى، القاهرة، ١٩٧٣م.

٥ ـ ابن النفيس: "الموجز فى الطب"، وزارة الأوقاف. القاهرة ، ١٩٨٦م.

٦ ـ ابراهيم صبرى: "تاريخ حياة مارمرقس الإنجيلى"، دائرة المعارف القبطية الأرثوذكسية، القاهرة، (ليس عليه تاريخ طباعة).

٧ ـ أحمد عيسى: "معجم الأطباء" من سنة ٦٥٠ هـ إلى يومنا هذا"،القاهرة ، ١٩٤٢م.

٨ ـ أحمد بدوى وهرمان كيس: "المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة" الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٥٨م.

٩ ـ أحمد فخرى: "مصر الفرعونية"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م.

١٠ ـ أحمد سعيد الدمرداش: سلسلة كتابك دار المعارف، ١٩٧٧م.

١١ ـ اسامه امين الخولى: "تاريخ العلم والتكنولوجيا"، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م، (مترجم).

١٢ ـ انطون زكرى: "الطب والتحنيط فى عهد الفراعنة" مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٢٦، (مترجم).

١٣ ـ القفطى (يوسف القفطى): "أخبار العلماء بأخبار الحكماء"، دار الآثار للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (ليس له تاريخ نشر).

١٤ ـ بحوث الندوة القومية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب. جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمى العربى، جزئ ـ بغداد ، ١٩٨٩م، الجزء الأول ص ١٣، ٤٠ ـ ٥٥، ٦٦.

١٥ ـ القمص تادرس يعقوب ملطى: "الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية" مطبوع فى كندا، ١٩٨٦م.

١٦ ـ تاريخ البطاركة: جزءان. طبعة خاصة للدارسين بالمعهد القبطى، القاهرة.

١٧ ـ تاريخ الحضارة: "العصر اليونانى الرومانى"، المجلد الثانى، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر، مكتبة مصر، القاهرة.

١٨ ـ الأب جورج شحاته قنواتى: "تاريخ الصيدلة والعقاقير"، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٩٢م.

٢٠ ـ جورج سارتون: ترجمة عبد الحميد صبرة، "العلم القديم والمدنية الحديثة"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،١٩٥٤م.

٢١ ـ حبيب جرجس : "أسرار الكنيسة السبعة"، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٦٨م.

٢٢ ـ حسن كمال: "الطب المصرى القديم"، مجلد أول وثان، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر، القاهرة ،١٩٦٤م.

٢٣ ـ حسن الباشا: "القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها"، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٤ ـ خليل مسيحه جرجس: رسالة دكتوراه "تأثير الطب الفرعونى على الطب المصرى فى الفتره ما بين القرن الثالث قبل الميلاد إلى السادس الميلادى،"المعهد العالى للدراسات القبطية، ١٩٩٢م.

٢٥ ـ دليل المتحف اليوناني الروماني: طباعة هيئة الآثار المصرية، القاهرة.

٢٦ ـ مرقس سميكة: "دليل المتحف القبطى وأهم الكنائس والأديرة الأثرية"، جزءان، للطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٣٠م.

٢٧ ـ داود الإنطاكي: "تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب"، مطبعة محمد المليجى بالأزهر، القاهرة ، ١٣١٧ هـ.

٢٨ ـ رينيه باسيه: (إعداد وتعليق الراهب صموئيل السريانى)، "السنكسار القبطى اليعقوبى"، المعهد القبطى جزءان.

٢٩ ـ سليم حسن: "مصر القديمة"، المجلد وقم ١٤، القاهرة، ١٩٤٥م.

٣٠ ـ سعد الخادم: "الصناعات الشعبية فى مصر"، القاهرة.

٣١ ـ سيد توفيق: "معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية"، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م.

٣٢ ـ شمس الرياسة ابو البركات المعروف بابن كبر: "مصباح الظلمة فى إيضاح الخدمة"، مكتبة الكاروز بجزيرة بدران، ١٩٧١م، جزء أول.

٣٣ ـ عبد الرحمن زكي: "مشاهير أطباء القبط فى العصر الإسلامى"، طباعة معهد الدراسات القبطية، ١٩٧٠م.

٣٤ ـ على ابراهيم حسن: "مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى"، مكتبة النهضة، ١٩٤٧م .

٣٥ – عاصم محمد رزق: "مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى حتى مجئ الحملة الفرنسية"، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

٣٦ ـ عبد اللطيف أحمد على: "مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى"، دار النهضة العربية، ١٩٧٢م.

٣٧ ـ عبد العزيز صالح: "التربية والتعليم فى مصر القديمة"،الدار القومية للطباعة والنشر،

القاهرة، ١٩٦٦م.

٣٨ ـ كامل صالح. وفريد كامل: "تاريخ الأمه القبطية"، مكتبة المحبة بالقاهرة، ١٩٤٨م.

٣٩ ـ كمال السامرائي: "الكتاب النافع في كيفية تعليم الطب"، مركز إحياء التراث، جامعة بغداد، ١٩٨٦م.

٤٠ ـ محمد أحمد حسين: "مكتبة الإسكندرية"، مطبعة الإعتماد ومحسن الاكبر، القاهرة، ١٩٤٣م.

٤١ ـ (الأب) متى المسكين: "الرهبنة القبطية في مصر"، مطبعة دير القديس الأنبا مقار بوادى النطرون ، ١٩٨٤م.

٤٢ ـ منير البعلبكي: "قاموس المورد"، انكليزى ـ عربى، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٨٧م.

٤٣ ـ محمد عبد العزيز مرزوق: "الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى"، المكتبة الثقافية، ١٩٦٣م.

٤٤ ـ مراد كامل: "حضارة مصر في العصر القبطى"، القاهرة ، ١٩٦٨م.

٤٥ ـ مصطفى العبادى: "مصر من الإسكندر الاكبر إلى الفتح العربى"، القاهرة ، ١٩٨٤م.

٤٦ ـ محمد صقر خفاجى وأحمد بدوى: هيرودوت يتحدث عن مصر"، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦م.

٤٧ ـ نبيل راغب: "عصر الإسكندرية الذهبى"، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م.

٤٨ ـ هنرى أمين عوض: "الجراحة فى العصر الإسلامى"، محاضرة فى الندوة القومية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمى العربى، جامعة بغداد، ١٩٨٩م.

المراجع الاجنبية

1 - Albert Neuberger: "Technical Arts and Sciences of the Ancients" Me theun & Co. Ltd, London, 1930.

2 - Badawi A. "Kom Ombo Sanctuaries", Instit. Fr. d´archeologie Orient. Le Caire.

3 - Breasted J.H: "The Edwin Smith Surgical Papyrus", vol. I, The Univ. press of Chicago, Illin., 1930.

4 - Charles Loret: "Les plantes dans l´intiquites et au moyen age", Paris, 1938.

5 - Chassinat É. "Un pap, Medicale Copte", Le Caire 1921. Méme. de L´Instit. Franç. d´archeol-Orient. du Caire, I, XXXII.

6 - Carol Andrews: "Egyptian Mummies", British Museum publ, 1985.

7 - Chancy Leake: "The old Egyptian Medic. papyri 1952.

8 - Dinkler: "La Science Pharmacentique chez les Anciens Egyptiens, Bull. de L´Instit. d´Egypte, Serie 3, vol. 9, 1899.

9 - Edward Lambetet: "Gods and Goddesses in Ancient Egypt", Lehnent & Lendrock, Cairo, 1986 .

10 - Garrison´s: History of Medicine, Oxford, 1922.

11 - Ghalioungui P: "Magic and Medical Science in Ancient Egypt", Hodder and Staughton, Great Britain, 1963.

الفصل التاسع

التقويم القبطى

م. داود خليل مسيحه

التقويم القبطى هو نفسه التقويم المصرى القديم، وقد اصطلح المؤرخون على أن بداية استعمال المصريين للتقويم تعود إلى عام ٤٢٤٠ ق.م.

التقويم المصرى القديم

المرحلة الأولى: السنة المدنية - كان من المشاهدات الفلكية لدى قدماء المصريين أن يوم إبتداء الفيضان كان يصادف يوم الطلوع الشمسى لنجم الشعرى اليمانية (ويسميه المصريون القدماء سبدت)، وقد كان ظهور النجم فى الأفق الشرقى عند خط عرض ٣٠ قبل الشروق بعشر دقائق. والسنة على ذلك وعددها ٣٦٥ يوما هى المدة الفاصلة بين شروقين إحتراقيين للنجم المذكور (نجيب ميخائيل: "مصر والشرق الأدنى القديم"، ص ٤٤) وقسموا سنتهم إثنى عشر شهراً. وجعلوا كلا منها ثلاثين يوما وخصصوا أربعة أشهر لفصل الفيضان وأربعة أشهر للزراعة وأربعة أشهر للحصاد ثم اضافوا إليها خمسة أيام سموها الشهر الصغير وهى أيام النسئ (صبحى شلبى: "مختصر مفيد عن التقويم القبطى"، ص ٤) وأعطيت الشهور أرقاماً أول الأمر ثم أطلقوا عليها أسماء منذ العصر الفارسى (حوالى القرن ٦ ق.م) هى الأسماء المعروفة الآن بأسماء شهور السنة القبطية (نجيب ميخائيل: "مصر والشرق الأدنى القديم"، ص ٤٣).

وحين مضى على هذا التقويم عدة قرون لاحظ المصريون أن أول أيام العام الجديد أخذ يتأخر عن يوم بدء الفيضان بمدة كما لاحظوا ان أشهر بذر الحبوب التى كانت تقع فى الشتاء أخذت تقع فى فصل الصيف (مراد كامل: "حضارة مصر فى العصر القبطى"، ص ١٩٤).

المرحلة الثانية: وقد نشأ عيب فى التقويم المصرى نتيجة ان السنة المدنية تنقص عن السنة الشمسية بربع يوم تقريبا. وفى عام ٢٣٨ ق.م. صدر مرسوم ملكى باسم بطليموس الثالث نشر فى كل أنحاء البلاد حيث اجتمع الكهنة بهيئة مجلس كهنة فى معبد بمدينة كانوب (أبى قير الحالية) وقرروا إضافة ربع يوم إلى سنتهم فأصبح طولها ٣٦٥ يوما و٦ ساعات متخذين نجم الشعرى اليمانية أساساً لبناء تقويمهم، وبذلك إنصلح الخطأ وأصبحت الفصول تتوالى بنظام مطلق على حسب النظام الفعلى لطقس مصر، وعرف حينذاك نظام الكبس أى أن كل أربع سنوات يكون ثلاث منها طول الواحدة ٣٦٥ يوما فقط وسنة واحدة يكون طولها ٣٦٦ يوماً (صبحى شلبى: "مختصر مفيد عن التقويم القبطى"، ص ٦).

الدولة الرومانية والتقويم المصرى

ألغى يوليوس قيصر إستخدام التقويم بالسنة القمرية الذى كان شائعا فى الدولة الرومانية

وانشأ تقويماً شمسياً استعان فيه بالفلكي المصري سوسيجنس الذي قدر سنة التقويم ٣٦٥ يوماً وربع اليوم، واستخدم طريقة السنة الكبيسة مرة كل أربعة أعوام. وأمر يوليوس قيصر باستخدام هذا التقويم رسمياً في عام ٧٠٨ من تأسيس روما وهي سنه ٤٦ ق.م. وسمي هذا التقويم باليولياني نسبة إلى يوليوس قيصر.

واستمر العمل بهذا التقويم حتى سنة ١٥٨٢م حين لاحظ الفلكيون في عهد بابا روما جريجوريوس الثالث عشر خطأ في الحساب الشمسي وأن الفرق بين السنة المعمول بها والحساب الحقيقي ١١ دقيقة و١٤ ثانية وهذا الفارق اليسير يعادل يوماً في كل ١٢٨ عاماً، وقد صحح البابا جريجوريوس الخطأ المتراكم فأصبح يوم ٥ اكتوبر من سنه ١٥٨٢م يوم ١٥ اكتوبر سنه ١٥٨٢م وهو التقويم المعروف بالجريجوري السائد الآن (مراد كامل: "حضارة مصر في العصر القبطي"، ص ٢٠٠).

أشهر السنة المصرية القديمة

يعتقد أن المصريين كانوا ينطقون أشهر السنه بأسمائها التي بقيت في اللغة القبطية. وأشهر السنة المصرية القديمة هي:

توت: ويبدأ من ١١ سبتمبر الى ١٠ اكتوبر، ومعناه شهر الإله توت أو تحوت، ويرمز له بالطائر المقدس أبو منجل "أبيس" الذي يأتي في بدء السنة الزراعية مبشراً الفلاح ببدء الزراعة. وكان يعتبر إلهاً للعلم والحكمة والمعرفة ويقول المثل العامي "توت رى ولا فوت" أي أن الزارع الذي لا يستطيع رى أرضه في هذا الشهر لا يستفيد بزراعتها.

بابة: ويبدأ من ١١ اكتوبر إلى ٩ نوفمبر، ومعناه شهر ابة اى عيد الإله أمون في طيبة، ويقول المثل العامي "بابه خش واقفل الضرابة" إشارة إلى قفل الضرابة من البرد.

هاتور: ويبدأ من ١٠ نوفمبر إلى ٩ ديسمبر، ومعناه شهر حتحور إلهة الخصب والجمال، ويقول المثل العامي "هاتور أبو الذهب المنثور" كناية عن زراعة القمح الذي تشبه حبوبه الذهب.

كيهك: ويبدأ من ١٠ ديسمبر إلى ٨ يناير، ومعناه كاهاكا اى إجتماع الأرواح، وهو أحد الأعياد القديمة. ويقول المثل العامي "كياك صباحك مساك شيل إيدك من غداك وحطها في عشاك" إشارة إلى قصر النهار في هذا الشهر وطول ليله.

طوبة: ويبدأ من ٩ يناير إلى ٧ فبراير ومعناه الأعلى أو الأسمى وهو عيد القمح. ويقول المثل العامي "طوبة تزيد فيه الشمس طوبة" إشارة إلى طول النهار بمقدار طوبة ويشتد فيه البرد.

امشير: ويبدأ من ٨ فبراير، إلى ٩ مارس، ومعناه شهر مشير إله الريح والعواصف. ويقول المثل العامي "أمشير أبو الزوابع الكتير يأخذ العجوزة ويطير" إشارة إلى كثرة الزوابع.

برمهات: ويبدأ من ١٠ مارس الى ٨ ابريل، وينسب للفرعون أمنحتب. ويقول المثل العامي "برمهات روح الغيط وهات" كناية عما يجمعه الفلاح من المحاصيل الزراعية التي تنضج في هذا الشهر.

برمودة: ويبدأ من ٩ ابريل الى ٨ مايو، ومعناه شهر رنودة او رنوتة إلهة الحصاد. ويقول

المثل العامى "برمودة دق العمودة" أى دق سنابل القمح والشعير بعد نضجها وفصل الحبوب عن غلفتها بالعصا الغليظة.

بشنس: ويبدأ من ٩ مايو الى ٧يونيو، ومعناه شهر خونسو إله القمر. ويقول المثل العامى "بشنس يكنس الغيط كنس" إشارة إلى خلو الأرض من المحاصيل بعد حصادها.

بؤونة: ويبدأ من ٨ يونيو الى ٧ يوليو، ومعناه شهر باأونى وهو وادى الحجارة بطيبة أى عيد جبانة وادى الملوك. ويقول المثل العامى "بؤونة نقل القمح وتخزينه للمؤونة" إشارة إلى درس القمح فى هذا الشهر ونقله وتخزين المقدار المخصص للمؤونة.

وكانت ليلة ١١ بؤونة - ١٧ يونيو - توافق نزول النقطة فتميل مياه النيل إلى الخضرة وتكون بشيرا ببدء الفيضان.

أبيب: ويبدأ من ٨ يوليو الى ٦ أغسطس، وهو عيد الإلهة أبيبى ومعناه فرح السماء. فقد كان المصريون القدماء يعتقدون أن الإله حورس إنتقم لأبيه أوزوريس الذى يمثل الخير من عدوه ست إله الشر الذى يمثل الأرض الجدباء، أى انتصار الخير على الشر أو الفيضان ضد التحاريق. ويقول المثل "أبيب فيه العنب يطيب" و"أبيب ماء النيل يدب دبيب" أى يزداد فيه ماء الفيضان المتدفق بصوته ورنينه.

مسرى: ويبدأ من ٧ اغسطس إلى ٥ سبتمبر، وأصله "مس را"، ومعناه ابن رع إله الشمس. ويقول المثل العامى "مسرى تجرى فيه كل ترعة عسرة" "وإن فاتك مسرى ماتلقاش ولاكسوة"

(وليم نظير: الثروة النباتية عند قدماء المصريين، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٨- ٤١).

تطور التقويم المصرى إلى القبطى:

حدد المصريون الأقباط بدء تاريخهم بيوم ٢٩ اغسطس سنه ٢٨٤ ميلادية الذى إستشهد فيه الكثير منهم، وذلك بنفس التقويم الذى استخدم فى مصر قبل ذلك التاريخ. وتسمى هذه الحلقة من التقويم المصرى بالتقويم القبطى. ويطلق عليه تقويم الشهداء، وهو يتبع الحساب اليوليانى ولذلك نجد الخطأ المتراكم بين الحساب اليوليانى والحساب الجريجورى قد بلغ ١٣ يوماً فى التقويم القبطى (مراد كامل: "حضارة مصر فى العصر القبطى"، ص ٢٠١). وقد قسم الأقباط الشهر إلى أربعة أسابيع بدلاً من ثلاث عشرات كما كان يفعل قدماء المصريون، وسميت أيام الأسبوع بأعدادها فيقال : الأحد الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت (جورجى صبحى: "قواعد اللغة المصرية القبطية"، ص٩٤).

حساب الأبقطى

الأبقطى[1] أى ⲠⲞⲔⲦⲎ - ⲁ† كلمة قبطية معناها الحرفى الفاضل أو الباقى، ويقصد بها فاضل الشمس أو فاضل القمر، ويستعمل هذا الباقى فى عمليات حسابية متعددة للوصول إلى موعد فصح اليهود، وبالتالى موعد عيد القيامة والأعياد الأخرى المرتبطة به. وفكرة الأبقطى

١ - لمزيد من المعلومات عن "الابقطى"، راجع مقال د. رشدى واصف بهمان، موسوعة من تراث القبط الجزء الثانى بعنوان "حساب الابقطى"

تأسست على أساس أن الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية قدره ١١ يوماً وكسور (لبيب يعقوب صليب: "الجغرافية الفلكية للكتاب المقدس"، ص ١٥٧)، وأن هناك دورة كاملة للقمر في الفضاء بالنسبة إلينا تبلغ مدتها ١٨,٦ سنة شمسية كما أن هناك متوسطاً عاماً لطول الشهر القمري في الدورة الكاملة وهو ٢٩ يوماً و١٢ ساعه و٤٤ دقيقة وثلاثة ثواني، ويمكن التنبؤ بمقتضاه عن الأهلة الجديدة وأوجه القمر لمئات السنين.

وقد أسس حساب الأبقطي في القرن الثاني للميلاد الأنبا ديمتريوس الكرام البابا الثاني عشر من بابوات الإسكندرية الذي قدم للبابا يوليانوس البابا الحادي عشر عنقود عنب في غير أوان العنب، وكان يخرج رسالة يوجهها إلى جميع الكنائس ليعيدوا عيد القيامة بحسبه، وقد ضبط حساب ذبح خروف عيد الفصح عند اليهود وعيد قيامة السيد المسيح تابعاً في ذلك حساب الفلك الذي وصفه بطليموس الفلكي صاحب كتاب المجسطي (الأنبا إيسيذورس: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، حـ ١، ص ١٥٩، ١٦٠)، وكذلك القاعدة الفلكية التي وصفها الفلكي ميتون في القرن ٥ ق.م. وهي أن كل سنة شمسية تعادل ٢٣٥ شهراً قمرياً كاملاً بغير كسور (مراد كامل: "حضارة مصر في العصر القبطي"، ص ٢٠٢).

وكان مجمع نيقية في عام ٣٢٥م قد قرر أن الاحتفال بذكرى قيامة السيد المسيح يكون في الأحد التالي بعد ظهور البدر الكامل الذي يلي الإعتدال الربيعي بحيث يأتي بعد فصح اليهود بحيث لا يعيدون الفصح قبل اليهود ولا معهم (الأنبا ايسيذورس: "الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة"، حـ ١ ص ٢٩٥). وقد أخذ الغربيون حساب الأبقطي وطبقوه على التقويم الروماني اليولياني، فاتفقت الأعياد المسيحيه عند جميع المسيحيين كما كان يحددها التقويم القبطي حتى عام ١٥٨٢م حين ضبط الغربيون تقويمهم بالتعديل الجريجوري. والشهور القبطيه كما تعرف الآن هي:

توت	سبتمبر - اكتوبر
بابة	اكتوبر - نوفمبر
هاتور	نوفمبر - ديسمبر
كيهك	ديسمبر - يناير
طوبة	يناير - فبراير
أمشير	فبراير - مارس
برمهات	مارس - ابريل
برمودة	ابريل - مايو
بشنس	مايو - يونيو
بؤونة	يونيو - يوليو
أبيب	يوليو - اغسطس
مسرى	اغسطس - سبتمبر
النسئ	سبتمبر

(مراد كامل: "حضارة مصر فى العصر القبطى"، ص ٢٠٣)

واسماء الشهور القبطية المستعملة فى مصر الآن والمنقولة إلى العربية أخذت من اللهجة الصعيدية (ملاك ميخائيل وحبيب الشاروني: "المرجع في قواعد اللغة القبطية، ص ١٧٠").

المواسم والأعياد القبطية حسب التقويم القبطي:

وهى تنقسم إلى قسمين:

أعياد ثابته: مثل أول توت رأس السنة القبطية أو عيد النيروز، و١٧ توت تذكار عيد الصليب و١١ طوبه عيد الخطاس وغيرها، وهى تأتى فى موعدها المحدد لها فى الكتب الطقسية مثل كتاب السنكسار أو كتاب القطمارس وغيرها.

أعياد متحركة: وهى الأعياد المرتبطة بعيد القيامة وايام أسبوع الآلام والأعياد المرتبطة به.

(لبيب يعقوب صليب: "الجغرافيه الفلكية للكتاب المقدس"، ص ١٥١، ١٥٢).

التقويم القبطى والقداس الإلهى

تضمنت القداسات القبطية مثل القداس الباسيلى والقداس الغريغورى والقداس الكيرلسى صلوات وطلبات من أجل الزرع والأهوية والثمار والمياه تقام فى مواسم خاصة أثناء السنة تبعاً للتقويم القبطى

(راجع الخولاجى المقدس)

التقويم القبطى والسنكسار:

يشمل سنكسار الكنيسة سير القديسين فى كل يوم من أيام السنة القبطية وهو مرتب على أيام الوفيات الحقيقية (راجع السنكسار القبطى اليعقوبى: نشره رينيه باسيه عام ١٩٢٩).

ومن أشهر العلماء الأقباط الذين كتبوا فى حسابات الأبقطى:

١ ـ شمس الرئاسة أبو البركات بن كبر:

وكان كاهناً منتمياً إلى الكنيسة المعلقة بمصر العتيقة وقد شغل منصب سكرتير أحد ضباط المماليك وهو ركن الدين بيبرس المنصورى. ومن أهم مؤلفاته كتاب "مصباح الظلمة فى إيضاح الخدمة".

وقد خُصص الباب الثالث والعشرون فى معرفة حساب الأبقطى، وتوفى هذا العالم فى العاشر من مايو ١٣٢١م. (جورج قنواتى: ص ٢٩١، ٢٩٢).

٢ ـ ابو شاكر بطرس بن ابى الكرم:

ويلقب أيضاً ابن مهذب الشماس ابن الراهب أزهر فى أواخر القرن الثالث عشر.

وله مؤلفات لاهوتية وعقائدية وله مؤلف إسمه كتاب التواريخ فى ٥١ فصلا لتعريف الأبقطى

والأعياد السيدية فى الكنيسة القبطية (جورج قنواتى: ص ٢٩١، ٢٩٢)

٣ ـ الأسعد أبو الفرج هبة الله ابن العسال:

أكبر أبناء العسال، من الممكن أن يكون قد مكث مع أخيه الصغير المؤتمن مدة فى دمشق وإغتنم هذه الفرصة ليزيد معارفه ويجمع المعلومات والكتب. وقد اشتهرت مكتبته بين العلماء لما كانت تجمع من كتب عديدة فى شتى المواضيع ـ توفى حوالى ١٢٦٠م.

ومن كتبه مختصر حساب الأبقطيات، فى ١٥ فصلاً. يشير المؤلف إلى طريقة تحديد تواريخ الأعياد المسيحية فى مختلف الطوائف المسيحية (جورج قنواتى ص ٢٧٦).

المراجع

١ ـ الأسقف ايسيذوروس: "الخريدة النفسية فى تاريخ الكنيسة" جزءان، قام بنشرهما القمص أرسانيوس عطا الله المحرقى، ١٩٦٤م.

٢ ـ صبحى شلبى: "مختصر مفيد عن التقويم القبطى المصرى"، القاهرة، ١٩٦٧م.

٣ ـ السنكسار القبطى اليعقوبى: قام على نشره رينيه باسيه باللغة الفرنسية عام ١٩٢٩م وأعاد نشره عن المخطوطات الأصلية بالعربية الأب صموئيل السريانى فى طبعة خاصة لدارسى معهد الدراسات القبطية، جزءان.

٤ ـ الخولاجى المقدس.

٥ ـ لبيب يعقوب صليب: "الجغرافية الفلكية للكتاب المقدس" ـ جزء أول، طبعة أولى، القاهرة، ١٩٦٨م.

٦ ـ مراد كامل: "حضارة مصر فى العصر القبطى"، مطبعة العالم العربى، القاهرة، ١٩٦٨م.

٧ ـ نجيب ميخائيل ابراهيم: "مصر والشرق الأدنى القديم"، الطبعة الثالثة ـ القاهرة، ١٩٦٠م.

٨ ـ جورجى صبحى: "قواعد اللغة المصرية القبطية"، أعاد نشره د. شاكر باسيليوس، القاهرة، ١٩٨٧م.

٩ ـ ملاك ميخائيل وحبيب الشارونى: "المرجع فى قواعد اللغة القبطية"، مطبوعات جمعية مار مينا العجايبى الإسكندرية، ١٩٦٩م.

١٠ ـ الأب جورج شحاته قنواتى: "المسيحية والحضارة العربية"، دار الثقافة، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٢م.

١١ ـ وليم نظير: "الثروة النباتية عند قدماء المصريين"، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٢ ـ رشدى واصف بهمان "التقويم وحساب الأبقطى"، الكلية الاكليركية اللاهوتية، طبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠١م.

الفصل العاشر

آلات بيان الوقت

م: داود خليل مسيحه

لم يكن الإنسان القبطي العادي في حاجة ماسة إلى تحديد الساعات والدقائق كما هو في عصرنا الحديث. إنما نجد أهميه هذا عند الرهبان ومن لهم صلة بالعبادة (مثل المزولة الموجود بقاياها في دير الأنبا شنوده بسوهاج والتي شاهدها كاتب المقال). وفي الصلوات والتقاليد القبطية الخاصة بالعبادة ذكر ساعات معينة، هذا غير إحتياج المشتغلين بعلم الفلك إليها. وآلات بيان الوقت كانت إما المزاول أو الساعات المائية. والمزولة تحتاج إلى شمس مشرقة أما الساعات المائية فيمكن قراءتها نهاراً أو ليلاً. وفي بعض المدن كانت تقام مزولة في ميدان عام أو في الأسواق (J.H. Breasted: Ancient Times, p. 537) وقد أخذها اليونانيون عن الفراعنة، حيث كان المصري القديم يضعها في حديقته.

والساعات الشمسية أو "المزولة" هي أجهزة قياس تستفيد من ظاهرة إتجاه الظلال وتغير طولها يومياً وسنوياً، وكانت من ملامح المدن الكلاسيكية الأثرية وكانت تقام في الساحات العامة والحمامات وقرب المعابد وبعض أفنية المنازل الشخصية. ومعظم الساعات الشمسية اليونانية الرومانية لها ملامح مميزة منها مجموعة خطوط تتشعع من مؤشر الظلال Gnomon وهي خطوط تحديد الساعة. وغالبا ما تقسم فتره النهار إلى إثنا عشرة قسماً متساوية. وهناك مجموعة خطوط منحنية تتقاطع مع خطوط الساعات وهي منحنيات اليوم والتي تحدد أيام خاصة في السنة وهي الإنقلاب الصيفي والشتوي والإعتدال الشمسي. وهذه الخطوط والمنحنيات محفورة على الوجه الذي يتلقى الظلال وسطحه مخروطي أو إسطواني أو كروي. وأغلبها ذات سطح مخروطي، وهو الذي إنتشر في العصر القبطي (البيزنطي) ثم الإسلامي. ومن أمثلتها ساعة شمسية مخروطية عثر عليها عام ١٨٥٢م في الإسكندرية قرب مسلة كليوباترا (التي نقلت لإنجلترا)، وهي من العصر البطلمي ومحفوظة بالمتحف البريطاني، ومنها نسخه بالمتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية. ومزولة أخرى شمسية يمكن حملها ومجهزة بعدة ميكانيكية من النصف الأول للقرن السادس الميلادي وهي غالباً من الإسكندرية ومحفوظة حالياً بمتحف العلوم - جنوب كينجستون / لندن، ومزولتان صغيرتان بشكل إسطواني عثر عليهما في حفائر نقراطيس عام ١٨٨٣م، واحداهما حالياً بالمتحف البريطاني. ومزولة شمسية عثر عليها في مركز الحج بابومينا عام ١٩٨٥م. وقد عثر عليها في الجانب الشمالي الغربي من الميدان الرئيسي المسمى ميدان الحج.

عن الساعات الشمسية راجع

(A. Neuburger: "The Technical Arts and Sciences of the Ancients", pp. 43-44)

أما الساعات المائية فأقدمها الساعة المائية المصرية القديمة والمحفوظة حالياً بالمتحف

المصرى. وهى عبارة عن إناء مخروطى الشكل عليه نقوش من الخارج وتقسيمات الساعات على جداره الداخلى، ومستوى الماء فيه يبين الوقت وقرب قاعه ثقب صغير يتسرب منه الماء ببطء. وقد حمل تحوتمس الثالث مثل هذه الساعة المائية فى حملته الأولى على فلسطين فى القرن الخامس ق.م، والساعة الموجودة بالمتحف المصرى ترجع إلى الأسرة ١٨ الفرعونية. (Hassan Kamal: Dict. of Pharaon. Medic, pp. 108-109)

أما الساعة المائية المركبة فقد اخترعها العالم السكندرى كتسبيوس والذى عاش فى الإسكندرية فى عهد بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ ـ ٢٤٧ق.م). ومن إختراعاته ايضاً الطلمبة والارغون المائى Hydraulic organ. والساعة المائية المركبة التى إخترعها كتسبيوس Ktes-ibios تعتمد فى عملها على نظرية السيفون الغاطس أو الأنبوبة الغاطسه. وهى تتكون من ثلاث أوان للماء ولها ثقوب تتحكم فى إنسياب الماء، والإناء السفلى به عوامة متصلة بروافع وتروس تحرك تمثالاً صغيراً أو أكثر وتحدث أصواتا موسيقية. والتروس مرتبطة بعمود إرتفاعه اربعة أقدام على السطح الإسطوانى والذى حفرت عليه علامات ساعات اليوم من رقم ١ حتى ١٢ من أسفل لأعلى، وعلى يمين أسفل العمود شكل سيدة تتساقط دموعها بإستمرار وتتجمع فى وعاء رأسى به عوامة ترتفع بالتدريج. وتحمل عليها شكل سيدة أخرى على الجانب الأيسر من العمود الغرض منها أن تشير إلى الساعة بواسطة قضيب بينما تتحرك حول العمود. وعندما يعبر شكل التمثال ساعات النهار الإثنى عشر ينفتح صمام فى الحجرة الكبيرة المجمعة للماء ثم ينساب خارجا إلى عجلة مائية تجعل الترس المسنن يعود بمسافة محسوبة بحيث يجعل العمود الإسطوانى يسجل بداية يوم، ويدور العمود حول محوره دورة كل ٣٦٥ يوماً. والساعة المائية كان يتم ضبطها طبقاً لما ذكره Diels لمقابلة الإختلاف فى طول الساعات فى الشتاء والصيف.

(Albert Neuburger: The Technical Arts and Sciences of the Ancients, pp. 226-228)

المراجع

1 - Albert Neuburger: "The Technical Arts and Sciences of the Ancients". Translated by Henry Brose, London, 1930.

2- The water clock an Egytian Invention, by Maria L. Brill: "Cairo Today". Sept. 1984, pp. 25- 27.

3- Hassan Kamal: "Dictionary of Pharaonic Medicine", The National Public, House Cairo, 1967, pp. 108 - 109.

4 - J. H. Breasted: "Ancient times", GINN and Co. Univ. of Chicago, 1935. pp. 537-540.

كان الملاحون فى العصور القبطية الأولى وربما منذ القرن ٣ ق.م يبحرون مسترشدين بمواقع النجوم ويرصدونها بالإستعانة بالة الأسطرلاب، والصورة لالة اسطرلاب تعود لعام ١٥٤٨م، ويحدد المؤشر الذى يدور حول محور منتصف دائرة الجهاز خط العرض بينما يتحدد ارتفاع النجم على الأفق بقراءة الحافة الدائرية المدرجة للجهاز، وقد ظل الملاحون يستخدمون الاسطرلاب حتى القرن ١٧م.

من آلات الرصد الفلكى فى عهد مدرسة الأسكندرية

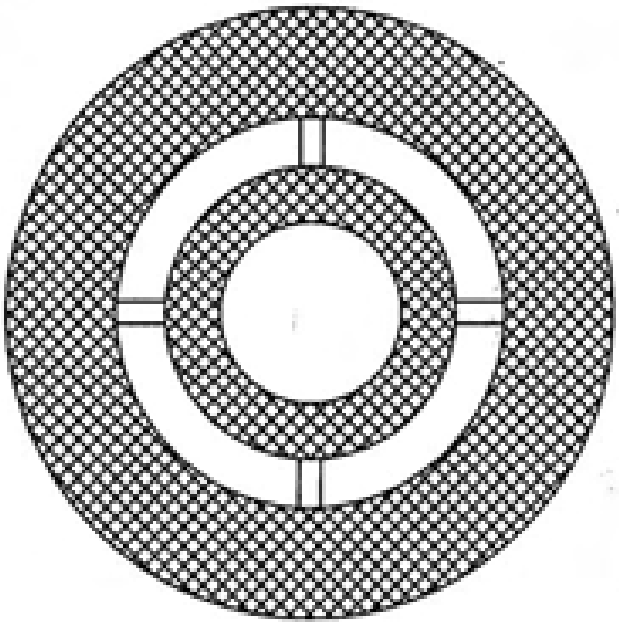

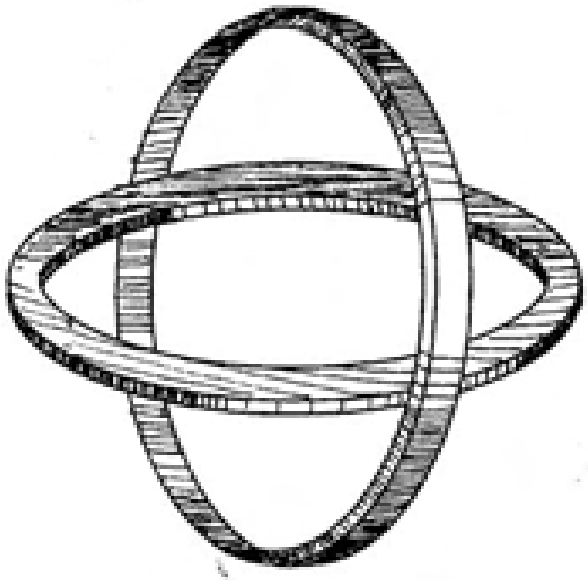

آلة فلكية من عهد مدرسة الأسكندرية توضع فى مستوى الزوال لتعيين ارتفاع الشمس فى منتصف النهار

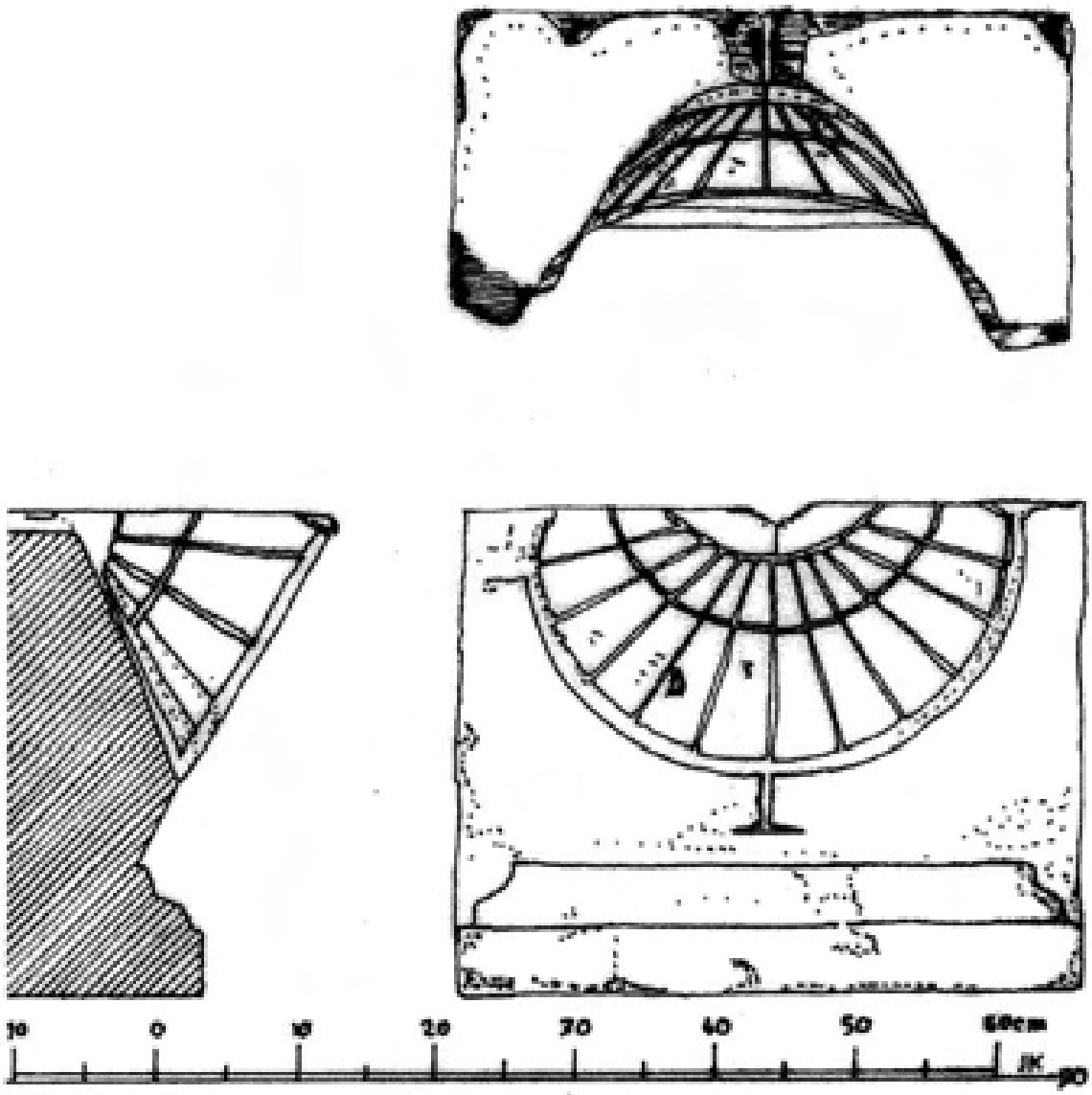

منظر امامى للمزولة (الساعة الشمسية) والجزء المستدير هو الذى يتلقى
اشعة الشمس وتتحدد الساعات على العلامات المحفورة

الفصل الحادى عشر

علماء الاقباط

م: داود خليل مسيحه

نبغ من الأقباط علماء فى الفلك والهندسة والرياضيات والكيمياء وغيرها ونقرأ أخبارهم متفرقة بين علماء أكاديمية الإسكندرية وفى كتب حكماء العرب مثل الرازى وابن سيناء وابن أبى اصيبعه والقفطى وفى دوائر المعارف وكتب تاريخ العلم الأجنبيه الحديثه. وسنوجز كلمه عن كل منهم:

اقليـــدس: درس الرياضيات فى أكاديمية الإسكندرية ونبغ فى عهد بطليموس الأول وربما إمتدت حياته إلى عهد بطليموس الثانى، وإشتغل بالرياضة البحتة، وله كتاب الأصول وهو أول ما وصل إلينا من المختصرات الجامعة فى علم الهندسة ويتألف من ثلاث عشرة مقالة. ووضع اقليدس مؤلفات أخرى فى الفلك والفيزيقا والموسيقى، وينسب إليه كتاب فى علم الضوء. والحجاج بن يوسف أول من ترجم "الأصول" إلى العربية ثم عكف الرياضيون الإسلاميون على دراسة اقليدس من الناحيتين الجبرية والهندسية. وقبل نهاية القرن التاسع الميلادى كانت قد دونت ترجمات ومناقشات اقليدس بالعربية بأقلام اسحق بن حنين وقسطا بن لوقا وغيرهم. من هذا نستنتج إن رياضيات اقليدس كانت شائعة بين علماء القبط حتى القرن ١٦م حين نشرت الطبعة الأولى للنص العربى كما أخرجه نصر الدين الطوسى فى روما سنه ١٥٩٤م. (عبد الحميد صبره: العلم القديم والمدنية الحديثة، ص ٥١ ـ ٨٤) ، (يوسف القفطى. أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٤٥ ـ ٤٨).

بطليموس: عاش فى النصف الأول من القرن الثانى للميلاد. ويقال إنه ولد فى بلدة إغريقية فى إقليم طيبة. وقد قام بالأرصاد الفلكية فى الإسكندرية من سنة ١٢٧ ـ ١٥١م، ووضع كتباً كثيرة كان أشهرها جميعاً كتاب "المجسطى" فى علم الفلك، والفلك كان فرعاً من الرياضيات، وكان علم الفلك عند بطليموس، كما هو عند هيبارخوس، مبنياً على الأرصاد. واستخدم بطليموس نفس الآلات التى استخدمها هيبارخوس مثل حلقة دائرة ونصف النهار والإسطرلاب والربع الحائطى وغيرها. والمجسطى ينقسم إلى ثلاثة عشرة مقالة ضمنها برهان على كروية الأرض، ويتكلم فى طول السنة وحركة الشمس وحركة القمر والكسوفات الشمسية والقمرية والنجوم الثوابت وحركات الكواكب السيارة... إلخ. وحدد المجسطى ما نسميه "النظام البطلمى عن نظام المجموعة الشمسية بإعتبار الأرض مركزاً له. وكتب بطليموس كتابه أو "دليله فى الجغرافية"، وظل المجسطى ودليل الجغرافية المراجع المعتبرة فى الفلك معه لمدة لا تقل عن ١٤ قرنا. ومن كتبه المهمة "كتاب الأربعة " Tetrabiblos فى التنجيم والذى ترجم لليونانية وغيرها من اللغات (عبد الحميد صبره: "العلم القديم والمدنية الحديثة"، ص ٨٦ ـ ١٥٢) (يوسف القفطى: "أخبار العلماء بأخبار الحكماء"، ص ٦٧ ـ ٦٩).

مـنـالاوس: الرياضى من أتمه الهندسة وعاش فى الإسكندرية وله كتب ترجمت للعربية وله من التعاريف كتاب "معرفة كيفية تمييز الأجسام المختلفة". (القفطى: ص ٢١١).

ثاؤن: مهندس رياضي إسكندراني، وهو بعد بطليموس وله كتاب "العمل بالإسطرلاب" وكتاب "المدخل إلى المجسطي" (القفطي ص ٧٦).

فنون الإسكندري: أحد علماء مصر في الزمن الأول من أهل الإسكندرية. إمام في علم الرياضيات والفلك وحركات النجوم وصاحب كتاب "القانون" أو كتاب الأفلاك. جاء زمانه بعد بطليموس صاحب المجسطي (القفطي: ص ١٧٢).

ذيوفنطس السكندري اليوناني: من علماء الرياضيات، مشهور في دقته. وله كتاب في علم الجبر، ترجم إلى اللغة العربية (القفطي: ص ١٢٦).

ابرن الإسكندراني: من كتبه كتاب في شرح أقليدس، وكتاب الحيل الروحانية (الميكانيكا) (القفطي: ص٥٣).

افطيمن الاسكندراني:الحكيم الرياضي الفاضل، كان عالماً بالرياضة محققاً للأرصاد وخبيراً بعمل الآتها وعاش قبل بطليموس القلوذي (القفطي: ص٥٠).

أبولونيوس النجار: رياضي له كتاب في المخروطات وكتاب في علم أحوال الخطوط المنحنية، وهو من أهل الإسكندرية (القفطي: ص ٥٤ . ٥٥) وفي تاريخ ابن الهيثم أنه كتب كتاب فيه الأصول الهندسية والعددية أخذه عن كتب أقليدس وابولونيوس (ابن ابي اصيبعة: "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، ص ٤ . ٥).

هيرو السكندري Heron of Alexandria ويظن انه عاش حتي القرن الثالث بعد الميلاد وكتب في الميكانيكا وتعليقات على أقليدس وكتاب سماه "Pneumatica" فيه الكثير عن استخدام طاقه البخار وآلة إطفاء الحرائق وغيرها، ووضع أسس تصميمات عبقرية لآلات تدور بالماء أو البخار أو الهواء المضغوط، ومنها ما يجعل أجنحة نموذج طائر صناعي ترفرف (S. Toulmin,"The Architecture of Mater. J. Good Field, pp. 115-116). ومن اختراعاته كرة مفرغة مزودة بأنبوبتين منحنيتين بزوايا قائمة ومتصلة بمحورين من الأنابيب أيضاً بقدر مملوء لمنتصفه بالماء وعند تسخين القدر يتصاعد البخار ويملاء فراغ الكرة ويندفع من الأنابيب المنحنية فيجعل الكرة تدور حول محورها بقوة البخار وهذا يعتبر بداية نظرية النفاثات، وسماها (Aelopile)

(A. Neuberger: "The Technical Arts and Sciences of The Ancients, pp. 216, 231)

سعيد بن كاتب الفرغاني المهندس القبطي

ذكر جامع السيرة الطولونية أن أحمد بن طولون عزم على بناء جامعه، ووجد أنه يحتاج إلى ثلثمائة عمود من الرخام يقيم عليها السقف، وكانت العادة أن تؤخذ هذه الأعمدة من الكنائس. فكتب هذا المهندس من سجنه إلى ابن طولون يعرض عليه استعداده لبناء الجامع دون استخدام الأعمدة. فاستحضره ابن طولون من سجنه وأسند إليه العمل. ثم صور الجامع على الجلد بلا أعمدة إلا عمودي القبله، وهذه الرسوم لم تكن مجرد تخطيط أو رسم مساقط أفقيه بل كانت عبارة عن مساقط رأسية ومنظور (حسن الباشا، "القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها"، ص ٤٣٨

٤٤٠). ثم اشرف على بناء القناطر التى انشأها ابن طولون على مثال القناطر التى رآها ابن طولون فى طرسوس بآسيا الصغرى لنقل المياه من الأنهار إلى مكان بعيد (على ابراهيم حسن: "مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى"، القاهرة، ١٩٤٧، ص ٤١٢). وقد قتل سعيد بن كاتب الفرغانى على يد الحاكم بن طولون (القمص تادرس يعقوب ملطى، الكنيسة الأرثوذكسية والروحانية، ص ٨٢). ولقد ثار جدل بين المؤرخين حول أصل سعيد بن كاتب الفرغانى وأنه ربما كان من العراق لتشابه طراز مئذنة جامع طولون مع مئذنة جامع سامرا المعروفة بالملوية، وجاء ذكر عنه وعن بنائه لمقياس النيل وعن شهادته فى كيهك فى كتاب تاريخ الكنائس والأديرة فى القرن الثانى عشر الميلادى لأبى المكارم والمنسوب خطأ لأبى صالح الأرمنى وهناك من الأدلة الجغرافية ما يرجح إنه من أصل مصرى، وقد ينسب إلى ناحية فرغان بمركز ديرب نجم بمحافظة الشرقية أو إلى مدنية الفراجون المندثرة والتى حلت محلها اليوم مدينة سيدى سالم بمحافظة كفر الشيخ بمصر.

البابا شنوده الخامس والخمسين:

بنى سور عظيم حول الكنيسة الكبرى فى دير الأنبا مقار ببرية شيهيت وإنتهى من أبراجه وأقام بداخله مساكن فى أقصر وقت ، وكان يعمل بيديه مع العمال فى البناء (الأب متى المسكين، "الرهبنة القبطية فى مصر" ص ٤٥٩)، وأنه فى الموضع التى كانت فيه القلاية البطركية واسمه باليونانية قسطريون. حفر خليجاً متفرعاً من الخليج الذى حفره المتوكل على الله جعفر وذلك ليصل الماء الحلو إلى هذا الموضع. كما أنه عمل مجارى تحت الأرض من الإسكندرية لتحلية آبار المياة. وتنقل المياة خلالها إلى مخازن للمياه، ثم اقام فسقية يملأها إنسان، ثم ركب بها آلة عملها ليشربوا منها كما عمل فنارة ومواضع للمياه ومساقى (تاريخ البطاركة: جـ ٢، ص ١٩، طبعة خاصة للدارسين بالدراسات القبطية).

المراجع

١. القمص تادرس يعقوب ملطي: "الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية"، مطبوع فى كندا، ١٩٨٦.

٢ ـ تاريخ البطاركة، جزئين، طبعة خاصة للدراسين بمعهد الدراسات القبطية بالأنبا رويس بالعباسية، طبعة الأنبا صموئيل السرياني.

٣ ـ جورج سارتون، "العلم القديم والمدنية الحديثة"، الترجمة العربية لعبد الحميد صبرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٤.

٤ ـ حسن الباشا: "القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها"، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠.

٥ ـ على ابراهيم حسن: "مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٧.

٦ ـ يوسف القفطى: "أخبار العلماء بأخبار الحكماء"، دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ليس له تاريخ نشر).

٧. A. Neuburger: "The Technical Arts and Sciences of the Ancients, Metheun and Co., LTD, London, 1930,

٨. Toulmin/ J. Good Field:,"The Architecture of Matter, A Pelican Book, 1965.

الباب الثانى

الأقباط والتعليم والثقافة

إشراف

ا.د. سليمان نسيم

مقدمة الباب الثانى

د. موريس أسعد

توارث المصريون الإهتمام بتعليم أولادهم وبناتهم من أجدادهم المصريين القدماء. وعلى إمتداد العصر القبطى (٦٠م - ٦٤١م) إهتم الأقباط بتعليم أبنائهم وبناتهم، فانشأوا المدارس أينما حلوا، وقاموا بتعليم الموعوظين الداخلين حديثاً إلى الإيمان المسيحى، وانشأوا المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية منذ عهد القديس مرقس الرسول، كما اقتنوا الكتاب والمكتبة.

وفى العصور الوسطى أسس الأقباط المدارس الملحقة بالكنائس. وقد اشتركت المدرسة مع الأسرة والكنيسة فى الحفاظ على التراث الروحى وتسليم الإيمان المسيحى من جيل إلى جيل. وكانت المناسبات الكنسية كأعياد الميلاد والغطاس والنيروز وأعياد الشهداء والقديسين فرصاً لتدعيم الإيمان المسيحى. وقام الأقباط فى تلك العصور بنقل الحرف والمهن الصناعية إلى أبنائهم، وزودوهم بالخبرة العملية فى مجالات جمع الضرائب والأعمال الإدارية. وقد برز فى تلك العصور عدد من المؤرخين والعلماء واللاهوتيين مثل ساويرس بن المقفع، والصفى ابو الفضائل وغيرهم.

وقد لعبت مدارس القرية أو الكتاتيب الدور الرئيسى فى تعليم النشء القراءة والكتابة والحساب والدين. وكانت الكتاتيب ملحقة بالكنائس فى المدن والقرى. وتعلم فيها أبناء الأقباط وبناتهم اللغتين العربية والقبطية والحساب ومبادئ الدين المسيحى والصلوات والألحان الكنسية. وقد استمرت هذه الكتاتيب كمصدر أساسى لتعليم أبناء الأقباط إلى أن أنشئت المدارس القبطية الحديثة منذ عهد البابا كيرلس الرابع.

أنشأ البابا كيرلس الرابع مدرسة الأقباط الكبرى. وأنشئت مدرسة الأقباط الصناعية ببولاق فى عهد البابا كيرلس الخامس. وقام مطارنة الإيبارشيات وأساقفتها بإنشاء المدارس الحديثة فى العديد من قرى الصعيد والوجه البحرى. كما أولى المجلس الملى العام والمجالس الملية الفرعية إهتماماً خاصاً بالتعليم. وأسست الجمعيات الخيرية القبطية - مثل جمعية التوفيق والجمعية الخيرية القبطية وغيرها - المدارس الابتدائية والثانوية فى القاهرة وغيرها من الأقاليم، هذا إلى جانب أنشطتها الاجتماعية مثل إنشاء المستشفيات والمشاغل والملاجئ وغير ذلك من الأنشطة الاجتماعية. ولاننسى من بين الأراخنة والمربين الأقباط من قاموا بإنشاء المدارس إيماناً منهم بأهمية التعليم.

وقد أنشئت المدرسة الإكليريكية لتعليم الرهبان وإعداد الكهنة فى عهد البابا كيرلس الخامس، وكان أول رئيس لها القمص فيلوثاوس ابراهيم، وكان حبيب جرجس بين أول دفعة من خريجيها، وأصبح مدرساً بها ثم ناظراً لها.

ولا نغفل عن ذكر خدمة مدارس الأحد التى اهتمت بتعليم الأطفال والشباب أساسيات الدين المسيحى وتعويدهم الفضائل المسيحية والأخلاق الكريمة وحضور الكنيسة والعبادة. ومن بين الشخصيات التى كان لها دور فى مجال التعليم والثقافة نذكر عريان مفتاح، ومرقس يوسف الحبشى.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر توافدت الإرساليات الدينية الكاثوليكية والبروتستانتية على مصر. وقد قوبل نشاطها الديني بعدم الارتياح من قبل المسلمين والأقباط على السواء، فوجهت جهودها إلى الأنشطة الاجتماعية والتعليمية. وقد ترعرعت الإرساليات الأجنبية في ظل التدخل الأجنبي في مصر، وتمتعت بالامتيازات الأجنبية في نشاطها التربوي والتعليمي. وكانت تقدم تعليماً يتبع نظام التعليم في البلاد التي وفدت منها تلك الإرساليات.

وقد هدفت الإرساليات الكاثوليكية إلى تحويل الأقباط إلى المذهب الكاثوليكي، ثم اتجهت إلى تحقيق أهدافها من خلال التعليم والأنشطة الاجتماعية. وانتشرت المدارس التابعة لمختلف الطوائف الكاثوليكية في الوجهين البحري والقبلي. وقد حذر البابا كيرلس الخامس بطريرك الأقباط أبناء الكنيسة الأرثوذكسية من أن ينخدعوا بهذه المحاولات لإستقطابهم من كنيستهم وضمهم إلى المذهب الكاثوليكي.

وتوافدت الإرساليات البروتستانتية من إنجلترا واسكتلندا وغيرها في القرن التاسع عشر، وانشأت بعض المدارس التابعة لها. ومهدت تلك الإرساليات الطريق أمام الإرسالية الأمريكية التي اتسع نشاطها التعليمي، فانشأت العديد من المدارس للبنين والبنات في مختلف أنحاء مصر.

تصدى الأقباط لمواجهة الغزو الديني البروتستانتي والكاثوليكي، الذي استخدم التعليم كوسيلة للتأثير على المصريين الأقباط.

وقد تعاون المسلمون والأقباط معاً في مواجهة النشاط التربوي الذي اتخذته الإرساليات الأجنبية وسيلة لنشر تعاليمها الخاصة. وقد واجه الأقباط ذلك بنهضة شاملة، تمثلت على الخصوص في إنشاء المدارس القبطية التي قامت البطريركية والإيبارشيات والجمعيات الخيرية القبطية بإنشائها.

وتواصلت حركة التجديد التربوي بين الأقباط في عهد البابا دمتريوس الثاني ثم في عهد البابا كيرلس الخامس، الذي اهتم أيضاً بالتعليم اللاهوتي، حيث أنشئت في عهده المدرسة الإكليريكية.

وفي عام ١٩٥٤م تم إنشاء معهد الدراسات القبطية، والذي دعي إلى إنشائه الدكتور عزيز سوريال عطية. وقد أصبح المعهد منارأ لنشر التراث القبطي والثقافة القبطية.

ويشتمل هذا الباب على الفصول التالية:

الفصل الأول: التراث التعليمي للأقباط في مصر القديمة وفي العصر القبطي وفي العصور الوسطى.

الفصل الثاني: نظام الكتاتيب في مصر الحديثة ودوره في التعليم .

الفصل الثالث: أحوال التعليم عند الأقباط في الفترة من سنة ١٨٦٣م إلى سنة ١٩٢٤م: منذ بداية عهد إسماعيل حتى إعلان قيام الدولة المصرية.

الفصل الرابع: امتداد حركة التجديد التربوي بعد البابا كيرلس الرابع (١٨٦٢م-١٩٢٧م).

الفصل الخامس: الإرساليات الأجنبية في مصر ونشاطها التربوي (من منتصف القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٥٦م).

الفصل الأول

التراث التعليمى للأقباط

أ. د. سليمان نسيم

التراث التعليمى فى مصر القديمة [1]

منذ أقدم العصور التاريخية ومصر تملك تراثا حكمياً تربوياً جاء مضمونه على السنة حكمائها مثل بتاح حتب. ولعل من أصدق ما جاء فى هذا التراث "اجعل نفسك موزونا على مناهج معلمك" مشيراً إلى أهمية الاقتداء بالمعلم. أما فيما يتصل بإحترام الأم فقد جاء فى هذا التراث على لسان الأب: "أوصيك بأمك التى حملتك فهى التى أرسلتك إلى المدرسة حتى تتعلم الكتب". واضح أن هذه الحكمة تحمل مضموناً تربوياً بالحث على احترام أوساط هذا التعليم: الأسرة والمدرسة. فقد كانت المدرسة تلحق بالمعبد، أو حيث وجد المعلم القادر على التدريس، وهو غالبا من طبقة الكهنة. وكانت المدرسة تضم البنين والبنات دون تفرقة، وفيها كان التلميذ يدرس أساسيات المعرفة: المعلومات العامة، بعض المختارات الأدبية والدينية فى شكل محفوظات، بالإضافة إلى الأناشيد والرياضة البدنية. وبعد مرحلة الدراسة الأولية كانت تأتى مرحلة التعليم بمدارس الإدارات الحكومية لإعداد الطالب لوظائف الدولة المختلفة، وهذه تعقبها الدراسة العليا أو المتخصصة للإعداد لتولى مناصب الدولة المتعددة.

ولقد ظلت هذه الخطة التعليمية، بما تضم من تراث خلقى وروحى، وما تشتمل عليه من مناهج، تنتقل من جيل إلى جيل، حتى وصلت إلى العصر القبطى. وكانت المكتبة الملحقة بالمعبد يطلق عليها "دار الحياة". ومع توالى العصور، خاصة منذ عصر البطالمة (٣٢٠ - ٦٠ ق.م). وكان طبيعياً أن تصبح هذه المكتبات مراكز إشعاع حضارى تصدر عنها المؤلفات مما جعل لها دوراً تثقيفياً كان له اثره الواضح فى التأليف وإعداد المعلمين. ولعل أصدق الأمثله على ذلك مكتبة الإسكندرية. وكان طبيعياً أن ينتقل تأثير هذا التراث مع العائلة المصرية التى حرصت على أن تقيم بمنزلها خزائن للكتب أصبحت مع الوقت عنصراً هاماً من عناصر التطور الثقافى والاجتماعى والدينى، مما أكد إستمرارية التراث المصرى وإحيائه وتطوره وتتابع اثاره إنسانياً وحضارياً وفكرياً.

التعليم فى العصر القبطى [2]

بدخول المسيحية مصر سنة ٦٠م، وهى تقوم فى انتشارها على التلمذة. تأكدت أهمية التعليم فى حياة المصريين مع اختلاف محتوى الفكر الدينى المصرى القديم والفكر المسيحى. ومن حيث الشكل بقيت المدرسة ملحقة بالكنيسة. ويؤكد المؤرخ يوسابيوس - فى القرن الرابع الميلادى - هذه الحقيقة التاريخية بقوله: "إنها كانت عادة المسيحيين أن ينشئوا المدرسة فى كل مكان ينزلون فيه". [3] وثمة

---

١. سليمان نسيم، تاريخ التربية القبطية، (القاهرة - دار الكرنك، ١٩٦١م)، ص ١٦ إلى ص ١٨.

٢. سليمان نسيم - المرجع السابق، الفصول ٥، ٦، ٧، ٨، ص ١٢٠ إلى ص ٢٤٤.

٣. Eusebius, The Eclesiastical History, London, p. 155.

مجموعة من الملاحظات يجب أن نقف أمامها:

١ ـ بقى للمكتبة دورها الكبير فى عمليتى التعليم والتعلم خاصة أن الإسكندرية أصبحت سوقا رائجة لتجارة الكتب منذ العصر البطلمي، أي منذ نهاية القرن الرابع قبل الميلاد.

٢ ـ بإنشاء المدرسة اللاهوتية على أيدى القديس مرقس الكاروز أصبح للتعليم المسيحى تأثيره إذ اكتسب دفعة كبيرة ساعدت على إنتشار الإيمان الجديد.

٣ ـ كان من الطبيعى أن تتطور خطة التربية بتغير ظروف الاضطهاد والاستشهاد فى العصر الرومانى الوثنى، حتى إذا أعلن الإمبراطور ثيؤدوسيوس سنة ٣٧٩م أن الديانة المسيحية أصبحت الدين الرسمي للدولة، زاد تمسك الشعب، المصرى بديانته الجديدة. فلما جاء الإضطهاد المذهبى فى العصر البيزنطى، منذ القرن الخامس، تغير مضمون التربية من الإعداد للاستشهاد إلى التثبيت فى الإيمان الأرثوذكسى فى مواجهة عقيدة الملكانيين، وهى المواجهة التى حملت ضمناً الحفاظ على القومية المصرية. ومعروف تاريخياً أن هذا الوضع إستمر حتى الفتح العربى سنه ٦٤١م، الذى أدخل الكنيسة المصرية بل ومصر كلها فى عصر جديد له سماته المتميزة.

٤ ـ شمل التعليم فى هذه الحقبة كافة فئات الشعب: الأطفال من بنين وبنات، الموعوظين الداخلين حديثاً فى الإيمان المسيحى، المؤمنين لتثبيت إيمانهم. وكان طبيعياً أن يستتبع ذلك ظهور الكثير من المؤلفات التى ترُد على الهرطقات الموجهة ضد الديانة الجديدة. ومن أهم ثمار هذا الصراع العقلى ظهور مجموعة المدافعين Apologists، واجتماع المجامع المسكونية التى حددت قواعد الإيمان المستقيم. وقد رأس آباء الكنيسة المصرية أغلبها، مما جعل الإسكندرية بحق عقلا للعالم المسيحى يأتيها الباحثون عن المعرفة الدينية الأصلية من كافة البلاد المجاورة والتلمذة على آبائها.

٥ ـ إلى هذا التعليم اللاهوتى نضيف التعليم المهنى والحرفى، ثم التعليم فى الأديرة بظهور الرهبنة فى أواسط القرن الثالث، وبتطورها إلى الديرية عند نهاية القرن الرابع، حين أصبح للدير نظمه التعليمية.

فى كل هذه المجالات نجح المفكرون والعلماء المسيحيون فى تطوير أساليب التعليم المسيحى والوصول ببحوثهم وطرق تدريسهم إلى أعلى المستويات طبقا لمقاييس الثقافه واتجاهات المجتمع فى كل حقبة، بالإضافة إلى العلاقة بين الكنيسة والدولة.

التعليم فى العصور الوسطى [1]

يقول الدكتور عزيز سوريال عطية فى تاريخه لأحوال الأقباط فى العصور الوسطى: "وكانت للأقباط مدارسهم الملحقه بالكنائس، وكانت المخطوطات تودع بها لمنفعة التلاميذ.[2] وفى

١ ـ فى دراستى لهذا الموضوع اعتمدت على مرجعين هامين:
Aziz. S.Atiya, A History of Eastern Christianity. (London, Methuen and Co Ltd, 1968).
Theodore Hall Patrick, Traditional Egyptian Christianity: A History of the Coptic Orthodox Church. (Fisher Park Press, 1996).

٢ ـ عزيز سوريال عطية، مرجع سابق، ص ٩٦.

الحاشية يضيف د. سوريال (ص ٩٦) ما ذكره المؤرخ الألماني ج. جراف في الجزء الثاني من كتابه "الأدب العربي المسيحي" من اعداد الكُتّاب، والشارحين والمفسرين للكتاب المقدس، والمؤرخين والنحويين القبط إلى غير ذلك من الفئات".[١] كذلك يذكر بارتريك Partrick وهو يعالج موضوع التعليم عند القبط في القرن التاسع عشر، الذي يعتبر امتدادا للعصور الوسطى، أن "مدرسة القرية (الكتاب) كان يلتحق بها أبناء الأقباط ليدرسوا الدين والأخلاق والقراءة والكتابة واللغتين القبطية والعربية والحساب والهندسة ورسائل القديسين بولس وبطرس . وبعد الكتاب يواصلون التعليم مع الأب أو العم مما كان يؤهلهم ليعملوا في مسح الأراضي الزراعية، والمحاسبة، وجمع الضرائب، والوظائف الكتابية.[٢]

وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على أن النظام التعليمي الذي كان متبعا إبان تلك العصور كانت له آثاره وثماره في إعداد هذه الفئات المهنية المتخصصة.

على أنه بالإضافة إلى هذه الكتاتيب، وتوفر التعليم النظامي بها، فإن ثمة عوامل أخرى كان لها تأثيرها غير المباشر في بروز الأقباط وتفوقهم في مجال الثقافه والتعليم. ومن هذه العوامل ما هو فطري، يدخل في التكوين النفسي والعقلي الأساسي، ومنها ما هو إجتماعي سياسي.

فمن العوامل الأولى:

أولاً: الخصائص الفطرية Racial Characteristics أو العرقية التي جُبلوا عليها، بما تضمنته من مكتسبات تربوية من قيم رفيعة ومثل عليا عاشها آباؤهم وأجدادهم: كالتماسك الأسري، وإحترام الكبار، والإلتزام بأداء الواجب سواء على المستوى الشخصي أو الأسري أو الاجتماعي، وكذا مراعاة الضمير في تنفيذ الوصايا الإنجيلية، فضلا عن الإرتباط بالأرض وقوة الانتماء لوطنهم مصر. والدليل الصادق على ذلك موقفهم في الحروب الصليبية مع مواطنيهم المسلمين ضد الفرنجة المسيحيين للدفاع عن مصر، ثم موقفهم من الحملة الفرنسية (١٧٩٨م - ١٨٠١م)، ومن الاحتلال البريطاني سنه ١٨٨٢م، وخاصة في ثورة ١٩١٩م.

ثانياً: تمسكهم بتراث آبائهم الإيماني مما أثمر ولاء حقيقياً لوطنهم وكنيستهم، وبذلا موفورا في سبيل الإبقاء على كيانهم الروحي. ونأخذ عددا من الأمثله:

أ - حين عزم الوالي أحمد ابن طولون (٨٦٩م) على هدم بعض الكنائس لاستخدام أعمدتها في بناء جامعه بعث له مهندس قبطي هو ابن كاتب فرغاني برسالة أفاده فيها أن بإمكانه تشييد هذا الجامع بطريقة هندسية تغنيه عن الأعمدة. واستجاب الوالي لطلب المهندس القبطي وعهد إليه ببناء الجامع. وأما الطريقة التي اتبعها فهي استخدام مادة جديدة أقام بها أعمدة من الطوب brick Columns وبذلك حفظ الكنائس من الهدم. أما القباب فقد استخدم لإقامتها أسلوب القباب المدببة Pointed Arch وذلك قبل قرنين من ظهور هذا النمط المعماري في الهندسة القوطية في أوربا.[٣]

---

١ - المرجع نفسه، حاشية ١، ٢. وراجع بارتريك - مرجع سابق ص ٦٥، ص ٧٥.
٢- بارتريك، مرجع سابق، ص ١١٥، ص ١٢٧.
٣ - عطية، مرجع سابق، ص ٨٦.

ب ـ مادمنا بصدد الحديث عن الدولة الطولونية، وهي أول دولة مستقلة قامت في مصر في العصر العربي الإسلامي (٨٦٩ ـ ٩٠٥م)، وبالتحديد في العصر العباسي، فإننا نشير إلى ما قام به اثنان من أراخنة القبط. أي من أعضاء الكنيسة الأتقياء النابهين، للحد من ظلم الوالي ابن المدبر للأقباط في أواخر العهد الطولوني، فكان أن أوفدهما البابا سانوتيوس إلى الخليفة المعز في بغداد لرفع هذا الظلم[1] ويذكر سوريال اسمي هذين الأرخنين: "ساويرس وابراهيم" وقد قبلت وساطتهما فعلا. جدير بالذكر أن الولاة الطولونيين لم يقيموا والياً عربياً بعد ابن المدبر، وإنما استخدموا الأقباط من أبناء الوطن في المناصب القيادية تحت إمرتهم وتوجيهاتهم المباشرة.

جـ ـ في عهد المعز الفاطمي ـ في أواخر القرن العاشر ـ برز وزير قبطي ذو شخصية هو "قزمان بن مينا، ولقبه "أبو اليمن"، وإختاره المعز نائبا له في سوريا. هذا الأرخن الكبير أودع ثروته ـ قبل موته ـ أمانة لدى البطريرك خدمة للكنيسة والفقراء.[2] وإذا كان الشئ بالشئ يذكر فإن موقف قزمان في القرن العاشر تكرر في أواخر القرن الثامن عشر مع المعلم إبراهيم الجوهري الذي وهب معظم ثروته للكنيسة، وقبل ذلك تمكن ـ بحكمته وغيرته ـ من الحصول على فرمان سلطاني بالحصول على قطعة أرض بحي الأزبكية لإقامة كنيسة عليها، بل إنه كان يتنافى في عطاياه للأديرة وكافة أعمال البر، دون نظر إلى أي تفرقه دينية. وفضلا عن ذلك، كان يستأجر عدداً من الكتبة، والبعض منهم من الرهبان، لنسخ كتب اللاهوت القديمة لتوزيعها على الكنائس، إسهاما في نشر المعرفة الدينية. ولعل هذه، كما يرى د. سوريال عطيه، كانت أول محاولة من نوعها، لإحياء الدراسات القبطية في الأزمنة الحديثة.[3] ونستدل من هذا التشابه في التوجه الروحي والإنساني على تواصل تسليح القبط لمن بعدهم بقيم الولاء والوفاء للوطن وللكنيسة على امتداد القرون، والعمل على إشاعة الحب والمودة بين سكان مصر جميعاً دون تفرقة بين دين ودين.

لذلك كان من الطبيعي أن يتلقى النشء هذا التراث الروحي الأخلاقي العظيم فيتمثل به. فالأسرة والمدرسة والكنيسة ـ هذه الأوساط التربوية ـ كانت تقف على خط تربوي روحي مشترك يسند كل منها الآخر، ويدعم بعضها البعض الآخر في الحفاظ على كيان الكنيسة، والعمل على تسليم الإيمان المسيحي نقياً من جيل إلى جيل.

ثالثـــا: فإذا أتينا إلى العامل الإجتماعي السياسي الذي حمل معه اهتمام القبط بالثقافة والتعليم، وجدناه متمثلا في ملء الفراغ الذي ترتب على زوال النفوذ البيزنطي سنة ٦٤١م بعد الفتح العربي،[4] وكيف رأى فيه الأقباط فرصة مواتية لإحياء ثقافتهم القبطية، ونشر قواعد لغتهم وأدبياتها فلما تقررت اللغة العربية لغة رسمية للبلاد سنة ٧٠٥م، عكف الأقباط على الاهتمام بدراستها وتدريسها لأبنائهم، ضماناً لكسب عيشهم. فمن الطبيعي أن الوالي لم يكن ليعين في دواوينه ومصالح حكومته إلا الذين اتقنوا لغة العقود، وأرقام حساب الضرائب، ومساحة الأرض، بالعربية. لقد توالى ١٠٨ واليا على مصر خلال ٢٢٦ عاما (من سنة ٦٤١م حتى٨٦٧م) أي منذ الفتح العربي حتى بداية العصر الطولوني. وقد أثبت الأقباط نجاحاً كبيراء

---

١ ـ المرجع نفسه.
٢ ـ المرجع السابق، ص ٨٧.
٣ ـ المرجع السابق، ص ٤٨.
٤ ـ المرجع السابق ، ص ٨٤.

خلال تلك الفترة الزمنية الطويلة فى تولى وظائف الإدارة والمالية، بل وحكم بعض الولايات أحياناً، مما كان يوثق العلاقات بينهم وبين الحكام.

رابعا: لو حللنا دور المنزل والمدرسة والكنيسة لوجدنا أن كل وسط من هذه الأوساط التربوية له دور تربوى مكمل للآخر: فالمنزل بما يشتمل عليه من مكتبة أو خزانه كتب، والكنيسة بما تغذى به شعبها من تعليم اسبوعى، ثم المهنة التى كان الأبناء يتسلمونها عادة من والديهم وأقاربهم منذ نشأتهم، حتى إذا نضجوا وكبروا نزلوا إلى ميدان الحياة العملية، وعملوا على أن يستزيدوا من الفنون التى تسلموها عنهم. ثم هناك الدير الذى كان يغذى الأسرة والكنيسة بالمخطوطات والتعاليم اللاهوتية والروحية. من هذه الأوساط تشكلت المنظومه الثقافية والتربوية والتعليمية التى امتد التراث القبطى خلالها إلى الأجيال الناشئة عبر العصور.

خامسا: نضيف إلى ذلك عاملين اخرين:

الأول : الاحتفالات التى كانت الكنيسة تقيمها فى مناسبات بعض الأعياد كالميلاد والغطاس والنيروز وأعياد بعض الشهداء والقديسين مثل مارجرجس، فهذه الاحتفالات، وما يقترن بها من طقوس وتقاليد وعادات تعتبر بالنسبة للكبار تأصيلا روحيا ووجدانيا وفكريا للعبادة، فضلا عن تأثيرها التربوى فى الصغار. جدير بالذكر أن مؤرخى العصور الوسطى الإسلاميين اهتموا بذكر هذه الأعياد ووصفها، ومن هؤلاء المؤرخين المسعودى، والمسبحى، والقلقشندى، والمقريزى وابن اياس.[1]

والثانى: زيارة القادرين للأراضى المقدسة كعامل أخر فى التأكيد على القيم الروحية. لذلك كان حرمانهم منها بعد انتصار الفرنجة على صلاح الدين فى القرن الثانى عشر صدمة كبيرة للاقباط.[2] ذلك أن زائرى قبر السيد المسيح، وتبركهم بالسير على طريق مراحل صلبه والآمه كان يشكل مادة غزيرة يقصونها على الكبار والصغار، حاملة معها الذكريات المقدسة التى للمخلص، مما كان عادة يترك انطباعات مؤثرة فى العواطف والوجدان. على أن موقف القبط فى هذه الحروب وما تجلى خلالها من وطنيتهم كان درسا أخر للنشء المصرى عامة، والقبطى بوجه خاص، فى عمق الولاء للوطن وقوة العزم فى مواجهة مهاجميه حتى ولو كانوا يعتنقون ذات الديانة.

سادسا: فإذا أتينا إلى وسائل كسب العيش، وهى تدخل ولا شك ضمن تعليم المهن المختلفة، فقد برزت فى الصناعات المتعددة التى اتقنها الأقباط وتمثلت فى الحلى والأثاث والجوخ والزجاج والصباغة والمعادن وأعمال البياض والبناء والعمارة وغيرها، مما يدل على ما تواتر بين القبط وأولادهم، خاصة فى الحقب السوداء التى عرفتها مصر على أيدى بعض السلاطين والحكام والولاة. لكن الأب القبطى كان يقول لإبنه "إن الشئ الوحيد الذى لا يستطيع الحاكم اغتياله أو الإستيلاء عليه هو عقلك وصنعتك".[3]

---

١ ـ المرجع السابق، ص ٩٠ حاشية ٢.

٢ ـ المرجع السابق، ص ٩٣.

٣ ـ سليمان نسيم، الأقباط والتعليم فى مصر الحديثة، (القاهرة ـ اسقفية البحث العلمى ـ ١٩٨٣م) المقدمة بقلم د. عزيز سوريال عطية.

سابعا: على أن مجال الصناعة والمهن الصناعية لم يكن المجال الوحيد للأقباط كمصدر للرزق لكن ثمة صنائع أخرى أو نسميها وظائف أخرى - كانوا يتقنونها بحكم التعليم الذى نشئوا عليه، والخبرة العملية التى حصلوا عليها من هذه الوظائف،[1] ومنها جمع الضرائب ومعاونة حكام الأقاليم فى الأعمال الإدارية والكتابة وأعمال الدواوين وأمناء الخزن المالية. ولقد حمل اتقانهم لهذه الوظائف حتى احتكروها أنهم كانوا دائما - وفى كل العهود التى مرت بها مصر خلال العصور الوسطى - موضع ثقة الولاة والحكام. وتقابلنا هنا عدة دلالات منها الأمانة والدقة وإتقانهم للغة العربية وقواعد الحساب. ونضيف مهنتين أخريين هما الطب والهندسة [2] واللتان حقق الأقباط فيهما مستوى رفيع. وقد مر بنا مثال ابن كاتب الفرغانى، فى القرن التاسع الذى بالإضافة إلى بنائه لجامع ابن طولون، أنشأ مقياساً للنيل عند الروضة.[3] وشبيه بالمهندس الفرغانى نلتقى بمهندسين قبطيين آخريين هما ابومنصور وابو مشهور اللذان شيدا قلعة صلاح الدين فى القرن الثالث عشر.

ثامنا: من العوامل التربوية أيضا التى أثرت فى النشء القبطى فى تلك العصور ارتباط الأسرة القبطية بالكنيسة، واحتمالها الكثير من الإضطهادات فى سبيل الإيمان. على أن الأقباط بالإضافة إلى ذلك ظلوا متمتعين باستقلالهم فى انتخاب بطاركتهم، وكذلك فى أحوالهم الشخصية من حيث اعتبار العلاقات الأسرية خصوصية لهم داخل إطار وصايا السيد المسيح وتقاليد الكنيسة، فلا طلاق، ولا سرارى ولا تعدد زوجات، مما ساعد على استقرار الحياة الأسرية. وهو عامل يؤكد المربون أهميته فى تنشئة الأطفال الأسوياء.

تاسعا: على أن الأمر لم يخل أحيانا، من إنحراف البعض، سواء من بعض رجال الدين الطامعين فى أعلى المناصب، أو من الشعب، على مختلف طبقاته الاجتماعية، وخاصة طبقة الأغنياء، فى موضوع التسرى مما حدا بالآباء البطاركة إلى دعوة اللاهوتيين المتخصصين للرد على هذه الانحرافات.[4] وإن دل وجود هؤلاء اللاهوتيين فإنما يدل على قدرة الحياة القبطية على اجترار تراثها الروحى التعليمى العظيم ليكون حامياً لإيمانها وحافظاً فى الوقت نفسه للكيان الاجتماعى القبطى.

عاشراً: يقودنا هذا إلى التعرف على بعض من أفرزتهم الكنيسة خلال العصور الوسطى، بالرغم من تعرضها أحيانا للكثير من المحن والأزمات بسبب صلف الحكام، وسوء معاملتهم، وتجبرهم فى جمع الضرائب منهم، ومصادرة أموالهم وعقاراتهم، بل وترك الحبل على الغارب أحيانا للعامة فيحرقون الكنائس ويقومون بأعمال النهب والتخريب. نقول بالرغم من هذه كلها، فإن الأقباط كانوا لا يعدمون بعض فترات السلام والهدوء، مما كان عاملا فى السعى إلى المزيد من اجترار التراث الروحى والعلمى والفنى لإضافة المزيد من الأعمال العلمية الكبيرة. ونورد هنا بعض أمثلة لعلماء عاشوا خلال هذه العصور مقدمين الدليل على أثر التعليم والتعلم الذاتى فيما

---

١. بارتشيك، مرجع سابق، ص ٦٥، ص ٧٥.
٢. المرجع السابق، ص ٧٦، وعطية، مرجع سابق، ص ٨٩.
٣. عطية، مرجع سابق ٩٥.
٤. من أهم الانحرافات التى ظهرت فى القرنين ١١ ، ١٢ التسرى او زواج الجوارى مما حدا بالآباء البطاركة خرستودولوس (١٠٤٧م - ١٠٧٧م)، وكيرلس الثانى (١٠٧٨م - ١٠٩٢م)، وغبريال بن تريك (١١٣١م - ١١٤٥م) إلى وضع مجموعات من القوانين لشرح قواعد الإيمان ومقاومة هذا الانحراف، راجع عطية ، مرجع سابق ، ص ٨٩.

- توفر لهم من مادة التراث القبطي بكل فروعه.

ونشير هنا إلى ما ذكره بارتريك أن مصر في القرن الثالث عشر أصبحت ملاذاً وملجأ للفنانين والباحثين المسلمين الذين هربوا من الموصل وبغداد ودمشق أمام زحف جحافل المغول.[1] ومن هنا كانت نهضة المعمار والبناء في مصر المملوكية. فالبرغم من أن المماليك لم يكونوا مدربين على أن يكونوا فنانين أو باحثين أو علماء بقدر ما كانوا متخلفين ومتعطشين إلى الدماء، إلا أنهم كانوا على مستوى من حسن تقدير الفن والعمارة، ولذلك أصبحت القاهرة أحد مراكز الجمال في العالم الإسلامي. ولا شك أن الأقباط وجدوا في هذا المناخ فرصة ثمينة لإحياء أدبهم وفكرهم الديني، خاصة وأن منازلهم وكنائسهم وأديرتهم كانت تحتوي على الكثير من المؤلفات والمخطوطات والوثائق، فكانت مصدرا متجدداً للتعليم.

نماذج من علماء ولاهوتيي مصر وكنيستها في العصور الوسطى

١ - **سأوويرس بن المقفع** - أسقف الأشمونين، ظهر في عهد الحكم الفاطمي (٩٦٩م - ١٠٢١م)، كاتب سير البطاركة التي جمعها من المصادر القبطية من مختلف الأديرة خاصة دير القديس مقاريوس الكبير بالإضافه إلى الكثير من المؤلفات في الموضوعات اللاهوتية.[2]

٢ - **ابن معاتي**: كان شاعراً وكاتباً ذا تميز غير عادي، مما ظهر واضحاً في كتابه "قوانين الدواوين" [3] الذي سجل فيه عن النيل والري والترع والزراعة ومصالح الدولة والمناجم والأوزان والمقاييس والمالية والفصول وتقويم الزراعة. والكتاب - كما يقول د. عطية الذي حققه - يبرز مستوى رفيعا ليس فقط من التعليم وإنما من النفوذ والسلطة أيضا، فقد كان صلاح الدين قد اختاره أمينا لسر إدارة الحرب War Secretary ومسئولا عن المالية، Treasurer of kingdom.

٣ - ومن كبار النحاة واللغوين **أولاد العسال** الذين برزوا أوائل القرن الثالث عشر، ومنهم ثلاثه تبوأوا أرفع المناصب في عهد الأيوبيين لما لهم من باع كبير في إتقان اللغات القبطية والعربية واليونانية، وهم أصلا من مدينة بني سويف من عائلة غنية متمكنة من اللغات. [4] ومع هذه العائلة نلتقي بالثلاثة المشهورين الذين قادوا الحركة الأدبية أوائل القرن الثالث عشر.

الصفي أبو الفضائل، والأسعد أبو الفرج هبه الله، والمؤتمن أبو اسحق ابراهيم، فبالإضافة إلى أنهم قاموا بجمع القوانين الكنسية، فإنهم يعتبرون واضعي أصول الدراسات اللغوية القبطية، كما قام أبو الفضائل بترجمة الأناجيل إلى العربية، وكتب مقدمة لرسائل القديسين بولس وبطرس.[5]

ويقف وراء اهتمامهم بدراسة اللغة القبطية حماسهم للحفاظ عليها. وقد إقترن إتقانهم لها بأنهم كانوا ضالعين أيضا في اللغتين العربية واليونانية. ولعلو كعبهم مالياً وعلمياً فقد تولوا أكبر المناصب الإدارية في أوائل العهد الأيوبي. وقد جاءت وفاتهم قبل سنه ١٢٦٠م.

---

١ - بارتريك، ص ٩٦.
٢ - عطية، ص ٨٩.
٣ - المرجع السابق، ص ٩٤.
٤ - بارتريك، ص ٨٧.
٥ - بارتريك، ص ٨٨، عطية ص ٩٦.

وممن يذكرهم دكتور سوريال عطية:

+ **الواضح بن رجاء**، وكان من الدارسين الباحثين، وكان صديقاً شخصياً لساويرس بن المقفع.

+ **أبو ياسر بن القسطل** الذى يعتبر من المصلحين الدينيين Religious Reformer.

+ **الكاتب مرقس بن القنبر**.[1]

أما من رجال القرن الثالث عشر فيذكر د. عطية.[2] صفى الدولة بن ابى المعالى المعروف بابن شرفى الذى اختاره صلاح الدين سكرتيراً خاصاً له. فلما تولى ابنه السلطان العادل سيف الدين إختار ابن الميقات رئيساً لإدارة الحرب (١١٩٩م - ١٢١٨م). ومما يؤكد وفاء الأقباط لوطنهم انه عند إغاره الصليبيين على دمياط (١٢٤٩م - ١٢٥٠م) برزت اسماء قبطية كثيرة لعدد من كبار الشخصيات اللامعة فى الإدارة والثروة، وقف أصحابها إلى جانب السلطان الأيوبى ضد الملك لويس التاسع. ولهذا دلالتان واضحتان:

الدلالة الأولى: علو كعب الأقباط فى الجوانب الإدارية والمركز المالى والإجتماعى.

الدلالة الثانية: ولاؤهم لوطنهم مصر وتفانيهم فى الدفاع عنه حتى ضد من كانوا من ذات الديانة المسيحية، وهى الصفه التى رافقتهم على توالى العصور التاريخية، وكان يتسلمها جيل الصغار من جيل الكبار.

+ ومن المؤلفين الكتاب ابو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود واضع كتاب "تاريخ كنائس وأديرة مصر والبلاد المجاورة".

+ اما كتاب تاريخ العالم فقد كتبه المكين جرجس بن العميد (١٢٧٣م) وهو من الكتب المعروفه فى اوربا حيث ترجم إلى عدد من اللغات. وجدير بالذكر انه كان مرجعاً لعدد من المؤرخين المسلمين مثل المقريزى (١٣٦٤م - ١٤٤٢م).

+ ومن علماء العصر الأيوبى أيضا الأنبا يوساب اسقف فوة المعروف باسم ابن المبارك، الذى توفى بعد سنة ١٢٥٧م، بعد أن كتب تكملة لتاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع.

+ ومن علماء اللاهوت والطقوس العلامة ابن كبر، وبولس البوشى، والأنبا ميخائيل أسقف دمياط، والأسقف بطرس ساويرس الجميل جامع مادة السنكسار،[3] والأسقف يوحنا السمنودى الذى كتب قواعد اللغة القبطية، ووضع فهرسا لكتب الكنيسة.

+ أبو الخير الراشد بن الطيب: طبيب وكاهن واحد المدافعين عن الايمان.[4]

+ أبو شاكر بن الراهب: وهو شماس بكنيسة السيدة العذراء المعروفة بالمعلقة بمصر القديمة (سنة ١٢٦٠م) وكان متمكنا من اللغتين القبطية والعربية، وله مؤلفات فى شرح الإيمان والقوانين

---

١ - عطية - ص ٨٩.
٢ - عطية - ص ٩٥.
٣ - بارتريك، ص ٨٧.
٤ - المرجع السابق.

وفى التاريخ العام وقواعد اللغة القبطية.[1]

+ ابن كبر: دارس وباحث فى اللغتين القبطية والعربية فى أواخر العصر الذهبى للنهضة الأدبية فى القرن الثالث عشر والتى قادها أولاد العسال. ولابن كبر قاموس اللغة القبطية وقد وصل إلى درجة القسوسية فى الكنيسة المعلقة.

+ أبو الفتح بن سهلان ابن مقشر، وكان طبيباً مشهوراً وإدارياً كبيراً (١٠٠٣م).[2]

+ ومن جامعى سير البطاركة: شماس يدعى موهوب بن منصور بن مفرج فى أواخر القرن العاشر. وهو من الإسكندرية ومعاصر للبابا خرستوذولوس. وقد قام بجمع سير البطاركة السابقين على هذا البابا وقام بترجمة الكثير من الكتب القبطية إلى العربية سنة (١٠٨٨م).[3] جدير بالذكر أن نهاية القرن السابع شهدت عملاً مماثلاً بتدوين سير البطاركة بواسطة شماس يدعى جورج فى عهد البابا يوحنا الثالث.[4]

+ أبو البركات يوحنا ابن الليث الذى وصل إلى منصب رئيس القضاء سنة (١١٣٤م).[5]

بهذا العرض رأينا كيف لم يعدم القبط، بالرغم مما عانوه من الإضطهادات، من توفر شخصيات قيادية تقف إلى جوار البابا، وتضع إمكانياتها الوظيفية والاجتماعية والروحية فى خدمة الكنيسة.

وبتحليل موقف هذه الفئة نرى أن هؤلاء الأراخنة مكنتهم استعداداتهم ومناصبهم واتصالاتهم الاجتماعية على مستوى الدولة، من القدرة على اتخاذ القرار سواء فى مواقف القهر التى كثيرا ما وقفها السلاطين والحكام والولاة من بطاركتهم، أو عند انتخاب البطريرك الجديد، وهو الموقف الذى كانوا يشاركون فيه الآباء الأساقفة وكهنة الإسكندرية.

أما أسباب نجاحهم فى هذين الموقفين فترجع إلى الجذور التعليمية والتربوية التى نشأوا عليها، والفكر الروحى الوطنى الذى تشبعوا به فيما رأوه فى آبائهم ورعاتهم ومعلميهم من قدوة ومثال وما اقترن بهذا المثال من تضحيات مادية خاصة فى أوقات الحروب التى شنها الفرنجة منذ فاتحة القرن الحادى عشر.

لكن جهود هذه الكوكبة من الأراخنة لم تقف عند حدود الإدارة واتخاذ القرار فى المواقف التى ذكرناها وإنما تعدت ذلك إلى الخدمة العلمية والتعليمية بما وضعه البعض منهم من مؤلفات. فالصفى بن العسال مثلا يعتبره الباحث المتخصص الأب سمير خليل أكبر مدافع قبطى عن المسيحية فى العصور الوسطى.[6] ولكن بالإضافه إلى الأراخنة وجد أيضا بعض الآباء الأساقفة: ففى القرن السابع مثلا نقرأ عن الأسقف يوحنا النقيوسى الذى عينه البابا سيمون الأول مشرفا على الأديرة،[7] وهو واضع "تاريخ يوحنا النقيوسى" عن تاريخ الكنيسة والفتح

١. المرجع السابق، ص ٩٦.
٢. المرجع السابق، ص ٧٦.
٣. المرجع السابق، ص ٧٩.
٤. المرجع السابق، ص ٨٧.
٥. المرجع السابق، ص ٨٣.
٦. بارتريك، مجع سابق، ص ٨٧.
٧. المرجع السابق، ص ٨٧.

العربى. أما فى القرن الثالث عشر، فنلتقى بالأسقف يوحنا السمنودى الذى كتب قواعد اللغة القبطية، ووضع فهرسا لكتب الكنيسة،[1] مما يدل على الباع الكبير فى التعليم الذاتى والقدرة على التحصيل والمثابرة على الدراسة.

وإلى هؤلاء وأولئك نضيف فئة الآباء الرهبان الذين كان يرشح منهم الآباء الأساقفة والبطاركة، وإن كان عدد منهم قد اختير من الكتاب والتجار العلمانيين. ومما يؤكد حكمة القوى الشعبية الممثلة فى الأراخنة والقادة العلمانيين اتجاههم - فى العهود التى تلت الفتح العربى أى فى العصرين الأموى والعباسى واللذين اعقبا عهد الخلفاء الأوائل - إلى اختيار بطاركتهم من دير القديس مقاريوس الكبير الذى تميز رهبانه إلى جانب التقوى بالعلم والتعمق فى فهم عقيدة الآباء، وأصول الرعاية، مما يؤكد اهتمام الأديرة بالتعليم والعكوف على المخطوطات والوثائق التى امتلأت بها مكتباتها.

ومع توالى العصور التاريخية ظل الأقباط يفرضون قادتهم. ففى عهد العثمانيين تبرز أمامنا أسماء المعلمين رزق وغالى وقزمان وملطى وابراهيم وجرجس الجوهرى الذين كانوا موردا كبيرا من موارد الدولة: فالمعلم رزق مثلا عين رئيسًا لدار العملة ومستشاراً لعلى بك الكبير. أما المعلم ملطى فقد اختير رئيساً للجنة التى شكلت لإدارة شئون القضاء المحلى فى عهد الحملة الفرنسية، وهكذا المعلمين ابراهيم وجرجس الجوهرى، سواء فى عهد الحملة الفرنسية أو فى عهد محمد على.

والخلاصة أن العصور الوسطى فى مصر، رغم أنها حفلت بالمحن والأزمات التى عانى منها الأقباط كثيراً، ولعهود طويلة، إلا أنهم لم يكونوا ليفنوا أويبادوا، بل سرعان ما كانوا يعودون إلى الظهور أقوى مما كانوا. وذلك كما ذكرنا - لما جبلوا عليه من أخلاق فطرية قومية، وإرادة حديدية صلبة، وحسن تقدير للمواقف، وعمق معرفة لطرق التعامل مع الحكام والولاة، مما دل على أن وراءهم أسرة ومدرسة وكنيسة تواصلت على حسن إعدادهم روحياً وتربوياً لمواجهة متغيرات الحكم، والصمود أمام قوى القهر بما اكتسبوه من هذه الأوساط من ضمير يقظ، وأمانه تلقائية، وانتماء للوطن، وحب للكنيسة مما حقق لهم الإستمرارية والبقاء.

---

١ - المرجع السابق، ص ٨٧.

الفصل الثانى

نظام الكتاتيب فى مصر الحديثة ودوره فى التعليم

أ. د. سليمان نسيم

مدخل الدراسة:

فى سياق تاريخ التعليم فى مصر يرجع نظام الكتاتيب إلى مصر القديمة حين كانت المدرسة ملحقة بالمعبد، حتى إذا جاءت المسيحية ألحقت الكتاتيب بالكنائس.[١] فلما دخل الإسلام ووُجدت المساجد ألحقت بها الكتاتيب التعليمية. وكان لإنشاء الأزهر فى القرن العاشر، أثره فى مد هذه المكاتب بالفقهاء، سواء فى المدن أو القرى. يقول الأستاذ الدكتور/ أحمد عزت عبد الكريم: "إن بدء وجود هذه المكاتب أنه إذا ما مست الحاجة فى جهة ما، سواء فى المدن أو القرى، إلى كُتاب، يقوم فقيه، درس بالأزهر زمناً، أو كان عريفاً لفقيه ما، ويجمع حوله بعض الأطفال ويبدأ بهم مدرسته، وكثيراً ما كانت تقوم فى أفنية المساجد، أو الزوايا وخاصة فى القرى، أو فى بيوت أصحابها".[٢]

كتاتيب القرن التاسع عشر فى مصر كأصل من أصول تعليمنا الحديث:

لعل من أفضل طرق البحث التى تؤدى إلى معرفة أحوال هذه الكتاتيب: دراسة ترجمات بعض الشخصيات التى نشأت فى هذه الكتاتيب، وعاصرتها ثم كتبت عنها. مما يساعد على تكوين صورة تاريخية واقعية للتعليم الأولى فى بلادنا، ولاسيما فى الريف، خلال القرن التاسع عشر، قبل أن يتطور ليصبح نظاماً حكومياً خاضعاً لإشراف الدولة فنياً ومالياً. ومما أكد صحة ما كتبه أصحاب هذه الترجمات ما ذكره اللورد كرومر Lord Cromer، فى أوائل القرن العشرين، فى التقارير التى كان يكتبها عن أحوال مصر، ومن بينها أحوال التعليم.[٣] ومن المعروف أن عهد الإحتلال، وبناء على توجيه لورد دوفرين Duvrin فى نظامه الذى نشره فى مايو سنه ١٨٨٣م، والذى كان يشجع على انتشار الكتاتيب، أو المكاتب الأولية كما كان يسميها، ليظن البسطاء من الناس أنه يشجع على التعليم من ناحية وليشغل الأمة فى عمومها عن التفكير فى متابعة نظام التعليم ما بعد الأولى من ثانوى وعال من ناحية أخرى. وفى المدن بصفة خاصة، كان كثيرون من الأغنياء يؤسسون فى مساجدها "مدارس" على مثال الأزهر، يأتون لها بأساتذه من خريجى الأزهر يدرسون لمن لم تمكنهم ظروف الحياة من النزوح إلى القاهرة طلباً للعلم.[٤] وقد ظل هذا النظام مستمراً حتى عهد محمد على فى أوائل القرن التاسع عشر، حين تحولت مصر جزئيا إلى نظام التعليم الحديث. لكن محمد على أهمل هذه الكتاتيب ولم يأبه بتحويلها إلى

---

١ . سليمان نسيم: تاريخ التربية القبطية ، (القاهرة ، دار الكرنك ، ١٩٦٣م) ، ص ٢٧٤.

٢ . أحمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، (القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٣٨م) ، ص ١٢.
وراجع أيضا: أحمد شلبى ، تاريخ التربية الإسلامية ، (القاهرة ، دار الكشاف ، ١٩٥٤)، ص ١٩.
سعد مرسى أحمد: تطور الفكر التربوى ، (القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٦٦م) ، ص ١٧٣

٣ . See: Lord Cromer, Modern Egypt, (London, Macmillan Co., 1911)

٤ . أحمد عزت عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص ١٦

مدارس تسير فى تعليمها على النظام الحديث، بل أنشأ بجانبها مدارس على النسق الأوربى. فسار النظامان متوازيين: نظام جامد لا يتطور، ونظام حديث مستورد من الخارج.[1] وبالرغم مما أدخل من تعديلات على نظام التعليم فى مصر، منذ عهد محمد على فى النصف الأول من القرن التاسع عشر وحتى ثورة يوليو سنة ١٩٥٢، فى النصف الأول من القرن العشرين، إلا أن نظام الكتاتيب ظل معلماً هاماً من معالم حياتنا التعليمية. ومن هنا يمكن اعتباره أحد المقومات الهامة لتعليمنا الحديث، يتحتم أن ندرسه بشئ من التوسع. بتتبع أصول الكتاب فى تاريخنا التعليمى من ناحية، ومن خلال بعض الترجمات الذاتية من ناحية أخرى، بالإضافة إلى إلقاء الضوء على جانب آخر وهو الكتاتيب القبطية،[2] مما يبرز كمال الصورة لهذا المعلم التعليمى الهام الذى كان له أثره البارز فى تركيب مصر الاجتماعى.[3]

ويذكر مؤرخو التعليم انه فى أوائل القرن التاسع عشر كانت الكتاتيب بوجه عام نواة لقيام المدارس الإلزامية والأولية فيما بعد، بل إنها كانت فى عهد محمد على مجرد مجمعات بشرية يصيد منها التلاميذ ليزود بهم المدارس التى أنشأها، مما جعل الناس يخشون إلحاق أولادهم بها حتى لا ينتزعوا منها قسرا ليلتحقوا بمدارس الباشا.[4] وفى عهد ابراهيم بن محمد على تغير الوضع. فقد أنشئت مكاتب الملة على نحو ما كان موجودا فى ذلك الوقت فى فرنسا وانجلترا، وغرضها ليس إعداد التلاميذ للدراسة التجهيزية وإنما مكافحة الأمية بين الاهالى.[5]

وجاء عهد عباس فخيم على مصر ظلام كثيف (من سنة ١٨٤٨م إلى سنة ١٨٥٤م)، حتى إذا جاء عهد الوالى سعيد (من سنه ١٨٥٤ الى سنه ١٨٦٢)، أعاد رفاعه الطهطاوى من منفاه فى السودان، كما عهد إلى صديقه إبراهيم أدهم بك بتفتيش عموم المهمات والمدارس لتنفيذ مشروع إنشاء مكاتب الملة، لنشر التعليم بين سواد الشعب، فاقترح أدهم بك على الوالى تعيين رفاعة ناظراً عاماً على هذه المكاتب، لكن المشروع لم يحظ بالتفات سعيد وبقى رفاعة بلا عمل.[6]

فلما جاء عهد إسماعيل كانت الكتاتيب من بين ما شملته النهضة التعليمية التى قادها على مبارك وعبد الله فكرى. ويتضح من هذا أن حركة إنشاء الكتاتيب أخذت فى الغالب - على مدى القرن التاسع عشر - شكلاً شعبياً وليس حكومياً، وحتى قرب نهاية القرن لم يكن للحكومة أى إشراف فعلى عليها. ومن هنا فان الترجمات التى نقرأ عنها تعلم أصحابها فى كتاتيب أهليه أنشأها بعض الأغنياء وخيِّرى القرية أو الحى إرضاء لله وقربا إليه، وربما أنشأتها جمعية خيرية لخدمة الأهالى، أو ربما قام أحد هذه الكتاتيب على وجود فقيه يقوم بتعليم الأطفال مقابل مكافأة عينية يتعيش منها. وبالنسبه للأقباط كان بعض الأغنياء أو مرتلوا الكنائس ينشئون الكتاتيب ملحقه بها ويعفون أطفال العائلات الفقيرة من المصروفات.

---

١ - المرجع السابق ، ص ١٥

٢ - تعرض بعض مؤرخى التعليم فى مصر لدراسة هذه الكتاتيب، وإنما باختصار، وسأدرسها فى هذا البحث من خلال ترجمة سير بعض الشخصيات خلال القرن التاسع عشر مع محاولة ربطها بتاريخ التعليم القبطى فى مصر فى العصور الوسطى.

٣ - Dunne (J.M.): An Introduction to the History of Education in Modern Egypt.(Londoh, 1941), P. 359

٤ - مركز الوثائق والبحوث التربوية ، أضواء على تاريخ التعليم ، اعداد توفيق حفاجى ، اشراف ومراجعة ابراهيم حافظ (القاهرة ، مطبعة وزارة التربية ،١٩٦٣م)، ص ٤٨. وراجع ايضا أحمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى مصر فى عصر محمد على ، ص ٣٦، ١٦٠

٥ - أضواء على تاريخ التعليم ، ص ٤٩

٦ - حسين فوزى النجار، رفاعه الطهطاوى ،الحلقه ٥٣ من سلسلة أعلام العرب، (القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة)، ص ١١٢.

فإذا أتينا إلى دراسة الترجمات التي نريد أن نستقرئ من سيرها نوع التعليم، ونوع الحياة في كتاتيب النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وجدنا أن مضمون التعليم، في هذه الفترة، كما يحدثنا أحد المعاصرين من مواليد سنة ١٨٩٥م،[١] هو القراءة والكتابة والخط والإملاء وتحفيظ القرآن. ويذكر أن هذه المكاتب كانت تقيمها إما العائلات أو أحد الخيرين من الوجهاء ممن يريدون تخليد أسمائهم، أو إحدى الهيئات أو نظارة الأوقاف.

الترجمات الذاتية:

نأخذ نماذج لبعض الشخصيات لنستقرئ دور الكُتاب كأحد مقومات تعليمنا الحديث:

محمد على علوبة: في ترجمته الذاتية، وصف لنا محمد على علوبة [٢] كُتّاب أواخر القرن التاسع عشر وصفا به بعض التفاصيل: "المدينة أسيوط، والكتاب يقع في سوق الخضر بجوار مسجد القاضي، وهو عبارة عن حجرة واحدة فوق دكاكين، ويقوم بالتدريس فيه الفقيه ومساعده الغرّيف، والأطفال مكتظون به وهم من مختلف الطبقات، ومعهم بضع بنات فقيرات كفيفات يتعلمن تلاوة القرآن للتكسب بها. وقبل أن يدخل التلميذ الكُتاب، عليه أن يخلع حذاءه.أما الجلوس فعلى حصير. وأي طفل لا يحفظ، يلزمه الفقيه بمده في الفلقة، وكنا نستعمل ألواحا من الصفيح، ثم ارتقينا وصرنا نكتب في ألواح من الأردواز، وكان الفقيه يحصل على مكافأة من أسرة التلميذ الذي يتقن إحدى السور. وكان هذا الطور طوراً مضنياً مرهقاً ليس فيه شئ من التيسير في الكتابة ولا في اكتساب المعلومات سواء في الحساب أو في غيره. ومما زهدني في الكتاب فوق ذلك أن مدخله الخارجي كان مترببا تتلقانا فيه البراغيث وقت الشتاء، وتعذبنا بلدغاتها طول مدة وجودنا فيه. وكان إذا مات ميت وبدا لأهله أن يحتفلوا بجنازته استأجروا أطفال الكتاب ليسيروا أمام نعشه يرتلون بعض محفوظات يعرفونها. ولأن أبي كان يؤهلني للالتحاق بالأزهر فقد أرسلني بعد أن حفظت القرآن إلى شيخ لأتعلم لديه النحو والصرف، لكنني التحقت بالمدرسة الابتدائية ولم يكن باقيا على الإمتحان النهائي سوى ثلاثة أشهر".[٣]

ونستطيع أن نرى في هذا الوصف الخط الذي سارت فيه بعد ذلك مدارسنا الأولية بوجه عام، وكذلك مدارسنا الالزامية ومدارس المعلمين الأولية التي كان يلتحق بها خريجو تلك المدارس. لقد كان محمد على علوبة إبنا لكبير كتاب محكمة الإستئناف بأسيوط أي من عائلة تنتمي إلى الطبقة المتوسطة. ولذلك لم يطق أن يكمل دراسته في جو الكتاب، فتركه والتحق بالمدرسة الابتدائية الأميرية ليتابع تعليمه بالمدرسة الثانوية ثم بمدرسة الحقوق. ومن هذه المذكرات يمكن التعرف على نوعية المعلم: فهو من خريجي الأزهر، وإلى نوعية الفصل فهو حجرة مهملة مدخلها مترب، ثم نوعية المعاملة القائمة على التخويف واستخدام العصا، ونوعية المنهج المتبع في التحفيظ والتلقين والتسميع، وكلها شكلت الأساس الذي قام عليه فيما بعد نوع التعليم الأولي والإلزامي.

---

١ - هو الأستاذ عبد المجيد، من أمناء مكتبة دار أخبار اليوم سابقا - وقد ولد في ٩/ ١٠ / ١٨٩٥م. يراجع Dunne، مرجع سابق، ص ٢١٤.

٢ - عضو حزب الأحرار الدستوريين سابقا - ونقيب المحامين في الأربعينات - وقد سجل مذكراته بعنوان: "ذكريات اجتماعية وسياسية"، مخطوط دار الوثائق التاريخية القومية بالقلعة)، توفي في مايو ١٩٧٦م (راجع حافظ محمود، جريدة الجمهورية في ١٠ مايو ١٩٧٦م).

٣ - المرجع نفسه - ص ٣.

أحمد أمين [1]: يؤكد هذه الصورة ما سجله الأستاذ الدكتور / أحمد أمين في ترجمته الذاتية عن هذه الكتاتيب. ومع أنه نشأ بالقاهرة، إلا أنه التحق بأحد هذه الكتاتيب في طفولته في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. يقول الدكتور أمين: "كان الكُتاب الذي اختاره أبي لي حجرة متصلة بالمسجد، وبجانبها دورة مياه، وأثاث هذه الحجرة حصير كبير بال، قد انسلت منه بعض عيدانه، وزير فيه ماء يكاد يسود من الوسخ، عليه غطاء من خشب، وقد ثبت فيه حبل طويل ربط به كوز ليستقي منه الشارب". وذكر صاحب السيرة ما ذكره علوبة عن العصا التي بيد الشيخ، والعريف الذي يساعده في التحفيظ والتسميع، والفلقة التي يمد عليها الأطفال الذين لم يحفظوا، لكنه يضيف بأنه عند الظهر، كان العريف يحضر بعض مرق النابت، وبعض المخلل، فيأكل الأطفال معاً مما يجعل من الكُتاب مجالا لنشر الأمراض. ويعلن صاحب الترجمة احتجاجه على هذه الأوضاع والأحوال بقوله: "من أجل ذلك كرهت هذا الكتاب، وهذا التعليم، وهذا سيدنا".[2]

وهكذا يتفق الكاتبان، أحدهما من أسيوط والآخر من القاهرة، على مدى ما كان يصيب التلميذ في هذا الكُتاب من معاناة فضلاً عن تعريضه للفاسد الرديء من العادات مما نفر أبناء العائلات المتوسطة من روح المعاملة به، وجعلهم يتجهون إلى المدارس الابتدائية، وفي المأساة التي عاشاها في هذه الكتاتيب نجد محمد علي علوبة يقارن بين هذا الكُتاب وبين المدارس الأجنبية، فتكون نقطة البدء في حديثه عنها. آدمية التلميذ ومدى احترام وتقدير مدرسته له.

يقول[3]: "إن التلميذ في المدارس الأجنبية يكون محل عطف وتقدير، بينما هو في الكتاتيب الأخرى مهمل لا اهتمام بشأنه، وقد اطلعت على شهادات مدرسية لأطفال في المدارس الأجنبية لم يتجاوزوا العاشرة فإذا اسماؤهم تسبق بكلمة مسيو أو سيد بخلاف ما نراه في المدارس المصرية التي تكتب اسم التلميذ مجرداً فضلاً عما نسمعه من أن المعلمين في بعضها يهينون التلاميذ ويسبونهم ويجرحون إحساساتهم".[4]

أما أحمد أمين فيتحدث عن رياض الأطفال [5] ويقارنها بالكتاتيب فيقول "أما رياض الأطفال فشيء آخر، فيها سيدات مهذبات أو آنسات ظريفات، يعلمن على أحدث طراز من البداجوجيا، ويتحايلن على تشويق الطفل.. وأما المدرسة الابتدائية المصرية التي التحقت بها بعد ذلك فقد بنيت على أفخم طراز، أجمله، أبهاء فسيحة، فرشت أرضها بالمرمر، وحليت سقوفها بالنقوش، المذهبة، ولبست البدلة بدلا من الجلباب، وطربوشا بدل الطاقية، وأحسست علوا في قدري ورفعة في منزلتي، وخالطت تلاميذاً من الطبقة الوسطى أو العليا، لا نسبة بينهم في نظافتهم وجمال شكلهم وبين أبناء الكتاتيب وأبناء الحارة".[6]

وقد يفيد في معرفة الفوارق الجذرية والواضحة بين تعليم الكتاتيب، سواء الإسلامية أو

---

١ . كان أستاذاً للأدب العربي بكلية الآداب بجامعة القاهرة في أواخر الثلاثينات من القرن العشرين، ثم عميداً لها في أوائل الأربعينات وقد سجل هذه الذكريات العربي في الترجمة الذاتية التي أخرجها بعنوان "حياتي" (القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٠م).

٢ . أحمد أمين ،المرجع السابق ، ص ٣٨.

٣ . مذكرات علوبة ، ص ٦

٤ . يجب الا ينسينا هذا التقريظ ما كانت هذه المدارس تستهدفه من اتجاهات استعمارية وقتل الروح القومية المصرية بين تلاميذها ، لكن مؤسسيها انوا حاملين معهم فكر عصر التنوير في أوروبا والنظرة التربوية الصحيحة للطفل كإنسان.

٥ . أحمد أمين ، المرجع نفسه ، ص ٣٩.

٦ . المرجع نفسه ، ص ٤٢

المسيحية، وتعليم رياض الأطفال والمدارس الإبتدائية أن ندرس بعض تقارير المسئولين في أواخر القرن التاسع عشر. ونبدأ بتقرير أحد رجال التعليم المسئولين: علي مبارك الذي قدم في ١٥ يناير ١٨٩٠م مذكرة إيضاحية لرياسة مجلس النظار عن التعليم في مصر جاء فيها: "إن التعليم في مثل هذه الكتاتيب لم يكن على النهج القويم إذ أن أمر التعليم فيها موكول إلى أناس بدلاً من أن يكونوا سبباً في اتساع مدارك الإطفال وتهذيبهم، كما هو الغرض، فإنهم الواسطة الوحيدة في طمس العقول، ورداءة التربية، لجهلهم بأحوالها فيخرج التلاميذ من تلك الكتاتيب مجردين من الفوائد المادية والأدبية بعد أن يصرفوا فيها سنين العمر. فالواجب إذن جعل هذه الكتاتيب على أسلوب المكاتب الابتدائية، وأن تساعد الحكومة النظارة في حصولها على ما يساعد في تحقيق ذلك".[١] وجدير بالذكر أن علي مبارك في مطلع شبابه ناقش أباه ليعدل عن دراسته للفقه أي عن التعليم الأولي والأزهري، إلى الكتابه، أي إلى المدرسة الإبتدائية، لما كان يرى من حسن زي الحكام وهيبتهم".[٢]

فإذا اتينا إلى أوائل القرن العشرين وجدنا تقارير اللورد كرومر، المعتمد البريطاني في مصر، تؤكد هذه الحقائق. يقول اللورد كرومر في تقريره سنة ١٩٠٥م عن أحوال التعليم: "إن أعظم ما لاقته نظارة المعارف من العقبات التي اعترضت سير مشروع إصلاح الكتاتيب أن طائفة معلمي الكتاتيب لم تكن على كفاءة لتولي التعليم على الوجه الذي ينبغي، وأن أمكنة تلك الكتاتيب كان معظمها بمعزل عن اللياقة الصحية، فهي على حال سيئة يعجز القلم عن وصفها".[٣]

ونلاحظ أن هذين التقريرين قد أعطيا أهمية خاصة لنوع المعلم، الذي يقوم بخدمة هذا النوع من التعليم. إنه في نظر علي مبارك وكرومر عامل مساعد على طمس العقول، وهو يشكل أكبر عقبة في نهوض التعليم. وامتدادا من المنهج الذي نطبقه في هذا البحث، والذي نحاول في ضوئه أن نتتبع أصول تعليمنا الحديث، نتساءل: هل لنوعية معلم الكتاتيب جذور تاريخية سابقة ؟ لقد كتب ابن خلدون في القرن الخامس عشر عن معلم الكُتاب. ففي المقدمة لكتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر"، [٤] وفي الفصل الحادي والثلاثين بالذات تكلم عن ازدياد عدد الكتاتيب، منذ القرن الثاني الهجري، وعن المناهج التي كانت تدرس بها، وكيف "أن ما درسه الولدان اختلف من قطر إسلامي لقطر آخر"، كما ذكر كيف اقترن إنشاء المدارس الإسلامية في القرن الرابع الهجري "بأوقاف تخصص للإنفاق عليها: أي على أساتذتها وطلابها"، فلما جاء إلى معلمي الكتاتيب قال عن اندساس الكثيرين إلي هذه المهنه وهم أبعد ما يكونون عن الصلاحية لها حتى قيل في الأمثال "أحمق من معلم كُتاب" !! فقد كان بعض هؤلاء المعلمين من الموالي، وكان تقبلهم للطعام، وبخاصة الخبز، من تلاميذهم، ووضوح حاجتهم إلي ما يرسله إليهم آباء التلاميذ، عاملاً هاماً في إنزال مكانتهم الاجتماعية.[٥] وربما كان لشكل العملية التعليمية التي كان يقوم بها

---

١ ـ جرجس سلامه ، أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي ، مرجع سابق، ص ١٧٠.

٢ ـ احمدعزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، مرجع سابق ص ٥٧٣.

٣ ـ جرجس سلامة، مرجع سابق، ص ٧٦.

جدير بالذكر ان المقاومة التي صادفها البابا كيرلس الرابع حين اسس مدارسه الابتدائية على النظام الحديث، اواسط القرن التاسع عشر، جاءت من معلمي الكتاتيب خشية أن يفقدوا مصدر رزقهم. ولكنه تغلبهم في اجتماع عقده لهم وعينهم بمدارسه مدرسين للألحان.

٤ ـ الناشر ـ المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٨م.

٥ ـ المرجع السابق، ص ٣٩٧، ٣٩٨.

هؤلاء المعلمون، وما ارتبط بهذا الشكل من الإهتمام بالتلقين والتسميع أثره في تحديد مكانتهم الاجتماعية. ويذكر مؤرخو التعليم عن شكل التعليم في هذه الكتاتيب "أنه كان بسيطا لا يساعد الآخذين به على إجادة التفكير، كما لم يكن يبعث فيهم شوقا أو حنينا لمواصلة العلم أو استخدام ما تعلموه في تحسين حالهم من الوجهة العقلية أو الاجتماعية أو المادية، بل إن كثيرين منهم سرعان ما ينسون القراءة والكتابة بعد إهمال المران عليهما".[1] وهكذا نجد أن كتاتيب القرن التاسع عشر، بشكلها ومحتواها، ليست سوى امتداداً تاريخياً لكتاتيب القرن الخامس عشر. وكما كتب عنها ابن خلدون في مقدمته المعروفة، كتب عنها كذلك علي مبارك في تقاريره ومذكراته في أواخر القرن التاسع عشر. وبالتاكيد إن ما كان حادثاً في القرن الخامس عشر أيام ابن خلدون هو بدوره امتداد لما سبقه منذ إنشاء الأزهر في القرن العاشر. وهكذا تتضامن الأجيال في تعاقبها منذ العصور الوسطى، جيلاً بعد جيل، في مسئوليتها المشتركة عن شكل التعليم في عصورنا الحديثة، مما يكشف في وضوح عن بطء حركة التغير الثقافي، وارتباطها بشكل الحكومة. ومن الطبيعي أن الولاة الغرباء الذين توالوا على الأقطار العربية، ومنها مصر، طوال العصور الوسطى، لم يكن يهمهم أمر تعليم الشعب، ولا إعداد المعلم الصالح، ولا تطوير مناهج تعليمه، مما ترك أهم المرافق أثراً في تشكيل حياة البلد، وهو التعليم، في تخبط عشوائي كانت له أبعد الأخطار والمضاعفات في تشكيل المجتمع.

وفي مصر كان الفارق كبيرا بين الوسطين. فالتعليم في الكتاتيب كان مجانياً، أو مقابل تكلفة بسيطة أغلبها عيني، بينما كان التعليم بالمدارس الأجنبية أو برياض الأطفال أو بالمدارس الابتدائية الأميرية مقابل نفقة غير هينة. وهكذا عمل الفارق الطبقي في "مصروفات الدراسة" على الفصل بين أبناء الوطن الواحد مما ستضمح آثاره في تشريعات النصف الأول من القرن العشرين، أي حتى تقرير المجانية في التعليم الابتدائي سنه ١٩٤٤م بواسطة نجيب الهلالي ثم إكتمالها سنه ١٩٥١م على يد طه حسين. فإختلاف المدرسة سواء كانت رياض أطفال أو ابتدائية، أو خاصة ـ مصرية أو أجنبية ـ لم يكن فقط في المنهج والمستقبل الذي يؤدي إليه كل منهما، وإنما تركز أساساً في نوع الثقافة السائدة وفلسفة النظرة للتلميذ، ونوعية العقلية الموجهة، وطرق المعاملة، ثم عينة الإدارة القائمة بالعمل. وقد انتقلت عقلية وثقافة التخلف، سواء في الريف أو في المدن، بكل خصائصها ومميزاتها إلى المدرسة الإلزامية: أي انتقلت بنوع تلميذها ومعلمها، وبشكل مبانيها وحجراتها وأثاثها، وكذلك بطرق المعاملة السائدة بها، وأسلوب إدارتها، مما نفر حتى أبناء الفلاحين أنفسهم من التردد عليها، فكان أن أصبح التعليم مجرد "شكل" من الخارج دون إهتمام بالجوهر أو المضمون أو الغاية. وقد رافقت هذه الظاهرة تعليمنا الالزامي إلى مدى طويل، وحتى تحوله إلى المدرسة الابتدائية الموحدة، وما اقترن بذلك من تغير مناهجه، ظلت هذه الظاهرة هي السمة المميزة له.

في الفترة نفسها التي نتكلم عنها، كانت تناظر الكتاتيب الملحقة بالمساجد، كتاتيب أخرى ملحقة بالكنائس القبطية،[2] يتعلم بها أبناء المسيحيين اللغتين العربية والقبطية ومبادئ الحساب

---

١ ـ احمدعزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، مرجع سابق، ج١، ص ١٧

٢ ـ المرجع السابق ، ص ٦٦٧ ، ٦٦٨.

وطقوس الكنيسة وألحانها ونصوص من الإنجيل والرسائل والمزامير.[1]

وممن عني بدراسة هذا الموضوع، والكتابه عنه بشئ من التفصيل، مؤرخ مصرى مشهور بمؤلفاته التاريخية في أوائل القرن العشرين هو الاستاذ جرجس فيلوثاؤس عوض. فمن مؤلفاته المشهورة، التى تخدم دراستنا هذه عن كتاتيب القرن التاسع عشر، كتابه عن "ذكرى مصلح عظيم: البطريرك كيرلس الرابع".[2] وقد أصدره في مناسبة مضى خمسين سنة على وفاة هذا البابا والذى أطلق عليه بحق لقب "أبو الاصلاح".

ففى حديثه عن نشأة هذا المصلح العظيم ذكر أنه ولد سنه ١٨١٦م. ومع أن والده كان مزارعاً أمياً إلا أنه اعتنى بتربيته كما كان يتربى أبناء الأمة وقتئذ فى الكتاتيب التى بقيت آثارها إلى عهد قريب، إذ كانوا يتعلمون فيها، القراءة والكتابة العربية، ومبادئ اللغة القبطية قراءة وكتابة، ومبادئ الأعداد وكسور الفدان.[3]

وللمؤلف نفسه كتاب "تاريخ الإيغومانس فيلوثاؤس"[4] وقد ذكر فيه عن نشأة هذا القس فى طنطا فقال "إنه ولد - كما وجدت ذلك مسطورا بخط يده سنة ١٨٣٧م، وأبوه هو المعلم ابراهيم بغدادى صالح من وجوه طنطا، وأمه مريم من عائلة "النجارين" من سبرباى. وقد تربى كما كان يتربى بنو الأقباط فى ذلك العهد فى المكاتب الأهليه عند معلم كفيف البصر، فتعلم قليلاً من مبادئ القراءة البسيطة، وحفظ المزامير غيبا، وتعلم قراءة اللغة القبطية، وبعض مبادئ الحساب، كالقواعد الأصلية مع العلامات المعروفة للآن للدلالة على كسور الفدان، لإمكان الإشتغال بها فى الأعمال التجارية أو فى مصالح الحكومة التى كانت مطمع أنظار الناشئين. وكان العريف - بالإضافة إلى ذلك - يقوم بتحفيظهم الألحان الكنسية ليتمكنوا من القيام بخدمة الكنيسة بوظيفة شماس قارئ.[5]

وليست لدينا فى الواقع مادة تفصيلية عن الحياة فى المكاتب القبطية فى القرن التاسع عشر كالتى قدمها الدكتور أحمد أمين والأستاذ محمد على علوبة. لكن الأغلب أن أسلوب التربية لم يكن يختلف كثيراً عنه فى المكاتب الإسلامية: فطريقة التحفيظ هى الغالبة، وإن كانت مادة الحفظ أقل وأسهل من المادة القرانية، ومكافأة العريف فى النوعين متشابهة فهى عينية. لكن ثمة فارق واضح هو أن الكتاب القبطى كان من منهجه تعليم مبادئ الحساب مما كان يميزه عن الكتاب الإسلامى.

وباللقاء مع بعض المسنين ببلدة مليج - منوفية - لاستطلاع رأيهم، والاستماع إلى ذكرياتهم عن الكتاتيب التى تعلم فيها والدهم أو التى التحقوا هم بها، من هؤلاء: المعلم يسطس مرتل كنيسة الشهيد صرابامون، الأستاذ فؤاد صليب الذى تحدث عن كتاب والده المعلم صليب، والأستاذ جورجى مكارى، وكان من مدرسى المنوفية المشهورين والذى تخرجت أجيال كثيرة على

---

١ - نفس المرجع، ص ١٧.

٢ - نفس المرجع ، ص ٦٦٧ - ٦٦٨.

٣ - راجع احمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم ، ج ٢ ، ص ٨٣٣.

٤ - القاهرة ، مطبعة التوفيق ، الطبعة الأولى ، ١٩١١م. وقد ذكر محمد عزت عبد الكريم عن المدارس التى انشأها هذا البطريرك فى فاتحة النصف الثانى من القرن التاسع عشر على عهد الوالى سعيد، انها كانت مركزا لحفظ القومية المصرية إزاء الكلية البروتستانتية التى انشأها الأمريكان باسيوط.

راجع تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، ج ٢ ص ٨٣٩.

٥ - جرجس فيلوثاؤس عوض، ذكرى مصلح عظيم: البطريرك كيرلس الرابع، مرجع سابق، ص ٢٥ - ٢٦.

يديه. من ذكريات هؤلاء أمكن الحصول على مادة تاريخية على جانب كبير من الأهمية عن الكتاتيب القبطية فيما بين سنه ١٨٥٠م و سنه ١٩٢٠م، نلخصها فيما يلي:

كان الكتاب يسمى باسم من أنشأه وقام بالتدريس فيه. ومن أمثله ذلك: كتاب المعلم حنين سنه ١٨٥٠ - ووقت كتابة هذه المذكرة كان حفيده، وعمره ٧٥ سنه، لايزال على قيد الحياة. و كتاب المعلم ميخائيل نوار سنه ١٨٧٠م، وقد حمل لواء التعليم من بعده المعلم اسحق جرجس الذى أقام كتابه سنه ١٨٩٠م، وخلفه ابنه اسحق الذى ظل يعلم حتى سنة ١٩٢٠م.

كانت للكتاب القبطى أهداف تعليمية وإجتماعية بالإضافة إلى الهدف الرئيسى وهو إعداد شمامسة الكنيسة التى كان الكُتاب يلحق بها... أما الأهداف التعليمية فتنحصر فى تعليم الأطفال: القراءة والكتابة باللغتين العربية والقبطية والإملاء، والصلاة الربانية، وصلاة الشكر، وألحان الكنيسة، والمزامير، وبعض فصول من الكتاب المقدس، أما تعليم الحساب فكان يهدف إلى تخريج التلميذ المتمكن من العمليات الحسابية، ومن حساب مساحة الأرض ، وكسور الفدان، ووزن الغلة، وأيضاً إعداده للعمل بالشركات التجارية كصراف. فمناهج الحساب فى السنوات التى كان يقضيها التلميذ بالكتاب كانت تعده لهذه المهن: نظارة الزراعة، صراف باحدى الشركات، كاتب بالمصالح الحكومية. على أن أعظم هدف كان يسر له الوالد أن يرى ابنه يعتلى المنجلية بالكنيسة ليقرأ الرسائل او الإنجيل المقدس أو واقفاً بالمذبح يردد ألحان القداس مع الأب الكاهن. فى هذه الحالة كان يذهب إلى العريف ويعطيه جنيهاً ذهبياً... أما الأجر الشهرى عن تعليم التلميذ فلم يكن يتجاوز العشرة قروش ثمن كيلتين ونصف ذرة.

أما سن الالتحاق فكان يبدأ من السادسة حين يصطحب الأب إبنه إلي عريف الكتاب ويقول له "هذا إبنك فتعهده وليس لي شئ فيه من الآن سوى أن أستلمه متعلماً. وأنت تكسر وانا أداوى. وكانت مواعيد الدراسة من الثامنة صباحاً حتى الثانية عشرة، ثم من الواحدة حتى الرابعة بعد الظهر. وساعة للراحة بين الفترتين لتناول الغداء. والأحد يوم عطلة. وخشية نزول الأولاد إلى الترعة، ولئلا يصابوا بالبلهارسيا، كان العريف يختم الأطفال في فخذهم بختم كوبيا، وعلى الطفل أن يحافظ عليه لحين حضوره صباح الإثنين. ومن يمسح ختمه يعاقب بالضرب على قدميه فى الفلقة أى "تفليقه". ومع ذلك فقد كان بعض الأطفال يتحايلون بربط قرش خردة، فى حجم الريال الفضة، على علامة الختم ليأمنوا عدم مسحه عند نزولهم فى الترعة للإستحمام...

وكان الكُتاب عبارة عن حجرة أو حجرتين وبه مجموعة من الحصر أو النخت وقد تتسع كل تخته لعشرة تلاميذ. وهم يحضرون بالجلاليب والقباقيب أو الشباشب أو الأحذية. وعلى كل تلميذ إحضار لوح أردواز وكراسة وقلم. وبالكُتاب زير او قلة بجانبها كوز من الصفيح لاستخدامه فى الشرب. وقد يساعد عريف الكُتاب أحد أولاده أو بعض كبار التلاميذ المتفوقين. وتأخذنا الدهشة إذا علمنا أن بعض هذه الكتاتيب كانت تدرس به اللغة الإنجيليزية، كما كان يقبل التلميذات. فهو إذن مدرسة تكاد تكون متكاملة بمناهجها، واشتمالها على الجنسين، وتعليمها للغة أجنبية. بل وأكثر من ذلك قبول بعض التلاميذ المسلمين بها فى غير تفرقة بين دين ودين. ربما لم تكتمل لهذه المدرسةالشروط الصحية المطلوبة : فدورة المياه غير صحية، والغرفة

محدودة المساحة قد تضيق بالثمانين أو المائة تلميذ المزدحمين بها، والقلة وكوز الصفيح غير الصحيين. فالكتاب كان صورة صادقة لكل سلبيات مجتمع القرية بأميته وتخلفه منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين. ومع ذلك كان هو المؤسسة التعليمية الوحيدة الموجودة قبل إنشاء المدارس الأولية ثم المدارس الابتدائية، وكذلك قبل وصول الإرساليات الأجنبية واهتمامها بإنشاء المدارس. ومع ذلك فإن الكتاتيب قامت بدور تعليمي وإجتماعي كبير، إذ تعلم فيها الكثير من أبناء القرى والمراكز والمديريات وتخرجوا فيها : شمامسة، موظفين، مدرسين، صيارفة، معلمي ألحان. بل إن من كان ينتهي من دراسته بالكتاب كان بإمكانه الإلتحاق بالمدرسة الأولية وبالفرقة الثانية أو الثالثة وفقاً لمستواه. وكانت الفتاة التي تجتاز إتمام الدراسة بالمدرسة الأولية تلتحق بمدرسة المعلمات.

أما عن طرق الإمتحانات فكانت تجرى شفوية وتحريرية، ويأخذ التلميذ في نهاية الدراسة شهادة صلاحية. ومما كان يسهل الدراسة توفر الكتب التي يستذكر فيها التلاميذ دروسهم ويحلون منها التمارين التي يكلفون بها: ففي اللغة العربية كان المعلم يقرر كتابين: السبيكة الذهبية والقراءة الرشيدة، وكان الكتابان يحتويان على بعض القصائد الوطنية. على أن بعض الكتاتيب كانت تعفي التلاميذ الفقراء من ثمن الكتب وتصرفها لهم مجاناً. في الوقت نفسه كانت هناك شبه تربية عملية بضرورة ذهاب التلميذ يوم الأحد إلى الكنيسة لحضور القداس. وكان العريف - الذي غالباً ما كان كفيف البصر - يختار بعض الأطفال الكبار كمشرفين لحفظ النظام وإثبات الحضور والغياب. ويعلن بعض من سألناهم عن هذا النوع من التوجيه التربوي قائلا: "ولذلك نشأ هذا الجيل متديناً، محترماً لعقيدته، وموقراً لمن يكبره سناً. أما في أعمالهم فقد عرفوا بالأمانة الكاملة، فما وجد بينهم غشاش أو مختلس. وبمرور الوقت، وفي أوائل القرن العشرين، أصبحت هذه الكتاتيب خاضعة للتفتيش الحكومي منذ سنه ١٩٢٥م، فكان يزورها مفتش بين وقت وآخر. أما وسيلة مواصلته فهي الداية، وكان يختبر التلاميذ في القراءة والكتابة والحساب ليعرف مستواهم، وكان معنى ذلك أن مجالس المديريات بدأت تتصل بهذه الكتاتيب بإرسال الكتب المقررة، وأيضا بإعانتها ماليا. وبالنسبة للتربية الدينية كان الكتاب المقرر للأرشيدياكون حبيب جرجس بعنوان "المبادئ المسيحية" في أجزاء يتفق كل جزء وطبيعة المرحلة الدراسية.

وجدير بالذكر أنه على غرار الكتاتيب القبطية كانت تنشأ الكتاتيب الإسلامية مثل كُتاب الشيخ عبد الواحد، وكتاب الشيخ عبد اللطيف، وفيها يتعلم التلميذ اللغة العربية والقرآن والأناشيد، أما الحساب فقد تميز الكتاب القبطي بتعليمه. والولد المسلم - بعد إتمام الدراسة بالكتاب - كان بإمكانه الإلتحاق إما بالمدرسة الأولية أو بالأزهر، ليعود فقيها للمسجد أو صاحب كتاب كالذي تعلم به. على أن بعض الكتاتيب، مسيحية وإسلامية، كانت تقبل بعض التلاميذ المكفوفين لتؤهلهم للعمل المناسب الذي يساعدهم على مواجهة مطالب العيش. ولذلك كان تعليمهم صوتيا في تعلمهم للديانة، واللغة العربية. أما الحساب فلأن طريقة برايل لم تكن قد اكتشفت بعد، فقد كان من الصعب تعليمه لهم.

هكذا تماثل أسلوب التربية في الكتاتيب القبطية ونوعية الثقافة السائدة عليها مع أسلوب وثقافة الكتاتيب الإسلامية. فطريقة التحفيظ هي الغالبة، ومكافأة العريف في النوعية متشابهة،

فهي عينية، لكن ثمة فارقا واضحاً هو أن الكتاب القبطى كان من بين مناهجه تعليم اللغة القبطية ومبادئ الحساب وعملية كسور الفدان مما كان يساعد على إعداد الطفل للعمل إما فى نظارة الزراعة أو فى المحلات التجارية أو فى مصالح الحكومة. وعلى سبيل المثال نجد أن والد الطفل فيلوثاؤس قد سلمه ، بعد ان أنهى دراسته فى الكُتاب، إلى أشهر تجار طنطا ليكون كاتبا ضمن كتبة محله.[1] ويذكر القنصل الروسى "دوهاميل" أن مصر حين وليها محمد على سنه ١٨٠٥م لم يكن بها أكثر من مائتين يعرفون القراءة والكتابة بإستثناء الكتبة من القبط.[2] وهـؤلاء كـان الكُتاب هو مصدر تعليمهم الوحيد. بعكس الكُتاب الملحق بالمسجد فكان منهجه الأساسى تعليم القرآن وتحفيظه، أما تعليم القراءة والكتابه فكان يأتى ضمناً، بينما الحساب لم يكن له اى مكان فى هذا المنهج.

ومما ضاعف من حدة الأمية إهمال تعليم المرأة كلية فى ذلك الحين. لكننا نلمح بصيصاً من النور لمع مرتين فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر: فى المرة الأولى حين فتح البابا كيرلس الرابع أول مدرسة للبنات فى مصر سنة ١٨٥٩م، وكان يقبل بها التلميذات على مختلف أديانهن. فكان بذلك أول صوت دوى فى مصر الحديثة لإعلان الحرب على الأمية فى محيط المـرأة.[3] أما المرة الثانية فحين نشر رفاعة الطهطاوى كتابه "المرشد الأمين للبنات والبنين" سنة ١٢٨٩ هـ (نحو سنة ١٨٧٣م) وقد عرض فيه لتعليم المرأة وما لها من حقوق اجتماعية " يقول "ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معا" فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك فإن هذا مما يزيدهن أدبا وعقلا ويجعلهن بالمعارف أهلا، ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والرأى فيعظمن فى قلوبهم، ويعظم مقامهن، وحتى يمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها، وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة، فإن فراغ السنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء، وافتعال الأفاعيل - فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة، وإذا كانت البطالة مذمومة فى حق الرجال فهى مذمة عظيمة فى حق النساء. "ويستطرد فيرد السبب فى حرمان البنات من الكتابة إلى الغيرة الجاهلية، ويقول: "إن تعليم البنات يحملهن على الأخلاق الحميدة، ويؤثر كثيرا فى أخلاق أولادهن." ثم يتابع الحديث: "على أن تعلم النساء الكتابة جائز وأن اشتراكهن مع الرجال لابأس به، حيث اشتركن معهم فى أصل الطبائع والغرائز."[4]

وتلك الدعوة إلى تحرير المرأة من وقر الجهل وخبث الغيرة الجاهلية وإلى مشاركة الرجل فى العمل بقدر ما تطيق، حملها رفاعة قبل أن ينادى بها قاسم أمين بنيف وثلاثين عاما.[5] على أن

---

١ - تاريخ الأيغومينوس فيلوثاؤس عوض - ص ١٩٢.
راجع ايضا:
R. Curzon, Visits to Monasteries in the Levant.(London. 1955) p. 99.
ويقول الأيغومينوس فيلوثاؤس: ان القبط كانوا يشتغلون بأعمال الصيرفة والحساب والكتابة ليراعتهم فيها".
Leader, Modern Sons of the Pharaohs.(London.1951).

٢- حسين فوزى النجار ، رفاعة الطهطاوى ، الحلقة ٥٣ من سلسلة أعلام العرب، (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر)، ص ٢٩.

٣ - ممن يذكرهم تاريخ التعليم سيدة مصرية تدعى سعيدة ميخائيل اختارها البابا كيرلس الرابع ناظرة لمدرسة البنات التى اقامها بحارة السقايين فكانت تزور العائلات لإقناعها بأهمية تعليم بناتها.
سلامه موسى، المجلة الجديدة، ١٩٤١م.
زينب محمد فريد، تطور تعليم البنت فى مصر فى العصر الحديث، رسالة ماجستير غير مطبوعة، (القاهرة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس).

٤ - كتاب المرشد الأمين، الفصل الخامس "يتشريك البنات مع الصبيان فى التعليم والتعلم وكسب العرفان"، ص ٦٦.

٥ - حسين فوزى النجار، مرجع سابق ، ص ١٤٧ ، ١٤٩.

ثورة ١٩١٩م واشتراك المرأة فيها كانت، بلا شك، هي الدفعة القوية لها لتخرج من مجال "الحريم العثماني" إلى العمل والمشاركة في خدمة المجتمع.[١]

وكما كان الأزهر امتدادا للتعليم الأولي يلتحق به التلميذ بعد إنتهائه من الكتاب أو مدرسة المعلمين الأولية، كان بإمكان التلميذ القبطي بعد إنتهاء دراسته بالكتاب أن يلتحق بالمدرسة الإكليركية التي تعد خدام الدين، ليتخصص لخدمة الكهنوت. وقد أعيد إنشاء هذه المدرسة في تاريخنا الحديث منذ نوفمبر ١٨٩٣م[٢] لإعداد طلابها إما للخدمة الكهنوتية، أو لإلقاء العظات في الكنائس والجمعيات القبطية بالمدن او القرى بصعيد مصر ودلتاها، أو لتعليم الدين بالمدارس.

تقويم الكتاب كمقوم هام من مقومات تعليمنا الحديث.

لقد حوى الكتاب في مصر في المحيطين الإسلامي والمسيحي تقريبا ذات الخصائص والأهداف، فهو إذن أصل هام من أصول تعليمنا الحديث. فقد كان مركزاً للتعليم الأولي للقاعدة الشعبية بوجه عام، وللطبقة المتوسطة بوجه خاص. لكن سرعان ما كان أبناء هذه الطبقة - كما رأينا في الترجمة الذاتية للأستاذ محمد علي علوبة في أواخر القرن التاسع عشر - يتركونه إلى المدارس الحكومية الابتدائية، ليتابعوا سيرهم منها إلى المدرسة التجهيزية فالعالية. ومن هنا كان الفرق واضحا بين نوعية الطبقة التي تلتحق بالكتاب، وبين تلك التي تلتحق بالمدارس النظامية. فإذا كانت السمة التي ميزت طبقة المدارس هي القدرة المالية، الجزئية، فإن سمة الطبقة التي التحقت بالكتاب تميزت بالعجز المالي، وبالتالي بمحاولة الاستغناء عن التعليم نهائيا وإلحاق أبنائها بالعمل في الزراعة في الريف أو الصناعة البسيطة في المدن. أي أن الكتاب لم يكن عاملاً من عوامل محو الأمية إلا بين نسبة قليلة من الشعب. وكثيراً ما كان تلاميذه يتركونه في منتصف الطريق لصعوبة ما يكلفون بحفظه ولقسوة المعاملة كما رأينا. فأما القادرون فكانوا يهجرونه إلى المدارس الحكومية، وأما العاجزون - وهم الغالبية - فإلى مجالات العمل المتنوعة.

وقد ظلت "الطبقية" هي السمة المميزة والفاصلة بين التعليم في الكتاب، الذي تحول إلى المدرسة الأولية فالالزامية، وبينه في المدرسة الابتدائية أو رياض الأطفال. وبذلك تعرضت الأمة للإنفصام الثقافي والفكري بين طبقة شبه أمية، وسرعان ما ترتد إلى الأمية الكاملة، وبين طبقة متعلمة. الأولى تعاني من الفقر والقصور عن متابعة التعليم وبالتالي عن المشاركة في أمور البلاد السياسية والاجتماعية، والثانية تملك القدرة على دفع نفقات التعليم، وبالتالي تستطيع الوصول إلى المراحل الأعلى من التعليم فالمناصب القيادية في البلاد، مما أتاح لها التسلط على الطبقة الأخرى واغتصاب حقوقها في سهولة بحكم ما تحت يدها من إمكانيات مادية وأدبية. أي أن التعليم كان هو الحد الفاصل بين طبقة وطبقة بالرغم من أن المجتمع واحد والشعب واحد. بمعنى

---

١ - كانت نبوية موسى أول فتاة مصرية حصلت على البكالوريا سنة ١٩٠٧م. وبالرغم من مشاركة المرأة في ثورة ١٩١٩م الا أن حصول أول فتاة على هذه الشهادة نفسها بعد ذلك لم يأت قبل سنة ١٩٢٨م.
راجع طه حسين، مذكرات طه حسين، بيروت، دار الآداب، ص ٤٥. ويذكر طه حسين أنه التقى بنبويه موسى عند أحمد لطفي السيد. وهي أول فتاة مصرية ظفرت بالشهادة الثانوية.

٢ - حبيب جرجس، المدرسة الاكليريكية بين الماضي والحاضر، (القاهرة، ١٩٢٨م)، ص ١١
وراجع ايضا: رياض سوريال، المجتمع القبطي في القرن التاسع عشر، (القاهرة، مكتبة المحبة، ١٩٨١م).

آخر أصبح التعليم هو الوسيلة التي تصطنعها وتأخذ بها طبقة القادرين لتجنب العوز المادي، والحرمان المعنوي: إجتماعياً وأدبياً وسياسياً، وللوصول - في الوقت نفسه - إلى مناصب الدولة. ومن هنا فقد تحول التعليم في عصر الإحتلال إلى مجال صراع رهيب بين الإنجليز والسراي والإقطاع من جانب وبين القوى الشعبية المتطلعة إلى الحياة الأفضل من جانب آخر. وبينما راح الإحتلال يدعو لنشر الكتاتيب كانت القوى الشعبية قد سبقته إلى إنشاء فكرة الجامعة الأهلية سنة ١٩٠٦م، ذلك أنه أراد أن يقف بالعقلية المصرية وبنموذج الشخصية المصرية عند حد معين، حتى لا تشعر بإجحافه لها وبمظالمه التي ينزلها لسخها. أما المصريون فقد استلهموا ماضيهم من ناحية، وتلقفوا دعوة الحرية المرتبطة بالتعليم في أوروبا من ناحية أخرى، واجبروا المحتل على أن يفسح لهم الطريق، ولكن بعد جهد عسير.

وثمة سمة أخرى ميزت الكُتاب هي التفرقة بين شعب الأمة الواحدة: فكتاب قبطي وآخر إسلامي. وقد ناقش مجلس شورى النواب هذه المشكلة في أول دورات إنعقاده سنة ١٨٦٦م، ووجد لها حلا واعيا يجمع بين أطفال الوطن الواحد. فكلهم - كما عبر بعض النواب - مصريون ويجب الا تكون هناك أية تفرقة بينهم.[1] حقيقة أنه بالرغم من هذه المحاولة بقيت الكتاتيب منفصلة كما كانت، لكنها كانت على أية حال صيحة ظلت موجودة في خاطر الأمة وضميرها حتى تحقق توحيد المرحلة الأولى في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين. وقد يكون من المفيد أن نشير هنا إلى سبق رفاعة الطهطاوي إلى هذه الدعوة في أوائل القرن التاسع عشر، وهي التي سجلها في كتابه "مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية" عما يجب من التسوية بين ابناء الوطن من غير نظر إلى اختلاف الدين.[2] حتى إذا جاء البابا كيرلس الرابع أكدها سنة ١٨٥٩م عملياً في مدارسه التي فتحها لجميع الأطفال المصريين - بنين وبنات - دون أية تفرقة بينهم بسبب اختلاف الدين. وفي سنة ١٨٦٦م علت صيحة النواب بضرورة تجنب النظر إلى اختلاف الدين لأن التلاميذ جميعاً مصريون. على أنه من المعروف أن الاتجاهات الثقافية - بوجه عام تحتاج لتحقيق تأثيرها المطلوب إلى وقت طويل حتى تنتقل من الجيل الذي يؤمن بالإتجاهات السابقة عليه، إلى الجيل المؤمن بها، ومنه إلى الجيل الذي يؤكدها ويعتنقها، مما يتطلب زمانا طويلا. كما يحتاج إلى تكرار من المصلحين، وهم الذين يسبقون شعوبهم عادة في اعتناق القيم الجديدة حتى تصبح جزءا من فكر الأمة ككل وإتجاهاً راسخاً من إتجاهاتها.

على أن التفرقة لم تكن بين الكتاب القبطي والكتاب الإسلامي فقط، وإنما كانت واضحة أيضاً فيما بين الولد والبنت. فقد ترك المجتمع طابع التفرقة الذي عاشه قروناً طويلة منذ بدء العهد العثماني في أوائل القرن السادس عشر عالقاً بالكُتاب وبين الأطفال. فبينما أخذ الولد كل فرصة ممكنة للتعليم والعمل والخروج إلى الحياة، إذ بالبنت تحرم هذه الفرصة كلية، ويضرب من حولها حصار رهيب ردها إلى أشد العهود ظلماً وأسودها ظلاما. وكان معنى ذلك حكم رهيب على نصف الأمه بالجهل. حقيقة أن محمد علي أتاح بعض التعليم للفتاة، لكن هذا التعليم كان في نطاق أسرته. وحقيقه أن البابا كيرلس الرابع فتح بعض المدارس للبنات، لكنها لم

---

١ - دفتر محاضر جلسات مجلس شورى النواب سنة ١٨٦٦، مخطوط، مكتبة مجلس الأمة رقم ٨/١ - جلسة الثلاثاء ٢٦ رجب ١٢٨٣ هـ.
٢ - حسين فوزي النجار، رفاعة الطهطاوي، مرجع سابق، ص ١٤٦.

تتعدالقاهرة والإسكندرية، بل لم تتعد أحياء معينة بهما.[1]

وقد عانى مجتمعنا من هذه السمة ولايزال يعانى حتى الآن: فنسبة الأمية بين النساء أكثر منها بين الرجال بما لا يقل عن مرة ونصف،[2] مما أدى إلى تخلف المرأة، وبالتالى إلى زيادة تخلف المجتمع وعجزه المستمر عن مواجهة مشكلة الأمية.

ونلاحظ أن تلك الفترة - بوجه عام - خلت من الإحصائيات الدقيقة لعدد الكتاتيب، ولعدد التلميذات والتلاميذ، كما خلت من الأرقام الدقيقة الدالة على أعداد العرفاء والمعلمين، وعلى نسبة تعليم البنت إلى تعليم الولد، وبخاصة فى مديريات القطر المختلفة. فمن الطبيعى أن التقليد، بالنسبة لوضع البنت أكثر تعقيداً فى الصعيد منه فى الدلتا، كما أن لمدى الإقتراب أو الإبتعاد عن المدن والمراكز الحضارية أثره غير المشكوك فيه فى أوضاع التعليم وفى إقبال الأهالى عليه، إلى غير ذلك من العوامل والمظاهر المختلفة مما لم يحصرها عد منظم دقيق يمكننا أن نحصل منه على الصورة الحقيقية لهذه الأوضاع كلها. ولا يمنع هذا من ظهور بعض الإحصاءات لكنها كانت تقريبية، كما أنها جاءت متأخرة.

---

١. Dunne, Ibid, P. 420

٢. فى تعداد ١٩٦٨م بلغ عدد الأميين من الرجال ٥ مليون بينما بلغ عدد النساء ٧,٥ مليون. وفى سنة ١٩٩٣م فإن النسبة بين الرجال تصل إلى أكثر من ٦٠٪ بينما بالنسبة للنساء قد تتعدى ٧٥٪.

الفصل الثالث

أحوال التعليم عند الاقباط فى الفترة من سنة ١٨٦٣م إلى سنة ١٩٢٤م

منذ بداية عهد إسماعيل حتى إعلان قيام الدولة المصرية.

ا. د. سليمان نسيم

حين تولى إسماعيل حكم مصر سنة ١٨٦٣م كانت مصر قد قطعت من تاريخها الحديث فترة تصل إلى نحو ثلثى قرن مرت خلالها بثلاثة عهود كبيرة: عهد الحملة الفرنسية التى بذرت بذار الحضارة الغربية، وعهد محمد على الذى انشأ المدارس للنهوض بالجيش وإعداد الموظفين اللازمين لإدارة حكومته المركزية، ثم عهدى عباس وسعيد وهما فترة نكسة للتعليم عامة باستثناء جهود البابا كيرلس الرابع فيما بين سنة ١٨٥٤م وسنة ١٨٦١م. هذه العهود كان لابد أن تترك تراثاً تعليمياً محدد المعالم وكانت أهم هذه المعالم مايلى:

١ ـ طابع الثنائية: فالإهتمام كان بتعليم الولد دون البنت. كما كانت المدرسة تنشأ بالمدينة، أما القرية فليس بها سوى الكتاتيب. وأبناء القادرين فقط هم الذين يلحقون بالمدارس دون الفقراء، وهم الغالبية الذين لم تكن أمامهم سوى الكتاتيب. وقد ذكر الجبرتى أن "الأغنياء كانوا ينشئونها لتعليم الأيتام من المسلمين. أما المسيحيون فكانت كتاتيبهم ملحقة بالكنائس، وهكذا وضحت التفرقة الثقافية والطبقية والإجتماعية بين الشعب الواحد.

٢ ـ الهدف الرئيسى للتعليم الحصول على الوظيفة الحكومية او الأميرية.

٣ ـ المدرسة أقرب للثكنة العسكرية، والمعاملة فيها معاملة تتسم بالقهر والقسوة.

٤ ـ أسلوب التعليم هو التلقين.

٥ ـ سيطرة المركزية على إدارة وتنظيم التعليم.

فلما ولى البابا كيرلس الرابع البطريركية، وقام بإنشاء مدارسه. وضح الفارق بينها وبين المدارس الحكومية فيما يلى:

أ ـ سمح بالتعليم لكل فئات الشعب إذ كان التعليم مجانياً.

ب ـ اهتم بتعليم البنت.

جـ ـ أولى الريف إهتمامه حين انشأ مدرسة فى بوش.

د ـ غير أسلوب المعاملة وخلصها من روح العسكرية والعنف.

هـ ـ إختار أكفأ المدرسين والمديرين.

فلما تولى إسماعيل الحكم، وجد أن خريجى هذه المدارس التى انشاها البابا كيرلس الرابع أكفأ لأن يملأوا وظائف الحكومة، فضلا عن أنها كانت قلعة القومية المصرية بخلاف مدارس

الإرساليات".[1] وعلى ذلك:

١ ـ انعم عليها إسماعيل بألف وخمسمائة فدان من وقف الوادى بالشرقية لينفق عليها من ريعها.

٢ ـ اصبحت إمتحاناتها تحت إشراف لجنة حكومية، ومعنى ذلك إعتماد شهادتها، وأهلية خريجها للإلتحاق بالوظائف الحكومية.

٣ ـ شجع إسماعيل البابا ديمتريوس الثانى، الذى ولى البطريركية بعد البابا كيرلس الرابع، على القيام بجولة فى محافظات الصعيد لرد أبناء الكنيسة القبطية الذين التحقوا بمدارس الإرساليات الأجنبية، وذلك حفاظاً على وحدة الأقباط القومية، ولعدم التعرض لثقافة خارجة عن ثقافة الوطن. وقد صحب البابا القمص فيلوثاؤس إبراهيم، وحققت الجولة أغراضها، وخاصة فى أسيوط، مركز الإرسالية الأمريكية، وقضيا بها ٤٥ يوماً كاملة.

ومن أشهر الشخصيات القبطية التى نقرأ عن أصحابها والوظائف الكبرى التى تولوها فى فترة عهد إسماعيل: عزمى بك رئيس الديوان الخديوى، جرجس الفيشاوى سكرتير الديوان، إبراهيم روفائيل الطوخى الذى عين رئيسا لإدارة السودان لمدة عشر سنوات، ميخائيل بك شاروبيم وكان سكرتيراً لإسماعيل باشا صديق المعروف بالمفتش، ونسيم بك شحاته وقد شغل منصب كبير كتاب مصلحة السكك الحديدية. بل إن إسماعيل اختار بعض كبار الأقباط مديرين فى الأقاليم مثل جرجس بك وصفى، وعوض بك سرور. وكان الأول مديراً للمنوفية والثانى مديرا للقليوبية.

فى جلسة مجلس شورى النواب بتاريخ ٢٦ رجب سنة ١٢٨٣ هـ (سنة ١٨٦٦م)[2] قدم إتربى بك أبو العز أحد نواب الغربية مشروع "إيجاد مكاتب لتعليم الأهالى القراءة والكتابة". وقد ناقش أعضاء المجلس هذا المشروع، وقال النائب عبد الفتاح يوسف: "إن إنشاء المكاتب ليس فقط من الأمور الخيرية لكن يترتب عليه تعليم وتمدن أبناء الوطن". ولما وصلت المناقشة بالنواب إلى موضوع التربية الدينية بهذه المكاتب اقترح محمد حمودة بأن تقوم هذه المدارس بتعليم القرآن والكتابة والألسن (أى اللغات). وهنا أكمل النائب ميخائيل أثناسيوس الإقتراح قائلاً "إن فتح المدارس هو للتعليم والتعلم، والمعلوم أن قراية الأقباط غير قراية الإسلام فتعليم الأقباط يكون بمدارس مخصوصة تفتح بكل مديرية من طرف البطرخانة ويصرف عليها من أوقافها، وإذا كان بعض الأقباط الأغنياء يتبرعون بشئ فلا مانع." وهكذا أكمل كل من الرأيين الرأى الآخر فى تجاوز واضح لمشكلة تباين الأديان. وجاء تعليق النائب محمد جمال الدين على هذا الكلام "إن المكاتب المقضى إنشاءها، فهذه يدخل فيها كل من يرغب من إسلام وأقباط، أما الأقباط فإذا كانوا مبتدئين فيكون لهم واحد قسيس مخصوص بالمدرسة لتعليم ديانتهم، وبعد تعليم ذلك يكونوا فى عموم المدرسة". ثم أكد النائب محمد الشواربى هذا الإتجاه بقوله "إن الأقباط ما

---

١ ـ أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم فى مصر من عصر عباس حتى عصر توفيق، (القاهرة ـ وزارة التربية والتعليم، ١٩٤٦م).
زاهر رياض، الذكرى المئوية للبابا كيرلس الرابع، (القاهرة ـ جمعية التوفيق، ١٩٦١م).
رياض سوريال، الجمع القبطى فى القرن التاسع عشر، كتاب القاهرة (مكتبة المحبة، ١٩٨١م).

٢ ـ دفتر محاضر مجلس شورى النواب، سنة ١٨٦٦م، مكتبة مجلس الأمة، مخطوط رقم ٦/٦، محرر ٢٣، جلسة ١٩ رجب سنة ١٢٨٣هـ وما بعدها.

خرجوا عن كونهم من أبناء الوطن، ولذلك يجب أن يكونوا ضمن المدارس التي تعمم بالمديريات، ولا يكونوا خارجين عنها متى أرادوا الدخول فيها". بعد ذلك لخص النائب حسين هلال هاتين النقطتين في عبارة واحدة بقوله: "تفتح بكل مديرية مدرسة على حسب حالها بقدر معلوم من الأنفار (أي التلاميذ) ويكون من عموم الناس غني وفقير، وإسلام وأقباط، إذ الكل على حد سواء في المعاملات".

وهكذا تجاوز فكر الثلث الأخير من القرن التاسع عشر الفروق الطبقية وحقق المساواة بين أبناء الوطن الواحد دون نظر إلى تباين الوضع الإجتماعي أو إختلاف الدين.

وفي الجلسة الأخيرة في هذه الدورة حضر سعادة شريف باشا (وكان وقتها رئيساً لمجلس النظار) وتحدث مع النواب عن موافقة الحكومة على "الأفكار السديدة والآراء المتمدنة التي احتوت عليها الشورى". كما أوضح أن العلوم والفنون يشرفون حامليها، ثم أشار إلى أن "موضوع المساواة في الدخول بين الجميع فقراء وأغنياء، إسلام وأقباط، كل هذا يطابق رأي الحكومة السنية ويستحسن لديها، لأن تلك الأصول متبعة في المدارس المؤسسة الآن، وصادر في حقها أوامر كريمة، وموافق لديها أيضاً تجويز دخول القسس في تلك المدارس لتعليم الأمور الدينية لأولاد الأقباط". ثم أضاف: "إن الإعتراض في الأمور الدينية مغاير للعدل والإنصاف." ونتيجة لهذه المناقشات صدر بعد ذلك قانون ٧ نوفمبر سنة ١٨٦٧م، وهو الذي عرف فيما بعد بلائحة رجب سنة ١٢٨٤هـ. وقد صدرت في أربعين مادة نظمت أحوال التعليم بوجه عام إلى مراحل ثلاث: إبتدائي، تجهيزي، عالي، وإن كان هذا التنظيم لم ينفذ كما كان مقدراً له لتعثر الأحوال الإقتصادية في عهد إسماعيل، الأمر الذي أدى في النهاية إلى عزله سنة ١٨٧٩م. وكان أن واصلت الكتاتيب القبطية عملها وخاصة في المراكز والقرى. ومن اتصالنا ببعض المعمرين[1] ببندر شبين الكوم، وبلدة مليج، ونأخذ الكتاتيب بهما على سبيل المثال، يتضح أن خطة التعليم كانت تسير على النحو الآتي:

كتاتيب القرن التاسع عشر.

كان الكتاب ملحقاً بالكنيسة في المكان المعروف بالإيوان. المدرس هو معلم الكنيسة. التلاميذ يقبلون دون تحديد السن الذي يتراوح عادة بين ٧، ١٢ سنة. المنهج يتكون من القراءة والكتابة والعمليات الحسابية. وكانت لها أهمية خاصة في مجال التعليم القبطي، إذ كانت تعد الأولاد الأقباط للعمل كتبة في المحلات التجارية، أو نظار زراعة. فكانوا يتعلمون حساب المكاييل والمقاييس، وهذه كانت تؤهلهم أيضا للعمل عند قباني القرية. وبالإضافة إلى أدوات المعرفة هذه كانوا يتعلمون الألحان الكنسية، ويحفظون المزامير وبعض فصول الإنجيل للخدمة بالكنيسة كشمامسة. على أن الكتاب كان يحقق للوالدين أيضاً شغل أولادهم وتخليصهم من الفراغ، ولذلك كانوا يعطون المعلم في نهاية السنة مكافأة مجزية نقدية وعينية. أما أجر التعليم في الشهر فكان يتراوح بين خمسة وعشرة قروش. وداخل الكتاب كان التلاميذ يجلسون على الحصير وأحياناً على دكك خشبية، ويستخدمون ألواح الصفيح أو الإردواز، ويرتدون الجلابية والقبقاب،

---

١ ـ لقاءات شخصية مع بعض المعاصرين للكتاتيب من كبار السن الذين درسوا بها في القاهرة ومليج إبان طفولتهم منذ أواخر القرن التاسع عشر.

وقد يكون البعض منهم حفاة. وقد يتبع المعلم معهم أسلوب المنافسة فيجعل التلميذ القوى منهم مساعدا للضعيف الذى قد يناله أحيانا عقاب من "الفلقة" مما يحفزه على الإجتهاد تجنبا للعقاب. أما مواعيد الدراسة فمن الثامنة صباحاً إلى الثانية عشرة، ثم فترة راحة للغداء، تليها فترة دراسة من الواحدة حتى الرابعة. وجدير بالذكر أن بعض الكتاتيب كان يضم التلميذات مع التلاميذ، كما وجدت بعض كتاتيب لتعليم المكفوفين ليؤهلوا للعمل كعرفاء بالكنائس. أما العطلة الأسبوعية فمن بعد ظهر السبت حتى صباح الإثنين.

إنشاء المدارس الحكومية

وبمرور الوقت أخذت الحكومة تنشئ بعض المدارس الإبتدائية فى عواصم المديريات، وشاركت العائلات القبطية الموسرة الدولة فى ذلك؛ فظهرت المدرسة النظامية، لكنها كانت باهظة التكلفة. الأمر الذى لم يكن ليتيسر لمعظم الشعب إلحاق أبنائهم بها. وكانت مدة الدراسة بها أربع سنوات، ولكل سنة منها مناهجها الخاصة والمتدرجة، والإمتحانات فيها فى آخر العام، تحريرية وشفاهية. فلما جاء الإحتلال سنة ١٨٨٢م أضيفت اللغة الإنجليزية. ومنذ سنة ١٩١٢م أصبحت هذه المدارس تابعة لإشراف وتفتيش مجالس المديريات. وبذلك استجدت رقابة الدولة عليها. ثم وضعت لائحة إعانات لها. على أن أحوال التعليم، منذ عهد إسماعيل، كانت تعكس ما تعانيه الإدارة الحكومية عامة من تعقيد، إذ كان جزء من الميزانية يصرف من ميزانية الدولة العامة، والبعض الآخر من الميزانية الخاصة بالمدارس المركزية، أو من ديوان الأوقاف. ومع ذلك فحتى هذه ما كانت تؤدى بإنتظام. وكان طبيعياً أن تؤدى هذه الظروف إلى تهيئة السبيل لقيام المدارس الأهلية، إسلامية وقبطية، وإقبال الشعب عليها، مما شجع مؤسسيها سواء من رجال الكنيسة، أو من الجمعيات، التى تتابع تأسيسها قرب نهاية القرن، أو من المجالس المحلية، أو من العائلات المقتدرة على تخفيف المصروفات، بل ورفعها عن نسبة كبيرة من التلاميذ. هذا فضلا عن فتح مدارس البنات، والإسهام بذلك فى تعليم نصف المجتمع دون أية تفرقة بسبب الدين أو العقيدة، هذا عن الأقاليم. أما فى القاهرة فقد أنشئ بمدرسة الأقباط الكبرى قسمها الثانوى سنة ١٨٧٨م.

إسهام الأقباط فى تطوير الثقافة والتعليم بعد عصر إسماعيل

أخذ إسهام الأقباط فى تطوير الثقافة والتعليم فى مصر، بعد عزل إسماعيل سنة ١٨٧٩م وحتى سنة ١٩٢٤م، أشكال ثلاثة:

الأول: الشكل التعليمى العام بتأسيس المدارس العامة والفنية الصناعية، وإنتقاء القائمين عليها من مديرين ومدرسين ومدرسات، ممن لهم جميعا أكبر الفضل فى الدفع بالحركة التعليمية إلى الأمام بالإضافة إلى الإهتمام بالتربية الدينية. ومن أمثلة هذه المدارس: المدرسة المرقسية بالإسكندرية، ومدارس غبريال فرج ببرما بمديرية الغربية، ومدارس التوفيق والسلام والإيمان والإخلاص بالقاهرة.

الثانى: الشكل التعليمى الدينى الخاص بإنشاء المدرسة الإكليريكية سنة ١٨٩٢م [1] وبدء حركة مدارس الأحد بالكنائس والجمعيات وإنشاء مدرسة الرهبان اللاهوتية بحلوان، فى أوائل

---

١ - حبيب جرجس، الاكليريكية بين الماضى والحاضر، (القاهرة، سنة ١٩٣٨م).

القرن العشرين، ثم أصدار العديد من المجلات الدينية الخاصة.

الثالث: الشكل الثقافي العام: بإنشاء الصحف، وبالإسهام في إنشاء الجامعة الأهلية سنه ١٩٠٨م، فضلا عن المشاركة في حركة التأليف والترجمة والنشر، وهي الحركة التي اقترنت بإحضار المطابع من أوربا، وإقامة المعارض والمتاحف، وفي مقدمتها المتحف القبطي بمصر القديمة في سنة ١٩٠٨م، وكذلك إنشاء المكتبات، وإصدار التقاويم السنوية.

على أننا إلى جانب هذه الأشكال التعليمية يلزم أن نشير إلى الشكل الاجتماعي الذي أخذ عدة مظاهر تتصل بشكل أو بآخر، بمجال التعليم ومنها:

أ ـ تأسيس المجلس الملي العام والمجالس الفرعية لخدمة النواحي الاجتماعية والتعليمية.

ب ـ انشاء المؤسسات الخيرية، متعددة الأغراض، كالجمعيات والمشاغل ودور الإيواء الخيرية والمستشفيات. ومن أمثلة هذه الجمعيات الجمعية الخيرية القبطية الكبرى التي تأسست سنة ١٨٨١م[١] وأقامت المستشفى القبطي سنة ١٩٢٣م، وجمعية التوفيق التي يرجع تاريخها إلى سنة ١٨٩١م،[٢] وعرفت بمدارسها وإسهامها في حركة الإصلاح الكنسي، فضلا عن إحياء عيد النيروز أو رأس السنة القبطية سنويا. وعلى نمط هاتين الجمعيتين قامت جمعيات كثيرة أخرى: الإيمان، السلام، المحبة، الإخلاص وغيرها.

حـ ـ إقامة النوادي التي كان لها أكبر الأثر في جمع الكثير من المهتمين بالأحوال الاجتماعية وإتاحة الفرصة لهم لمناقشتها، فضلا عن خدمة الشباب وتوجيههم التوجيه التربوي السليم.

د ـ إقامة المعارض والأسواق الخيرية لخدمة أغراض البر.[٣]

وندرس كل عنصر من هذه العناصر دراسة تحليلية.

الشكل الأول: الشكل التعليمي العام

في الوقت الذي كانت الدولة عاجزة عن نشر التعليم، كانت الهيئات والجمعيات، إسلامية ومسيحية، هي التي تتولى الجانب الأكبر من هذه المهمة الخطيرة. يؤكد ذلك ما جاء فيما كتبه ممثلو الدولة الإنجليزية المحتلة، وكذلك ما سجلته تقارير الجمعيات القائمة في أواخر القرن التاسع عشر، كتقرير الإصلاح التي عرفت فيما بعد باسم جمعية التوفيق. فلقد كتب اللورد دوفـرين[٤] مثلا في تقريره عن التعليم سنة ١٨٨٣م بأن المدارس الأولية التابعة للحكومة قبل الإحتلال وعددها ٥٢٧ مدرسة كانت تضم ١٣٧,٥٥٣ تلميذاً، هم عبارة عن ١ ـ ٤٠ من تعداد سكان مصر، وهذا عدا طلاب المدارس التجهيزية والعالية. أما الآن، والحديث في سنة ١٨٨٣م بعد الاحتلال بعام واحد: فعدد التلاميذ الذين كانوا في جميع مدارس الحكومة لا يتجاوز ٣١,٤٥٢ أي بنسبة ٢٠,٥ ٪، ولولا ما تقوم به مجالس المديريات والجمعيات الخيرية

---

١ ـ اليوبيل الذهبي للجمعية الخيرية القبطية الكبرى، سنة ١٩٣١م. تأسست سنة ١٨٨١م تحت اسم "جمعية السامي الخيرية القبطية"، ومنذ سنه ١٩٠٨م اصبح اسمها "الجمعية الخيرية القبطية الكبرى".

٢ ـ جمعية التوفيق القبطية، الكتاب الماسي، (القاهرة ـ سنة ١٩٦٧م).

٣ ـ جمعية التوفيق القبطية، اليوبيل الفضي، (القاهرة، سنة ١٩٣٨م).

٤ ـ Lord Dufferin ـ مبعوث الحكومة البريطانية في أوائل عهد الاحتلال البريطاني لمصر لكتابة تقرير عن الأحوال بها.

والأفراد من نشر التعليم لفتك الجهل بالأمة فتكاً ذريعاً. ذلك أن عدد التلاميذ الذين تضمنهم هذه المعاهد الحرة يبلغ نحو نصف مليون.

فإذا أتينا إلى تقارير وزارة المعارف وجدناها تقول إن "جهود الأهالي فاقت جهود الدولة المحدودة الميزانية، والمحدودة الإمكانيات. وإن كانت المدارس الحرة قد رفعت مصروفاتها إلا أنها كانت تمنح الكثيرين ميزة المجانية". وهكذا أصبحت المدارس التي تنشئها الهيئات القبطية والإسلامية هي المنهل الوحيد للتعليم الذي يصل إلى القلة من المصريين القادرين على اللحاق به، مما جعل أغلب الأمة في حالة يرثى لها من التخلف والجهل.

أما تقرير جمعية الإصلاح،[1] التي أصبحت بعد ذلك جمعية التوفيق القبطية، فقد نظر إلى المشكلة من وجهة نظر أخرى، ملخصها أنه بسبب العيوب الموجودة في الكتاتيب الأهلية والمدارس الحرة، "فقد سعى أولادنا إلى الدخول في المدارس الأجنبية مما يؤدي إلى اختلاف مشاربهم وأخلاقهم وعوائدهم بما يجعلهم - هكذا يقول التقرير - بمعزل عن الائتلاف وإتحاد الكلمة في المستقبل. هذا وإن معظم الطوائف تحاول الآن إجتذابنا بل ابتلاعنا بما تستخدم لذلك من الوسائل كالمدارس والنوادي والجمعيات وغيرها. فإذا أطلنا الرقاد على مهاد الغفلة، وتركنا أولادنا بأيدي العاملين على زوال وحدتنا، كنا المساعدين على نكايتنا بأنفسنا". ولقد اتبع التقرير الذي صدر سنة ١٨٩١م هذا التحذير بإيراد إحصائية مقارنة بين عدد تلاميذ مدارسنا القبطية الذي بلغ ٩٦١، منهم ٤١٠ معافون من المصروفات، أي حوالي النصف، مما يدل على مدى تشجيع المدارس القبطية للشعب على الإقبال على التعليم بما كان يقدمه القادرون من أوقاف للإنفاق على المدارس.

ومن هذا التقرير الأخير يتضح كيف توفرت النظرة الثاقبة لدى المصلحين من الأقباط في ضرورة تحرير أولادهم من ثقافة المدارس الأجنبية تجنبا لاختلاف أخلاقهم وعوائدهم في المستقبل، وتجنبا لحدوث شبهة انقسام في الثقافة القومية العامة أو في توجه الكنيسة الأرثوذكسية الوطنية، وبلغة عصرنا الحاضر لكي تتوحد ثقافتهم ولا تتباين الأسس التي قامت عليها تربيتهم. ومن هنا كان التعليم هو وعاء النضال القومي بين المصريين وبين الإحتلال البريطاني. فقد أقبل المصريون يتحدونه وراحوا ينشئون المدارس، أسلامية ومسيحية، ويوقفون عليها الأفدنة والأموال والعقارات، ويشجعون أكبر عدد من أولادهم وبناتهم على الإلتحاق بها، فقد فطنوا إلى أن التعليم كان هو الرافعة الوحيدة التي تصل بأولادهم إلى المستوى المطلوب مادياً واجتماعياً وسياسياً.

ونأخذ بعض الأمثلة العلمية لهذه المدارس:

المثال الأول: مدارس الجمعية الخيرية القبطية: [2]

أسسها بطرس غالي باشا سنة ١٨٨١م. وكان اسمها الأول مستمداً من غايتها "جمعية المساعي الخيرية القبطية لمساعدة المحتاجين". وفي سنة ١٩٠٨م أقامت المستشفى

---

١ - راجع الكتاب المئوي لجمعية التوفيق القبطية، مرجع سابق.
٢ - البوربل الذهبي للجمعية الخيرية القبطية الكبرى، مرجع سابق.

القبطي ثم الصيدلية ثم المشغل البطرسي سنة ١٩١١م، فالمدرسة الابتدائية سنة ١٩١٢م ثم مدرسة التدبير المنزلي.

المشغل:

كان هذا المشغل عبارة عن مدرسة صناعية للبنات اللائي جاوزن سن التعليم. وكان يعلم الفنون الطرزية: كالخياطة والتفصيل والتطريز، بالإضافة إلى التربية الدينية. ثم أضيفت إليه صناعة الجوارب بواسطة الماكينات. وقد وضح مدى الإهتمام الذي أولته الجمعية لهذا المشغل من أنها أحضرت مديرة إنجليزية قديرة لإدارته هي مس كالن المتخرجة في جامعة كامبردج، فأحسنت إدارته على امتداد ربع قرن. فأقامت لها الجمعية حفل تكريم وتوديع سنة ١٩٣٧م، تقديراً لجهودها في خدمة هذا المشغل والنجاح في تحقيق الغاية منه. وكان من نتائج اهتمام الجمعية، وحسن إدارة المشغل، أن البناء الذي كان مقاماً به ارتفع إلى ثلاثة أدوار: خصص الأول للمشغل، والثاني لمدرسة التدبير المنزلي ، والثالث للمدرسة الابتدائية للبنات. ولقد امتدت رسالة المشغل لتصل إلى عدد كبير من العائلات والمشتركين الذين قاموا بصنع ملابسهم، وتجهيز بناتهم فيه. فقد توفرت به أحسن النماذج وأحدث الرسومات. وكان من أثر ذلك أن السيدة هدى شعراوي، في كثير من المناسبات، كانت تشارك الجمعيات القبطية أنشطتها. كما أن الوزارة نقلت عنه فكرة إعداد الفتاة كربة أسرة وأسست المدارس المعروفة بالفنون الطرازية. ولقد ضم المشغل ، مع الوقت، ثمانية فصول تضم نحو المائتي تلميذة، تصرف لهن الملابس والأدوات المدرسية والغذاء. أما التعليم فكان مجانياً.

المدرسة الإبتدائية:

قبل سنة ١٩١٢م كانت الجمعية تتوسط في إلحاق البنات الصغيرات، المقررة لعائلاتهن إعانات، في المدارس القبطية التابعة للبطريركية ولجامعة المحبة؛ وكانت تنفق عليهن مبالغ كبيرة مقابل ثمن الكتب والملابس ورسوم الإمتحانات. وفي أوائل سنة ١٩١٢م شرعت في فتح مدرسة ابتدائية مجانية للبنات الفقيرات بسبب كثرة عددهن، وافتتحتها في إبريل من السنة نفسها، وأحضرت لها ناظرة إنجليزية. أما عدد تلميذاتها فبلغ ٢١٠ تقدم لهن وجبة غذاء. وقد بقيت هذه المدرسة حتى سنة ١٩٣٧م.

مدرسة التدبير المنزلي:

قامت الجمعية بعد ذلك في سنة ١٩١٤م بإنشاء مدرسة للتدبير المنزلي، وألحقتها بالمدرسة الابتدائية. وبقيت تؤدي رسالتها حتى سنة ١٩٢٨م. وكانت الجمعية تصرف لتلميذاتها الأدوات المدرسية والكساء مجاناً، وترصد للمتفوقات جوائز توزع عليهن سنوياً. وفي نوفمبر سنة ١٩٣٠م أقامت الجمعية مدرسة أولية مجانية لتعليم الأطفال. وفي الوقت نفسه لم تهمل الطلاب من الشباب بل كانت تتوسط في إلحاق غير القادرين منهم بالتعليم العالي، وكذلك التلاميذ الفتيان، بالتعليمين الثانوي والابتدائي.

المدرسة التحضيرية الراقية:

ألغت الجمعية المدرستين الأولية والإبتدائية سنة ١٩٢٨م لتحل محلهما المدرسة التحضيرية الراقية لتعليم البنات، ووُضع برنامجها بحيث يكون مناصفة بين العلوم ومواد التدبير المنزلي والرسم والدين والأشغال اليدوية، بحيث تصبح المدرسة التحضيرية كاملة الجانبين العلمي والعملي، فتنتقل خريجاتها إلى المشغل مباشرة لإتمام دروسهن في التفصيل والأزياء والتطريز. وقد استهدفت الجمعية من ذلك إعداد تلميذاتها لمواجهة الحياة، خاصة وأن مناهج وزارة المعارف لم تكن مجدية في هذه الناحية. وقد ضمت هذه المدرسة ست مدرسات مؤهلات تأهيلا عالياً، ومعلم دين من خريجي المدرسة الإكليريكية. وفي كل هذه المدارس راعت الجمعية إدخال الأنشطة المدرسية الممكنة ورصد الجوائز للمتفوقات. وكثيراً ما أسهم فيها عدد من الكبراء على رأسهم الأمير عمر طوسون.

المثال الثاني: مدارس جمعية التوفيق:[1]

تأسست هذه الجمعية سنة ١٨٩١م وجعلت التعليم هدفاً رئيسياً لها بإعتباره الوسيلة الكبرى لرقي الأمة. فاصطنعت مختلف الوسائل لتحقيق ذلك: المكتبة، المطبعة، النادي، والحفلات القومية والمتحف. لكن من الطبيعي أن تكون المدرسة في مقدمة هذه المشروعات جميعاً:

ففي سنة ١٨٩٤م أنشأت الجمعية المدرسة الابتدائية للبنين بسراي السلحدار بالفجالة.

وفي سنة ١٨٩٧م أنشأت المدرسة الابتدائية للبنات.

وفي سنة ١٩٠٤م أنشأت المدرسة الصناعية. لكن الإحتلال ظل يقاومها حتى أغلقها سنة ١٩١٧م.

وفي سنة ١٩١٢م أنشأت المدرسة الثانوية للبنين وأكملت فرقتيها النهائيتين سنة ١٩١٦م.

وفي سنة ١٩٢٩م أنشأت المدرسة الثانوية للبنات.

وفي سنة ١٩٣٩م أنشأت مدرسة للفنون الطرزية ثم داراً للتربية الفنية سنة ١٩٤٩م.

وكان القبول بهذه المدارس جميعاً مفتوحاً أمام التلاميذ والتلميذات بصرف النظر عن ديانتهم أوعقيدتهم أو حتى جنسيتهم. فقد قبل بها عدد من السودانيين، طالما أن شروط القبول متوفرة فيهم.

وقد تميزت هذه المدارس باقتناع مؤسسيها بأهمية رسالة التعليم، وبعملهم الدائب على استكمال كل المراحل التعليمية. ونجحوا في ذلك كل النجاح، وبتوفير التربية الدينية ليس بالمدرسة فقط بل وفي دار الجمعية حيث رتب برنامجاً لدراسة الكتاب المقدس مرة في الأسبوع. وبذلك حققت الجمعية غاياتها التربوية والروحية والخلقية: فقد أخذت بالنظم التقدمية في التعليم، كما دعت إلى إنشاء كلية خاصة للبنات في أكتوبر سنة ١٩٠٩م. وتبرعت الحكومة لها بقطعة أرض بالعباسية فأقامتها ثم افتتحتها سنة ١٩١١م. وكانت الجمعية تمنح فرصة المجانية لغير القادرات وغير القادرين من تلميذاتها وتلاميذها، كما كانت تخصص الجوائز للمتفوقين منهم.

---

١ ـ جمعية التوفيق القبطية، الكتاب الذهبي، مرجع سابق.

وامتداداً بهذه الرسالة إلى الأقاليم تأسست فروع لمدارس التوفيق بالإسكندرية وطنطا والفيوم. ولئن كانت قد احتفظت بالاسم لكنها كانت مستقلة تماماً عن الجمعية الأم.

المثال الثالث: المدارس القبطية:

ونعني بها المدارس القبطية التي أسسها البابا كيرلس الرابع سنة ١٨٥٥م. فقد أنشئ بمدرسة الأقباط بالأزبكية قسمها الثانوي سنة ١٨٧٨م على عهد البابا كيرلس الخامس الذي أسس في بولاق مدرسة صناعية سنة ١٩٠٣م. وعاونه في ذلك عالم كبير هو وهبي بك تادرس، الذي لم يكن مربياً فقط لكنه كان فناناً أيضاً. فقد قام بترجمة عدد من الروايات التمثيلية منها تليماك للمفكر الفرنسي فولتير، بل وإليه يعزى تأليف أول رواية تمثيلية عربية بعنوان "التوفيق في قصة يوسف الصديق". وقد مثلت على مسرح الأوبرا في حفل حضره الخديوي نفسه، وسلم على المؤلف مهنئاً على جهده.

وبالرجوع لتقارير المفتشين عن هذه المدارس، نرى أنها تفيض بالتقدير خاصة وأن نسبة المجانية بها بلغت نحو ٤٤ ٪، علماً بأن عدد تلاميذها بالمرحلتين الابتدائية والثانوية وصل في بعض السنوات إلى ١٥٠٠. ومن واقع شهادة التاريخ فإن هذه المدرسة كانت أول مدرسة ثانوية أهلية بالقطر، في وقت لم توجد فيه سوى مدرستان ثانويتان أخريتان هما الخديوية والتوفيقية.

أما بالنسبة للمرحلة الإبتدائية، فقد قام البابا كيرلس الخامس سنة ١٨٧٥م بنقل المدرسة الابتدائية للبنات من حارة السقايين إلى شبرا بعد رحيل عدد كبير من العائلات القبطية إليها.

المثال الرابع: المدارس القبطية بالأقاليم :

أسهمت في إقامة المدارس القبطية بالأقاليم: هذه المدارس فئات ثلاث:

الأولى: الآبا البطاركة والأساقفة بالتعاون مع المجالس الملية.

الثانية: الجمعيات القبطية.

الثالثة: العائلات القبطية القادرة.

المدارس التي أنشاها الآباء البطاركة والأساقفة:

المدرسة المرقسية بالاسكندرية، ومدرسة الأقباط بالمحلة الكبرى، وبسنباط، وأبنهس (دقهلية) - وقويسنا، والبتانون، ومنو ، وميت غمر، والفيوم، والمنيا، ومنفلوط وديروط، والقوصية، (أقامها الدير المحرق)، ودير مواس، ودير أبي حنس، ودير البرشا، والروضة، وأسيوط، والنخيلة، وأبو تيج، والبدارى، وأبنوب الحمام، وصدفا، وقنا.

ثانياً: المدارس التي أسستها الجمعيات القبطية: [1]

مدارس الجمعية الخيرية في البلاد الآتية:

---

١ ـ البيانات المسجلة هنا عن المدارس التي أسستها الجمعيات القبطية جمعها الكاتب من تقارير هذه الجمعيات أو من سير مؤسسيها وأحيانا من اللقاءات الشخصية. ويمكن الرجوع إلى:
جرجس سلامة، اثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر من سنة ١٨٨٢م إلى سنه ١٩٢٦م ، (القاهرة، مكتبة الانجلو ، ١٩٦٦م).

دمنهور ، المنصورة، طنطا، شبين الكوم، حصة مليج، بنها، قليوب، شبلنجة، كفر سلامة (شرقية) ، أما ميت يعيش وميت دمسيس فقد أسست بهما مدرستان باسم جمعية الترغيب والتهذيب.

وفى الوجه القبلى: بالجيزة وبنى سويف والفشن وبيبا والمنيا وسوهاج والأقصر وأسوان.

ثم مدارس مدن القناة.

ونضيف هنا أن طنطا أنشئت بها جمعية المساعى الخيرية التى قامت بتأسيس مدرسة فى ٥ يونيو سنة ١٨٨٢م ضمت ٤٠٠ تلميذاً، وذلك بعد أن قاد القمص فيلوثيئوس إبراهيم، وهو أصلا من أهالى طنطا، حركة تبرع جمع منها ألفى جنيه ابتنى بها المدرسة التى عاد إليها كل أولاد الأقباط ممن كانوا قد التحقوا بمدارس الكاثوليك والبروتستانت. وقد اشتهرت هذه المدرسة بحفلاتها المعروفة التى كان يحضرها علية القوم من القاهرة وطنطا والبلاد المجاورة. ولما لمس الشعب نجاح المدرسة استمر فى تبرعه لها.

المدارس التى انشاتها العائلات القبطية الموسرة:

مدارس جرجس بكفر الزيات.

مدارس غبريال فرج بحصة برما.

وقد أقام هذا الموسر أول مدرسة ثانوية ببرما قبل أن تنشأ مثيلتها بطنطا نفسها، فكانت الأولى بالوجه البحرى والرابعة على مستوى القطر كله.

وبالشرقية: مدارس داود سلامة، وعبد المسيح موسى، ويشاى مجلى الذى أسس مدرسة المساعى المشكورة، وسعيد حنا الذى أسس مدرسة النهضة الحديثة، وفهيم بنيامين الذى أسس مدرسة التوفيق، وسامى ونيس الذى أسس مدرسة النجاح بكفر صقر.

وبالصعيد: مدارس سعيد عبد المسيح بالمنيا، وقلينى فهمى بمغاغة، وميخائيل فلتس بصنبو، وإخوان ويصا بأسيوط، وبسطا بك وإخوان زكى بسوهاج، وإخوان بطرس بالبلينا، وداود تكلا ببهجورة.

المدارس القبطية الأهلية بالقاهرة:

أ ـ مدارس اقامتها جمعيات:

مدارس الإيمان بجزيرة بدران، مدارس السلام بالترعة البولاقية، مدارس الإخلاص بفم الخليج، مدارس ثمرة التوفيق بالفجالة، مدارس ثمرة الإخلاص بقصورة الشوام بروض الفرج.

ب ـ مدارس اقامها مربون:

سليمان زكى الذى أقام مدرسة النهضة بالظاهر.

راغب مرجان الذى أقام المدارس الراقية بشبرا.

زخارى بطرس الذى أقام مدارس العهد الجديد بشبرا.

عبد النور خليل الذى أقام مدرسة بهاء العصر بالقللى.

ولئن كانت هذه المدارس قد جعلت التعليم مقابل مصروفات تقل أو تزيد، وتنقص أو ترتفع. وفقاً لظروف المجتمع المحلى الذى توجد به، إلا أن الكثير منها كان يمنح المجانية لغير القادرين أو غير القادرات من تلاميذها وتلميذاتها، فضلا عن العمل على إحضار أفضل المدرسين والمدرسات والمديرين، مما كان يؤدى بها فى النهاية إلى تحقيق أحسن النتائج، سواء فى إمتحانات النقل أو الإمتحانات العامة. وقد عاصر هذه الحركة تزايد النضال المصرى ضد الإحتلال الإنجليزى، فكانت المدرسة أحد وسائل هذا النضال.

وفى تقرير للأستاذ عريان جرجس سنة ١٩٢٣م عن المدارس القبطية التابعة للبطريركية، ذكر أنها فى تقدم مستمر، وأنها كانت أولى المدارس الأهلية التى تتلقى إعانة من وزارة المعارف. لكنه شكا من أزمة المدرسين والمدرسات، وكذلك من موقع المدرسة الثانوية ومبانيها، وإن كانت معاملها مجهزة بأحسن الأجهزة، كما اقترح إلحاق بعض خريجات المدرسة الإبتدائية بمدرسة المعلمات السنية حلا لأزمة المدرسات، وكذا أن تنقل المدرسة الثانوية إلى مكان أفضل لتكون لائقة بتمثيل الأقباط.

الشكل الثانى: الشكل التعليمى الدينى الخاص [1]

١ ـ بدء التعليم اللاهوتى فى الكنيسة القبطية

فى أكتوبر سنة ١٨٧٤م طلب المجلس الملى من قداسة البابا كيرلس الخامس إنشاء مدرسة إكليريكية لإعادة الإكليروس إلى حالته العلمية الأولى، وتم انتخاب القمص فيلوثاؤس إبراهيم رئيساً لها. فانشئت لأول مرة فى فبراير سنة ١٨٧٥م، وكان طلابها بعض رهبان الأديرة. لكن لأن الإقبال عليها كان ضئيلا لم يقدر لها البقاء إلا بضعة أشهر فقط. ثم فتحت بعد ذلك مرة أخرى فى نوفمبر سنة ١٨٩٣م، وفى عهد البابا نفسه، واختير لها ١٢ طالباً من المدرسة القبطية الكبرى و١٢ قساً، وعهدت إدارتها ليوسف بك منقريوس لتقدم السن بالقمص فيلوثاؤس. وقد اتخذت مكانها عند إنشائها فى الفجالة، وفى السنة الثانية نقلت إلى الدار البطريركية، ثم إلى سوق القبيلة بالأزبكية، ثم أعيدت مرة ثانية إلى البطريركية، ثم إلى مهمشة سنة ١٩٠٤م، فالبطريركية مرة ثالثة وأخيراً إلى مهمشة سنة ١٩١٢م حتى سنة ١٩٥٣م حين نقلت إلى مقرها الحالى بأرض الأنبا رويس بالعباسية. وكانت إدارتها تابعة للمدارس القبطية. واشترط لقبول طلبتها عقد اختبار قبول لهم ، وموافقة الأب البطريرك.

بدأت كمدرسة علمية موادها التاريخ والجغرافية، واللغات: القبطية والعربية والإنجليزية، والرياضيات، والألحان. ولم يتوفر بها مدرس للدين مع أن الهدف منها كان إعداد رعاة للكنيسة. وفى سنة ١٨٩٦م عين القمص فيلوثاؤس إبراهيم معلماً للدين بها لمدة ساعتين يومياً، وكان وقتئذ هو الواعظ الوحيد بالكنيسة القبطية. لكنه كان متقدماً فى السن، فلم يستطع الاستمرار فى العمل

---

١ ـ حبيب جرجس، الإكليريكية بين الماضى والحاضر، مرجع سابق.

وعين بدلاً منه القمص يوسف حبشي في نوفمبر سنة ١٨٩٧م إلى سنة ١٨٩٩م حين اختير الأرشيدياكون حبيب جرجس.

كان حبيب جرجس من الدفعة الأولى التي التحقت بالإكليريكية سنة ١٨٩٣م، والتي بلغ عدد طلابها أربعين طالباً. وقد برز بين زملائه بإقباله على التحصيل، وعكوفه على قراءة المراجع بالمكتبة البطريركية، حتى أن أساتذة مادة الدين: القمص فيلوثاؤس، والقمص يوسف حبشي، كانا يعهدان إليه بتدريس هذه المادة فزاد إقبالا على الدرس ولم يترك مرجعاً في المكتبة إلا وقرأه. وكانت نصب عينه عبارة هامة قالها بطرس غالي باشا وقتها "اهتموا بالمدرسة الإكليريكية قبل غيرها فإنه إذا أغلقت جميع مدارسكم القبطية، فإنكم واجدون عنها عوضاً بالمدارس الأخرى، لكن إذا لم تكن لكم مدرسة إكليريكية فأين تعلمون رعاتكم؟"

ولم تكن لدى البطريركية أو المجلس الملي القدرة على الإنفاق على المدرسة، فعانت كثيراً، فكان أن قام حبيب جرجس بجولة على بعض الإيبارشيات ليقوم فيها بخدمة الوعظ، ويحث القادرين على التبرع لتصبح المدرسة لائقة بأمة ذات تاريخ مجيد، وبكنيسة لها شأن يذكر في عالم المسيحية. فإنهالت التبرعات، مادية وعقارية. فإشترى دار المدرسة بمهمشة سنة ١٩٠٢م، وكذلك دار العرفاء. بل وقام البابا كيرلس الخامس بتشييد مدرسة الصنائع القبطية ببولاق لتعليم العرفاء بعض الفنون الصناعية التي تساعدهم في كسب رزقهم.

وفي سنة ١٩١٨م وقع اختيار البابا كيرلس الخامس عليه ليكون ناظراً للمدرسة، فبدأ في تطوير المدرسة شكلاً وموضوعاً بتحسين مرافقها واستكمال القسم الداخلي بها، وإحضار أكفأ المدرسين لها، وإضافة المواد الجديدة اللازمة لإعداد الراعي الجدير بمسئولية الرعاية، وجعل مدة الدراسة بها أربع سنوات فقط بدلاً من خمس، وحدد مناهج وافية لكل فرقة بحيث يتخرج منها في النهاية أساقفة وقسوس عارفون بواجب الخدمة التي ينتخبون لها، لكي لا يكونوا عالة على كاهل الأمة.

وبمرور الوقت ارتفع مستوى الطلاب الملتحقين بها، فإشترط أن يكونوا حاصلين على شهادة الكفاءة. ثم زاد هذا الشرط فأصبح للحاصلين على شهادة إتمام الدراسة الثانوية مع انتقاء الأكفاء منهم.

وفي سنة ١٩٣١م الحقت بها كنيسة على اسم السيدة العذراء، فكانت خطوة هامة في ربط التعليم النظري بالممارسة العملية للخدمة الكنسية والتدريب على الوعظ.

تابع حبيب جرجس إدارتها بحنكة وغيرة حتى قرب أواخر الأربعينات حين تقدم به السن فلزم الفراش لمرضه. لكن بعد أن ترك بها تراثاً عظيماً وتقاليد روحية وتربوية بالغة الأثر. ويكفي أنه لكي يضع لائحتها استحضر مناهج الكليات المماثلة في اليونان والفاتيكان وانجلترا وأمريكا، ومن كافة المذاهب، ليستفيد من خبرتها. بل وزاد على ذلك بأن انتهز مناسبة عضويته بالمجلس الملي، لأربع دورات متتالية، فعمل على دعم هيئة التدريس، ورفع مستوى المرتبات، فضلاً عن الجهاد في وضع كادر للخريجين، تشجيعاً للطلاب على الالتحاق بها، وحفزا للأساقفة الا يختاروا معاونيهم من الكهنة إلا من خريجي الإكليريكية.

وتميز الرجل أيضاً بعمق النظر. وسعة الأفق حتى أنه وضع في الاعتبار أن تنتظم المدرسة مختلف نوعيات المكرسين للخدمة. فكان يرحب بالرهبان، وأبناء القسوس. بل إنه حدد يومين أسبوعياً لتدريس الكهنة المختارين حديثاً، لاستكمال دراستهم. وهو مانعرفه في الوقت الحالي باسم الدورات التدريبية. ولكي يجعل المدرسة بيئة تربوية متكاملة، أنشأ قسماً للتأليف والترجمة والنشر. وكان ينتقي من طلابه أصحاب المواهب في هذا المجال، ليعهد إليهم بكتاب هام يترجمونه، أو بموضوع يؤلفونه. بل إنه قام بتشجيع أساتذة الكلية على وضع ترجمة قبطية للإنجيل. وكذلك شجع بعض الطلاب على أن يؤلفوا ويكتبوا، مما كان له أكبر الأثر في نمو حركة التأليف فيما بعد. بل واهتم بالتربية البدنية فاشترى أدواتها اقتناعاً منه بتكامل العمل التربوي.

وكان من الطبيعي أن يتم على يديه افتتاح القسم المسائي الجامعي سنة ١٩٤٥م ليلتحق به خريجو الجامعات ممن لا تساعدهم ظروفهم العائلية أو المادية على التفرغ نهاراً بحكم أعمالهم.

ولم تمنعه جهوده في النهوض بالمدرسة الاكليريكية، طلاباً وخرجين وأساتذة، من العكوف على الكتابة والتأليف في مختلف المجالات الكنسية: تعليمية، وروحية، وعقيدية، وإصلاحية، وتاريخية، ولاهوتية. بل ووضع ترانيم أيضاً للكبار والأطفال، بالإضافة إلى إنشائه لمجلة الكرمة التي كانت منبراً فذاً في نوعه، ينقل إلى قارئه ألوان الفكر الآبائي والتعليمي وكان منه في هذا المجال جمهرة من المتخصصين الفضلاء. فكانت هذه المجلة بحق مدرسة الخدمة الأولى للشعب القبطي في مطلع القرن العشرين.

٢ ـ خدمة مدارس الأحد[١]

في سنة ١٨٩٨م قرر المجمع المقدس المنعقد بالدار البطريركية بالقاهرة وجوب تعليم الدين المسيحي للأطفال ولتلاميذ المدارس. ذلك أن هذه المدارس، بسبب عدم وجود المدرسين الذين هم على علم بتعاليم إنجيلهم وكنيستهم، لم تكن بها حصة للدين المسيحي. فرأى المجمع سداً لهذا النقص إنشاء مدارس أحد الغرض منها:

أ ـ تعويد الأطفال والشبان حضور الكنيسة.

ب ـ تزويدهم بعلوم الدين وحقائق الإنجيل.

جـ ـ تقديس يوم الأحد.

د ـ تعويدهم الفضائل والأخلاق السامية وإعدادهم ليكونوا رجالا نافعين لوطنهم.

هـ ـ العناية بنظافة ملابسهم وصحة أبدانهم.

و ـ بث روح القومية فيهم، وتعويدهم على خدمة شعبهم.

وفي عام ١٩٠٥م قامت أول حركة للإستعانة بالشبان الأتقياء المثقفين لتعليم هذه الدروس للأطفال. والإسهام في تحقيق هذه الأهداف جميعاً.

وفي عام ١٩١٨م كان حبيب جرجس قد قطع مرحلة لا بأس بها في تأليف وطبع دروس

---

١ ـ المرجع السابق.

مدارس الأحد، بل إنه كان يُحضر الصور المصقولة من الخارج فكانت أثمن هدية أسبوعية يحصل عليها أطفال وتلاميذ مدارس الأحد، مما كان يشوقهم إلى المواظبة بل ودعوة زملائهم وأترابهم للحضور معهم.

ومن العوامل التي ساعدت حبيب جرجس على نشر هذه الفكرة حماس تلاميذه طلاب الإكليريكية على العمل في هذا الميدان الروحي الخصب مما كان له أثره في زيادة عدد الفروع، وبالتالي نمو أعداد المترددين عليها من الأطفال والتلاميذ والتلميذات والشباب. فكان أن وضع لهم لائحة منظمة، وشكل لجنة عامة من كبار الأراخنة الأقباط، لتوجيه العمل توجيهاً جماعياً سديداً، فدل بذلك على نضج فكري وذكاء طبيعي وفهم واقعي لأسلوب القيادة الحكيمة الواعية.

واستطاع حبيب جرجس مع الوقت أن يدعو قداسة البابا، بحكم أنه راعي الرعاة، ليكون هو الرئيس الأعلى للجنة العامة لمدارس الأحد، مما كان له أثره العميق في ضم الآباء المطارنة والأساقفة والكهنة إلى معاونة الحركة والإسهام فيها والدعوة لها، حتى انتشرت على امتداد الوادي من الإسكندرية شمالاً إلى أسوان جنوباً بل وإلى السودان أيضاً.

٣ ـ معهد الدراسات القبطية

أسسه سنة ١٩٥٤م المؤرخ العالمي دكتور عزيز سوريال عطية. ولكي نحيط بالظروف التاريخية التي تأسس فيها، والأهداف التي قصد مؤسسه إلى تحقيقها، نورد نص المذكرة التي رفعها د. سوريال إلى المجلس الملي العام في اكتوبر سنه ١٩٥٣م، متضمنة كيف يأتي المعهد إستجابة طبيعية للظروف الخاصة والعامة بين القبط من جهة، وفي كثير من المعاهد العلمية العالمية من جهه أخرى، ليكون مركزا للدراسات القبطية يقبل به المصريون والأجانب، يتخصصون في دراسة التراث القبطي بكل فروعه وربطه بتاريخ مصر القديمة السابق عليه، والتاريخ العربي الإسلامي التالي له. وذلك تأسيساً على أن العصر القبطي يمتد فيشمل نحو الألف سنة ما بين ظهور المسيحية في القرن الأول إلى القرن السابع الميلادي، مع الفتح العربي سنة ٦٤١م، ممتداً حتى وقتنا الحاضر بحضارته التي لا تزال تنطق من خلال الآثار التي تكتشف، والحضور القبطي في سائر نواحي الحياة المصرية.

تقول المذكرة: إن فكرة المعهد العالي للدراسات القبطية "نشأت نشأة طبيعية فكانت بمثابة الإستجابة الخالصة للظروف الخاصة والعامة بين القبط من جهة وفي كثير من المعاهد العلمية العالمية من جهة أخرى. بينما نجد أن إيقاظ الوعي القبطي القومي لن يتم إلا عن طريق تعريف الأقباط بأنفسهم، أي بمدنيتهم العتيدة، وماضيهم التليد. نلاحظ أن بعض الكنائس الإستقلالية الكبرى بأوربا وأمريكا تسعى الآن إلى الرجوع لأصول المسيحية في القرون الخمسة الأولى. ومعنى ذلك هو الرجوع إلى الكنيسة القبطية التي حافظت على هذه الأصول، بالرغم مما نزل بها من ضعف أو إرتباك في بعض عصورها. ولقد شعرت الجامعات الأوربية والأمريكية الكبرى بهذا، كما أدركت أهمية الدراسات القبطية فاحتضنت بعض نواحيها. وكان أن ظهرت آثار وجودها في ذلك الميدان الجديد منذ أخريات القرن الماضي وأوائل القرن العشرين في جامعات باريس وأكسفورد وبروكسل والفاتيكان ومانشستر وميتشجن وفلادلفيا وغيرها. لكن ما يلاحظ

في هذه النهضة. هكذا يتابع عزيز سوريال كلامه. هو ان كلا من تلك الجامعات اختصت بناحية متواضعة منها فنشط نشر النصوص الرهبانية القبطية وانظمتها في باريس وبروكسل وسمت اللغويات والكتب المقدسة القبطية بأكسفورد، وثبتت بحوث الفلسفة الغنسطية بمانشستر، والتاريخ والبرديات القبطية بميتشجن، والطقوس والنصوص وغيرها بفلادلفيا. كل ذلك دون أن يقوم معهد خاص يلم شمل تلك الدراسات بمختلف عناصرها من لغة وأدب وتاريخ وآثار وموسيقى ولاهوت على غرار المعاهد الجامعية التي جرى العرف على إنشائها في كل بقاع الأرض، ومن بينها معهد الآثار المصرية بجامعة القاهرة ومعهد الدراسات الإسلامية الذي تفتتحه جامعة الدول العربية بمصر. من هنا، ففي هذا الوقت يرتفع فيه صوت القبط عالياً بضرورة درس ماضيهم لإصلاح حاضرهم ومستقبلهم، نجد أن عالم العلم يبحث عن مخلفاتهم الفكرية وحضارتهم الإنسانية. وهذا ما سيحققه المعهد الذي نحن بصدده. فهو أصدق إجابة على ذلك فمصر التي حافظت على الكنيسة القبطية ولم تنطفىء في جنباتها جذوة هذا الشعب القبطي هي الموضع الطبيعي لقيام هذا المعهد ليكون أداة صالحة لتحقيق فصل زاهر من فصول تاريخنا القومي الطويل.

أغراض المعهد

بعد ذلك عدد د. سوريال أغراض المعهد، ويسترعي الانتباه بينها:

١ ـ تدريب الرهبان من حملة الشهادات العليا على طرق البحث العلمي، وتوجيههم في المستقبل إلى الجمع بين الاشتغال بالمسائل الدينية والأعمال الفكرية، فتسمو بذلك مكانتهم، وتستحدث الكنيسة بهم جيلا جديداً من الرهبان الدكاترة في الفلسفة والعلوم الإنسانية، يرتقون بالكنيسة إلى مكانتها التليدة في القرنين الرابع والخامس، ويكون من بينهم أحبار المستقبل في السلك الكهنوتي الموقر.

٢ ـ أن يصبح المعهد مركزاً يؤمه العلماء الأجانب، الذين يهرعون إلى مصر للعمل في الدراسات القبطية أو في فحص أحوال الكنيسة المصرية. وفيه يمكن توجيههم على أساس سليم يضمن لهم تحقيق غاياتهم العلمية وبهذا العمل نمهد لمشروع التبادل الثقافي بين المختصين في العلوم القبطية بمصر وأوربا وأمريكا أساتذه وطلاباً على السواء.

٣ ـ يكون المعهد بحق المركز التعليمي العالي الذي يمنح درجات الدكتوراه في الفلسفة، والدكتوراه في اللاهوت، والأستاذية في الأدب، لطبقة ممتازة من خريجي الجامعات الذين اتخذوا من الدراسات القبطية هوايتهم الأولى ولم يجدوا من يعنى بتوجيه بحوثهم توجيها علميا سديدا.

مستلزمات التأسيس

بعد هذا المدخل الواضح ينتقل د. عزيز سوريال في مذكرته إلى الحديث عن مستلزمات التأسيس: المبنى والميزانية وهيئة التدريس ثم المكتبة.

اما عن المبنى فقد تفضل غبطة البطريرك المعظم الأنبا يوساب الثاني على تخصيص طابق من

مباني كلية مارمرقس للمعهد (مبنى الأنبا رويس).

وأما الميزانية فالمعهد سيعتمد في أول عهده على إعتماد يرصده له المجلس الملي سنويا، بالإضافة إلى ما يجب أن تخصصه لجنة الأوقاف القبطية، وما تجود به أريحية كبار رجال الإكليروس وعظماء الشعب وأغنيائه من أموالهم الخاصة. وعندما يكتمل المعهد يمكن الرجوع إلى الهيئات الأمريكية التي تفيض خزائنها بالأموال المخصصة لمساعدة مثل هذه المشروعات، لتمنح للمعهد ما يلزمه من أموال للتوسع في أعماله.

وأما هيئة التدريس فعمادها على اكتاف المبرزين من القبط وغير القبط في الدراسات القبطية، عن طريق الإنتداب جزءاً من الوقت. وإننا لمتاكدون أن وطنيتهم وحبهم لخدمة العلم اكبر وازع لمساهمتهم بلا تردد في هذا العمل الجديد الذي يدرس فصلا من فصول تاريخنا المصري القومي العام.

وتبقى المكتبة التي يهون أمرها بتعاون الهيئات العلمية مع المعهد، وعلى راسها جمعية الآثار القبطية، ولجنة التاريخ القبطي، والمكتبة البطريركية. ومن الضروري أن يتوفر بالمعهد ثبت كامل لمراجع الدراسات القبطية على غرار الفهرس الهائل الذي اختص بعمله معهد الوثائق البلجيكي في بروكسل.

تاسيس المعهد

في ديسمبر سنه ١٩٥٤م افتتح المعهد أبوابه للراغبين في الالتحاق به. وفي لقاءات شخصية بينهم وبين أساتذه المعهد تحدد لكل منهم القسم المناسب لإستعداداته وتخصصه. وكان الدكتور عزيز سوريال مع الأساتذه سامي جبرة، ومراد كامل، وزاهر رياض ، والقمص مكاري السرياني، وانيس رزق الله، وحبيب جورجي، وراغب مفتاح، وراغب عياد، وإيريس حبيب المصري، ولبيب حبشي. قد اقروا لائحة للمعهد ليسير العمل بمقتضاها، ثم بدأت الدراسة أوائل سنه ١٩٥٥م. جدير بالذكر أنه بالإضافه إلى الدراسة النظامية بالمعهد، كانت هناك أنشطه أخرى: إصدار العدد الأول من مجلة المعهد، تنظيم موسم ثقافي يدعى إلى المحاضرة فيه بعض المتخصصين في الدراسات القبطية، وكان من بين من دعوا بروفيسير بلملي عن الآثار القبطية في النوبة. وأتيح للمعهد أن يناقش مجموعة من الرسائل حصل أصحابها على درجة الماجستير أو الدكتوراه في أقسام الآثار والفن والدراسات الأفريقية والتاريخ والإجتماع والتربية.

٤ ـ جمعية أصدقاء الكتاب المقدس للشبان والطلبة [١]

تأسست جمعية أصدقاء الكتاب المقدس للشبان والطلبة سنة ١٩٠٨م برئاسة الأستاذ باسيلي بطرس، الذي كان من خريجي الكلية الإكليريكية. ثم عين مدرساً فوكيلاً لمدرسة الأقباط الكبرى. وكان من أهم الأغراض التي أسست لكي تحققها:

بث روح الفضيلة بين الشبان عموماً والطلبة والطالبات بوجه خاص، ونشر دراسة الكتاب المقدس بينهم. وقد وضع مجلس إدارتها خطة نوعية تستهدف خدمة الشباب بالقسم العالي.

---

١ ـ سليمان نسيم، رحله إلى قلوبهم ـ (القاهرة ـ جمعية أصدقاء الكتاب المقدس سنه ١٩٧٣م).

وخدمة القسم الثانوى، والابتدائى. كما أسس مكتبة. وناديا، وأقام المنازل الطلابية للمغتربين الوافدين من الأقاليم، وأصدر مجلة شهرية كان من أهم أبوابها القراءات اليومية فى الكتب السماوية.

ولقد اتخذت الجمعية من الأصحاح الثانى عشر من رسالة القديس بولس الرسول إلى كنيسة روما شعاراً لها: إذ هو يحوى الفكر المسيحى فكراً وتطبيقاً على مثال السيد المسيح له المجد.

ومن أشهر العاملين القدامى فى هذه الجمعية: الإيغومنيوس إبراهيم لوقا. والقمص مرقس داود، والأرشيدياكون عياد عياد، وسابا حبشى باشا، وإبراهيم بشارة، والأستاذ تكلا رزق، والمستشار إسحق عبد السيد، والأستاذ يونان نخلة (الذى أسس فيما بعد جمعية المحبة)، والدكتور شفيق عبد الملك، ود. صادق أنطونيوس وغيرهم.

ولقد عاصرت جمعية الأصدقاء شقيقتها جمعية صديقات الكتاب المقدس التى انضمت إليها فضليات النساء. وفى الجمعيتين اتجه العاملون والعاملات إلى ترسيخ دراسة الكتاب المقدس نظراً وعملا، وربط الشباب بالقداس. وضماناً لحثهم على دراسة الكتاب المقدس وزعت الجمعية كارتات شهرية لتسجيل الدراسة اليومية، كما نظمت المسابقات وخصصت لها الجوائز.

واقترن هذا كله بالكثير من ألوان النشاط التربوى: كالقيام بالرحلات الدينية والترفيهية، وإنشاء مصيف الأصدقاء بالمندرة، وترتيب أسبوع الخيام السنوى بإحدى الجهات الخلوية، فضلا عن المحاضرات الأسبوعية وعمل المكتبة لتشجيع الأعضاء على الإطلاع، ثم تخصيص أوقات للصلاة. ولقد أدت هذه الخطة المتكاملة فى رعاية الشباب إلى انتشارها فى مختلف المدن وانضمام الكثير من الأسر بل ومن أصحاب المناصب الرفيعة ممن اعتبروا بحق إخوة كبار لأعضاء الجمعية من الخدام والشباب. فكانت الإدارة المركزية ترتب لهم مؤتمراً سنوياً يتناول فيه الباحثون الكثير من الموضوعات الروحية والتعليمية بل والإصلاحية أيضاً، التى تمس المشكلات التى كانت تعانى منها الكنيسة خاصة فى الفترة بين أواخر العشرينات حتى مطلع الخمسينات.

الشكل الثالث : الشكل الثقافى العام

أخذ هذا الشكل مجموعة من المظاهر أكدت مسار التيار الثقافى فى البلاد، ولئن كان هذا التيار قد صادفته الكثير من المعوقات فى بعض الأحيان، بحيث أضعفت من جريانه وسريانه، إلا انه ظل مع ذلك غير منقطع. ويمكن أن نرى هذا الشكل كما قام به الأقباط أو شاركوا فيه، فى صورتين أساسيتين:

الصورة الأولى: التثقيف الذاتى

وكان مجاله الأسرة.

الصورة الثانية: التثقيف العام:

وكان مجاله المتاحف والصحف والنوادى، وإليها نضيف دورهم فى إنشاء الجامعة الأهلية. وقد كانت، منذ سنة ١٩٠٨م، وسيلة للثقافة والدراسة الحرة العامة حتى أصبحت تابعة للدولة

سنة ١٩٢٥م.

أولاً: التثقيف الذاتي:

كان مجال هذا الشكل في الأسر وخاصة في الأقاليم. فامتداداً لتقاليد الأسرة المصرية، ثم الأسرة القبطية، منذ فجر المسيحية، نعلم أن الكثير من الأسر كانت تقتني المكتبات الخاصة التي تضم العديد من المخطوطات التي كانت بتنوع موضوعاتها بمثابة مدرسة للإطلاع الشخصي والتثقيف الذاتي في مختلف أنواع المعرفة اللاهوتية والعلمية والكنيسة. وعليها تتلمذ أعضاء هذه الأسر رجالا وسيدات. وكانت بعض هذه الأسر تدعو المعلمين لتدريس أولادهم وبناتهم اللغتين القبطية والعربية. ومن أشهر الأمثلة الدالة على دور هذه المكتبات الأسرية، وأثرها في التثقيف الذاتي (بالإضافة إلى الذكاء الطبيعي والإجتهاد الشخصي). نذكر كبار أساتذة الجيل[1] الذين اعتمدوا على التثقيف الذاتي:

١ ـ عريان مفتاح:

الذي كان عالماً متبحراً في اللغتين القبطية والعربية، ويعتبر أول معلم قام بتعليم اللغة القبطية وقواعدها بالمدارس القبطية خلال القرن التاسع عشر. وعنه تسلم القمص فيلوثيئوس إبراهيم دقائق قواعدها حتى نبغ فيها.

٢ ـ مرقس يوسف الحبشي:

الذي ولد في البتانون سنة ١٨٢٩م، وأخذ يتعلم العربية والقبطية باجتهاده الشخصي . أما قواعد النحو العربي فقد درسها على مشايخ الجامع الأحمدي بطنطا.

٣ ـ القمص فيلوثيئوس إبراهيم:

تعلم في صبوته اللغة القبطية. ولما كانت اللغة الإيطالية هي أكثر اللغات انتشاراً في عهده (منتصف القرن التاسع عشر) فقد اجتهد في تعلمها قراءة وكتابة بواسطة الكتبة الإفرنج الموجودين معه في المحل التجاري الذي عين به.

٤ ـ يعقوب نخلة روفيلة:

كان أستاذاً للإنجليزية والإيطالية. ونبغ على يديه كثير من تلاميذ المدرسة القبطية الصغرى بحارة السقائين، فارتقوا إلى الوظائف العالية. وكذلك تعلم الفرنسية والقبطية بإجتهاده الشخصي، كما خدم بالمطبعة الأميرية فتمرن على أعمالها حتى صار ذا خبرة تامة بأعمال المطابع، فلما أحضرت جمعية التوفيق مطبعتها كان روفيلة هو الرئيس المدرب لعمالها والمنظم لإدارتها. ولسعة خبرته في التعليم اختير عضواً بمجلس شورى النواب في مارس سنة ١٨٨٣م، ثم عضواً في قومسيون المدارس بالمجلس، وأخيراً عضواً بالمجلس الملي العام سنة ١٨٩٢م.

٥ ـ حبيب جرجس:

الذي يذكر في مذكراته أنه كان يتردد على المكتبة البطريركية، فلم يترك شاردة أو واردة إلا

---

١ ـ توفيق اسكاروس، توابغ الأقباط ومشاهيرهم، (القاهرة، مطبعة التوفيق، الجزءان الاول والثاني، ١٩١٠م، ١٩١٣م).

واطلع عليها، مما ساعده على القيام بالمسئولية التى عهد بها إليه القمص فيلوثيئوس إبراهيم أستاذه ومعلمه بالمدرسة الاكليريكية، وهى التدريس بالمدرسة. لكنه أفاد من اطلاعه هذا على أوسع مدى فى وضع الكثير من المؤلفات اللاهوتية والروحية والتعليمية، وكذلك فى شرح الكتاب المقدس بأسلوب مبسط لخدام وتلاميذ مدارس الأحد، كذلك كتب فى القوانين الكنسية وقضايا الاصلاح، فضلا عن الردود العقائدية على المذاهب غير الأرثوذكسية وفصول التأملات الروحية.

٦ ـ الأب الراهب القس داود المقارى:

يعتبر من النماذج الحية المؤثرة فى خدمة الدراسات القبطية منذ العشرينيات وحتى أوائل الخمسينيات من القرن العشرين مع حصوله على دبلومات التخصص فى كلية الحقوق وشغله العديد من المناصب الحكومية. لكنه اتجه إلى خدمة التراث القبطى:

ففى مجال خدمة اللغة القبطية:

+ اخترع آلة كاتبة بحروف قبطية.

+ نشر الأناجيل الأربعة وسفرى التكوين والخروج باللغة القبطية.

+ نشر كتاب القداسات الثلاثة باللغتين القبطية والعربية.

وفى مجال خدمة الكرازة:

أصدر مجلة الأنوار الأسبوعية باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، كما نشر تفسيرا لرسالة القديس بولس الرسول إلى كنيسة روما، وترجم الكثير من عظات يوحنا فم الذهب.

وفى مجال الخدمات الكنسية:

+ شجع على تدريس اللغة القبطية بالكثير من الجمعيات.

+ أنشأ بيت النعمة للأيتام بروض الفرج، والحق به مدرسة ابتدائية مجانية لخدمة أبناء الحى الفقراء.

+ بنى كنيسة السيدة العذراء بروض الفرج على الطقس القبطى وأقام فى منارتها مذبحاً باسم رئيس الملائكة ميخائيل.

ولد فى ٢٦ يوليو سنه ١٨٩٤م، ورشح للبطريركية مرتين سنة ١٩٤٦م وسنة ١٩٥٣م وانتقل إلى السماء فى ٣٠ يناير سنه ١٩٥٤م.

شخصيات اخرى:[١]

الأمثلة التى أوردناها سابقا على سبيل النماذج فقط لا الحصر، لكننا لا نستطيع أن ننسى صورة اخرى للتثقيف الذاتى فيما رأيناه فى شخصية كالمعلم ميخائيل جرجس كبير مرتلى الكاتدرائية فى أواخر القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، والأرشيدياكون فرنسيس العتر رئيس شمامسة الكنيسة البطرسية اللذين كانا يترددان على الأزهر لدراسة اللغة

العربية واللقاء بالشيخ محمد عبده ، الذى كان يعقد مساء كل يوم بالجامع الأزهر حلقات دراسة للغة. بل إن المعلم ميخائيل يذكر أنه إستطاع بعصاميته وحماسه القوى أن يتسلم الألحان من معلمين كبيرين سابقين عليه لكنهما كانا بخيلين بعلمهما، فكان يختبئ تحت "الدكة" التى يجلسان عليها ليراجعا معا هذه الألحان. ولما تميز به من أذن واعية، وحس موسيقى دقيق، وذاكرة قوية، فقد تمكن من حفظ هذه الألحان وإختزانها حتى إذا فتح قسم الألحان بمعهد الدراسات القبطية إنضم إليه وسلم هذا التراث العظيم للكنيسة. وللأستاذ راغب مفتاح يرجع الفضل الأكبر فى حفظ هذا الكنز بل وتسجيله على إسطوانات وأشرطة.

ونذكر أيضا فى مجال المكتبات الأسرية مكتبة المرحوم ميخائيل صليب بشبرا، وكان يعقد اجتماعا لدرس الكتاب المقدس بمنزله. وقد أسفر هذا الاجتماع فيما بعد عن إنشاء كنيسة القديس الأنبا أنطونيوس بشبرا. وكذلك نذكر الأستاذ الكبير والمربى العظيم كامل ميخائيل عبد السيد الذى عاش حياته طولا وعرضا مكرسا، دون زواج، لخدمة بلده وكنيسته، وتكوين مكتبة علمية قل أن يوجد لها نظير. فلما تأسس معهد الدراسات القبطية، قدم كل منهما: ميخائيل صليب وكامل ميخائيل، مكتبته لتكوين نواة لمكتبة المعهد. فكان عملا كبيراً وخدمة جليلة تفوق الوصف إذ بلغت هاتان المكتبتان ما لا يقل عن ٤٠٠٠ مجلد . ومن أصحاب المكتبات الخاصة أيضاً الأستاذ جرجس فيلوثيئوس عوض الباحث اللغوى فى القبطيات والمؤرخ، وصاحب المجلة القبطية، الذى كتب الكثير من الأبحاث والمؤلفات خاصة عن البابا كيرلس الرابع، وكذا عن حميه القمص فيلوثيئوس إبراهيم، وهما من أعظم المراجع فى تاريخ الكنيسة القبطية والشعب القبطى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر.

هذه الشخصيات، التى انتقيناها كنماذج وأمثلة، تمثل صورة العديد من العصاميين الذين أنتجهم القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ومنهم من كتبوا سيرهم الذاتية مثل دكتور نجيب محفوظ والكاتب المفكر سلامة موسى. ويعنى هذا أن التعليم النظامى لم يكن كافياً، ربما فى مجال الوظيفة كان كافياً، لكن بالنسبة للاستزادة من المعرفة كان لابد من الجهد الذاتى، وهذا ما وفرته الكثير من الأسر القبطية.

من مكتبة الأسرة ننتقل إلى مكتبات الكنائس التى كانت عامرة بالمخطوطات التى يطلع عليها رجال الدين والخدام ليقدموا مما أفادوه مؤلفات تضيف الكثير من الزاد التعليمى والكنسى وخاصة بعد أن أحضر الأنبا كيرلس الرابع مطبعته المشهورة ثم توالى شراء المطابع بعد ذلك: كمطبعة جريدة الوطن، ومطبعة جمعية التوفيق.

كذلك هناك أيضاً مكتبات الجمعيات: فقد أقامت جمعية التوفيق مكتبة ضمت الكثير من الكتب والمؤلفات فى مختلف العلوم والمواد. وأما السبب فى إنشائها فهو شعور أعضاء الجمعية بافتقار الأمة واحتياجها إلى وجود "كتبخانة" عمومية مفيدة أدبياً ودينياً، تحفظ بها مؤلفات أحبارنا ورجالنا الأفاضل، وتكون كعبة آمال المجتهدين من طلبة الدين والعلم والأدب، "يحجون إليها طلباً فى استخراج دقائق كنوزها" . ولقد أصبحت هذه المكتبة مجالا لتسابق الغيورين فى

---

١ . لقاءات شخصية معهم خلال الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين.

التبرع. وارتبطت حركة التنوير هذه بإحضار المطبعة التي استهدفت ـ كما قالت الجمعية في أحد تقاريرها ـ "خدمة الأمة وجلاء الأذهان وتنوير الأفهام، تبشر بالمعارف والآداب، وتسهل طبع الكتب والمؤلفات، وبالأخص ما يتوقف عليه نظام أحوالنا الاجتماعية". وكان باكورة أعمال المطبعة كتاب "الأحوال الشخصية" كما قامت بعد ذلك بطبع تقويم التوفيق ومجلة التوفيق.

ثانياً : التثقيف العام :

المتاحف:

وفي مقدمتها يأتي المتحف القبطي الذي يرجع الفضل في إنشائه في الثلاثينات لمرقس سميكة باشا، ونخلة الباراتي. وقد أدى المتحف دوراً كبيراً كمركز لحقبة هامة من تاريخنا القومي العام، هي الحقبة القبطية. فسد فراغاً في مجموعة متاحفنا: المتحف المصري الذي تحفظ به بعض آثار حضارتنا القديمة، والمتحف الإسلامي الذي يزدحم بصور الحضارة العربية والمخطوطات الإسلامية النادرة.

وبهذا اكتملت صورة حضارتنا على امتداد العصور. ومع الوقت أصبح المتحف القبطي، بمكتبته النادرة، وعلماء الآثار القبطية الذين عينوا به، مركزاً علمياً يلتقي فيه المتخصصون في القبطولوجيا ويبحث بروديات الحركة الفنوسية خلال الخمسينيات، وترجمتها، على عهد الدكتور باهور لبيب.

الصحف:

وفي مقدمتها صحيفتا مصر والوطن اللتان أسستا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

وكذلك المجلة الجديدة التي أسسها سلامة موسى في الثلاثينات من القرن العشرين.

الجامعة الأهلية:

اشترك الأقباط في تأسيسها. فقد ضمت لجنتها التأسيسية إثنين منهما هما أخنوخ فانوس، ومرقس حنا. وإلى الأخير يعزى فضل إنشاء قسم الحقوق الليلي الملحق بكلية الحقوق، وذلك في ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٩م. وكان هذا المحامي وقتها نقيباً للمحامين، فوضع تقريراً بإنشاء هذا القسم، وكذلك بإنشاء قسم العلوم الجنائية في أكتوبر من السنة نفسها. ولذلك فإن من يؤرخ لهذه الجامعة يذكر أنها في لجنتها الأولى مثلت أعيان الأمة ومثقفيها من عنصري الأمة مسلميها وأقباطها. ومن المعروف أن الاحتلال البريطاني حاول تعويق مشروع قيام هذه الجامعة، وتظاهر أنه يستهدف بذلك تعليم القاعدة الشعبية العريضة فدعا إلى إنشاء المزيد من الكتاتيب، لكن المصريين واصلوا مشروعهم حتى خرج إلى الوجود. ثم ما لبثت الجامعة أن أصبحت أميرية تابعة للحكومة سنة ١٩٢٥م. وكان ذلك بداية تطورها وارتقائها.

النوادي:

وهي إحدى الوسائل التربوية التي اصطنعها الأقباط في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

النادى الأول:

وأول من أسس النوادى يعقوب نخلة روفيلة. وقد استهدف من تأسيسه عقد جلسات حوار لزيادة التفقه فى اللغة الإنجليزية. وكان يرأس الجلسات بهذا النادى أستاذ متضلع فى تلك اللغة.

النادى الثانى:

نادى جمعية الأصدقاء الذى أقامه باسيلى بطرس سنة ١٩١١م، وهو أستاذ مرب وكان وكيلا لمدرسة الأقباط الكبرى ويعتبر المؤسس لجمعية أصدقاء الكتاب المقدس.

النادى الثالث:

أسسه الأستاذ حبيب المصرى فى أسيوط للشباب القبطى وتدريبه على المحاضرات والبحث والاطلاع. وكان ذلك فى أوائل القرن العشرين واستمر نحو خمسة عشر سنة.

النادى الرابع:

نادى جمعية التوفيق، الذى أسسته الجمعية لتشجيع التربية الدينية والاجتماعية بين الشباب المشترك فيها والمقبل على إجتماعتها.

خاتمة

استعرضت هذه الدراسة دور الأقباط فى خدمة التعليم القومى، على إمتداد الأزمنة الحديثة منذ عهد الحملة الفرنسية حتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين، مع دراسة الجذور التاريخية والدينية والثقافية منذ مصر القديمة حتى نهاية العهد العثمانى مروراً بالعصر القبطى، والعصور الوسطى، وما تخللها من تيارات فكرية ومحاولات دائبة، للحفاظ على التراث المصرى ومنه المسيحى. ولقد كان طبيعياً أن تتسع الدراسة عن التعليم لتشمل التاريخ لمختلف الجهود الثقافية والتربوية التى قامت بها المؤسسات القبطية، الكنسية منها والشعبية، منذ أواخر القرن التاسع عشر، مما أعتبر بحق مرحلة تحول حضارى، خاصة فى عهد البابا كيرلس الرابع فى أواسط القرن. إذ تغيرت خلال هذه الفترة الكثير من معالم الحياة المصرية عامة والقبطية بوجه خاص، فيما قام به الآباء البطاركة، والأساقفة، والجمعيات القبطية، والخدام الكنسيون المكرسون من جهود متوالية فى إنشاء المدارس، ونشر الفكر الدينى والتأكيد على التربية الروحية، فى ضوء المنهج الأرثوذكسى. وقد أبرز البحث دور المؤسسات القبطية، والأراخنة الأقباط فى خدمة مصر، والأسرة المصرية، وكذلك فى الحفاظ على مسار تيار التعليم مما تضمن الحفاظ، من جانب آخر، على مسار الحضارة، وعدم التخلف عن ركب الإنسانية المتقدمة والمتطورة إلى الحياة الأفضل، سواء فى المجال الاجتماعى العام أو فى المجال القبطى والكنسى بوجه خاص...[١]

---

١ ـ مرقس سميكة ، دليل المتحف القبطى ، (القاهرة ، الجزء الأول ١٩٣٠م،الجزء الثانى ١٩٣٢م).

الفصل الرابع

امتداد حركة التجديد التربوى

بعد البابا كيرلس الرابع (١٨٦٢ ـ ١٩٢٧)

أ.د. طلعت زكرى مينا

البابا ديمتريوس الثانى البابا الحادى عشر بعد المائة (٨٦٢م ـ ١٨٧٠م):

ظل الكرسى المرقسى شاغراً، مدة سنة واحدة وثلاثة أشهر وسبعة أيام. بعد إنتقال البابا كيرلس الرابع فى ليلة الأربعاء الموافق ٢٣ طوبه سنه ١٥٧٧ ش، ٣٠ يناير ١٨٦١م، واجتمع الأنبا يؤانس مطران المنوفية والأنبا أثناسيوس أسقف منفلوط والأنبا باسيليوس مطران القدس وباقى الأساقفة، واجتمعت كلمتهم على اختيار القمص ميخائيل عبد السيد رئيس دير الأنبا مقار. وأقيمت شعائر الرسامة فى ٩ بؤونه سنه ١٥٧٨ش، فأصبح هذا الأب هو البطريرك الحادى عشر بعد المئة باسم البابا ديمتريوس الثانى[١] وقد وصفه ميخائيل شاروبيم فى كتابه الكافى بأنه كان "شهما" عاقلاً محباً للعلوم، فاعتنى بترتيب المدارس وبالغ فى وضعها على النحو الذى نحاه البابا كيرلس الرابع.[٢]

وكان البابا ديمتريوس الثانى محل تقدير سعيد باشا والخديوى إسماعيل، كما كان محل تقدير السلطان العثمانى عبد العزيز عند زيارته مصر فى عام ١٨٦٣م. وكانت العادة لمن يدعى للمثول بين يدى السلطان أن يقبل طرف ثيابه، فلما جاء دور البابا ديمتريوس الثانى تقدم توا وثم صدر السلطان، فإنزعج السلطان العثمانى، ودهش الحاضرون، وعد ذلك جسارة كبيرة من البابا. ولما سئل عن معنى هذا، أجاب البابا ديمتريوس الثانى: إنما أقبل يد الله ملك الملوك وسلطان السلاطين لأنه ورد فى الكتاب المقدس: " إن قلب الملك فى يد الرب" (أم ٢١: ١)، فلما سمع السلطان العثمانى الترجمة باللغة التركية التى قام بها القمص سلامة المرافق للبابا ابتسم سرورا وأجزل العطاء للبطريركية والمدارس القبطية بالكثير من الهدايا.[٣]

واستمر البابا ديمتريوس الثانى فى الكرسى المرقسى سبع سنين وسبعة شهور وسبعة أيام، وتنيح ليلة عيد الغطاس ١١ طوبة سنة ١٥٨٦ش، ولقد اشتركت الحكومة المصرية وممثلوا الدول الأجنبية وفئات الشعب المصرى من المسلمين والأقباط فى الإحتفال بجنازته.

حركة التجديد التربوى فى عهد البابا ديمتريوس

عندما تولى البابا ديمتريوس كرسى البطريركية قام بتنشيط حركة التعليم والأخذ بيد المدارس التى انشأها البابا كيرلس الرابع، عاملاً على تحسينها، وقد قدر الخديوى إسماعيل لهذه المدارس رسالتها الوطنية، فقدم للبابا ديمتريوس خمسمائة فدان من الأراضى الزراعية

---

١ ـ إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة المصرية، الكتاب الرابع (ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣).

٢ ـ ميخائيل شاروبيم ـ الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ـ الجزء الرابع (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرى، ١٩٠٠م)، ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

٣ ـ منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، (القاهرة: مكتبة المحبة، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م) ـ ص ٥١٥ ـ ٥١٦.

بزمام الشرقية للقيام بلوازم البطريركية ومدارسها، ثم وهبه ألف فدان أخرى من تفتيش رى الوادى يخصص ريعها للغرض نفسه، بالإضافه إلى مائتى جنيه مصرى سنويا إعانه تشجيع للأقباط لدورهم التربوى فى نشر التعليم والثقافة فى أنحاء مصر لأبناء الوطن جميعاً دون تفرقه. على أن عهد البابا ديمتريوس لم يشهد زيادة فى عدد المدارس، وذلك لانشغاله فى مواجهة النشاط المتزايد للإرساليات البروتستانتية فى صعيد مصر، خاصة عندما قام برحلته الرعوية إلى الوجه القبلى فى مارس سنة ١٨٦٧م على باخرة نيلية حكومية. ولدعم هذه الرحلة وطبعها بالطابع الرسمى المؤيد من الدولة، أرسلت الحكومة المصرية الأوامر المشددة إلى مديرى المديريات التى ستمر بها الرحلة البابوية لاستقبال البابا إستقبالاً رسمياً.

البابا كيرلس الخامس.

اتسمت الفترة التى تولى فيها البابا كيرلس الخامس منصب البطريركية منذ نوفمبر سنه ١٨٧٤م بالمواقف الوطنية[١] التى كان لها أثرها الواضح فى توحد الأمة المصرية بصورة وقفت أمامها سلطة الاحتلال عاجزة عن النفاذ إليها. بالإضافه إلى ذلك فقد كان هذا الأب على قدر كبير من المهابه والوقار، واتسم بالورع والتقوى والزهد. وقد وصفه الأستاذ عباس محمود العقاد[٢] بأنه "لم يضارعه من رؤساء الكنائس أحد فى نزاهته ونسكه وشدته على المخالفين لشعائر العبادة من تلاميذه." ومن منطلق وطنيته ساند البابا كيرلس أحمد عرابى فى حركته ضد الإنجليز. وقد أعلن أنهم ليسوا مجرد معتدين سياسيين، لكنهم مكمن الخطر على أقباط مصر، نظراً لأطماع الكنيسة الأسقفية الإنجليزية، ونشاطها التبشيرى فى مصر. أما موقفه فى ثورة ١٩١٩م فقد كان موقف المؤازرة لزعمائها من أجل تحقيق مطالب الشعب فى الاستقلال والحرية.

امتداد التجديد التربوى فى عهد البابا كيرلس الخامس:

استكمل هذا البابا مسيرة أبو الإصلاح، فقام بحركة تعليمية واسعة، وافتتح العديد من المدارس وفى مقدمتها مدرسة الأقباط الصناعية فى بولاق سنه ١٩٠٤م، ومدارس أخرى فى قنا وأسوان والإسكندرية. وفى عهده تم تاسيس العديد من الجمعيات القبطية، أسهم بعضها فى إنشاء المدارس معاونة للبطريركية فى نشر التعليم لمواجهة نشاط الإرساليات الأجنبية.

وقد أضاف البابا كيرلس الخامس لمدرسة الأقباط بالأزبكية القسم التجهيزى أو "الثانوى" لتصبح هذه المدرسة فى مصاف المدارس الحكومية الكبرى. كما أيدت الدولة خطته فى إعداد المعلمين والمعلمات للتدريس فى مدارس الأقباط، حتى يمكنه الإستغناء عن جميع المعلمين غير المصريين الذين يعملون بمدارس الأقباط.[٣]

وكانت مدارس الأقباط - فى جميع أنحاء مصر - تحتفل بيوم الخرجين بإقامة احتفال سنوى يحضره كبار رجال الدولة. وكان الكثير من وجوه المسلمين يحضرون احتفالات المدارس، سواء فى

---

١ - طلعت ذكرى مينا، من التاريخ الوطنى للكنيسة المصرية، بحث بجريدة وطنى، السنة ٢٤، العدد ١٥٩٦م بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٩٢م، ص ٧.
إيزيس حبيب المصرى، قصة الكنيسة المصرية، الكتاب الخامس، ص ٣٩ - ٤١.

٢ - عباس محمود العقاد، سعد زغلول: سيرة وتحية، (القاهرة، مطبعة حجازى، ١٩٣٦م)، ص ٩٠ - ٩١.

٣ - طلعت ذكرى مينا - الإرسالية الأمريكية ونشاطها التربوى فى مصر ، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية التربية جامعة اسيوط)، ص ٢٨٦ - ٢٨٣.

القاهرة أو الإسكندرية أو الأقاليم. وكانت مشاركة أبناء الوطن في هذه الاحتفالات تؤكد مدى اهتمام الدولة وعلماء المسلمين بمدارس الأقباط وما تؤديه من خدمات للوطن وأبنائه من المسلمين والأقباط على حد سواء.[١]

فكانت تلك المشاركة تجسيدا لروح التسامح الديني والترابط بين أبناء الوطن الواحد، مما رفع من شأن هذه المدارس في تأدية رسالتها التربوية والقومية. كما يتضح من هذه الإحتفالات السنوية الإمتزاج الكامل بين أبناء الوطن حتى أن لورد كرومر ذكر: "إن الفارق الوحيد بين المسلم والقبطي أن الأول مصري يتعبد في مسجد إسلامي والثاني مصري يتعبد في كنيسة مسيحية." [٢]

البابا كيرلس الخامس وتنشيط التعليم اللاهوتي:

في يوم ٤ نوفمبر عام ١٨٧٤م صدق البابا كيرلس الخامس على قرار تعيين الإيغومانس فيلوثاؤس مديرا للمدرسة الإكليريكية التي تم افتتاحها يوم ٢٩ يناير ١٨٧٥م.

وقد نشر الأستاذ أحمد عبد الرحيم رئيس تحرير جريدة الوقائع المصرية وصفا لحفل افتتاحها جاء فيه:

"من جملة ما أنشئ في الظلال الخديوية الآن مدرسة مذهبية للأمة القبطية يتقنون فيها ديانتهم أي إتقان، داعية لحضرة الجانب الخديوي الأفخم بما أولاه لهم من المساعدات المتوالية، معلنين افتتاح تلك المدرسة التي تهتم بأمورهم الدينية وقواعدهم المذهبية."[٣]

وكان يدرس بالمدرسة الإكليريكية أصول الدين المسيحي وتاريخ الأمة القبطية وشرح الإنجيل وكل ما يحتاج له من علم ودين وغير ذلك من المواد التي تساعد على تثقيف رجال الدين. واستمر التدريس بهذه المدرسة بضعة أشهر ولكنها تعثرت نتيجة قلة عدد الملتحقين بها.

وفي ١٢ يوليو ١٨٩٣م انعقدت أول جلسة تاريخية لدراسة وإقرار مشروع حنا بك باخوم بإعادة افتتاح المدرسة الاكليريكية. وقد تضمن المشروع أول لائحة لها، كما وضعت برامج الدراسة وشملت:

أولا: اللغات: اللغة العربية وآدابها ، اللغة القبطية بفروعها ، فن الخطابة، الخطوط العربية.

ثانيا: علوم دينية: علم اللاهوت ، تاريخ الكنيسة ، القوانين الكنسية ، فن الألحان ، حساب الأبقطي.

ثالثا: علوم عامة: التاريخ العام، الجغرافيا، علم الرياضيات. هذا بالإضافه إلى المنطق ليعين الدارسين على أسلوب الفكر المنطقي المنظم، مما يكون له أثره في الخدمات والمناقشات الدينية، مع ترك الحرية للطلبة لإختيار لغة أجنبية.

وحددت اللائحة الأولى إثنا عشر طالباً، وكان حبيب جرجس الطالب بمدرسة الأقباط الكبرى،

---

١ - سليمان نسيم - الأقباط والتعليم في مصر الحديثة، (القاهرة، أسقفية البحث العلمي، ١٩٨٣م)، ص ٢٧ ، ٧٠.

٢ - Cromer, The Earl of, Modern Egypt, Vol. II, (New York, The Macmilan Company, 1908), pp. 568 - 569.

٣ - حبيب جرجس، المدرسة الإكليريكية بين الماضي والحاضر (١٨٩٣م - ١٩٣٨م)، (القاهرة، المطبعة التجارية بالسكاكيني، ١٩٣٨م)، ص ١١ - ١٣.

هو أول من وقع عليه الإختيار ليكون طالبا بالإكليريكية. وقد تولى رئاسة المدرسة يوم إفتتاحها فى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٨٩٣م يوسف منقريوس الذى كان من أوائل خريجيها عام ١٨٧٥م.

وقد نهضت المدرسة الإكليريكية وإحتلت مكانها المرموق من الناحية الروحية، وبرز بين الطلبة حبيب جرجس الذى وافقت اللجنة الملية برياسة البابا كيرلس الخامس على تعيينه مدرسا للدين بالإكليريكية عام ١٨٩٩م.. [١] وفى عام ١٩١٨م اسند البابا إليه إدارة المدرسة الاكليريكية على أثر وفاة مديرها يوسف بك منقريوس، وقد إتخذ حبيب جرجس من عبارة قالها بطرس باشا غالى، رئيس مجلس الوزراء وقتئذ، نبراساً وحافزاً للنهوض بمستوى الأداء التربوى فى الإكليريكية بوضع الخطط التربوية التى تكون نواة الإصلاح، إذ قال:

"اهتموا بالمدرسة الإكليريكية قبل غيرها، فإنه إذا اغلقت جميع مدارسكم القبطية فإنكم تجدون عوضا بالمدارس الأخرى. ولكن إذا لم تكن لكم المدرسة الإكليريكية فاين تعلمون رعاتكم." [٢]

وقد اتبع حبيب جرجس خطة تربوية فى إعداد المناهج الدراسية وتطويرها بما يكفل الرقى بالثقافة الدينية حتى تساير النهضة التعليمية والتربوية فى مصر والعالم. وكان لخطته فى تطوير المناهج أثرها فى أداء رجال الدين لدورهم فى التربية الروحية للشعب.[٣] وكان هدفه أن يتحقق الترابط بين العلم والدين، حتى يتخرج رجل الدين مثقف العقل، مهذب النفس، واسع الاطلاع، غزيرا فى معارفه الدينية.

وقد بذل حبيب جرجس جهداً كبيراً حتى جعل من الإكليريكية معهداً لاهوتياً ومؤسسة دينية تربوية تعمل فى صميم الحياة القبطية، وبث روح القومية في الشعب المصرى، هذا بالإضافة إلى رسالتها التربوية فى إعداد الجيل الجديد الذى عليه تتوقف حياة الكنيسة فى المستقبل.[٤]

إهتمام الدولة بتدريس التربية الدينية المسيحية للتلاميذ الاقباط

لم تكن المدارس الحكومية المصرية تقوم بتدريس الدين المسيحى للتلاميذ الأقباط حتى فترة إشراف كل من "دانلوب" "ويعقوب ارتين" على التعليم المصرى. وقد طالب أقباط مصر من المشرفين على التعليم وقتئذ تعليم الدين المسيحى لأبنائهم أسوة بتعليم الدين الإسلامى للتلاميذ المسلمين، وحتى يشبوا متمسكين بعقائدهم ووطنهم، فلم تستجب الدولة لهذا الطلب.[٥]

واستمر هذا الوضع قائما حتى تولى "سعد زغلول" نظارة المعارف عام ١٩٠٧م فإستجاب إلى طلب البابا كيرلس الخامس ورغبة أقباط مصر، وقرر إدخال مادة الدين المسيحى بالمدارس الإبتدائيه وأعلن فى هذا الصدد:

"نريد أن يكون الأقباط وهم شركاؤنا فى البلاد عالمين بمبادئ عقائدهم، متمسكين بقواعد

---

١ ـ حبيب جرجس، المراجع السابق، ص ١٥ ـ ٢٣.
٢ ـ المرجع السابق، ص ٢٥.
٣ ـ ملامح ذكرى مينا، حبيب جرجس وتراثه التعليمى، (القاهرة، بيت مدارس الاحد، ١٩٩٣م).
٤ ـ حبيب جرجس، "المدرسة الاكليريكية ماضيها وحاضرها ومستقبلها"، بحث فى مجلة الكرمة، العدد التاسع، اول نوفمبر ١٩٢٣م، السنة التاسعة، ص ص ٤٦٣ ـ ٤٩٠.
٥ ـ طارق البشرى، ص ٢٦٧.

دينهم، فإن الذي لا دين له لا أمان ولا وفاء له."[1]

ونتيجة للقرار الصادر من "سعد زغلول" بإدخال مادة التربية الدينية المسيحية ضمن مناهج المدارس الرسمية، قرر أن يقوم بتدريبها المدرسون الأقباط والعاملون بكل مدرسة. كما اهتمت الدولة تدعيما لذلك إضافة منهج تعليم مبادىء المسيحية في مدارس المعلمين العليا لتمكين الأقباط من خريجي هذه المدرسة تدريسها أيا كان تخصصه.[2]

والجدير بالذكر أن تدريس الدين المسيحي في المدارس الأميرية طبقا لهذا القرار قد سار سيرا حسنا لدرجة أن "حبيب جرجس" أرسل خطاباً إلى المجلس الملي العام للإهتمام بالتعليم الديني في المدارس القبطية كالإهتمام به في المدارس الأميرية.

وفي أواخر مايو ١٩٢٨م صدر القانون رقم ٢٥ والقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٢٨م بشأن تنظيم المدارس الابتدائية والثانوية، وقد نصا على أن تكون مادة التربية الدينية عامة "إسلامية أو مسيحية" من بين مواد الدراسة.[3]

واستمر العمل بهذين القانونين حتى أبدى "أحمد مرسي بدر" وزير المعارف المصري اهتماما ملحوظا بتدريس الدين المسيحي بالمدارس الأميرية.

وقد نشرت جريدة الأهرام في عددها الصادر بتاريخ ١١ سبتمبر ١٩٤٩م موافقة وزير المعارف المصري ونذكر نص ما جاء في الجريدة:

"الحق أن هذا ما كنا نتوقعه من كل وزير مصري صميم، تملى عليه وطنيته الصادقة أن يرعى مصالح الأقباط كما يرعى مصالح المسلمين سواء بسواء... فلا فرق بين مصري مسلم ومصري قبطي في جميع الحقوق التي كفلها الدستور."[4]

وفي عام ١٩٤٩م أصدرت الحكومة المصرية قانونين رقم ١ورقم ١٠ وفيهما تقرر تدريس الدين مع المساواة بين التلاميذ المسلمين والتلاميذ المسيحيين من جهة تعلم كل منهم ديانته تعلما لا يؤدي عنه إمتحانا وإن جرت بشأنه المسابقات وقدمت الجوائز.[5]

وعندما تولى د. طه حسين وزارة المعارف في ١٢ يناير عام ١٩٥٠م اهتم بقضية تعليم الدين، وأشار إلى ذلك إشارة واضحة في كتابه: "مستقبل الثقافة في مصر" حيث قال:

"إن اعداد رجال الدين المسيحي وإعداد أبنائهم، محتاج إلى رعاية خاصة من الدولة ومن الأقباط أنفسهم. فإن الأقباط مصريون يؤدون الواجبات الوطنية كاملة كما يؤديها المسلمون، ويستمتعون بالحقوق الوطنية كاملة كما يستمتع بها المسلمون... والكنيسة المصرية مجد مصري

---

١ . جريدة مصر، عدد ٢٧ يناير ١٩٢٨م، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية.

٢ . جريدة مصر، عدد ١٦ ديسمبر ١٩٢٩م.

٣ . القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٨، (مواد ٩، ١٦، ١٨، ٢٦)، والقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٢٨م، (مواد ١١، ٢١، ٢٨)، (القاهرة، مركز الوثائق والبحوث التربوية، وزارة التربية والتعليم).

٤ . صحيفة الأهرام، عدد ١١ سبتمبر ١٩٤٩م، "نص موافقة وزير المعارف المصري باعتبار مادة الدين مادة اساسية في جميع مراحل التعليم" ا (القاهرة دار الكتب والوثائق القومية.)

٥ . القانون رقم ١ لسنة ١٩٤٩م، (المواد رقم ٦، ١١، ١٤، ١٧، ٢٢).
القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٤٩م (المواد رقم ٨، ١٣، ١٦، ٢٣).

قديم ومقوم من مقومات الوطن المصرى، فلابد من أن يكون مجدها الحديث ملائما لمجدها القديم... ونتيجة هذا كله أن الدولة المصرية والكنيسة القبطية يجب أن تتعاونا على إصلاح تعليم الدين المسيحى.. ذلك لأن الأقباط مصريون يجب أن يتثقفوا فى أمر دينهم ودنياهم كما يتثقف باقى المصريين.[١]

وهكذا وضع قداسة البابا كيرلس الخامس وتلميذه "حبيب جرجس" منذ عام ١٩٠٧م اللبنات الأولى فى تدريس الدين المسيحى بالمدارس الأميرية أسوة بالمدارس القبطية. واستمرت المسيرة من بعدهما فى عهد بابوات الإسكندرية حتى تحقق اهتمام الدولة بتدريس الدين المسيحى فى المدارس الأميرية والقبطية بهدف الإمتزاج الحضارى بين أبناء الأمة من المسلمين والأقباط فى مصر، مما كون المناخ التاريخى والحضارى والاجتماعى والثقافى والنفسى لتبلور المفهوم القومى، ليكون سداً منيعاً ضد الأطماع الأجنبية والنفوذ الإستعمارى فيما بعد.

الدور التعليمى للجمعيات الخيرية القبطية

تعد جهود الجمعيات الخيرية الإسلامية والقبطية من الجهود الوطنية الهامة التى هدفت إلى الحفاظ على قومية التعليم فى مصر. وقد طورت هذه الجمعيات برامجها لكى تخدم الطبقة الفقيرة والتى كانت ميداناً لنشاط المؤسسات الأجنبية، فقد يسرت للفقراء سبل التعليم مجاناً كما وفرت لهم العديد من مدارس التعليم المهنى لأجل كسب العيش، دون مؤثرات خارجية أو الخضوع لمغريات أجنبية" وكان ذلك لتحقيق هدفين هما:

الأول: مواجهة نشاط الإرساليات الدينية التى سعت إلى نشر التعليم فى مصر بين أفقر الطبقات كوسيلة لضم أفراد هذه الطبقات إليها.

الثانى: سد النقص المتعمد من ناحية سلطات الإحتلال البريطانى فى مصر فى نشر التعليم الذى جعلته بمصروفات لا يقدر عليها إلا أغنى الطبقات وتحرم منه بالتالى الطبقات الفقيرة من الشعب. وقد اعترف "ايفلين بارنج" - اللورد كرومر - بجهود كل من الجمعيات الخيرية الإسلامية والقبطية فى تطوير برامجها لنشر التعليم، إذ يذكر فى تقرير له:

"هذه الزيادة فى عدد المدارس مما يسر الخاطر ويثلج الصدور لأنها دليل واضح على اهتمام البلاد عموما بالمعارف، وكثير من هذه المدارس أنشأتها الجمعيات الخيرية الإسلامية والقبطية بهدف نشر المعارف وترقيتها، فإذا أحسنت إدارتها وتوجيه هذه النهضة بين جمهور المصريين أدت إلى تحسين المعارف العمومية.[٢]

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، قامت الجمعيات القبطية بإنشاء مدارس للأقباط تؤدى رسالتها لأبناء الأقباط ولإخوانهم المسلمين على حد سواء فى كثير من المدن والقرى فى مصر.[٣]

---

١ - طه حسين، مستقبل الثقافة فى مصر، الجزء الثانى، (القاهرة، مطبعة المعارف، ١٩٥٠م)، ص ٥٦.

٢ - جرجس سلامه، أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦م)، ص ٣٩٩.

٣ - طلعت ذكرى مينا، الإرسالية الأمريكية ونشاطها التربوى فى مصر من منتصف القرن ١٩ حتى عام ١٩٥٦م، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية التربية، جامعة اسيوط)، ص ٢٩٥.

غير أن الواقع الحقيقى لإتجاه الجمعيات الخيرية القبطية نحو النشاط التربوى كان معاونة البطريركية فى جهودها التربوية لمواجهة نشاط الإرساليات الدينية، فإنتشرت المدارس القبطية فى جميع أرجاء مصر، خاصة فى المناطق التى تركزت فيها جهود الإرساليات الدينية. ومن هنا فقد جاءت الحركة التربوية التى قام بها الأقباط فى مصر ضمن الجهود الوطنية والقومية فى التعليم. ولقد جاهدت البطريركية فى دعم هذا النشاط الذى قامت به الجمعيات الخيرية القبطية سواء فى ذلك النشاط التربوى أو الاجتماعى.[1]

وفيما يلى عرض للمؤسسات التربوية والاجتماعية التى أقامتها بعض الجمعيات الخيرية القبطية فى مصر.

١ ـ الجمعية الخيرية القبطية الكبرى:

تأسست فى ٨ يناير عام ١٨٨١م باسم جمعية المساعى الخيرية، وكان عدد الأعضاء المؤسسين ثلاثين من الأقباط ومعهم الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد النجار وعبد الله النديم وأديب إسحق وأسندت رياسة الجمعية إلى "بطرس باشا غالى".[2]

وفى عام ١٩٠٨م تحول اسمها إلى الجمعية الخيرية القبطية الكبرى. وكان من أهم أهدافها نشر التعليم بين فقراء الأقباط وقد شمل النشاط التعليمى للجمعية كل مراحل التعليم الابتدائى والثانوى. ومن أهم المدارس التى انشأتها الجمعية مدرسة البنات البطرسية، وكانت خريجات هذه المدرسة يلتحقن بالمشغل البطرسى لتعليم التفصيل، كما افتتحت الجمعية مدرسة للتدبير المنزلى لخدمة بنات الفقراء والوصول بهن إلى التربية الصحيحة علميا وعمليا.[3] ويذكر "عنتر لطفى محمد".

"أن الجمعيات الخيرية القبطية كانت تشجع التلاميذ الفقراء لاستكمال دراستهم، كما كانت أيضا تلحق بعض طلبتها المتفوقين بالجامعة الأهلية فى تلك الفترة."[4]

٢ ـ جمعية التوفيق القبطية بالقاهرة:

تعد ثانى جمعية خيرية قبطية فى مصر، فقد تأسست عام ١٨٩١م، ووضعت من بين أهداف تأسيسها ما يلى:

أ ـ الدعوة إلى إصلاح الشئون الكنسية.

ب ـ النهوض بالتعليم وذلك بإنشاء مدارس نظامية مع تشجيع تعليم البنات ونشر تعليم الصناعات المختلفة.

جـ ـ المساهمة فى أعمال البر وذلك عن طريق مساعدة الأسر الفقيرة والمساهمة فى

---

١ ـ عنتر لطفى احمد ، الجهود الأهلية فى التعليم المصرى فى الفترة من ١٨٨٢ إلى ١٩٣٣، رسالة ماجستير غير مطبوعة، (كلية التربية، جامعة عين شمس ، ١٩٧٩) ص ٤٥.

٢ ـ جمعية التوفيق القبطية، كتاب اليوبيل الماسى ، (القاهرة، ١٩٧٦)، ص ٢٦ ، ٢٧.

٣ ـ جمعية التوفيق القبطية، مجلة التوفيق ، (السنة الأولى ، العدد السابع ، ١٨٩٦)، ص ١٢١ ـ ١٢٢.

٤ ـ جمعية التوفيق القبطية، مجلة التوفيق، (السنة الأولى، العدد السادس عشر، ١٨٩٦) ، ص ١٢١ ـ ١٢٢.

تعليم أبنائها.

د - الإسهام في تثقيف الشعب وتشجيعه على التمسك بالتقاليد والعادات الطيبة ونبذ ما دونها، وغرس القيم التربوية والأخلاقيه بين أفراده بهدف رفع المستوى الاجتماعي والثقافي للشعب.

وتعد المدرسة الإكليريكية أهم المدارس التي دعت الجمعية إلى إنشائها لتكون أول مدرسة دينية تنشأ من أجل إعداد رجال دين على مستوى ثقافي وديني ينافس مستوى كليات اللاهوت في العالم المتقدم، كما اهتمت الجمعية بنشر الكتب الدينية في مطبعتها الخاصة حفاظاً على التراث القبطي ولنشر الثقافه والتعاليم الدينية.[1]

ولقد تعدى نشاط جمعية التوفيق القبطية ذلك النشاط الديني، فقامت بإنشاء مدارس للبنين، منها المدرسة القبطية بالفجالة سنة ١٨٩٤م التي فتحت أبوابها لأبناء الأمة جميعاً من الفقراء، سواء في ذلك أبناء المسلمين أو الأقباط حتى لا يضطروا إلى طرق أبواب مدارس الإرساليات الأجنبية.

كما قامت الجمعية بإنشاء مدارس لها في مختلف أنحاء مصر خاصة في طنطا والإسكندرية والفيوم والمنيا وأسيوط.[2]

وإهتمت الجمعية بوجه خاص بتعليم البنات مقتفية آثار البابا كيرلس الرابع، فأنشأت المدارس للبنات إلى جانب مدارس البنين. وكانت الفتيات يتعلمن اللغة العربية كلغة قومية، ولغة أجنبية واحدة وقواعد الحساب، وجغرافية وتاريخ مصر، وتدبير المنزل، والأشغال اليدوية، والتفصيل. كما أدخلت ضمن مناهجها ، أسوة بمدارس الإرسالية الأمريكية، فن الموسيقى، فقامت بتعليم البنات دروس البيانو، فضلاً عن التربية الرياضية. واتخذت من فلسفة البابا كيرلس الرابع الإصلاحية نبراساً لها في تربية البنات لإعداد أمهات أقوياء صحيحات الجسم، عالمات باحتياجات منازلهن. كما أنها وجدت أن إصلاح حال البلاد وتقويم مستقبلها لا يأتيان إلا بتعليم البنات حتى يصبحن في المستقبل مربيات لأولادهن ومدبرات لمنازلهن. فقامت من أجل ذلك بإنشاء مدرسة للبنات بحارة السقايين وأخرى في الإسكندرية وثالثة في دمنهور.[3]

كما أنشأت الجمعية سنة ١٨٩٤م مكتبة تضم العديد من الكتب التربوية والتاريخية والفنية، فيها ما يبحث في تاريخ الكنيسة والأقباط ومنها ما يبحث في التربية والأدب والعلوم والفنون، كما أنشأت مطبعة حتى يمكنها تأدية رسالتها على نطاق واسع لخدمة أهدافها الدينية والتربوية.

وكان للجمعية فروع ثلاثة في الإسكندرية وطنطا والفيوم، بالإضافة إلى المقر الرئيسي بالقاهرة، وكان لكل فرع مدارس مستقلة يديرها الفرع بنفسه.[4]

---

١ - جمعية التوفيق القبطية، مجلة التوفيق (السنة الأولى - العدد ٢١، ١٨٩٦م) ص ٢٤٢ - ٢٤٣.
٢ - جرجس سلامه، أثر الإحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر، مرجع سابق، ص ٤١٤.
٣ - جمعية الإيمان القبطية بشبرا - كتاب اليوبيل الفضي، ١٩٣٨م.
٤ - جرجس سلامه، أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر، مرجع سابق - ص ٤١٥.
وراجع: طلعت ذكري مينا، الإرسالية الأمريكية، مرجع سابق، ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

٣ ـ جمعية الإيمان القبطية بالقاهرة:

تأسست عام ١٨٩٩م في حارة السقايين ثم إنتقلت بعد ذلك إلى الفجالة، وكانت تهتم بتدريس اللغة القبطية والدروس الدينية. وفي عام ١٩١٤م أسست لها فرعا آخر في حي جزيرة بدران بشبرا. وقد نشط هذا الفرع في التعليم فأنشأت الجمعية المدارس المختلفة لجميع مراحل التعليم بنوعياته المختلفة، من مدارس ابتدائية وثانوية للبنين والبنات ومدارس لرياض الأطفال، ومدارس للتعليم الفني النسوي والتجارة المتوسطة، كما انشأت مستشفى لرعاية المرضى ومطبعة ومجلة لنشر الثقافة الدينية بالإضافة إلى كنيسة مارجرجس بجزيرة بدران التي أصبحت مركزا لخدمة الأطفال والشباب في مدارس الأحد.[١]

٤ ـ جمعية المحبة بالظاهر:

تأسست عام ١٩٠١م واهتمت بتعليم الفتيات التعليم الفني، فانشأت لهن مدرسة. وقد بدأ العدد باثنتي عشرة تلميذة، ثم زاد إلى ١٢٠ تلميذة، خاصة بقسم التطريز النسوي، وكذلك ١٨٠ تلميذة بالمدرسة الابتدائية.[٢]

٥ ـ جمعية ثمرة التوفيق بالقاهرة:

تأسست عام ١٩٠٨م بحي الفجالة، وبدأت نشاطها التربوي عام ١٩١٠م إذ قامت بإنشاء مدرسة ابتدائية مشتركة كانت تضم التلاميذ الفقراء، وفي عام ١٩١٣م أنشأت الجمعية مدرسة أخرى للبنين وكانت مدارس الجمعية تقدم التعليم بالمجان.[٣]

٦ ـ جمعية الإخلاص القبطية بالاسكندرية:

تأسست عام ١٩٠٩م وقامت بإنشاء معهد لتعليم الفتيات الفنون الطرزية والتدبير المنزلي كمواد دراسية لها أهميتها في تربية الفتاة على أن تكون ربة أسرة ترعى شئون أسرتها، وتسعى إلى رفع مستوى معيشتها. ثم قامت الجمعية بإنشاء عدة مدارس أولية مشتركة.

٧ ـ جمعية المساعي الخيرية بطنطا:

تأسست هذه الجمعية مع مطلع عام ١٨٨٢م وقامت بتأسيس مدرسة في ٥ يونيو ١٨٨٢م ضمت ٤٠٠ تلميذاً بعد أن قاد "القمص فيلوثاؤس إبراهيم" حركة تبرع جمع منها ألفي جنيه مصري لبناء المدرسة، والتي كان لها تأثيرها في عودة أبناء الأقباط ممن التحقوا بمدارس الإرساليات الأجنبية، وقد اشتهرت هذه المدرسة بحفلاتها السنوية التي كان يحضرها علية القوم من القاهرة وطنطا. ولما لمس الشعب نجاح المدرسة إستمر في تبرعه لها لكي تستمر في رسالتها التربوية لأبناء الإقليم.

---

١ ـ علية علي فرج ، التعليم في مصر بين الجهود الأهلية والحكومية ، (الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٦٧م)، ص ١٦٣.
٢ ـ جرجس سلامه، "أثر الإحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر،" مرجع سابق، ص ٤١٤ ـ ٤١٥.
٣ ـ سليمان نسيم، "الأقباط والتعليم في مصر الحديثة".

على أن الأنشطة التربوية لم تقتصر على الجمعيات الخيرية فقط، وإنما ساهم فيها الآباء البطاركة والأساقفة بالتعاون مع المجالس الملية، بتأسيس العديد من المدارس فى الإسكندرية، والمحلة الكبرى، ومراكز المنوفية، والدقهلية، والفيوم، والمنيا، خاصة فى دير مواس ودير البرشا والروضة، وفى أسيوط، وخاصة فى منفلوط التى كانت بها ثلاث مدارس بكافة مراحل التعليم أقامها الأنبا لوكاس. وفى اسيوط فى عهد الأنبا مكاريوس، وفى أبو تيج، والنخيلة، والبدارى. كما افتتحت فى عهد البابا كيرلس الخامس مدرستان فى قنا، كانت لهما شهرة علمية كبيرة فى نشر التعليم فى صعيد مصر.

الفصل الخامس

الإرساليات الأجنبية في مصر ونشاطها التربوى

من منتصف القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٥٦م

أ.د. طلعت زكرى مينا

تقديم الدراسة

تتناول هذه الدراسة تحليلاً تاريخياً للنشاط التربوى للإرساليات الأجنبية في مصر من منتصف القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩٥٦م، وهو العام الذى أممت فيه معظم المدارس الأجنبية كجزء من حركة تمصير المؤسسات الأجنبية، حتى تؤدى دورها التربوى داخل الإطار الوطنى القومى لسياسة التعليم في مصر. وذلك بعد أن انتشرت انتشاراً كبيراً في مختلف أرجاء مصر مدعمة بالإمتيازات الأجنبية التى منحت للدول التى تتبعها.

وقد كان من الضرورى أن يأتى اليوم الذى تراجع فيه الدولة موقفها من مدارس التعليم الأجنبى ومدارس الإرساليات، وأن تصدر القوانين الكفيلة بإخضاعها لإشراف الدولة، خاصة أنها تتولى مهمة رعاية النشء في مصر من سنوات الطفولة الأولى، كما أن طابعها الدينى، سواء كانت تابعة للإرساليات الكاثوليكية أو البروتستانتية، يحمل رسالة من نوع معين، وهو نشر الفكر والثقافة الأجنبية بين تلاميذ مدارسها. ومن أمثلة هذه المدارس أو التى مازالت تؤدى رسالتها التربوية للآن في إطار سياسة الدولة، مدرسة كالدسديان التى أنشئت عام ١٩٠٥م. ومن أهم المدارس الألمانية مدرسة سان كارل موريمى بالإسكندرية والمدرسة الألمانية بباب اللوق بالقاهرة. وقد نشأت هذه المدارس في رعاية الكنيسة الكاثوليكية. أما التعليم الإيطالى فقد بدأ على يد الآباء الفرنسيسكان من خلال إدارتين: "إرسالية الوجه البحرى، وإرسالية مصر العليا، وقد وصل عدد مدارسها عام ١٩٢٧م و ١٩٢٨م إلى ٩١ مدرسة، نقص إلى ٢٦ مدرسة في إحصاء ١٩٥٥م و ١٩٥٦ م. كما تأسست مدرسة إيطالية بروض الفرج سميت "معهد الساليزيان" "دون بوسكو" أما التعليم الإنجليزى فانقسم إلى قسمين: الأول تابع للإرساليات الدينية الإسكتلندية والإنجليزية، والثانى مدارس مدنية قامت لخدمة أبناء الجالية الإنجليزية، وأهمها بالإسكندرية كلية فكتوريا والمدرسة الإنجليزية بالقاهرة. وقد بلغ عدد المدارس الإنجليزية في عام ١٩٥٨م ٢٤ مدرسة، ومن إحصاء وزارة التربية والتعليم للعام الدراسى ١٩٥٧ و ١٩٥٨م عن مدارس الإرساليات والمدارس الأجنبية، في الوقت الذى بلغ فيه عدد المدارس الأمريكية بمصر في نفس العام ٢١ مدرسة. منتشرة في مختلف أنحاء مصر. ويتركز معظمها خاصة في القاهرة والإسكندرية وأسيوط. ومازالت هذه المدارس تقدم الخدمة التربوية المميزة في إطار السياسة العامة للدولة. ويقول عنها "أندرو واطسن": "أن مدارس الإرسالية كان لها نفوذ كبير في خلق الرغبة في التعلم ونشر المعلومات المفيدة".

النشاط التربوى للإرساليات الأجنبية فى مصر
جذوره ونتائجة

نتيجة لتزايد دخول الأجانب مصر منذ مجئ الحملة الفرنسية إلى مصر، واستعانة محمد على بالخبراء منهم، وترحيب خلفائه من ولاة مصر بمجيئهم وإستقرارهم فى مصر، بدأت الجاليات والإرساليات الأجنبية بإنشاء مدارس خاصة لتعليم أبنائهم وأبناء من يشاءون من الطوائف الأخرى من الشعب المصرى. وقد شجع سعيد وإسماعيل من بعده مدارس الإرساليات الأجنبية بمنحها الهبات المالية وأراض البناء، كما أعطى لها من الإمتيازات ما ساعد على تثبيت أقدامها، وتضاعف عددها، مما دعا الدولة إلى التفكير فى وجوب الإشراف عليها.

ولقد قوبل النشاط الدينى والتربوى للإرساليات الأجنبية فى مصر من المسلمين والأقباط بعدم الإرتياح. ووقفوا فى أول الأمر بمعزل عن مدارسها، فتحولت جهود الإرساليات الأجنبية مكثفة نحو الأنشطه الاجتماعية والصحية، واتخذت منها مداخل لها لتحقيق رسالتها مثل:(١)

١ ـ العناية بالطفولة وتاسيس المؤسسات الإجتماعية الخيرية التى ترعى الطفل صحياً واجتماعياً ونفسياً.

٢ ـ الاهتمام بتثقيف المرأة عن طريق الجهود المكثفة لأعضاء الإرساليات فى الزيارات المنزلية.

٣ ـ الاهتمام بالخدمات الطبية للأسرة، حيث كانت الخدمات التعليمية والصحية فى مصر غير وافيه بالغرض فى ذلك الوقت. وكان للمستشفيات دور كبير فى تحقيق أهداف الإرساليات فى التبشير والتعليم خاصة لأبناء الأسر الفقيرة، بينما كان أعضاء تلك الإرساليات من الكاثوليك أو البروتستانت مسلحين بالعلوم الحديثة. فلما تولى البابا كيرلس الرابع رئاسة الكنيسة، بدأت حركة إحياء شاملة. فقد افتتح المدارس فى القاهرة والأقاليم حتى تواجه الكنيسة بنشاطها التربوى نشاط الإرساليات الأجنبية المتزايد فى البلاد. وذلك من أجل الدفاع عن كيانها والإحتفاظ بأبنائها الأقباط، خشية احتوائهم نتيجة التحاقهم بمدارس الإرساليات وتلقينهم مبادئها وتعاليمها. كما أسهمت الجمعيات الخيرية الإسلامية والقبطية فى تلك المسئولية للحفاظ على أبناء الأمة من الغزو الدينى والثقافى الزاحف من الغرب فعملت على تطوير برامجها التعليمية وأنشطتها التربوية لمواجهة نشاط الإرساليات الدينية فى مصر.

ولقد كانت الظروف العامة مساعدة للإرساليات لتثبيت أقدامها فى مصر، فقد وفدت إلى مصر وقت أن كانت فيه الدولة العثمانية تمنح الأجانب الإمتيازات العديدة، بالإضافة إلى المعاهدات التجارية التى عقدت مع حكومة محمد على عام ١٨٣٣م. وكان للمؤسسات التربوية التى أنشأتها الإرساليات فى مصر دور هام فى الحياة الثقافية بمصر خلال القرنين التاسع

---

١ ـ Watson Andrew, "The American Mission in Egypt - in 1854-1896. (United Presbyterian Boord of Education, Pittsburgh. 1897). pp. 37, 344.

وراجع: جرجس سلامه، تاريخ التعليم الاجنبى فى مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين، رسالة ماجستير، (القاهرة، المجلس الأعلى لرعاية الآداب والعلوم والفنون، ١٩٦٣م)، ص ١٦.

عشر والعشرين، كما كان لها أثرها على البيئة المصرية. إذ أن تغلغل النفوذ الإقتصادى الأجنبى فى مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، واقتصار المراكز الرئيسية فى المؤسسات الإقتصادية على الأجانب،[1] او الذين يتقنون اللغات الأجنبية، زاد فى إبراز أهمية مدارس الإرساليات فى تعليم اللغات الأجنبية، وأصبح الإلتحاق وسيلة الحصول على هذه المراكز، ومن ثم زاد إقبال الآباء على الحاق أبنائهم بمدارس الإرساليات.

ولكى تؤدى هذه المدارس دورها التربوى داخل الإطار الوطنى والقومى دون إنحراف، سعت الدولة للإشراف عليها إشرافا يضمن الإلتزام بهذا الإطار. ذلك أنها لاحظت أن بعض الجوانب كالنشاط التربوى لهذه المدارس - وقتئذ - كان هدفا للنقد الشديد من جانب المسلمين والأقباط على حد سواء. فقد اثيرت الشكوك حول حقيقة أهدافها: هل هى متصلة بأغراض دينية أو سياسية معينة، تعمل على تحقيقها تحت ستار التربية؟[2] مما دعا الكثير من المصلحين والزعماء وقادة الرأى إلى المطالبة باتخاذ كافة الإجراءات للحد من هذا النشاط. وكانت أول محاولة عام ١٨٧٢م حين تقدم مصطفى رياض رئيس ديوان المدارس بمشروع لائحة إلى الخديوى إسماعيل مطالباً بإدخال الإشراف الحكومى على مدارس التعليم الأجنبى فى مصر.[3] ومع أن هذا المشروع لم ينفذ وأهمل بضغط من هذه المدارس، إلا أنه دل على مدى قلق المصريين وريبتهم فى طبيعة ما تقوم به تلك المدارس من نشاط تربوى أو ثقافى أو اجتماعى.

وقد حاولت الدولة أن تتدخل للمرة الثانية، غير أن الأعضاء الأجانب بلجنة القومسيون فى ديوان المعارف عام ١٨٨٠م اعترضوا على هذا الاقتراح، وطالبوا بعدم تنفيذه.[4] وفى عام ١٨٨٤م قرر ديوان المعارف إدخال نظام التفتيش على جميع مدارس التعليم الأجنبى، لكنها لم تقابل هذا الإجراء بإرتياح، بل استمرت تتبع أسلوبها السابق، حتى أن على مبارك ردد نفس الشكاوى السابقة عام ١٨٩٠م، وطالب الدولة بوضع نظام قومى للتعليم فى مصر لا يترك الشعب لمؤثرات غريبة عنه وعن قوميته.[5]

كما جاء فى تقرير الحزب الوطنى المصرى الذى رفعه إلى مؤتمر السلام عام ١٩٠٥م كيف أن الاستعمار كان يستغل المدارس الأجنبية وانشطتها فى إفساد الشعب.[6] و استمر الحال بصورته إلى أن صدر القانون رقم (٤٠ لسنة ١٩٣٤م) متضمناً الإشراف على المدارس الأجنبية التى تعد للإمتحانات الرسمية العامة ووضعها تحت رقابة وتفتيش وزارة المعارف المصرية. وكان لهذا القانون أثره المباشر على مدارس الإرساليات، خاصة بعض مدارس الإرسالية الأمريكية فى مصر، فأغلقت أبوابها لعدم إستيفائها الشروط التى نص عليها القانون. وفى عام ١٩٤٨م صدر القانون (٣٨ لسنة ١٩٤٨م) الذى أخضع المدارس الأجنبية لإشراف الدولة.[7]

---

١ . محمد فؤاد شكرى وآخرين، بناء دولة مصر فى عهد محمد على، (القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٤٨م)، ص ٢٥٠، ٢٨٦.

٢ . ابو خلدون ساطع الحصرى، حولية الثقافة العربية، السنة الأولى (القاهرة جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية، القاهرة، ١٩٤٨م)، ص ١٢

٣ . لائحة مصطفى رياض باشا - رئيس ديوان المدارس سنة ١٨٧٢، أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم فى مصر، ج ٢، (القاهرة، مطبعة النصر، ١٩٤٥م)، ص ١٥٥ (بهذا الجزء أورد المؤلف تفاصيل اللائحة).

٤ . رشيد محمد رضا، تاريخ الإمام محمد عبده، الجزء الأول، (القاهرة، مطبعة المنار، ١٩٣١م)، ص ١٤٤ ، ١٤٥.

٥ . أحمد عزت عبد الكريم، مرجع سابق، ص ٨٣٢.

٦ . نعيمة محمد عيد، النشاط التربوى الأجنبى وأثره فى التعليم فى مصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، (القاهرة كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٦١م)، ص ٣.

٧ . وزارة المعارف، القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٣٤، القانون ٣٨ لسنة ١٩٤٨م.

فلما قامت ثورة ١٩٥٢م تنبهت الدولة إلى ضرورة إعطاء ثقافه قومية لأبناء الشعب جميعا من أجل حماية الأمة من الإحتلال الثقافي، أسوة بالإحتلال العسكري والسياسي. وكان لابد من أن تنعكس الإتجاهات الوطنية الجديدة على وضع الإمتياز الأجنبي التعليمي لمدارس الإرساليات.[١] من أجل ذلك تطور إهتمام الدولة للإشراف على مدارس الإرساليات ضمن خطه إشرافها العام على جميع مدارس التعليم الأجنبي في مصر، فأخذت تتلافى العيوب في القوانين السابقة وتسد الثغرات فيها، وبدأت بإصدار القانونين (٢١٠، ٢١١ لعام ١٩٥٣م) بجعل الدين مادة أساسية من مواد الدراسة، كما نصا على تنظيم دروس خاصة للتلاميذ في الدين حسب ديانتهم. ثم أصدرت القانون (٥٨٣ لسنة ١٩٥٥م) الذي أدخل الدين واللغة العربية ومواد الثقافة القومية تحت إشراف الدولة، وأن تسير المناهج وفقاً لمناهج الوزارة.

وكان من الطبيعي الا تترك حكومة الثورة - بعد أن تحررت مصر سياسياً واقتصادياً - امتيازا أجنبياً ثقافياً له أثره وخطره على النشئ، ففي عام ١٩٥٦م أممت معظم المدارس الأجنبية كجزء من حركة تمصير المؤسسات الأجنبية في مصر، وأعطت الدولة للإرسالية الأمريكية، خاصة، مرحلة إنتقال لتصفية مصالحها. وأصدرت الدولة القانون ١٦٠ لعام ١٩٥٨م من أجل تعريب المدارس الأجنبية، ونظم التعامل معها ومع المدارس الخاصة.[٢] وكان لهذا القانون أثره المباشر على مدارس الإرساليات فأصبحت إدارتها ومديروها ومدرسوها من المصريين، عدا بعض مدرسي اللغات الأجنبية ممن وافقت الدولة عليهم، وبذلك أصبحت جميع مدارس الإرساليات الكاثوليكية والبروتستانية خاضعة لإشراف الدولة.

وفي أول سبتمبر ١٩٦٢م تنازلت الإرسالية الأمريكية عن مدارسها ومؤسساتها التربوية والإجتماعية والدينية إلى سنودس النيل الإنجيلي الذي تولى مهمة الإرسالية الأمريكية - بعد رحيل أعضائها من مصر - في إدارة هذه المؤسسات لتسيير كل مؤسسه في إطار السياسة العامة للدولة، وداخل الإطار القومي والوطني.

أما المدارس الإنجليزية والفرنسية فقد عهدت الدولة إلى مؤسسة المعاهد القومية في عام ١٩٥٧م مسئولية الإشراف عليها، أما المدارس الكاثوليكية فتشرف عليها حالياً بطريركية الأقباط الكاثوليك عن طريق الأمانة العامة للمدارس الكاثوليكية، [٣] وجميعها تسير في إطار السياسة العامة للتعليم التي تتبعها المدارس الرسمية.

الإمتيازات الأجنبية في مصر [٤]

وعلاقتها بالنشاط التربوي للإرساليات الأجنبية

الإمتيازات الأجنبية ومضمونها

امتد أثر الإمتيازات الأجنبية إلى المعاهد التعليمية التي يفتتحها الأجانب سواء في ذلك

---

١ - سعيد عبد الفتاح عاشور، ثورة شعب، (القاهرة، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م)، ص ٢٥ - ٢٦.
٢ - وزارة التربية والتعليم - القانون ١٦٠ لسنة ١٩٥٨م.
٣ - بطريركية الأقباط الكاثوليك - (القاهرة: دليل المدارس الكاثوليكية، ١٩٩٠م).
٤ - محمد عبد الباري، الإمتيازات الأجنبية، سلسلة المعارف العامة، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٠م).

مدارس الجاليات الأجنبية أو مدارس الإرساليات التبشيرية. فكانت جميعها متمتعة بنظام الإمتيازات الأجنبية، خاصة في الدول التي يمتد إليها نظام الحكم العثماني. بل أكثر من ذلك أنها كانت متمتعة بقوانينها الذاتية إلى حد كبير، وكانت ترفض أية محاولة من جانب الدولة للإشراف عليها. ذلك أنه بالرغم من قيام كل القوانين الغربية على مبدأ المساواة نرى الغربيين يتخذون نظام "الإمتيازات الأجنبية" Capitulations أساساً لتنظيم علاقاتهم ببعض الدول الشرقية. إن عبارة الإمتيازات الأجنبية تعكس التعارض مع مبدأ المساواة، لأنها تعني عدم خضوع رعايا الدول للقوانين والمحاكم وجهات الإدارة المحلية ولكن لقوانين ومحاكم وهيئات أجنبية.[1] فالإمتيازات الأجنبية بهذه الصورة لا تتفق وروح ذلك العصر ولا تساعد على تحقيق التضامن الاجتماعي الدولي.

أما في مصر فإن تاريخ الإمتيازات الأجنبية يرجع إلى القرن الثالث عشر الميلادي، إذ عقد ملك فرنسا معاهدة مع أول سلطان للمماليك البحرية عام ١٢٥١م، وأصبح لفرنسا بمقتضى ذلك الحق في تعيين قنصل بالإسكندرية لتطبيق القوانين الفرنسية على الرعايا الفرنسيين بمصر.[2] وقد عقد ملوك فرنسا فيما بعد معاهدات أخرى صدق عليها السلطان سليم الأول ثم السلطان سليمان القانوني، الذي وضع مع "فرنسوا الأول" عام ١٥٣٦م نظاماً شاملاً للإمتيازات التي يتمتع بها في الأقطار التابعه للدولة العثمانية ومنها مصر،[3] مما جعل منها "حكومة داخل حكومة"[4] وقد حذت بقية دول أوربا والولايات المتحدة حذو فرنسا إلى أن عقد مؤتمر مونتريه في سويسرا سنة ١٩٣٧م، وبمقتضاه تحررت مصر من هذه الإمتيازات.

اثر الامتيازات الأجنبية في التعليم

امتد أثر الإمتيازات الأجنبية إلى المعاهد التعليمية التي يقيمها الأجانب في مصر، فكانت هذه المعاهد التربوية محمية بنظامها. بل كانت متمتعة بقوانينهاالذاتية إلى حد كبير، مما مكنها من الوقوف في وجه أي محاولة من الدولة لإخضاعها تحت إشرافها.

كما كان للإمتيازات الأجنبية أو المنح والهبات التي أعطاها الولاة بدون حدود للجاليات الأجنبية والإرساليات التبشيرية في مصر - ومن بينها الإرسالية الأمريكية - نتائجها المباشرة على التعليم. فقد إرتفع عدد الأجانب من ٣ آلاف عام ١٨٣٢م إلى ٦٨ ألفا عام ١٨٧٨م، فتحوا مدارس عديدة لأبنائهم ولن يرغب من أبناء المصريين. ولكن ما كادت تحل سنة ١٨٨٠م حتى كان ٥٢ ٪ من تلاميذ هذه المدارس من المصريين. ولعل إرتفاع نسبة المصريين في مدارس الأجانب ومدارس الإرسالية الأمريكية خاصة كان الدافع الذي دعا مصطفى رياض لإصدار لائحته عام ١٨٧٢م مطالباً بإشراف الدولة على مدارس التعليم الأجنبي، ثم مناداة لجنة تنظيم المعارف إلى المسارعة بضرورة إشراف الدولة على المدارس الأجنبية التي أنشأتها الإرساليات والجاليات

---

١ - نبيل عبد الحميد سيد احمد، النشاط الإقتصادي للأجانب واثره في المجتمع المصري من سنة ١٩٢٢م إلى ١٩٥٢م، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م)، ص ٦٦.

٢ - محمد الحسيني رشا، خلاصة تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية إلى الوقت الحاضر، (القاهرة، المطبعة الرحمانية، الطبعة الثانية، ١٩٣٧م)، ص ١٢٥.

٣ - محمد عبد الباري، مرجع سابق، ص ٢٢ - ٢٤.

٤ - The Encyclopedia Brittanica, (London, The Encyc Br. Ltd 14 th edition, 1929) Vol. 4, P. 812.

الأجنبية حتى لا تكون سبباً فى خلق نوع من الثنائية أو الإزدواج فى ثقافة المجتمع.[1]

ويذكر طه حسين

أن التعليم الأجنبى فى مصر قام مستظلاً بالإمتيازات الأجنبية، غير حافل بالدولة ولا خاضع لسلطاتها، ولا ملتفت إلى حاجات الشعب وأغراضه، ولا يعنى إلا بنشر ثقافة البلاد التى جاءوا منها، والدعوة لهذه البلاد. فهناك تعليم فرنسى دينى ومدنى، وهناك تعليم إيطالى وآخر ألمانى، وكل هذه الأنواع من التعليم لا تفكر فى مصر ولا تحفل بها، وإنما تفكر فى فرنسا وإيطاليا وفى إنجلترا وأمريكا وفى اليونان وألمانيا.[2]

وقد ظهرت مساوئ الإمتيازات فيما بعد حين انفتحت بلدان الشرق الأدنى ومصر على مصراعيها لهجرات الأوروبيين والأمريكيين، وملكوا الأرض وأقاموا المنشآت، ووصلوا إلى أعماق الريف، وباشروا أنواعاً من النشاط الدينى والإجتماعى والطبى والتربوى. وكانت المناطق التى انتشروا فيها محرومة من هذه الأنشطة، كما كانت هذه الأنشطة المختلفة بدون الإمتيازات الأجنبية محرمة عليهم، أى على الأجانب.[3]

تغلغل النفوذ الأجنبى وأثره على النشاط التربوى للإرساليات الأجنبية فى مصر

بدأت مصر مع بداية القرن التاسع عشر تفتح أبوابها للأجانب يفدون إليها لتحقيق مشروعاتهم الاقتصادية فى بلد كان يخطو خطواته الأولى نحو الإتصال بالغرب وبالمدينة الغربية. وإذا كان محمد على قد استعان بعدد كبير من الأجانب - كما سبق الذكر - لبناء الدولة المصرية الحديثة، فإن الحملة الفرنسية قد ألقت بذور التجديد ولفتت نظر مصر إلى الثقافة الغربية، كما وجهت نظر العالم الغربى، خاصة إنجلترا، إلى أهمية موقع مصر الإستراتيجى، مما ساعد على زيادة تغلغل النفوذ الأجنبى فى البلاد. وبدأت مصر ترحب بالأجانب الذين قدموا فى بداية الأمر من أجل النشاط الاقتصادى، ثم نزح بعدهم العديد من الإرساليات الدينية بغية نشر مذاهبها والدعوة لها فى بلد كانت بكراً فى نظرهم. كما أن الدولة العثمانية نفسها لم تكن فى وضع يسمح لها بأن تقف فى وجه نشاط الإرساليات الدينية فى ولاياتها - ومنها مصر - سواء فى ذلك نشاطها الدينى أو التربوى، وذلك نتيجة تمتع الدول التى تتبعها هذه الإرساليات بالإمتيازات الأجنبية.[4]

وإزداد تغلغل النفوذ الأجنبى فى مصر، وكان إمتياز حفر قناة السويس عام ١٨٥٤م، وتجديده عام ١٨٥٦م، عاملين فى ازدياد قدوم الأجانب إلى مصر، وتضخم رؤوس الأموال الأجنبية فى البلاد، مما أدى إلى ما يسمى بالمصالح الأجنبية التى لم تكن قاصرة على النشاط الاقتصادى، وإنما صاحب هذا نشاط آخر ثقافى، وبدأ وفود الإرساليات الدينية المختلفة. بروتستانتية وكاثوليكية بالإضافة إلى النشاط الدينى.[5] وثمة مجموعة من العوامل شجعت هذه

---

١ - منير عطا الله وآخرون، تاريخ ونظام التعليم فى ج. م. ع. (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م)، ص ١١١.
٢ - طه حسين، مستقبل الثقافة فى مصر، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٣٨م)، الجزء الأول، ص ٧٢ - ٧٣.
٣ - محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربى، (١٥١٤م - ١٩١٤م)، مرجع سابق، ص ١٨٥.
٤ - أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم فى عصر محمد على، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٣٨م)، ص ٦٧٠.
٥ - أحمد عزت عبد الكريم، مرجع سابق، ص ٨٢٢ و٨٢٣.

الإرساليات على نجاحها فى نشاطها التعليمى:

١ ـ تشجيع ولاة مصر للإرسالية الأمريكية لمزاولة نشاطها التربوى بمنحها الهبات والأموال والأراضى لإقامة مشروعاتهم عليها.[١]

٢ ـ أن المدارس المصرية فى تلك الفترة لم تكن تقبل التلاميذ الأجانب فى مدارسها، ولم يكن ديوان المدارس يشجع قبولهم بالمدارس الخصوصية الحكومية، رغم أن الجالية الأمريكية كانت صغيرة. لهذا رغب الأمريكيون فى إنشاء المدارس لأبنائهم، للمحافظة على ثقافتهم وتراثهم، ولرغبتهم فى نشر المذهب البروتستانتى بين من يرغب فى إلحاق أبنائه بمدارسهم.

٣ ـ تطلع بعض الآباء لنوعية المدارس التى تهتم بالعلوم الحديثة وتهتم باللغات الأجنبية كوسيلة للتخلص من التخلف الثقافى والركود العلمى الذى ساد مصر أيام العثمانيين وأيام بعض ولاة مصر الضعاف الذين أهملوا شئون البلاد ومن بينها التعليم.

الإرساليات الدينية الكاثوليكية ونشاطها التربوى فى مصر

لقد كان العامل الدينى الدافع الرئيسى لظهور النشاط التربوى للكاثوليك فى مصر. فكنيسة مصر كنيسة قبطية أرثوذكسية. وهى غير تابعة للكنيسة الكاثوليكية فى روما. وقد حاول البابوات فى روما إخضاع هذه الكنيسة لهم وإجبارها على الإعتراف برياستهم. ومن أجل الوصول إلى هذه الأغراض بعثوا الإرساليات الدينية إلى البلاد لتجذب أكبر عدد من الأقباط، ووفد إلى مصر أول ما وفد جماعة الرهبان الفرنسيسكان ، وكان حضورهم إلى مصر فى القرن الثالث عشر، وكانت رياستهم فى مدينة القدس. وقد انتشروا فى الوجه القبلى ثم استقروا بالإسكندرية فى عام ١٥٧١م. بعد ذلك انتقلوا إلى القاهرة، وبنوا كنيسة فى مصر القديمة عام ١٦٩٨م. وفى عام ١٧٢١م أمر البابا الرهبان الفرنسيسكان فى مصر أن يبعثوا بأطفال الأقباط الصغار إلى روما لكى يتعلموا تعاليم الكنيسة الرومانية.[٢] ورغم أن هذه الطريقة لم تنجح إلا أن عدداً من الذين أرسلوا للتعليم عادوا إلى مصر يتقنون الإيطالية واللاتينية. وحتى ذلك الوقت كانت كل مجهودات الفرنسيسكان بمصر موجهة إلى الناحية الدينية. غير أنه فى بداية القرن الثامن عشر، ورغم إخفاق مجهودات الفرنسيسكان الدينية مع أقباط مصر، قد وفد إلى مصر كثير من السوريين الكاثوليك وبعض الموارنة اللبنانيين الكاثوليك وبعض التجار الكاثوليك الأوروبيين، مما شجع الفرنسيسكان فى مصر على زيادة نشاطهم. وفى عام ١٧٣٣ كان لهم بالقاهرة دير وكنيسة بالموسكى.[٣]

ولما تزايد عدد الكاثوليك احتاج أبناؤهم إلى عناية من الناحية التعليمية. فانتقل نشاط الفرنسيسكان فى مصر من الناحية الدينية التبشيرية إلى الناحية التعليمية لخدمة الأغراض الدينية. والحق بالكنيسة مدرسة صغيرة تجمع كل الأطفال الكاثوليك، ويدرس لهم الرهبان الفرنسيسكان اللغتين العربية والإيطالية، وذلك فى عام ١٧٣٢م فى حى الموسكى. وكانت هذه أول

---

١. Watson, A. op. cit. p. 138

٢. جرجس سلامه، مرجع سابق، ص ٤٠.

٣. المرجع السابق، ص ٤١ ـ ٤٢.

مدرسة فى مصر تدرس بها لغة أجنبية أوربية هى اللغة الإيطالية.[1]

كذلك أنشأت الجالية اليونانية عدة مدارس فى مصر القديمة وحارة الروم بالقاهرة ومدرسة أخرى بالإسكندرية. وكان نشاط هذه المدارس تربويا فقط، وكانت تدرس بها اللغة اليونانية، وتلاميذها من اليونان فقط، وليسوا من المصريين. ولهذا فإن نشاط الرهبان الفرنسيسكان التربوى كان أول نشاط تربوى أجنبى موجه للمصريين، وأصبحت اللغة الإيطالية أولى اللغات الأجنبية التى درست بالمدارس المصرية فيما بعد. وذلك راجع إلى الجهود المتواصلة - منذ القرن الثالث عشر - التى بذلها الفرنسيسكان فى مصر، وكذلك إلى كثرة عدد التجار الإيطاليين، ولا سيما الذين وفدوا إلى مصر من البندقية منذ القرن السادس عشر. وهكذا كان الحال قبل مجئ الحملة الفرنسية إلى مصر فى عام ١٧٩٨م.

غير أن الحملة الفرنسية قد ألقت فى مصر بذور التجديد، ولفتت النظر إلى مصر. فبدأت تخرج من حالة العزلة السياسية والفكرية التى كانت تعانى منها، كما بدأت مصر ترحب بالأجانب الذين ينزحون إليها، والذين نزح معهم عدد من الإرساليات الدينية يبغون نشاطاً دينياً فى بلد كان الأجانب يعتبرونه إذ ذاك بكرا.[2]

وقد ساعد على مجئ هذه الهيئات الدينية، الكاثوليكية فى غالبيتها، أن التعليم عند الكاثوليك كان فى القرن الثامن عشر فى أيدى رجال الدين، وبخاصة فى فرنسا. وكانت فرنسا - بناء على نظام الإمتيازات الأجنبية - حامية للكاثوليك ليس فقط فى مصر، ولكن فى الممتلكات الآسيوية فى الدولة العثمانية.

وكان كاثوليك فرنسا يرون أن الطفل الكاثوليكى يجب أن يلقى تعليمه على أيدى معلمين من رجال الدين الكاثوليك، وقد أدت هذه الفكرة الكاثوليكية إلى رغبة كاثوليك مصر فى إحضار هيئات دينية كاثوليكية أجنبية ليتلقى أبناؤهم العلم على أيديهم.

الهدف من مجئ الإرساليات الكاثوليكية

لقد سعت الإرساليات الدينية، على تنوع الكنائس التى تتبعها، إلى نشر مذاهبها بين أقباط مصر الذين يعتنقون المذهب الأرثوذكسى. وهذه الإرساليات ما كانت لتتجشم مشقة الهجرة والإنتقال والمعيشة فى بلد أجنبى إلا لأغراض دينية، على الأقل فى المراحل الأولى منها. ويتضح ذلك إذا رجعنا إلى الفترة التى وصلت فيها الإرساليات الكاثوليكية إلى مصر. فمثلا "الفرنسيسكان" حينما حضروا إلى مصر فى القرن الثالث عشر، كان هدفهم تحويل أقباط مصر عن المذهب الأرثوذكسى إلى المذهب الكاثوليكى. وقد كانت هناك سياسة عامة مرسومة من البابوية تجاه هذا الهدف. وكان يشرف على توجيه هذا العمل كلية الدعاية بروما، وتشرف على أعمالهم هذه رياسة خاصة بالقدس. وقد لجأ الفرنسيسكان لتحقيق أغراضهم هذه إلى التوغل فى صعيد مصر، حيث يكثر عدد الأقباط، وقد بلغ الأمر من ناحية تحويل الأقباط إلى الكاثوليكية إلى الحد الذى جعل البابا يصدر أوامره للفرنسيسكان بمصر بإمساك أطفال الأقباط،

---

١ - بطريركية الأقباط الكاثوليك، مرجع سابق.

٢ - أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم فى عصر محمد على، (القاهرة، مطبعة النصر، ١٩٤٥م)، ص ٦٧٠.

وإرسالهم إلى روما لكي ينشأوا وفقاً لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.[1]

وقد انتشر الفرنسيسكان في الوجه القبلي، خاصة في أسيوط وأبو تيج وصدفا وأخميم وجرجا والأقصر وأسوان وأنشأوا الكنائس والمدارس فيها. وكانوا هم الذين هيئوا لباقي الإرساليات الأجنبية الأخرى التي وفدت إلى مصر أن تستقر وتنشط في مجال خدمتها الدينية والتربوية، وكانوا هم الذين يستقبلونهم. وبدأت تفد إلى مصر باقي الإرساليات الكاثوليكية لنفس الغرض السابق.[2]

الأوضاع السياسية التي مهدت لمجيء الإرساليات الكاثوليكية إلى مصر

إمتد نشاط الإرساليات الكاثوليكية إلى مصر منذ القرن الثالث عشر حين وفد إلى مصر الرهبان الفرنسيسكان. غير أنه منذ مجيء الحملة الفرنسية بدأ وفود الإرساليات الأجنبية إلى مصر بشكل منظم وعلى نطاق واسع. ففي عام ١٨٣١م طلب الكاثوليك المقيمون بالإسكندرية من إرسالية "العزاريين" افتتاح مدرسة للبنين، كما طلبوا من إرسالية راهبات الإحسان افتتاح مدرسة للبنات. وكان ذلك بتشجيع من الفرنسيين المقيمين في مصر بهدف نشر الثقافة الفرنسية بين المصريين. ونتيجة لمجهودات قنصل فرنسا والقاصد الرسولي وجهت الدعوة لإرسالية الراعي الصالح فافتتحت أول مدرسة كاثوليكية للبنات بالقاهرة، وهي مدرسة الراعي الصالح بشبرا، التي تم افتتاحها في ٦ يناير عام ١٨٦٤م. وفي الفترة ما بين ١٨٤٠م وعام ١٨٤٦م تدخلت العوامل السياسية والخارجية لمساعدة قيام هذه الهيئات الدينية. ذلك أنه في عام ١٨٤٠م، بدأ الرئيس العام لإرسالية العزاريين في مساعدة محمد علي في بلاد الشام، وكان جيزوت الوزير الفرنسي يؤيد نشاطه ويشجعه.

وفي ظروف هذا التفاهم الدولي بين محمد علي والكاثوليك الفرنسيين نشطت الإرساليات الكاثوليكية، وقررت إرسال القسس والرهبان. وقد وصل عدد منهم في ٢٣ يناير عام ١٨٤٤م، وبدأوا في إنشاء المدارس لنشر الثقافة الفرنسية إستجابة لرغبة الجالية الكاثوليكية، ولم يكن في وسع محمد علي إلا أن يساعدهم، وأن يمنحهم حصناً قديماً تم إعداده ليكون مدرسة وكنيسة. ثم وفدت إرسالية راهبات الإحسان للقديس فانسان دي بول وإرسالية الراهبات العزاريين وإرسالية "راهبات الراعي الصالح". وتطور الأمر بعد ذلك إذ أنه في الفترة ما بين عام ١٨٤٤م و عام ١٩٤٣م وفدت إلى مصر ثلاث وعشرون إرسالية دينية نسائية، وزاد الكاثوليك في مصر، وتنوعت الجالية الكاثوليكية بها. فأصبح هناك سبع جاليات هي: الأرمنية، الكلدانية، اليونانية الملكانية، اللاتينية، المارونية، السريانية، والأقباط الكاثوليك".

وبذلك تنوعت وتعددت المدارس الكاثوليكية بتعدد وتنوع الإرساليات الكاثوليكية الوافدة إلى مصر، إذ تسابقت هذه الإرساليات إلى إنشاء مدارس ملحقة بكنائسها، ويدرس بها رجال الدين من الكاثوليك. ويغلب على هذه المدارس جميعها الطابع الديني، وانتشرت مدارسهم من الوجه القبلي إلى الوجه البحري في بورسعيد والإسماعيلية والمنصورة وكفر الزيات والقاهرة.

---

١ . جرجس سلامه، ص ٤٠.
٢ . المرجع السابق.

وقد قدمت الحكومة المساعدات لهذه الإرساليات، اذ قدم الخديوى إسماعيل المساعده لأخوات الراعى الصالح لإقامة كنيسة ومدرسة داخلية فى شبرا ودار للأيتام. كما قدم المساعدات لإرسالية اليسوعيين، ومنحهم بناء ضخما لإقامة مدرسة بالموسكى لإعداد رجال الدين.

انتشار الكاثوليكية وموقف البابا كيرلس الخامس

بدأ اعتناق بعض الأقباط للمذهب الكاثوليكى فى القرن السابع عشر، وكان عدد الأقباط الكاثوليك فى هذا القرن وفى القرن الثامن عشر ضئيلا جداً، وبدأ إزدهار هذا المذهب فى مصر فى القرن التاسع عشر. عندما اعتنق المعلم غالى كبير الأقباط فى عهد محمد على هذا المذهب، بناء على رغبة والى مصر إرضاء للفرنسيين الذين طلبوا من محمد على تحويل أقباط مصر إلى المذهب الكاثوليكى، فاقتنع المعلم غالى بأن هذا الأمر عسير ولا يتم بدون قلاقل وسفك دماء غزيرة. ولكن إرضاء لوالى مصر سيبدأ هو باعتناق الكاثوليكية، فإن رأى الأقباط كبيرهم تحول إلى هذا المذهب نسجوا على منواله.(١)

وفى عام ١٨٩٥م رسم "القس جرجس مقار" أحد كهنة الأقباط الكاثوليك فى مصر أسقفا لهذه الطائفة، ولكن حدث أن أصدر منشوراً تطاول فيه على الأقباط الأرثوذكس، كما كتب رسائل أخرى على نفس المنوال، كما أخذ يتجول فى صعيد مصر هادفاً إلى تحويل الأقباط إلى الكاثوليكية، فإنزعجت نفوس الأقباط وتوهموا أن طائفتهم فى خطر.(٢)

وكانت نتيجة ذلك أن كتب البابا كيرلس الخامس المنشور التالى إلى المطارنه والأساقفة والكهنة وأفراد الشعب القبطى من أجل الدفاع عن الكنيسة الأرثوذكسية جاء فيه: " ... ونحذر أفراد شعبنا من أن يضلوا أو يخدعوا أو يغتروا بظواهر الأمور .... فإن الأرثوذكسية لا تقبل أبدا البدع ولا ترضى بالتعاليم المخترعة حديثاً أو قديماً، المغايرة لروح التعليم المسيحى القويم، ولا تتمسك إلا بما نصت عليه الكتب المقدسة، وحكمت به القوانين الرسولية... ".(٣)

وفى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى أصدر بابا روما قراراً بتعيين "الأنبا كيرلس مقار" كأول بطريرك للأقباط الكاثوليك فى مصر فى عام ١٨٩٩م، تدعيما للنشاط الدينى والتربوى للكاثوليك فى مصر.

أهم مدارس الإرساليات الكاثوليكية فى مصر

إن الإرساليات الكاثوليكية التى وفدت إلى مصر تنقسم إلى ثلاث فئات هامة هى: الراهبات والفرير والجزويت.

أولا : مدارس الراهبات

وفدت إلى مصر ٢٣ إرسالية دينية نسائية منذ عام ١٨٤٤م حتى ١٩٤٣م، وكان من أهم هذه الإرساليات التى لها دور تربوى بمصر: راهبات الراعى الصالح، وراهبات سيدة الرسل،

---

١ . رياض سوريال، المجتمع القبطى فى مصر فى القرن التاسع عشر، (القاهرة، مكتبة المحبة، ١٩٨٤م)، ص ١٢٤.
٢ . توفيق اسكاروس، نوابغ الأقباط ومشاهيرهم فى القرن ١٩، الجزء الثانى، (القاهرة، ١٩١٣م)، ص ١١٧.
٣ . يوسف منقريوس، تاريخ الأمة القبطية من ١٨٩٣م إلى ١٩١٢م، (القاهرة، مطبعة مكاريوس ١٩١٣م)، ص ٧٥.

وراهبات الميردى ديو، وراهبات قلب يسوع، وراهبات المحبة سان فانسان دى بول. وكانت راهبات الراعى الصالح هى أول من قام بافتتاح المدارس الكاثوليكية. ومازالت مدارس هذه الإرساليات تؤدى رسالتها التربوية.

١ ـ راهبات الراعى الصالح

تأسست هذه الإرسالية الدينية فى ٣١ يوليو عام ١٨٦٩م. ثم وفدت إلى مصر وقامت بإفتتاح أول مدرسة كاثوليكية بها فى ٦ يناير عام ١٨٤٦م، نتيجة لمجهودات قنصل فرنسا والقاصد الرسولى، وكانت هذه المدرسة بالموسكى، وفى عام ١٨٦٢م منح الخديوى إسماعيل قطعة أرض بشبرا للإرسالية لتأسيس مدرسة وملجاء عليها وهى مدرسة الراعى الصالح بشبرا التى مازالت تؤدى رسالتها التربوية للآن. كما افتتحوا مدرسة بشارع العطار عام ١٩٣٢م، ثم إمتد نشاطها إلى بورسعيد فأسسوا مدرستين هناك إحداهما عام ١٨٦٣م والثانية عام ١٨٩٤م ثم أسسوا مدرستين فى السويس عام ١٨٦٥م وعام ١٨٨٥م.(١)

٢ ـ راهبات سيدة الرسل

وتعرف براهبات "نوتردام دى ذابوتر"، وتأسست عام ١٨٦٧م. وقد وفدت إلى مصر عام ١٨٨١م، وأسست ٢٣ مدرسة منها: ٦ مدارس بالقاهرة وضواحيها، ٧ مدارس بالوجه البحرى، ١٠ مدارس بالوجه القبلى.

٣ ـ راهبات الميردى ديو: "والدة الإله"

تأسست هذه الإرسالية فى فرنسا عام ١٦٤٨م، ووفدت الى مصر ١٨٨٠م فى عهد الخديوى توفيق، وأسست مدرسة ببولاق ثم نقلت إلى جاردن سيتى. ثم قامت بتأسيس مدرسة أخرى بالإسكندرية عام ١٨٨٢م.

٤ ـ راهبات قلب يسوع

تأسست عام ١٨٠٠م ووفدت إلى مصر حيث أسست مدرسة بغمرة عام ١٩٠٣م، وافتتحت أخرى بمصر الجديدة عام ١٩١٢م.

٥ ـ راهبات المحبة للقديس سان فانسان دى بول

تأسست هذه الإرسالية عام ١٦٣٣م بواسطة سان فانسان دى بول، ووفدت إلى مصر عام ١٨٤٤م حيث قابلهن محمد على مقابلة حسنة، ومنحهن قطعة أرض، غير أنهن لم يؤسسن مدرسة إلا فى عام ١٩٠٤م، وسميت هذه المدرسة باسم "كلية سان فانسان دى بول"، وكانت بالحلمية الجديدة. وافتتحوا أخرى بالعباسية، ثم افتتحوا عددًا آخر من المدارس فى الإسكندرية والإسماعيلية وبور توفيق. ومازالت هذه المؤسسات تؤدى رسالتها التربوية.(١)

ثانيا: مدارس الفرير

تأسست هذه الإرسالية الدينية عام ١٦٨٠م، وكان غرضها تعليم الشباب. وإمتد نشاطها إلى

---

١ ـ جرجس سلامه، مرجع سابق، ص ١٢٨.

مصر عام ١٨٤٧م. وافتتحت أول مدرسة وهي مدرسة الفرير العزاريين، وكانت هذه المدرسة هي بداية عدد كبير من المدارس أنشأتها هذه الإرسالية في أنحاء مصر، وقد بلغ عددها ٣٥ مدرسة، يتركز معظمها في القاهرة والإسكندرية وبور سعيد والسويس وأسيوط والمنيا وملوى والزقازيق. وأشهر هذه المدارس بالإسكندرية مدرستان هما: "كلية سانت كاترين وكلية سان مارك" وتعتبر كلية سان مارك من أكبر مدارس الفرير، وقد الحقت بها كلية قلب يسوع بمحرم بك وكلية سان جبريل بسبورتنج.[٢] وأهم مدارس الفرير العامة بالقاهرة: كلية سان جوزيف بالخرنفش التي افتتحت للدراسة في ١٥ فبراير عام ١٨٥٤م، وقد تمتعت هذه المدرسة بسمعه طيبة بين المدارس الأجنبية الأخرى، فقد جاء في تقرير لوزارة المعارف المصرية عن مدارس الفرير: "إن مدرسة الأخوة المسيحية تحتل المركز الأول بين المدارس الأوربية بمصر، ليس فقط بالنسبة لعدد التلاميذ، ولكن لإتباع أحدث طرق التدريس والإدارة الماهرة والتنوع والإستقرار في تعليمها".

وقد كان الخديوى إسماعيل مهتما بمدارس الفرير، وكانت محل تقديره، كما منح الإمبراطور نابليون الثالث الإخوة في مصر ميدالية الشرق، تقديرا لعملهم ومن أشهر مدارسهم، أيضا مدرسة الفرير بالظاهر التي تأسست عام ١٩٠٤م، وتسمى "كلية دى لاسال". كما كانت لمدارس الفرير بالقاهرة فروع أخرى في شبرا والإسماعيلية. وقد الحقت بهذه المدارس مدارس مجانية للفقراء.

ومن أهم مدارس الفرير ببورسعيد مدرسة "كلية سانت مارى"، التى افتتحت عام ١٨٩٠م. وأنشئت خصيصا لأبناء العاملين في شركة قناة السويس، فكان تلاميذها متعددى الجنسيات، فمنهم الفرنسيون واليونانيون والنمساويون والإيطاليون والمالطيون والأتراك والبرتغاليون. وكان من بين تلاميذها أيضا تلميذان مصريان. وقد كانت هذه المدرسة محل عناية الحكومة فقد زارها الملك فؤاد الأول عام ١٩٢٤م، ومنح جوائز للمتفوقين بها.[٣]

ثالثا: مدارس الجزويت

تأسست هيئةالجزويت في عام ١٨٥٢م، وبدأ نشاطها التعليمي عام١٨٧٩م. وقد جاءوا إلى مصر بعد أن أصدر السلطان أحمد الأول في عام ١٦٠٤م فرمانا أعطى لهم الحق في الذهاب إلى أية ناحية من نواحي الإمبراطورية العثمانية بما فيها مصر. كما أنه في عام ١٨٩٧م صدرت الأوامر إلى الجزويت في الإستقرار بالقاهرة. كما شجعهم الخديوى "إسماعيل لممارسة نشاطهم التربوى. وأفتتحت أهم مدارس الجزويت وهي: مدرسة العائلة المقدسة بالقاهرة في ٦ يناير ١٨٧٩ ثم امتد نشاطهم بإفتتاح مدارس أخرى في بولاق والقللى والفجالة وهليوبوليس. وكانت هذه المدارس ومازالت تفتح أبوابها لأبناء الوطن جميعا من المسلمين والأقباط والكاثوليك والبروتستانت، كما أن بها جنسيات عديدة من الطلبة والطالبات.[٤]

وتشرف الدولة حالياً عن طريق وزارة التربية والتعليم على مدارس الإرساليات، بصفتها

---

١ ـ المرجع السابق، ص ١٣٩ ـ ١٤٥.
٢ ـ امين سامي، التعليم في مصر، (القاهرة، مطبعة المعارف ، ١٩١٧م)، ص ١٣ ـ ١٤.
٣ ـ جرجس سلامه، مرجع سابق، ص ١٥٠ ـ ١٥٨.
٤ ـ المرجع السابق، ص ١٥٨.

مدارس خاصة، بإصدار القوانين والقرارات الوزارية بدءا بالقانون رقم ٦١٠ لسنه ١٩٥٨م، والقانون ١٣٩ لسنه ١٩٨١م بشأن التعليم الخاص.

رابعاً: مدارس الآباء الفرنسيسكان ومدارس الراهبات الفرنسيسكانيات:

بدأ نشاط الكاثوليك في مصر على يد الآباء الفرنسيسكان. وقد تأسست هيئة الفرنسيسكان في عام ١٢٠٩م. وأشرف قسم يسمى "إرسالية مصر بالدلتا"، الذى تأسس عام ١٢١٧م، على إنشاء الكنائس والمدارس في مصر في الوجه البحرى، بينما كان هناك قسم آخر يسمى "إرسالية مصر العليا" يشرف على إنشاء الكنائس والمدارس بالصعيد.

وقد وفد الفرنسيسكان إلى مصر في القرن الثالث عشر الميلادى، وبدأوا في إنشاء الكنائس في الإسكندرية ورشيد ودمياط والقاهرة في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادى. وفي القرن الثامن عشر، أنشأ الفرنسيسكان أول مدرسة لهم عام ١٧٣٢م في حي الموسكى، وكانت تدرس بها اللغات الإيطالية والعربية. وكان الفرنسيسكان قد نشروا كنائسهم ومدارسهم في صعيد مصر، خاصة في أسيوط وأبو تيج وصدفا وأخميم وجرجا والأقصر وأسوان. واتسعت مدارسهم في القرن التاسع عشر، إذ قاموا بإفتتاح مدرسة بالمنصورة عام ١٨٥٥م، وأخرى في نقادة في نفس السنه. وفي عام ١٨٥٦م أنشأوا مدرسة في كفر الزيات، وفي رشيد عام ١٨٥٨م، ومدرسة بالسويس عام ١٨٦٩م وأربع مدارس ببورسعيد وقنا وطهطا وأخميم عام ١٨٦٣م، ومدرسة ببولاق عام ١٨٦٨م، وأخرى بالمنصورة عام ١٨٧١م، وبدمياط عام ١٨٧٢م، ومدرسة ثانية في كفر الزيات عام ١٨٧٣م، ومدرستين بالإسماعيلية عامى ١٨٧٤، ١٨٧٥م، وببورسعيد عام ١٨٧٧م. [١]

وإلى جانب هذه المدارس قامت جماعة إخوان كلوراس الفرنسيسكانيات بإفتتاح مدرسة للبنات بالقاهرة عام ١٨٥٩م، منحها الخديوى إسماعيل عند تولية العرش مبلغ ١٥٠ الف فرنك، عدا ٩٠ اردباً من القمح سنوياً. ثم اقاموا مدرسة اخرى عام ١٨٧٥م بشارع كلوت بك. وكانت هذه المدارس تقوم بتدريس اللغات الإيطالية والفرنسية إلى جانب اللغة العربية، ومواد الحساب والجغرافيا والتاريخ المقدس والتاريخ العام وأشغال الإبرة والتطريز، وهناك مواد إختيارية هي: الإنجليزية والألمانية والعزف على البيانو والأناشيد. وتشرف على بعض هذه المدارس منذ عام ١٩٤١م جمعية الصعيد المسيحية للمدارس وتنمية المجتمع. بل إنها اتسعت في نشاطها التربوى بإفتتاح مدارس جديدة حتى بلغ عدد مدارسها التي تشرف عليها ٣٧ مدرسة، منتشرة في صعيد مصر عدا مدرسة واحدة بحى الشرابية.

وإلى جانب الخدمة التعليمية التى تقدمها هذه المدارس، فهى تعتبر مراكز إشعاع للبيئة الموجودة بها المدرسة، إذ تتبنى الجمعية المشرفة على متابعة هذه المدارس مشروعات قومية لبناء الإنسان المصرى، منها: مكافحة الأمية، التنمية النسائية، التنمية الإقتصادية، التنمية الصحية.

---

١ . بطريركية الأقباط الكاثوليك، مرجع سابق.

التمهيد لمجئ الإرسالية الأمريكية إلى مصر

مهد لمجئ المرسلين الأمريكيين، إلى مصر منذ نزول الحملات التبشيرية البروتستانتية القادمة من اسكتلندا إلى بلاد الشام عام ١٨١٨م ما كان للولايات المتحدة الأمريكية من صلات تجارية غير مباشرة مع سوريا وكريت ومصر منذ عام ١٨٢٥م. فقد باع أحد الأمريكيين لمحمد على سفينتين حربيتين، وقبض الثمن من محصولات البلاد.[١] ثم عقدت معاهدة التجارة والملاحة بين الدولة العثمانية والولايات المتحدة الأمريكية في مايو ١٨٣٠م. وكان ذلك ممهدا لأول تمثيل قنصلي بين الولايات المتحدة الأمريكية ومصر عام ١٨٣٢م.[٢] فرأت الحكومة الأمريكية أن تعهد إلى وليم هودجسون William Hodgson من أعضاء السفارة الأمريكية بالقسطنطينية بمهمة خاصة في مصر، للوقوف على مدى ما يمكن تحقيقه عملياً، من إنشاء علاقات تجارية مع محمد على، تكون مستقلة عن العلاقات القائمة بين الولايات المتحدة والباب العالى.[٣]

وقد أبلغ محمد على السفير الأمريكى عن طريق وزيره بوغوص بك يوسف وزير الخارجية والتجارة فى حكومته: " إن الباشا - يقصد محمد على - يقدر الولايات المتحدة الأمريكية تقديراً عظيماً، وأنه يتمنى أن تزداد العلاقات معها توثقاً، لما يتوسمه من الخير لصالح البلدين."[٤].. ثم اقترح وليم هودجسون" أنه يجب أن يكون لقب القنصل الأمريكى هو: القنصل العام لمصر وسوريا والملحقات التابعه لمحمد على. " ووافقت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على ذلك.

وهكذا حققت الولايات المتحدة الأمريكية علاقات وثيقة مع مصر فى تلك الفترة، مما مهد لمجئ البعثات الأمريكية للقيام بنشاطها الدينى والتربوى. "وإن كانت أول مدرسة تابعه لأمريكا قد أنشئت فى مصر هى المدرسة الأمريكية فى بولاق، وهى مدرسة إبتدائية أنشئت فى عام ١٨٢٨م، والحقت بالكنيسة الأرثوذكسية فى بولاق."[٥]

كذلك مهد الطريق للإسالية فى مصر وجود الإرساليات البروتستانية الإنجليزية، ومنها: جمعية إرسالية الكنيسة، إرسالية الكنيسة الإسكتلندية لهداية اليهود، جمعية السيدات للنهوض بتعليم المرأة في الشرق. هذا بالإضافة إلى إرسالية مصر. والبعثة الورافية إلتى قدمت إلى مصر مع منتصف القرن الثامن عشر. وسنلقى الضوء عليها جميعاً حتى نوضح الدور الذى قامت به وأثره فى تمهيد الطريق أمام الإرسالية الأمريكية عند مجيئها إلى مصر.

الإرساليات البروتستانتية الأولى فى مصر منذ القرن الثامن عشر

والتى مهدت الطريق للإرسالية الأمريكية

لم يقتصر النشاط الدينى والتربوى للإساليات الدينية على الكاثوليك وحدهم، وإنما قدمت إلى مصر إرساليات دينيه بروتستانتية تنتمى إلى إنجلترا وشرق أوربا، وأسهمت بنصيب وافر فى النشاط الدينى والتربوى فى مصر. ولما كان الإنجليز حديثى العهد بالشرق، فإن أول بعثة

---

١ . محمد فؤاد شكرى وآخرون، مرجع سابق.
٢ . جرجس سلامه، مرجع سابق، ص ٤٧ . ٤٨.
٣ . فؤاد شكرى، مرجع سابق، ص ٢٤٩.
٤ . المرجع السابق، ص ٢٨٦.
٥ . محمد توفيق حقاجى، اضواء على تاريخ التعليم فى ج. م. ع. (القاهرة، وزارة التربية)، ص٥٧.

بروتستانتية قدمت إلى مصر هي "الموراڤية" The Moravian Missio و قد بدأت نشاطها في مصر مع منتصف القرن الثامن عشر.

ويذكر "هي ورث دون"[1] Heyworth Dunne أن سبب تخلف نفوذ البروتستانت في الشرق عن أقرانهم من الكاثوليك يرجع إلى أنهم أتوا بمظاهر دينية في ممارسة عقائد غير مألوفة في مصر، سواء للكاثوليك أو للأقباط الأرثوذكس، فضلا عن اختلاف الطباع بين الأجناس الشمالية والجنوبية.

وقد بدأ نشاط الإرساليات الدينية البروتستانتية في العصر الحديث مع بداية النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وكان مصدر هذه الإرساليات إنجلترا وشرق أوربا، وسنلقي الضوء عليها جميعاً وإن كان من الأفضل حصرها في نشاط إرساليتين كانتا ممهدتين للإرسالية الأمريكية في مصر، رغم إختلاف موطن كل منهما:

الأولى: البعثة التبشيرية الموراڤية

ظهرت بذور هذه البعثة في شرق أوربا ثم امتد نشاطها في بلاد الشرق العربي. وقد بدأت نشاطها في مصر في عام ١٧٥٢م، وانهت نشاطها بعد ثلاثين عاما.[2]

الثانية: البعثات التبشيرية الإنجليزية: وهي عديدة نذكر منها:[3]

أ ـ جمعية إرسالية الكنيسة: The Church Missionaty Society

وهي تابعة لكنيسة بريطانيا العظمى، وقد بدأت نشاطها في مصر في عام ١٨١٩م وانهت نشاطها بعد ٣٥ عاما.

ب. جمعية السيدات للنهوض بتعليم المرأة في الشرق:
Ladies Society for Promoting Female Educatiom in the East

جـ. إرسالية الكنيسة الإسكوتلاندية لهداية اليهود
Church of Scotland Jewish Mission

وفيما يلي لمحة عن نشاط الارساليات البروتستانتية التي مهدت للإرسالية الأمريكية في مصر ثم آل إليها نشاطها:

أولا: البعثة التبشيرية الموراڤية

جاء أول مرسل لوثري الى مصر في عام ١٦٣٣ وهو "بيتر هيلنج" Peter Heyling، وظل في مصر حتى نهاية عام ١٦٣٤م. وفي عام ١٧٥٠م تقرر بدء العمل المرسلي للكنيسة الموراڤية.[4]

وفي عام ١٧٥٢م جاء إلى مصر دكتور "فردريك وليم هوكر" Frederic William Hoker

---

١ ـ Dunne, Heyworth, An Introduction to the history of Education in modern Egypt, (London 1936) p. 288

٢ ـ المرجع السابق.
٣ ـ المرجع السابق، ص ٢٢٠.
٤ ـ أديب نجيب سلامة، تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر، (القاهرة دار الثقافة) ص ٤٩.

Watson, A., op. cit, pp. 31 - 34

كمرسل عهدت إليه البعثة البقاء في مصر لفترة من الوقت، وكان من أهداف إرساليته دراسة اللغة العربية وصداقة بطريرك الأقباط حتى يتمكن من مزاولة نشاطه في التبشير بالمذهب البروتستانتي، كما طلب "هوكر" من البطريرك السماح له بالتوجه إلى الحبشة للتبشير فيها لأن الكنيسة في الحبشة كانت تابعه للكنيسة القبطية في مصر، كما حصل في ديسمبر ١٧٥٣م من السلطان العثماني على وثيقه تعتمد التصريح له بدخول الحبشة.(١)

وفي عام ١٧٦٨م وصل مرسل آخر هو جون هنري دانك John Henry Danke واستمر في عمله مع دكتور وليم هوكر، وقد كانت لهذا المرسل شخصية جذابة، واشتهر بحبه لجميع شباب مصر، مسلمين ومسيحين، وبدأ يجوب في أنحاء مصر مبشراً بالمذهب البروتستانتي، مستخدماً النيل في تنقلاته. وفي عام ١٧٨٢م إجتمع مجلس رؤساء البعثة المورافيه في هرنهوت Hernhutt في بوهيميا بتشيكوسلوفاكيا، وقرروا ترك العمل في مصر والإتجاه إلى بلاد أخرى للتبشير فيها، وذلك لأن النجاح لم يحالف البعثة في مهمتها في مصر، إذ لم تتمكن البعثة من تحقيق أهدافها في نشر المذهب البروتستانتي بين أقباط مصر، كما أنها لم تزاول أي نشاط تربوي في البلاد.(٢)

ثانياً: البعثات التبشيرية الإنجليزية في مصر

١ ـ جمعية إرسالية الكنيسة: C.H.S.

يرجع تاريخ نشاط هذه الإرسالية إلى عام ١٧٩٩م، وهي تابعة للكنيسة الإنجليزية. وقد إمتد نشاطها في بلدان عديدة منها: مصر، وغرب إفريقيا، وأوغندا، والهند، والصين، واليابان، وأمريكا اللاتينية. فهي تعتبر أكثر الإرساليات التبشيرية إنتشارا في العالم.(٣)

وقد اتبعت هذه الإرسالية أسلوبا يختلف عن الإرساليات الأخرى، إذ بدأت نشاطها مستعينه بتوجيهات رجال الدين الأقباط، حتى تتفادى معارضة نشاطها. وقد كتب الأسقف صموئيل جوبات، بعد ٣٥ عاما من نشاط الإرسالية في مصر، فذكر "بدأ المرسلون من جمعية إرسالية الكنيسة في أسلوب عملهم بإتباع خطة عمل يكون هدفها صداقة رجال الدين الأقباط خاصة لمكانتهم بين الكنائس الشرقية، بوجه خاص في مصر."(٤)

وزار مصر أيضا المرسل الإنجليزي "جويت" Jowett واستقر بها بضعة أشهر في عام ١٨١٩م، ١٨٢٠م، ١٨٢٣م، وتوطدت صلته مع باقي المرسلين الأجانب ومع رجال الدين الأقباط. وقد سمح بطريرك الأقباط وقتذاك للمرسلين الأجانب بزيارة الأديرة، كما وزع عليهم الكثير من النسخ العربية لأسفار الكتاب المقدس، معربا عن تعاونه معهم، وذلك لأن نواياهم كانت لم تتضح له بعد، وبخاصة اتجاههم نحو تحويل الأقباط عن مذهبهم واتباعهم للمذهب البروتستانتي. كما زار المرسل الإنجليزي مولر Muller اسيوط عام ١٨٣٠م، وقد استقبله مطران الأقباط بالمدينة،

---

١. Thompson A.C, Protestant Mission New York 1903,p. p. 283 .
Watson, Charles,P. Egypt and the Christian Crusade, (Philadelphia, the Board of Foreigh Mission, 1906) p. p. 135 - 136
٢. Watson, A., Ibid, p. p. 23 - 24.
٣. Watson, Ch, Ibid, p. 142.
٤. Watson, Ch, Ibid, p. 142. p. 144.

ويذكر جاك سيذليان: "مع أن مطران الأقباط كان شاكراً للإرسالية رغبتها فى إقامة مدرسة مجانية باسيوط، إلا أن المطران ذكر أن الشعب باسيوط لم يدرك بعد هدف المدارس المجانية... وانهم يخشون أن يعلّم الإنجليز أطفالهم لياخذوهم بعد ذلك معهم إلى انجلترا كعبيد، كما أن معظم الآباء من الفلاحين فى حاجة إلى أبنائهم ليساعدوهم وليكسبوهم خبراتهم المهنية وهم فى سن مبكرة".(١)

وقد قامت الإرسالية الإنجليزية - إرسالية الكنيسة - بإنشاء مدرسة لإعداد رجال الدين من الأقباط عام ١٨٤٠م وفق تعاليمهم، وكان بها ٣٥ طالبا، منهم ١٧ بالقسم الداخلى. وكان الهدف من ذلك هو التأثير فى الكنيسة القبطية عن طريق أبنائها من الأقباط، غير أن هذه المدرسة أغلقت فى نهاية عام ١٨٤٨م نظرا لمقاومة الأقباط وعدم سماحهم لإرسالية الكنيسة أن تتولى إعداد رجال الدين ليخدموا فى الكنائس القبطية.

وقد بدأت جمعية إرسالية الكنيسة فى إقامة المدارس فى القاهرة للبنين والبنات منذ عام ١٨٣٤م، ثم افتتحت مدرسة داخلية للبنين عام ١٨٣٥م فى القاهرة. وفى عام ١٨٤٠م قررت جمعية إرسالية الكنيسة إنشاء ستة أماكن لممارسه الخدمات الدينية والتعليمية ويستعان فيها بالأقباط لقراءة الإنجيل. وقد بارك بابا الأقباط هذه الخدمات فى أول الأمر، ولكن لما ظهرت نوايا هذه الإرسالية قُبَيْل نشاطها بالإعراض التام وخاصة عندما اتضحت رغباتها فى تحويل الأقباط إلى المذهب البروتستانتى.(٢)

وفى عام ١٨٤٩م زار الأسقف صموئيل جوبات مصر لتقوية نشاط الإرسالية، وبقى بها حتى عام ١٨٦٥م. وفى عام ١٨٦٢م كتب عن نشاط الإرسالية فى مصر فقال:

"رغم ما قامت به الإرسالية فى نشر كلمة الله وتوزيع الكتب المقدسة فى جميع أنحاء مصر، رغم نشاطها الواضح فإن الإرسالية فى مصر لم تحظ بالنجاح كما كان متوقعا لها."(٣)

وعندما جاء وطسن Andrew Watson إلى مصر فى عام ١٨٦١م، كمرسل من مرسلى الإرسالية الأمريكية، قال عن جمعية إرسالية الكنيسة، خاصة بعد أن انضم معظم مؤسساتها التربوية إلى الإرسالية الأمريكية فى مصر:

"أنا عندى ثقة كامله أنه من خلال توزيع نسخ عديدة من أسفار الكتاب المقدس، بوساطة مرسلى جمعية إرسالية الكنيسة فى كل مكان بوادى النيل، قد زادت من معرفة الكثيرين عن كلمة الله وعن المذهب البروتستانتى. وليس عندى أدنى شك من أن الإرسالية الأمريكية فى مصر ستكون لها فرصة جنى الثمار التى غرستها جمعية إرسالية الكنيسة فى مصر."(٤)

ب - جمعية السيدات للنهوض بتعليم المراة فى الشرق:

وهى جمعية تابعة لإرسالية الكنيسة، كان هدفها نشر الثقافة بين السيدات. فقامت بتأسيس

---

١. Molmes and sislian, op. cit, p. 195.
٢. Dunne, p, cit, p. 278.
٣. Watson, op. cit., 148.
٤. Watson p. 34

مدرسة تضم نحو مائة تلميذه، أغلبهن من القبطيات، وقلة منهن مسلمات. وقد افتتحت هذه المدرسة عام ١٨٣٥م، وتولت الإشراف عليها مس هوليداى Miss Holiday، وكانت التلميذات يتلقين دروسا فى اللغة العربية وأشغال الإبرة والتطريز، ثم تولت إدارتها بعد ذلك مس برنجل. ولكن نتيجة سفرها إلى اسكتلندا أمرت الجمعية بنقل إدارة المدرسة إلى الإرسالية الأمريكية فى مصر. وكان الهدف من هذه الجمعية إدخال التعليم الأولى بين النساء، مما يجعل منهن أمهات ذات مستوى لائق لتولى رعاية أطفالهن. وبذا كان اهتمام المرسلات فى الجمعية هو إمكان رفع مستوى السيدات فى مصر.[١]

وفى عام ١٨٦١م جاءت إلى مصر هوتسلى إبنة أسقف دبلن، وقد أوقفت ثروتها كما وهبت حياتها من أجل تربية الفتاة المصرية، وخاصة من الطبقة الفقيرة. وقد صادفت العناء فى سبيل ذهاب التلميذات إلى المدرسة التى افتتحتها، رغم أن التعليم بالمدرسة كان بالمجان، وكانت المناهج التى تدرس بالمدرسة تشتمل على تدريس اللغات الأجنبية إلى جانب اللغة العربية، كما درس التلميذات التاريخ والجغرافيا وأشغال الإبرة. وقد شجع إسماعيل هذه المدرسة ومنحها أرضا لبناء مدرسة فى حى الفجالة بالقاهرة،[٢] لما لمسه من تاثير المؤثرات الغربية فى إنتشار تعلم الفتاة من أجل ترقية المرأة وعلو مقامها.[٣]

ويلاحظ على هذه الإرسالية انها كانت تهتم خاصة بتعليم المرأة المصرية كما اهتمت بتعليم البنت بإعتبارها أم المستقبل، واتخذت من تعليم المرأة مدخلا لنشر البروتستانتية وغرسها بين أطفالها ليكونوا هم بالتالى من الدعاة لها فى المستقبل. كما نرى أن "جمعية السيدات للنهوض بتعليم المرأة فى الشرق" وهى إرسالية بروتستانتية إنجليزية، كانت تهتم خصيصاً بتعليم البنت اللغات الأجنبية وعلوم الثقافة الحديثة. هذا فضلاً عن إهتمامها بالعلوم المهنية للمرأة كوسيلة كسب للفتيات من الأسر الفقيرة، حتى توثق انتماء الفتاة بالإرسالية، ولأنها من أكثر طبقات المجتمع التى يسهل التأثير فيها وإحتوائها.

جـ - الإرسالية الاسكتلندية لهداية اليهود:

تركز نشاط هذه الإرسالية فى مدينة الإسكندرية، فأقامت كنيسة إنجيلية ومدرستين إحداهما للبنين عام ١٨٥٦م، والأخرى للبنات عام ١٨٥٧م. وكان يشرف على إدارتهما دكتور يسول ثم دكتور هربان فيليب D.H. Philip ، الذى استقبل أعضاء الإرسالية الأمريكية عند وصولهم الإسكندرية فى ١٠ نوفمبر ١٨٥٤م . وكانت مهمة الإرسالية الإسكتلندية هى نشر المسيحية بين اليهود وتلقينهم مبادئها. وكان النشاط التربوى لهذه الإرسالية يتركز فى الإسكندرية والقاهرة شاملا لمدارس البنين والبنات. وقد أندمجت الإرسالية الأمريكية فى عام ١٨٥٩م.[٤]

ولكن الإرساليات التى قدمت من إنجلترا كان نشاطها محدوداً لا يقارن بمثيلاتها الإرساليات

---

١ - Molmes,p. 198

٢ - الياس الأيوبى، تاريخ مصر فى عهد اسماعيل باشا، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ٢٢٣.
وراجع: أحمد عزت عبد الكريم، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٤١ ، ٨٥٣.

٣- رينا فوج ، الأستاذ الجليل بين مرسلى وادى النيل، (القاهرة، ١٩١٧م)، ص ٥١ ، ٥٩.

٤ - مخروس سيد مرسى ، تربية المرأة المصرية بين الفكر الإسلامى والفكر الغربى فى القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية التربية ، جامعة أسيوط، ١٩٧٦م)، ص ١٩٢.

الكاثوليكية. وقد يعود السبب إلى قلة الدعم من ناحية، وقلة عدد الجالية الإنجليزية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر من ناحية أخرى. وقد توقفت جميع الإرساليات الإنجليزية البروتستانتية في نشاطها مع منتصف القرن التاسع عشر، باستثناء الإرسالية الإسكتلندية التي استمرت حتى ١٨٥٨م، ثم اندمجت في الإرسالية الأمريكية مع بداية عام ١٨٥٩م، وانضمت معها ليوحد من نشاطها سويا، وللعجز المادي الذي كانت تعاني منه نتيجة قلة الدعم لمدارسها. وقد لاحظ بعض المصريين أن الإرساليات الإنجليزية هي وكالات سياسية، وأن أعضاءها بمثابة جواسيس أرسلتهم الحكومة البريطانية أمام المستثمرين الإنجليز، ليكون الطريق أمامهم معبدا سهلا عندما يفكرون في أطماعهم العسكرية والسياسية. ونتيجة لنشاط الإرساليات البروتستانتية في جميع أنحاء مصر أعطى هذا التحرك الإرساليات الإنجليزية احتمالات أنها تعمل لحساب إنجلترا.[١]

أي أن أعضاء الإرساليات البروتستانتية جاءوا إلى البلاد النامية - ومنها مصر - هادفين إلى تحقيق أطماع سياسيه ونشر الثقافه الغربية، متخذين من الاتجاه الديني ستارا لنشاطهم.

وهكذا بدأت مصر تفتح أبوابها للأجانب بهدف العمل في دوائر الحكومة أو المشروعات الاقتصادية. وقد تضاعفت حركة الإرساليات البروتستانتية بعد شق قناة السويس في عهد سعيد ثم في عهد إسماعيل. ولم يكن الهدف الاقتصادي هو كل ما في الحركة. فقد كان لها نشاطها الديني الذي تبعه النشاط التربوي، حيث اهتمت الإرساليات الإنجليزية بالدعوة إلى المذهب البروتستانتي، سواء بين الأقباط أو اليهود في مصر، واتخذت من الكنيسة البروتستانتية مصدرا لهذه الدعوة. كما اتخذت هذه الإرساليات من تعليم البنت محوراً لانتشار دعوتها واستمرارها بين الأجيال عن طريق الفتاة أم الأولاد في المستقبل. وكان التعليم لدى الإرساليات الإنجليزية وسيلة من وسائل الدعوة الدينية والتبشير البروتستانتي، لذا لم تقصر هذه الإرساليات مدارسها على عاصمة البلاد، وإنما أنشأتها في عواصم الأقاليم. وكان الهدف هو تحقيق أطماعهم السياسيه، ونشر الثقافه الغربية بين المصريين متخذين من الإتجاه الديني ستاراً لنشاطهم.

وبعد أن عرضنا لنشاط الإرساليات البروتستانتية الأولى من منتصف القرن الثامن عشر - والتي سبقت مجئ الإرسالية الأمريكية إلى مصر، سواء البعثة الموراڤية القادمة من شرق أوربا أو الإرساليات الإنجليزية العديدة التي قدمت من بريطانيا، اتضح لنا أنها جميعاً، وبخاصة الإرساليات الإنجليزية، قد مهدت الطريق للإرسالية الأمريكية، واعتبرنا كلا منهما بالنسبة للأخرى مكمله لنشاطها.

تاسيس الإرسالية الأمريكية في مصر

لم يكن الهدف من مجئ المرسلين الأمريكيين إلى مصر هو رعاية أبناء الجالية الأمركية في مصر لأن عددها كان لا يزال محدوداً جداً في مصر. ولكن مهد لمجئ المرسلين الأمريكيين منذ نزول البعثات التبشيرية إلى بلاد الشام عام ١٨٢٠م، وكانت للولايات المتحدة صلات تجارية مع سوريا ومصر وكريت منذ عام ١٨٢٥م، ثم بدأ التمثيل القنصلي بين مصر والولايات المتحدة في

---

١. Molmes, B. P., 189

عام ١٨٣٢م.[١] وأعقب ذلك إبرام معاهدة التجارة والملاحة بين الولايات المتحدة الأمريكية والدولة العثمانية فى مايو عام ١٨٣٠م.

ومن أجل جاليتهم الصغيرة أنشئت فى مصر المدرسة الأمريكية ببولاق عام ١٨٢٨م وهى مدرسة إبتدائية الحقت بالكنيسة الأرثوذكسية في بولاق.[٢]

ولكى نعرف تاريخ وظروف مجئ الإرسالية الأمريكية إلى مصر يجب أن نعود إلى ما قبل شهر ديسمبر من عام ١٨٥٤م، حيث قدم إلى مصر ثلاثة من الأمريكيين، رجلان وامرأة، وكان هؤلاء الثلاثة يهدفون إلى أن يقدموا لمصر التعاليم الدينية وفق المذهب البروتستانتى.

وقد بدأ تفكير أعضاء المشيخة المتحدة فى أمريكا فى تأسيس إرسالية بمصر تكون خاصة بها، أو تكون امتدادا لنشاط الإرسالية الأمريكية فى دمشق. وقد استمر هذا الأمر موضع بحث وتفكير حتى أرسل الدكتور بولدنج Paulding رسالته المشهورة إلى المجلس العام للكنائس الإنجيلية بأمريكا فى إجتماعه عام ١٨٥٣م.

وقد كتب الدكتور بولدنج رسالته للمجلس العام بعد أن تكررت زيارته لمصر فى شتاء عام ١٨٥١م، ١٨٥٢م. وزاد تعلقه بها بشتاء دافئ كان له أثره المباشر فى صحته، كما انه رأى بنفسه أن الباب مفتوح للعمل وأن ميدان العمل فى مصر فى مسيس الحاجة لإرسالية نشطة.[٣]

وعندما عاد الدكتور بولدنج إلى دمشق عام ١٨٥٢م، كتب على الفور رسالتيه إلى المجلس العام للكنيسة المشيخية فى شمال أمريكا مقترحا "افتتاح مركز جديد للإرسالية فى مصر". وقد وقع على هذه الرسالة معه كل من المرسل جيمس بارنت والمرسل فرايزر، وذلك فى ديسمبر عام ١٨٥٢م. وفى هذه الرساله ذكروا بعض الأسباب التى تدعو إلى البدء فى العمل الإنجيلى بمصر والتى نلخصها فيما يأتى:-

الأول: الإبقاء على خدمات الدكتور بولدنج الذى ظهر أن صحته تسوء فى سوريا، فتعجزه عن العمل، ولكن مصر توافقه بالنسبة لمناخها المعتدل.

الثانى: أن فى دمشق ثلاثة مرسلين أمريكيين وفى إمكانهم مع مساعدة من الإرسالية بأمريكا أن يقوموا بإفتتاح المركز الجديد فى القاهرة.

الثالث: أن المرسلين فى سوريا كانوا فى حاجة للجوء إلى مصر بسبب الإضطرابات السياسية التى كانت قائمة فى بلاد الشام.

الرابع: أن ميدان العمل التبشيرى فى مصر مفتوح على مصراعيه، وأن مصر فى حاجة ماسة للخدمة الإنجيلية، وأن الحكم فى مصر لا يعارض العمليات التبشيرية.[٤]

وكان السبب الأخير هو أقوى الأسباب التى فكر فيها المرسلون الأمريكيون، وكان له أقوى الأثر على المجلس العام للكنيسة المشيخية فى أمريكا. وفى ٢١ مايو ١٨٥٣م قررت الهيئة

---

١ - محمد فؤاد شكرى، مرجع سابق، ص ٢٨٦.
٢ - امين سامى، التعليم فى مصر، ص ١٤.
٣ - Watson, pp. 150 - 151
٤ - Watson, p. 62 - 64

الإنجيلية العليا بأمريكا فى اجتماعها بمدينة الجنى Alleghney بالولايات المتحدة الأمريكية بدء العمل المرسلى فى مصر، وأصدرت قراراً بأن يعمل المرسلون الأمريكيون بالقاهرة فى أقرب فرصة ممكنه.[1] وبهذا القرار بدأت الإرسالية الأمريكية نشاطها فى مصر، بناء على ما تقدم به أعضاء الإرسالية الأمريكية فى دمشق بارنت وبولدنج وفرايزر من أسباب فى رسالتهم إلى الهيئة الإنجيلية العليا بالولايات المتحدة الأمريكية مؤيدين طلب واحد منهم، وهو بولدنج الذى زار مصر لظروفه الصحية، وخلال فترة تواجده لمس الحاجة إلى ضرورة وجود مركز للإرسالية الأمريكية فى مصر.

وفى ٢١ مايو ١٨٥٣م صدرت الأوامر للمرسلين ببدء نشاطهم فى مصر على وجه السرعة، ووافقت الهيئة الإنجيلية العليا بالولايات المتحدة عام ١٨٥٣م على إرسال المزيد من المرسلين الجدد لمركز الإرسالية فى القاهرة. كما أرسلت التعليمات لأعضاء الإرسالية فى مصر لتأسيس مدارس خاصة لتدريب الشباب والشابات للعمل فى ميدان الخدمة الإنجيلية مع المرسلين الأجانب بغية الإستعانة بكل قدراتهم.

وقد وضع أعضاء الإرسالية الأمريكية أن يكون الإعتبار الأول لبرنامج عملهم أن يكون دراسة اللغة العربية بالإضافة إلى الالتحام بمظاهر الحياة المصرية فى الريف والحضر. كما بدأوا عملهم بزيارة بعض المدارس التابعة للكنيسة القبطية فى مصر، وتعرفوا على بعض القيادات المؤثرة فيها، ووثقوا علاقاتهم بجماعات الروم والأرمن، وخصصوا جزءاً من وقتهم لزيارة المعالم التاريخية والدينية الهامة فى البلاد، فضلاً عن دراستهم للعادات والتقاليد السائدة فى البلاد، حتى وضعوا خطه لأسلوب عملهم فى مصر على ضوء ملحوظاتهم.[2]

وفى أغسطس ١٨٥٤م تقابل الأمريكى توماس مكاج Thomas Mc Cague بعد أن استكمل دراسته اللاهوتية العليا فى بتسبرج بأمريكا - مع رئيس الهيئة العامة للكنيسة المشيخية بأمريكا فى قاعة برسلى. وقال له الرئيس: "مستر مكاج سنعطيك حرية إختيار ميدان العمل. إما أن تذهب للعمل فى سوريا أو أن تذهب لميدان العمل الجديد فى مصر." وفى الحال أجاب مكاج "سوف أذهب إلى مصر." [3]

وقد أبحر مكاج وقرينته مسز هنريتا مكاج Mrs. Henrietta Mc Cague إلى الإسكندرية فى ١٩ أكتوبر ١٨٥٤م، ووصلا إليها فى العاشر من شهر نوفمبر ١٨٥٤م. وكان فى إستقبالهما دكتور هرمان فيليب مدير الإرسالية الإسكتلندية لهداية اليهود وقد مكثا معه بضعة أيام فى ضيافته. ثم غادراها إلى القاهرة بالقطار إلى كفر الزيات حيث كان ينتهى الخط الحديدى وقتذاك، ثم استقلا مركباً بالنيل فوصلا ساحل بولاق يوم ١٥ نوفمبر ١٨٥٤م، وكان يرافقهما القنصل الأمريكى مستر دى ليون De Leon.[4]

وفى ٢٤ نوفمبر ١٨٥٤م، بعد تسعة أيام من وصولهما القاهرة، وصل مستر جيمس

---

١ - Ibid, p. 64

٢ - أديب نجيب سلامه، مرجع سابق، ص ٥٣.

٣ - Watson, p. 65

٤ - Ibid, p.68 - 69

بـارنـت James Barrnett من الشام، وقد كان مزوداً بخبرة فى العمل المرسلى مدتها عشر سنوات، وهى مدة عمله فى الإرسالية الأمريكية بدمشق، كما كان يتقن اللغة العربية وغيرها من اللغات الأجنبية والشرقية الأخرى، مما كان له أثره فى تسهيل مهمة المرسلين الأمريكيين الجدد فى بداية عملهم فى مصر.[١]

ويعتبر كل من دكتور بولدنج وتوماس مكاج وقرينته، والمرسل الأمريكى جيمس بارنت المؤسسين للعمل المرسلى الأمريكى فى مصر. وكان أول ما فكر فيه المرسلون الأمريكيون هو الحصول على منزل لسكنهم حتى يبدأوا عملهم. وقد استغرق ذلك أسابيع لأنهم صادفوا إعراضا عن تأجير المساكن للأجانب. وأخيرا عثروا على مسكن من ثلاثة أدوار فى شارع ضيق يعرف بدرب الجنينة بالقرب من الموسكى، واتخذ مكاج وزوجته الدور الثالث مسكنا لهما، وجيمس بارنت وبولدنج فى الدور الثانى، وخصص الدور الأول للاجتماعات الدينية ثم كمدرسة.[٢]

ويعتبر شهر نوفمبر ١٨٥٤م هو تاريخ تأسيس الإرسالية الأمريكية فى مصر وبدء العمل فى القاهرة، ومنها امتد إلى كل أجزاء وادى النيل، هادفين إلى التبشير وضم أعضاء جدد للمذهب البروتستانتى. واتخذوا من النشاط التربوى والطبى والاجتماعى وسائل فى أول الأمر لتحقيق أهدافهم إلى أن تغير اتجاههم فانتشرت الخدمات التربوية فى كل أنحاء مصر وفق فلسفتهم التربوية.[٣]

وبدأ توافد المرسلين من أمريكا وإنجلترا للعمل فى مجال الإرسالية الأمريكية فى مصر. ففى عام ١٨٥٦م جاء المرسل الأمريكى جوليان لانسنج وقرينته، وجاءت مس داليز عام ١٨٥٨م، ومس مكاون عام ١٨٦٠م. كما جاء المرسل الأمريكى "يونج" وقرينته وفى عام ١٨٦١م جاء الدكتور "وطسن" وقرينته مس سارة هارت. وفى بداية عام ١٨٥٧م جاء حابز يوحنا هوج مبعوثا من إرسالية الكنيسة بأسكتلندا لتبشير اليهود فى الشرق وعمل فى الإسكندرية مع دكتور هيرمان فيليب وإشترك فى إدارة مدارس البنين والبنات التابعة للإرسالية فى الإسكندرية. واستمر فى عمله إلى أن قررت الإرسالية الإسكتلندية ترك العمل فى مصر لظروف مالية، فانضم هوج على أثر ذلك إلى الإرسالية الأمريكية فى مصر، وصار من أكبر أعوانها حتى كلفته الإرسالية الأمريكية بتأسيس مركز جديد لها فى أسيوط عام ١٨٦٥م.[٤]

وقد بدأت الإرسالية الأمريكية نشاطها التربوى فى مصر مع بداية عام ١٨٥٥م، حينما افتتحت أول مدرسة للبنين بالقاهرة بدرب الجنينة بالقرب من الموسكى، حيث مقر الإرسالية الأول. ثم افتتحت مدرسة أخرى بالأزبكية. وفى عام ١٨٦٠م افتتحت أول مدرسة للبنات بالأزبكية، وفى عام ١٨٦٥م افتتحت مدرستين فى أسيوط، إحداهما للبنات والأخرى للبنين، ومنهما انتشرت المدارس إلى كل صعيد مصر. وفى عام ١٨٦٦م أشرف دكتور وليم هارفى على

---

١ - Ibid, p. 69 - 70
٢ - Watson, p. 155
٣ - Watson, p. 155
٤ - لجنة الإرسالية الأمريكية، اليوبيل الماسى للكنيسة الانجيلية بمصر والسودان، كلمة عن الدكتور هوج، (القاهرة، مطبعة المحبة بالفجالة، ١٩٣٧م)، ص ٤٩ - ٥٠.

افتتاح مدرستين بالفيوم، إحداهما للبنات والأخرى للبنين.[1] وأصبحت المدارس الأمريكية التي تقوم بافتتاحها الإرساليه في مختلف مديريات مصر مركزا لنشر المذهب البروتستانتي. ويذكر وطسن: "كانت المدرسة هي المدخل الوحيد إلى المدينة، وبمجرد أن يوجد هذا المدخل وتنشأ جماعة بروتستانتية، ولو صغيرة، كانت المدرسة تترك للأهالي من المصريين البروتستانت إدارتها والإنفاق عليها."[2]

وهذا يوضح أن افتتاح المدارس الأمريكية التابعة للإرسالية كان بغرض ديني لتحقيق أهداف الإرسالية، وكان النشاط التربوي وسيلة لتحقيق ذلك. كما كان المعلم في مدارس الإرسالية الأمريكية عضواً في الكنيسة الإنجيلية، يشارك في اجتماعاتها المسائيه وأيام الآحاد. وكان ذلك كله من أجل نشر تعاليم المذهب البروتستانتي بين أقباط مصر. ومن أجل تحقيق ذلك افتتحوا مدرسة للاهوت في القاهرة وكليه لتدريب وإعداد القاده في أسيوط. وتولت كلتا المدرستين إعداد القادة البروتستانت الذين يحملون مهمة نشر المذهب البروتستانتي والمحافظة على أعضاء الكنيسة الإنجيلية وانتمائهم إليها.

ويمكننا أن نوجز الأهداف التي وضعتها الإرسالية الأمريكية نصب عينيها عند مجيئها إلى مصر، وكانت تسعى إلى تحقيقها عن طريق نشاطها التربوي فيما يأتي: -

١ - أن يكون هدف المدارس الأمريكية في مصر نشر المعرفه الدينية والدنيوية في طول البلاد وعرضها.

٢ - أن تكون المدارس الأمريكية نواة للكنيسة الإنجيلية وأمالها، لأن صغار اليوم هم رجال الغد ونساء المستقبل.

٣ - تربية الطفل وهو صغير تربية خلقية دينية، وتدريبهم سواء كانوا من البنين أم من البنات، على التعاليم الإنجيلية ليتشربوا وهم صغار تعاليم ومبادئ المذهب البروتستانتي فيحافظوا عليه وهم كبار.

٤ - المدرسة دار لتربية الأعضاء للكنيسة الإنجيلية. والطفل الذي يستمر تلميذاً بضع سنوات في المدرسة الأمريكية يصعب عليه أن يعيش في المستقبل بغير مكان ديني ينتمي إليه.

٥ - غرس المبادئ التربوية التي تؤمن بها الإرسالية الأمريكية، المبدأ الأول أن لكل مخلوق بشري قيمة ومقاماً، والمبدأ الثاني حرية الفكر البشري.

٦ - أن تكون المدرسة مكاناً يجتمع فيه المشرفون على الإرسالية بالآباء، وتكون المدرسة بذلك المركز الذي يمكن أن يتصل عن طريقه المرسلون الأمريكيون وأتباعهم بالمصريين، وينشرون بينهم مبادئ المذهب البروتستانتي.[3]

وهكذا يتضح لنا أن الغرض من مجيء الإرسالية الأمريكية ونشاطها التربوي في مصر لم

---

١. Watson, p. 442
٢. Watson, p. 443
٣. Ibid, p. 442 - 443

يكن توفير التعليم لأبناء الجالية الأمريكية الصغيرة في ذلك الوقت، وإنما كان الهدف الرئيسي الذي كانت ترمي إليه الإرسالية هو أن توجد كنيسة إنجيلية تجاورها مدرسة، وتكون المدرسة المكان الذي يلتقي فيه أبناء المصريين جميعا في سن معينه، حيث يمكن إعدادهم تربويا ونفسيا وتوجيههم التوجيه الخاص المطلوب.

إن افتتاح المدارس الأمريكية بمصر حينما بدأ لم يكن لأغراض تربوية فحسب، وإنما كان أساساً لخدمة الأغراض الدينية للإرسالية فاتسمت مدارسها أول الأمر بالطابع الديني. واهتمت الإرسالية الأمريكية بإعداد القادة لكي يتحملوا الرسالة بعد رحيل المرسلين الأمريكيين عن البلاد. واستمرت الإرسالية في نشاطها التربوي من أجل تحقيق أهدافها الدينية قرابه خمسين عاماً. ثم تحول التعليم فيها مع بداية القرن العشرين من الطابع الديني إلى الطابع العلماني، وذلك حتى تساير التقدم العلمي والتربوي للمدارس الحكومية والأهلية في مصر، ولكي يمكنها الإحتفاظ بطلبتها خشية إنتقالهم إلى المدارس الحكومية المصرية.

أثر الاتجاه القومي للأقباط في مواجهة الغزو الديني والتربوي للإرساليات الأجنبية في مصر

طمع الغرب دائما في أقباط مصر، فقد سعت كنيسة روما على مر التاريخ الحديث بأذلة أقصى جهودها لضم الكنيسة المصرية وباقي الكنائس الشرقية إليها. ففي أواخر القرن السابع عشر أرسل بابا روما جماعة من الرهبان الكاثوليك لنشر المذهب الكاثوليكي بين أقباط مصر. وفي أوائل القرن الثامن عشر زاد عددهم واستوطن بعضهم مدن الصعيد، وبدأوا في نشاطهم التربوي الذي اتخذوا منه وسيلة لجذب الأقباط وتلقينهم مبادىء المذهب الكاثوليكي.

ولكن الكنيسة القبطية في مصر حشدت جهودها للتصدي لهذه الحملة التي قامت بها الإرساليات الكاثوليكية، وقد بذل البطريرك يؤانس الثامن عشر الجهود لوقف النشاط الكاثوليكي. "فقد بذل جهدا جبارا في سبيل جمع شعبه وضمه إلى أحضان الكنيسة الأرثوذكسية.[1]

وفي عام ١٧٦٩م بعث بابا روما مندوبا عنه إلى مصر يحمل رسالة يدعو فيها البطريرك القبطي للإتحاد معه مستغلا الفترة التي كانت تعاني فيها مصر تحت الحكم العثماني من التخلف والإستغلال بهدف تحقيق الأطماع الغربية. ولكن بطريرك الأقباط رفض تلك الدعوة، وكلف الأنبا يوساب الأبح بإعداد خطاب يرد فيه بالرفض على دعوة الاتحاد.[2]

وإستمر بابوات روما في محاولتهم إخضاع الكنيسة القبطية وإجبارها على الإعتراف برياستهم، فاستمروا في إرسال الرهبان الكاثوليك إلى مصر حتى قبل مجيء الحملة الفرنسية، وتوغلوا في صعيد مصر حيث يكثر الأقباط. وبلغ بهم الأمر أنهم كانوا يأخذون الأطفال ويرسلونهم إلى روما لتعلم مبادىء الكاثوليكية واللغات الأجنبية، ولكن الأقباط قاوموا ذلك بكل جهدهم.[3]

---

١ - كامل صالح نخلة، سلسلة تاريخ بطاركة الكرسي الإسكندري، الحلقة الخامسة، (القاهرة، ١٩٤٢م)، ص ٩٢.

٢ - المرجع السابق، ص ٤٣.

٣ - Fowler, Christian Egypt, p. 22

ولما وجدت البابوية فى روما أن إجبار الكنيسة القبطية على الإعتراف برياستها، أمر لا يمكن تحقيقه، دفعها ذلك إلى تحويل مجهوداتها إلى جذب الأقباط فى مصر إلى الكاثوليكية. ثم انتقل نشاطها إلى الناحية التعليمية لخدمة الأغراض الدينية.(١)

ومع منتصف القرن الثامن عشر بدأ نشاط الإرساليات البروتستانتية فى مصر، وإتخذت كل من الإرسالية المورافية والإرساليات الإنجليزية أسلوب الاقتراب من رجال الدين الأقباط حتى تتفادى معارضة لنشاطها، كما سبق أن أوضحنا. وتجسم هذا الأسلوب فيما قامت به الإرسالية الإنجليزية بإنشاء مدرسة لإعداد القسس من الأقباط ، فقد زار مصر القس جريمشو فى مطلع عام ١٨٤٠م، وتمكن من أن يوطد علاقته برجال الكنيسة القبطية فى مصر. وكان نتيجة ذلك أن كتب إلى رئيس أساقفة إنجلترا يحثه على مساعدة الكنيسة القبطية فى مصر، وعرض عليه افتتاح كلية لاهوت لأبناء الأقباط الذين يرغبون فى تعلم اللاهوت ليصبحوا قساوسة متعلمين ينفعون كنيستهم القبطية.(٢)

وفى عام ١٨٤٠م استجابت الإرسالية الإنجليزية لطلب القس جريمشو وافتتحت الكلية وتولى إدارتها المستر ليدر Leader، وكان هدفه من خلال تأدية عمله اتخاذ الفرصة المناسبة للتأثير على المصريين الأقباط. ولكن الكنيسة القبطية المصرية لم تقبل الإستمرار فى ذلك، إذ أنه من غير المعقول أن تقوم الإرسالية الإنجليزية البروتستانتية بإعداد وتدريب القسس للكنيسة الأرثوذكسية فى مصر دون أن يكون لها هدف خفى ترمى إليه، مما أدى إلى إغلاق هذه الكلية عام ١٨٤٨م.(٣)

وبهذه الروح المضادة للتغلغل الأجنبى الذى يؤدى للسيطرة الأجنبية، واجهت الكنيسة المصرية نشاط الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية والبروتستانتية التى اتخذت من التعليم ستاراً لنشاطها الدينى من أجل نشر مبادئها وغرسها فى نفوس أقباط مصر.

وقد ارتبط نشاط هذه الإرساليات فى معظم جهات العالم بما فيها مصر بسعى الدول الغربية إلى غزو هذه البلاد اقتصادياً وسياسياً، وخلق جماعات دينية وأقليات ترتبط بها لنشر نشاطها الثقافى والاقتصادى ولتفتيت الوحدة بين المواطنين.

وتعتبر الإرسالية الأمريكية اشهر وأغنى الإرساليات البروتستانتية التى قدمت إلى مصر. وفى الوقت الذى كانت خطة الإرساليات الإنجليزية هى الإبقاء على الكنيسة الأرثوذكسية المصرية مع التغلغل فيها والسيطرة عليها من داخلها بإعداد رجال الدين الأقباط فى كلية اللاهوت التى افتتحتها فى مصر عام ١٨٤٠م، كانت خطة الإرسالية الأمريكية إحتواء الكنيسة الأرثوذكسية وضم أبنائها إلى الكنيسة الإنجيلية الجديدة التى تدعوا إلى المذهب البروتستانتى.(٤) وقد اتفقت جميع الإرساليات البروتستانتية الإنجليزية والأمريكية فى الهدف الذى تسعى إلى تحقيقه وهو تحويل أقباط مصر إلى البروتستانتية وأحتوائهم فيها.

---

١ . جرجس سلامه، مرجع سابق، ص ٥٣ ـ ٥٤.
٢ . بوتشر أ. ل. تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، ترجمة تادرس شنودة، المجلد الرابع، (القاهرة ـ مطبعة مصر، ١٩٠٧م)، ص ٣٧٨.
٣ . Dunne,op. cit, 280
٤ . وليم سليمان قلادة، الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية، (القاهرة، ١٩٧١م)، ص ٣٣.

وقد أنشأت الإرساليات البروتستانتية - الإنجليزية والأمريكية - مدارس لها، وكانت تستهدف بهذا النشاط التربوى نشر المذهب البروتستانتى بين أبناء الأقباط. وغلب على هيئات التدريس فى بداية نشاط الإرسالية الأمريكية - كما اتضح لنا سابقا - الطابع الدينى، واتخذوا من التعليم المجانى وسيلة لضم وجذب واحتواء الفقراء من أبناء الأقباط. ويذكر وطسن أن سياستهم التربوية كانت تهدف إلى أنه "كلما تكونت جماعة بروتستانتية من المصريين فى منطقة سلم المرسلون الأمريكيون المدرسة إلى الجالية الوطنية من البروتستانت لإدارتها لينشئوا هم غيرها فى مكان آخـــر."[1] فقد كانوا يهدفون إلى مزيد من الأعضاء الجدد الذين ينتمون للمذهب البروتستانتى ليحافظوا عليه بعد رحيل المبشرين الأمريكيين. وقد استخدمت الإرسالية الأمريكية النشاط التربوى كوسيلة لتحقيق أهدافها الدينية بين المصريين، مما كان لهذا الأسلوب أثره بين المسلمين حيث قابلوا نشاط الإرسالية فى أول الأمر بالإعراض التام، فقاموا بمعاونة أقباط مصر فى مواجهة هذا الغزو الدينى والتربوى. وكان ذلك مثلا للوحدة الوطنية، خاصة وأن المرسلين أجانب عن المصريين جميعا، ولم يتحققوا بعد من نواياهم. ولكن المرسلين الأمريكيين استغلوا الوقت الذى كانت فيه الكنيسة القبطية غير ناهضة فى بناء المدارس - خاصة الفترة السابقة لعهد البابا كيرلس الرابع - كما لم تكن فيها نهضة كنسية تستطيع أن تنافس نشاط هذه الإرسالية وإمكانياتها الضخمة، خاصة وأن أعضاء الإرسالية جاءوا وهم مسلحون بالعلم والمعرفة. وهذا ما كان يفتقده رجال الدين الأقباط فى تلك الفترة باستثناء القلة منهم الذين كانوا يتمتعون بثقافة دينية وروحية فضلا عن إتقان بعضهم الكثير من اللغات الأجنبية.[2]

من أجل ذلك نهضت الكنيسة القبطية فى مصر لتدرأ عنها هذا الخطر بنهضة شاملة فى الكنيسة وخارجها، متمثلا فى النشاط التربوى الذى قام به البطاركة والجمعيات الخيرية لدعم هذه النهضة وتكاتفت جميع الجهود لمواجهة الغزو الدينى والثقافى القادم من الغرب.

كما اتجهت الجمعيات القبطية، بتشجيع من بطاركة الأقباط وبدافع من الوطنية والمحافظة على القيم المصرية، للمساهمة فى نشر التعليم، ولما كان نشاط الإرسالية الأمريكية الدينى والتربوى فى مصر، أكثر الإرساليات الدينية إنتشارا، مما اضطر الجمعيات القبطية الأرثوذكسية إلى التعاون مع البطريركية فى بذل الجهود التربوية لمنع التلاميذ الأقباط من الإلتحاق بمدارس الإرسالية الأمريكية، وبالتالى بمنعهم من التحول من المذهب الأرثوذكسى إلى البروتستانتى.[3]

نتيجة لذلك سار الإتجاه القومى للأقباط لمواجهة النشاط الذى تقوم به الإرسالية الأمريكية، فى مصر فى خمسة اتجاهات هى: -

الاتجاه الأول: إغراء المعلمين لترك مدارس الإرسالية الأمريكية والعمل بمدارس الأقباط.

الاتجـــاه الثـــانى: موقف الأقباط من النشاط التبشيرى للإرسالية الأمريكية فى مصر ومواجهته.

---

١ - Watson A., op. cit, 443

٢ - عرفات عبد العزيز سليمان، نظام التعليم الأجنبى فى مصر وبعض البلاد العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، (القاهرة، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٦٦)، ص ٣٤.

٣ - جرجس سلامه، أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر، رسالة دكتوراة، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٦)، ص ٤١٢.

الاتجاه الثالث : موقف بطريرك الأقباط ديمتريوس الثانى من النشاط التبشيرى والتربوى للإرسالية الأمريكية والحد منه.

الاتجاه الرابع: الجهود التعليمية لبطاركة الأقباط فى مصر.

الاتجاه الخامس: الدور الذى قامت بها الدولة لتدعيم النشاط التربوى للأقباط، وذلك لمواجهة النشاط التربوى للإرسالية الأمريكية فى مصر وغيرها من الإرساليات الدينية الأخرى.

وفيما يلى سنلقى الضوء على الإتجاه القومى للأقباط ومقاومتهم لنشاط الإرسالية الأمريكية أسوة بغيرها من الإرساليات الأجنبية فى مصر حفاظا على القومية المصرية ووحدة عنصرى الأمة.

إغراء المعلمين المصريين لترك مدارس الإرسالية الأمريكية والعمل بمدارس الأقباط

كان من نتائج نجاح النشاط التربوى للإرساليات الأمريكية فى مصر وإنتشاره على نطاق واسع فى كثير من بلدان مصر، أن تركزت جهود الأقباط لمواجهة هذا النشاط. ففى شهر يونيو ١٨٦٣م إتجهت جهود الأقباط إلى محاولة جذب وإغراء مدرسى مدارس الإرسالية الأمريكية بزيادة رواتبهم إذا ما إنضموا إلى معلمى مدرسة الأقباط الكبرى بالقاهرة التى أنشأها البابا كيرلس الرابع سنة ١٨٥٣م، كما كان للنشاط التربوى للإرسالية أثره على رجال الدين الأقباط الذين رأوا فى هذا النشاط ضياعا لمركزهم وقوميتهم وهيبتهم، فثارت فيهم مشاعر الغيرة والخوف والعداء، وساعدهم على ذلك إخوانهم المسلمين من أبناء الوطن الذين كانوا يؤيدون كل الإجراءات التى يقوم بها البطاركة فى تلك الفترة. وتسجل رينا هوج ما حدث نحو إغراء المعلمين المصريين فتذكر: "توجه كبار الأقباط إلى المعلمين الذين يقومون بالتدريس فى المدارس الأمريكية فى القاهرة، وأغروهم بتقديم رواتب تعادل ثلاثة أضعاف ما يأخذونه ليدرسوا فى المدارس القبطية، وإذا رغبوا عدم الانضمام إليها قدموا لهم مراكز فى الحكومة براتب حسن.[1] وكان الهدف من هذا العرض أن يبعد المدرسون المصريون عن العمل فى المدارس الأمريكية بمصر، حتى يؤثر ذلك فى انحسار نشاطها ويؤثر فى شل حركتها ويبعدها عن تحقيق أهدافها. ولكن كان لهذا الإجراء أثره المحدود إذ قامت الإرسالية بفتح فصول لإعداد المعلمين والمعلمات بمدارسها فى القاهرة وأسيوط، وزاد عدد المعلمين خاصة من الذين حصلوا على دبلوم الكلية فكان يتم تعيينهم للعمل فى مدارس الإرسالية.

موقف الأقباط من النشاط التبشيرى للإرسالية الأمريكية فى مصر ومواجهته:

اتبع المرسلون الأمريكيون أسلوبا للمحافظة على تلاميذ مدارسهم عن طريق عقد اجتماعات دينية فى بداية اليوم المدرسى وفى أيام الآحاد، فضلاً عن الاجتماعات الدينية المسائية، وكانت جميعها بهدف غرس مبادىء المذهب البروتستانتى فى نفوس الأطفال منذ بداية معرفتهم بالمعتقدات الدينية، حتى يزداد ارتباطهم وانتمائهم للمدارس التى تعلموا فيها، ويكونوا فى مستقبل حياتهم دعاة لها. وكان يسمح للآباء بحضور الاجتماعات الدينية مع أبنائهم مما يكون له

---

١ - رينا هوج ، مرجع سابق، ص ٩٢ ، ٩٣.

أثره في الأسرة بأكملها. وقد ساعد على نجاح هذه الاجتماعات أن المرسلين الأمريكيين كانوا مسلحين بالمعرفة وبدراسة الإنجيل وتاريخ الكنيسة والمنطق والجدل، فضلاً عن تشبعهم بالعلوم التربوية الحديثة، ذلك في الوقت الذي كانت فيه كنائس الأقباط تتسم بفترة يسودها شبه خمول في النشاط الديني والتربوي، خاصة الفترة السابقة لعهد البابا كيرلس الرابع. وقد أدى ذلك إلى خوف رجال الدين الأقباط من النتائج التي تحدثها في تحول أبناء الأقباط وآبائهم إلى البروتستانتية. بل إن الرفض التام لكل ما كانت تدعو إليه الإرسالية الأمريكية كان مرتبطاً في مفهوم الأقباط بالوطنية المصرية، "لدرجة أن مجرد انضمام أحد أبناء الأقباط إلى الإرسالية الأمريكية كان تعبيراً عن قبوله حماية دولة أجنبية، وهذا يعني أن يغير عقيدته أي لا يكون قبطياً."[1]

من أجل ذلك كان موقف الأقباط واضحاً ويمكننا أن نوجزه في السياسة التي اتبعها الأقباط لمواجهة نشاط الإرسالية الأمريكية سواء في ذلك النشاط التبشيري أو التربوي:

أولاً: برزت هذه السياسة بوضوح في عهد البابا كيرلس الرابع الذي وضع خطه متكامله لتنوير شعبه - بل وشعب مصر عامة - وإخراجه من ظلمات الجهل بإنشاء المدارس.

ثانياً: الاهتمام بصفة خاصة بتعليم البنات، فالبنت في نظره هي أم المستقبل وفي إعدادها ضمان للحفاظ على الأجيال الناشئة، وتثبيت تمسكهم بإيمانهم الأرثوذكسي وحبهم لكنيستهم.

ثالثاً: عمله على نشر الثقافة العامة، ولذلك أحضر مطبعة من النمسا، وبعث بأربعة من الشباب للتدريب على الطباعة في المطبعة الأميرية ببولاق.

رابعاً: لإدراكه خطورة دور الكاهن، فقد جعل من خطته تبصيره بمشكلات الشعب، فكان يعقد للآباء الكهنه اجتماعات أسبوعية يشرح لهم فيها ما عليهم من واجبات، ويفسر لهم ما صعب عليهم إدراكه ويجيب على أسئلتهم.

وهكذا اهتم البابا كيرلس الرابع برجال الدين وبأبناء الأقباط من صغرهم بتثقيفهم ليزداد تمسكهم بعقيدتهم حتى لا يتأثروا بالتيارات الجارفة الآتية من الغرب، لأنه كان يؤمن بأن الإصلاح الشامل ينبغي أن يبدأ برجل الدين وينتهي إلى الطفل، كما يبدأ بالطفل وينتهي إلى رجل الدين.[2] فالإصلاح الحقيقي يجب أن يسير في الإتجاهين معاً.

إصدار قرارات الحرمان ضد من يرسل أبناءه إلى مدارس الإرسالية الأمريكية:

عارضت الكنيسة القبطية نشاط الإرسالية الأمريكية، واعتبر البطاركة ورجال الدين الأقباط أن التحول عن القبطية والتنكر لها يعتبر تنكراً للكنيسة، فلا يصبح أحد رعاياها، مما يستوجب إصدار قرارات الحرمان ضد من يسلك هذا الإتجاه أو يصادق أحد المرسلين أو يتلقن التعاليم منهم.[3]

---

١ - سميرة بحر، الأقباط في الحياة السياسية المصرية، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٩م)، ص ٢٠.

٢ - إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الرابع، (الإسكندرية، كنيسة مارجرجس باسبورتنج، ١٩٧٠م)، ص ٣٢٦.

٣ - سميرة بحر، مرجع سابق، ص ٢٠.

وقد دفع النشاط المتسع الذى قامت به الإرسالية الأمريكية فى الناحية الدينية والتربوية، أن قام البابا ديمتريوس الثانى برحلته الرعوية إلى اسيوط والوجه القبلى، ومنع الأقباط من إرسال أبنائهم إلى مدارس التبشير الأمريكية. وقد بدأ بهذه المواجهة مطران اسيوط الذى استصدر أمراً من البابا ديمتريوس الثانى بقرارات الحرمان لكل أب يلحق أبناءه فى مدارس الإرسالية أو يحضر اجتماعاتهم. وكانت قرارات الحرمان تقرأ فى جميع الكنائس القبطية فى نطاق مطرانية أسيوط طوال شهر مارس ١٨٦٧م على الشعب. كما اتبع القسس الأقباط بأسيوط أسلوبا آخر فى التوجه إلى المنازل ليصدروا قرارات الحرمان لكل أب يرسل أبناءه إلى مدارس الإرسالية الأمريكية أو يزور مكتباتها أو يقرأ كتبها أو يصادق أحد مبشرى الإرسالية. وكان من نتيجة ذلك أن ترك مدارس الإرسالية الأمريكية فى أسيوط العدد الكبير، اذ نقص عدد التلاميذ فأصبح ١٩ تلميذاً بعد أن كان ٧٥ تلميذاً.(١)

ويؤكد وطسن أنه كان لقرارات الحرمان تأثيرها المباشر إذ يقول: "إن هذه القرارات أتت بثمارها، وكان لها تأثيرها القوى لحفظ الشعب القبطى من التحول إلى المذهب البروتستانتى، وإن كان هذا التأثير استمر فقط لبعض الوقت ولم يدم طويلا."(٢)

معارضة الأقباط للنشاط التبشيرى والتربوى للإرسالية الأمريكية

ويؤكد وطسن أن نشاط الإرسالية الأمريكية كان موجهاً فى الأساس إلى أقباط مصر، ويرجع ذلك فى رأيه إلى عاملين: -

الأول: أن حاجة الأقباط إلى التبشير لم تكن اقل من حاجة المسلمين إن لم تزد.

الثانى: أن النشاط بين الأقباط كان مفتوحاً على مصراعيه، بينما كان مجال التبشير بين المسلمين موصداً ومستحيلاً بسبب عدم إعتراف الحكومة بمبدأ الحرية الدينية ورفض المسلمين الإعتراف بذلك.(٣) وهكذا لم يستشعر المسلمون أى خطر على دينهم من النشاط التبشيرى للإرسالية فى هذه الفترة لأن جهودها فى هذا المجال لم تؤت ثمارها.

كما يؤكد معارضة الأقباط لنشاط الإرسالية وتعاون رجال الدين الأقباط مع البابا للحد من هذا النشاط ومقاومته ودعوة كبار الأقباط لمقاطعة مدارس المبشرين الأمريكيين واستعانة البابا ديمتريوس الثانى بالحكومة المصرية لمساعدته من أجل الحد من هذا النشاط.

ويشير كتاب "تاريخ الأمة القبطية" إلى النشاط التبشيرى والتربوى للإرسالية الأمريكية فى مصر ومقاومة الكنيسة المصرية له، ونشاط البابا ديمتريوس الثانى البابا (١١١) ضد نشاط المرسلين الأمريكين فى مصر، خاصة فى أسيوط، وهى إشارة يبرز منها روح الهجوم على ذلك النشاط. كما يتضح أيضا إذا قارنا بين النشاط التبشيرى للأقباط والنشاط التبشيرى للمرسلين الأمريكيين وغيرهم من حيث الغرض من حركتهم التبشيرية والنوايا التى يخفيها هذا النشاط: "فبينما كان غرض الأقباط الوحيد من إرسال بعثاتهم الدينية إلى الخارج فى العصور الأولى

---

١ - رينا فوج، مرجع سابق، ص ١٣٥.
راجع: بوتشر، أ. ل، مرجع سابق، ص ٣٨٧.
Watson, p. 191

٢ -

٣ - لجنة الإرسالية الأمريكية، مرجع سابق، ص ١٧ - ٢٠

تبشير الوثنيين بالدين المسيحى، لم يكن للمرسلين الأجانب الذين هبطوا مصر أو الكثير منهم من غرض إلا إجتذاب الأقباط المسيحيين إلى مذهبهم، وحملهم على ترك عقيدة آبائهم واعتناق سواها..."[1]

كما يؤكد هذا الإتجاه المرسل دوجلاس فى مجمع الكنائس العالمى فيقول: "تعتبر الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر نفسها الكنيسة الأم الأفريقية، وهى تفكر جدياً فى بدء العمل المرسلى بين غير المسيحيين من الوثنيين فى دول أفريقية وخاصة فى أوغندا وكينيا وإتحاد جنوب إفريقيا..."[2]

ولم يكن وقوف الكنيسة القبطية فى مصر ضد النشاط التبشيرى للإرسالية الأمريكية محض مقاومة لهذا النشاط، بل كان للكنيسة الوطنية فى مصر رؤيتها المبكرة للنضوج والوعى. فقد تعدى ذلك إلى ضرورة الإستعانة والإستفادة من العلوم الحديثة وتوجيه النشىء من رجال الغد لها، وفتح المدارس التى تأخذ بمناهج التعليم الحديث، والإستفادة بذلك كله فى تطوير الفكر والعقلية السائدة ومقاومة التخلف. وعرف فى هذا المجال نشاط البابا كيرلس الرابع، ثم البابا ديمتريوس الثانى فالبابا كيرلس الخامس".

موقف بطريرك الأقباط من النشاط التبشيرى والتربوى للإرسالية الأمريكية فى مصر والحد منه

لم تسكت الكنيسة الأرثوذكسية عندما رأت الإرسالية تحقق أهدافها بمعونة الكنيسة المشيخية بأمريكا التى كانت تقدم لها الدعم المادى لتقوم بأنشطتها المختلفة. نتيجة لذلك نهض باباوات الإسكندرية للوقوف ضد هذا النشاط، وإن اختلف أسلوب كل منهم. ففى عهد البابا كيرلس الرابع كانت المواجهة عن طريق الإصلاح بالنهضة التربوية الشاملة، وفى عهد البابا ديمتريوس الثانى استفحل نشاطهم فأخذت المواجهة طريقا آخر سنوجزه فيما يلى: -

رحلة البابا ديمتريوس الثانى إلى الوجه القبلى عام ١٨٦٧م

تنبهت الحكومة المصرية للنشاط التربوى لمدارس الإرسالية الأمريكية، وأدركت أنها إنما تستهدف بنشاطها إضعاف الروح الوطنية والتفرقة بين عنصرى الأمة، كما تنبه لهذا النشاط أقباط مصر أيضاً. وقد إستجابت الحكومة المصرية لطلب البابا ديمتريوس الثانى، البابا المائة والحادى عشر (من ١٥ يونيو ١٨٦٢ إلى ١٨ يناير ١٨٧٠م) للقيام برحلته الرعوية إلى الوجه القبلى فى مارس ١٨٦٧م.[3]

وتحقيقا لرغبة البابا ديمتريوس الثانى أصدر الخديوى إسماعيل أمره بإعداد باخرة حكومية ليسافر عليها البابا ومعاونوه، وتكون تحت تصرفه فى جميع تنقلاته. ولدعم هذه الرحلة وطبعها بالطابع الرسمى المؤيد من جانب الحكومة، أرسلت الحكومة المصرية الأوامر مشددة إلى المديريات والمراكز - التى تشملها الرحلة البابوية - لإستقبال البابا إستقبالاً رسمياً.

---

١ - لجنة التاريخ القبطى - تاريخ الأمة القبطية، الحلقة الثانية، (القاهرة، مطبعة التقدم والمتنفذ، الطبعة الثالثة، ١٩٢٥م)، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

٢ - دوجلاس وبستر وآخرون، الكنيسة والراعى، (بيروت، قسم المرسليات ونشر الدعوة، ١٩٦٢م)، ص ٧١.

٣ - كامل صالح نخله، سلسلة تاريخ البطاركة، الحلقة الخامسة من البطريرك ١٠٤ إلى ١١١، الجيزة، مكتبة التربية الكنسية، ١٩٨٤م، ص ٢٣٣. وراجع: ابريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الرابع، مرجع سابق، ص ٣٦٥.

وقد بدأت الرحلة البابوية من القاهرة في أوائل مارس ١٨٦٧م وكان بصحبة البابا ديمتريوس الثاني اللاهوتي الكبير فيلوثاؤس إبراهيم رئيس الكنيسة المرقسية الكبرى بالقاهرة وعديد من رجال الدين.[١] وقد كانت الزيارة البطريركية من أجل تفقد شئون الرعية في أسيوط وباقي البلاد في الوجه القبلي، ولكن يذكر المرسلون الأمريكيون خلاف ذلك فقد ذكرت رينا هوج: " انه - أي البطريرك - كان يريد بهذه الزياره إستئصال شأن البروتستانتية من البلاد، ولا سيما انه خرج معززا من جانب الحكومة. فوضعت تحت إذنه وابور بحر عظيماً وأرسلت الأوامر مشددة إلى المديريات والمراكز لإستقباله رسميا بالعساكر والزينات."[٢]

كما يذكر وطسن في كتابه: "الإرسالية الأمريكية في مصر" الهدف الحقيقي من رحلة البابا وصحبه لأسيوط عام ١٨٦٧م والذي صرح به البابا نفسه أمام الحاضرين في أسيوط "انه - أي البابا ديمتريوس الثاني - يريد من هذه الرحلة سحق دعوة البروتستانت وتحطيم نشاطهم المتسع سواء في ذلك النشاط الديني أو التربوي الذي اتسع من أجل تحقيق الأهداف الدينية لنشر المذهب البروتستانتي.." ويستمر في حديثه حتى يصف دخول البابا أسيوط في ١١ مارس ١٨٦٧م فيذكر: "كان موكب البابا من وقت نزوله من سلم الباخرة النيلية إلى المدينة، يماثل موكب دخول السيد المسيح أورشليم، إذ كان راكباً أتانا يتقدمه القسس والرهبان وحاملوا الصلبان والأعلام والشموع وفروع النخيل وضاربوا الدفوف ومرنموا الألحان. وسار الموكب ببطء من النيل إلى المدينة والناس يزداد عددهم وازدحامهم كل دقيقة، وكان موكب البابا محاطا بالجنود من أمامه وخلفه بأمر من الخديوي إسماعيل حاكم مصر وقتئذ.."[٣]

وقد سبقت أخبار هذه الرحلة مجيء البابا ديمتريوس الثاني: "فقالوا إنه مفوض بقوة من الحكومة، فكان في كل مكان يحل فيه يستدعي أمامه الذين يظن منهم أن لهم أدنى ميل للإصلاح الجديد، ويسكب عليهم جام غضبه، ويأمر بسجن بعضهم وجلد البعض الآخر، ويتهددهم إن لم يرجعوا عن ضلالاتهم بالنفي إلى السودان أو إلى جزر البحر المتوسط."[٤]

وقد استخدم البابا ديمتريوس الثاني القوة لتنفيذ تعليماته فأصدر قرارا بحرمان البروتستانت وجميع من ينتمي إليهم، كما إنطلقت يد البابا في القرى المجاورة لأسيوط - في المطيعة والنخيلة - فاستعمل التهديد والتعنيف مع أتباع الإرسالية من المصريين الأقباط أمثال

---

١ - طارق البشري - المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ص ٣٧.
ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى:
- لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية - الحلقة الثانية، خلاصة تاريخ المسيحية في مصر، جـ ٣، ١٩٣٥، (القاهرة، مطبعة المقتطف والمقطم)، ص ٢٤٧، ٢٥٩.
- يوسف مقاريوس: تاريخ الأمة القبطية مدى العشرين سنة الماضية من سنة ١٨٩٣ - ١٩١٢، (القاهرة، مطبعة مكاريوس، ١٩١٣)، ص ٦٢، ٦٣، ٢١٢، ٢٢٦.
- منسي يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية، ط ٢، ١٩٧٩، (القاهرة، مكتبة المحبة ١٩٧٩م)، ص ٥٧٦ - ٥٧٧.
- ايريس حبيب المصري: قصة الكنيسة القبطية - الكتاب الرابع، مرجع سابق، ص ٣٦٥.
- يعقوب نخلة روفيله: تاريخ الأمة القبطية، (القاهرة، مطبعة التوفيق، ١٨٩٨)، ص ٣١٤.
- ايسيذوروس - الأسقف - الفريدة النفسية في تاريخ الكنيسة، (القاهرة، مكتبة المحبة، جـ ٢، ١٩٦٤)، ص ٥١٢ - ٥١٣.
- ا. ل. بتشر: تاريخ الأمة القبطية وكنيستها - ترجمة تادرس شنودة - جـ ٢، (القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٠٧)، ص ٢٨٧.
- كامل صالح نخله: سلسلة تاريخ بطاركة الكرسي السكندري، الحلقة الخامسة - (الجيزة، مكتبة التربية الكنسية، ١٩٥٤)، ص ٢٣٣.
- كامل صالح نخله: تاريخ الأمة القبطية - الحلقة الرابعة، تاريخ وجداول بطاركة الاسكندرية والقبط - (القاهرة، لجنة التاريخ القبطي).

٢ - رينا هوج، مرجع سابق، ص ١٣٥.

٣ - Watson A., op. cit., pp. 199 - 201.

٤ - رينا هوج - ص ١٣٧، ١٣٨.

تادرس يوسف شنوده حنا، كما أمر بتجريد أحد رجال الدين الأقباط وهو رجل دين قرية بني عليج بمركز أبنوب من منصبه الكنسي لسماحه لأخيه وهو أحد خريجي مدرسة اللاهوت بالإرسالية الأمريكية - التي افتتحها الدكتور يوحنا هوج بكلية أسيوط - بالقيام بالخدمة الدينية في الكنيسة القبطية عقب إنتهاء الخدمة القبطية وطقوسها.(١)

كما لاحظ المرسلون الأمريكيون أن مطران اسيوط قد أصدر قراراً بحرمان ثلاثة من تلاميذ مدارس الإرسالية الأمريكية في أسيوط، كما أمر البابا ديمتريوس الثاني بإحراق كل الكتب التي تحتوى على تعاليم تدعو للبروتستانتية. وفي ١٣ ابريل ١٨٦٧م سافر البابا إلى أبو تيج ليواصل رحلته ومنها إلى أخميم حيث قبض على جرجس بشطلي وهو أحد مدرسي المدرسة الأمريكية بأخميم - الذى كان قبطياً وإنضم إلى البروتستانتية وأصبح من دعاتها - وعوقب هو وإبنه، كما تعاون كل من الأقباط والكاثوليك وأصدروا ضده سبعة قرارات حرمان من الكنيسة القبطية، ولكنها لم تؤثر فيه، وظل مرتبطا بالمدرسة الأمريكية بأخميم.(٢) ونتيجة لما لاحظه البابا ديمتريوس الثاني من أسلوب الإرسالية ونشاطها في الصعيد أن اتجه إلى قنا في ١٢ مايو ١٨٦٧م وزار نقاده وقوص والأقصر وإسنا - وهي نفس المدن التي انتشر فيها النشاط الديني والتربوى للإرسالية تحت إشراف "كرى Currie المرسل الأمريكي في جنوب الصعيد، وكانت الإدارة الأمريكية في مصر تتبع خطوات البابا في رحلته بالصعيد حتى أن سكرتير القنصل الأمريكي العام في أسيوط أخبر البابا قائلا:(٣) إن القنصل العام للولايات المتحدة الأمريكية طلب منه أن يوافيه بكل ما يحدث أثناء زيارة البابا. وقد أبدى البابا عدم مبالاته بذلك وذكر: "أنه لا يعير أية أهمية لما يعتقده القنصل الأمريكي أو أي قنصل أجنبي آخر في إجراءاته التي بلغت من العنف درجة بعيدة عن التصديق، ذلك أنهم نجحوا في إثارة ثلاثة من الأقباط الذين انضموا اليهم - وهم من بيوت ذات مكانة إجتماعية في أسيوط ضد الكنيسة القبطية، ودفعوهم للإعتداء على الكنيسة القبطية ونزع ما بها من صور وأيقونات".

وتسجل ذلك ايريس حبيب المصرى فتذكر: "دفع الإستفزاز بهؤلاء الثلاثة إلى أنهم ذهبوا بعد منتصف الليل إلى الكنيسة المرقسية بأسيوط محاولين إحراقها، ولما وجد الرجال الثلاثة أنهم عاجزون عن إحراق الكنيسة قطعوا الستائر والقوا بالصور والأيقونات على الأرض".(١)

---

١ - المرجع السابق، ص ١٢٨. وراجع Watson A., p. 202

٢ - وينا هوج ، ص ١٣٩.

تذكر الكاتبة أن أسيوط كانت مركز الإرساليات الأجنبية، لذلك صرحت كل من أمريكا وإنجلترا وفرنسا وبطاليا أن يكون لها سكرتيرون لقنصلياتها في هذه المدينة، يرعون مصالحها في الوجه القبلي. وكان واصف بك خياط باسيوط سكرتيرا للقنصل الأمريكي العام، وقد كان قبطيا في مبدأ الأمر ثم انضم لعضوية الكنيسة الإنجيلية، واصبح بعد ذلك من مؤيديها.

٣ - Watson, op. cit., p. 208

لمزيد من التفاصيل عن رحلة البابا ديمتريوس الثاني عام ١٨٦٧م إلى أسيوط والوجه القبلي يمكن الرجوع إلى:

- وينا هوج، الأستاذ الجليل بين مرسلي وادى النيل، مرجع سابق، ص ١٣٤ - ١٤١.
- لجنة الإرسالية الأمريكية، اليوبيل الماسي للكنيسة الانجيلية في مصر والسودان، مرجع سابق، ص ٨١ - ٨٢.
- أ. ل. بتشر، تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، مرجع سابق، ص ٣٨٧.
- منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مرجع سابق، ص ٥٧٦ - ٥٧٧.
- ايريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية - الكتاب الرابع، مرجع سابق، ص ٣٦٥.
- كامل صالح نخله، سلسلة تاريخ بطاركة الكرسي الاسكندري، الحلقة الخامسة، مرجع سابق، ص ٢٣٣.
- وليم سليمان قلاده، الكنيسة القبطية في مواجهة الإستعمار والصهيونية، مرجع سابق، ص ٣١.

كما يذكر الأسقف إيسيذورس حادث كسر وحرق أيقونات الكنيسة المرقسية بأسيوط "أن بعض البروتستانت - من أتباع المرسلين الأمريكيين - تجرأوا في أسيوط على الهجوم على كنيستها ليلا وكسر أيقوناتها وحرقوها، فشكاهم البابا ديمتريوس الثاني للخديوى اسماعيل فأصدر أمرا بنفيهم إلى البحر المتوسط، فلجأوا إلى قنصلى إنجلترا وأمريكا طالبين حمايتهم، واستجابت الدولة لتدخل القنصلين ورفعت عنهم قصاص النفى، فكان ذلك الموقف داعيا إلى زيادة البروتستانت لا سيما في أسيوط."[٢]

ولعل هذا الأسلوب الذى اتبعه المرسلون الأمريكيون وأتباعهم من المصريين البروتستانت يعكس عدة ملاحظات عن أسلوب تحقيق أهدافهم:

أ - مخالفة الإرسالية وأتباعهم من المصريين لأبسط مبادىء المسيحية التى تدعو إلى محبة الغير وإحترام مقدساتهم وعدم الإعتداء عليها.

ب - إثارة بعض المصريين البروتستانت ضد كنيستهم القبطية ودفعهم للإعتداء عليها وإحراقها، وهذا أسلوب من الأساليب الإستعمارية لإثارة الشعوب وتفتيت الوحدة الوطنية بين أبناء المجتمع الواحد والدين الواحد.

جـ - مخالفة الإرسالية لأبسط مبادىء الحرية فى الحياة والعقيدة التى تنادى بها أمريكا.

وتفاصيل هذا الحادث يسجلها المرسلون الأمريكيون أنفسهم فى كتبهم منهم وطسن و رينا هوج، فيذكر كل منهم أن اقباط أسيوط ثاروا عند اكتشافهم كسر وحرق أيقونات كنيستهم، فوجه رجال الدين الأقباط ضد مرتكبى الحادث قرارات الحرمان، كما رفع الأقباط شكواهم إلى مدير أسيوط، وحاول حنا ويصا - وهو أحد الأقباط الذين انضموا للجالية البروتستانتية وكان مقربا للمرسلين الأمريكيين - أن يصلح بين الأطراف دون جدوى، ذلك نتيجة لتجمع أكثر من ألف شخص من الأقباط أمام مديرية أسيوط مطالبين تنفيذ عدالة القانون مع المعتدين، وكان لذلك أثره على المرسلين فأسرع هوج فى لقاء القنصل الأمريكى والقنصل البريطانى طالبا تدخلهم وحماية أتباعهم من الجالية المصرية البروتستانتية. فاستجابت الدولة مستغلة مناسبة عيد الأضحى المبارك حيث كان من عادة خديوى مصر العفو عن بعض المقبوض عليهم وأمر بإطلاق سراح المقبوض عليهم.[٣]

من هذه الأحداث يمكننا تسجيل الملاحظات الآتية:

١ - إستمالة المرسلين الأمريكيين لأتباعهم من الأقباط لإثارة الفتن والقلاقل فى أسيوط وغيرها حتى يكون ذلك دافعا لسيطرتهم ونشر مبادئهم ونشاطهم التربوى.

٢ - إستعانة المرسلين الأمريكيين بقناصل الدول الأجنبية البروتستانتية - أمريكا وانجلترا - من أجل حمايتهم وحماية اتباعهم، وهذا مثل واضح لمدى استفادتهم من الإمتيازات

---

١ - إيريس المصرى - قصة الكنيسة المصرية - الكتاب الرابع - ص ٣٦٦.
٢ - الأنبا ايسيذورس - الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة، القاهرة، مكتبة المحبة، الجزء الثانى، ١٩٦٤م، ص ٥٦٣.
٣ - رينا هوج، مرجع سابق، ص ١٤٨ - ١٥٣.

الأجنبية وإستغلالها من أجل مصلحتهم ومصلحة أتباعهم.

٣ ـ محاولتهم تدعيم مركزهم بالقوة وبأسلوب يتنافى مع الحريات، وبإثارة الفتن الطائفية والضغط على المسئولين فى الدولة لتحقيق أهدافهم بمساندة قناصل دولهم.

٤ ـ مخالفتهم لأبسط تعاليم الأديان السماوية التى تدعو إلى محبة الإنسان لأخيه الإنسان وعدم الإعتداء على الغير وإحترام عقيدتهم ومقدساتهم، مما يوضح مخالفتهم لمبدأ حرية الأديان وحرية الإنسان التى تدعو لها أمريكا، ومحاولتهم تدعيم مركزهم بإثاره الفتن وتفتيت الوحدة الوطنية بين أبناء الوطن وأبناء الدين الواحد.

٥ ـ ينادى أتباع الإرسالية الأمريكية بالمذهب البروتستانتى بين أقباط مصر كأحد المذاهب التى ظهرت نتيجة حركة الإصلاح الدينى. فليس من المعقول أن يكون من بين المبادىء المسيحية التى تنادى بها البروتستانتية مبدأ الإعتداء على حرية العقيدة وحرق الأماكن المقدسة.

٦ ـ تناقض المرسلين الأمريكيين فى دعوتهم. فهم يدعون إلى نشر المذهب البروتستانتى للراغبين فيه، وفى ذات الوقت يسعون بأكثر من وسيلة إلى أحتواء الأقباط وإبعادهم عن كنيستهم التى إستشهد من أجلها أباؤهم وأجدادهم.

٧ ـ إستعانتهم ببعض الأفراد من أكبر عائلات الأقباط فى أسيوط والوجه القبلى كأداة لتحقيق أهدافهم فى أثارة الفتنة الطائفية كذريعة لتدخل الإدارة الأمريكية لحمايتهم وتعزيز مركزهم.

الجهود التعليمية لبطاركة الأقباط فى مصر

كانت حالة الأقباط الثقافية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر متدهورة خاصة عندما تولى عباس الأول ولاية مصر سنة ١٨٤٨م فأهمل التعليم وأغلق الكثير من المدارس الحكومية والأهلية، فضلا عن بغضه للمسيحيين ومحاولة إخراجهم من البلاد ونفيهم إلى السودان، لولا تصدى فضيلة الشيخ الباجورى شيخ الجامع الأزهر له.[١] كان هذا حال الأقباط يوم أن تولى البابا كيرلس الرابع فى ١٧ يونيو ١٨٥٤م، وقت أن كان الشعب يعانى من هذه المحنة القاسية على يد حاكمه. ولم يكن طريق الإصلاح أمامه معبدا سهلا، بل كانت تملؤه الأشواك، فتذرع بالصبر ومضى فى مشروعاته الإصلاحية والتربوية وكان مركز الدائرة فى إصلاحاته العديدة يقوم على نشر التعليم بين جميع طبقات الشعب وإيقاظه الوعى بين أفراده.

وكان الهدف من الجهود التى قام بها الأقباط فى مصر لنشر التعليم ـ فى بادىء الأمر ـ هو تعليم أبناء طائفتهم. وإن كان الهدف الأساسى هو المحافظة على عقيدة أبنائهم خشية تحولهم إلى البروتستانتية التى كانت تدعو لها الإرساليات الإنجليزية التى قدمت إلى مصر ثم الأمريكية بعد ذلك.[١]

---

١ ـ ميخائيل شاروبيم ـ الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ـ الجزء الرابع (القاهرة ـ مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٠٠م)، ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

ولم يكن وقوف الأقباط فى مصر ضد النشاط الدينى والتربوى للإرسالية الأمريكية محض رفض له، بل تعداه إلى أن يكون دافعا لحث الكنيسة المصرية العريقة على تشجيع الإستفادة من العلوم الحديثة، وتوجيه الأطفال الناشئين لها وفتح المدارس التى تأخذ بمناهج التعليم الحديث، حتى يمكن تطوير الفكر ومقاومة التخلف[٢] فكان العاملان الرئيسيان فى تشجيع حركة إنشاء المدارس القبطية الحديثة هما: .

العـامل الأول: مقاومة البعثات التبشيرية ونشاطها الدينى والتربوى سواء فى ذلك البعثات البروتستانتية او الكاثوليكية.

العامل الثانى: انخفاض نسبة الأقباط فى دخول المدارس الأميرية حتى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر.[٣]

ورغبت الكنيسة القبطية فى مصر أن تكون حركتها التربوية حركة موازية لحركة الإصلاح التربوى التى قامت بها الدولة منذ عهد محمد على، وحركة موازية للنشاط التربوى الناهض فى الدولة. وبرز فى تلك النهضة التربوية البابا كيرلس الرابع الملقب بأبى الإصلاح لإهتمامه بالعلم والتعليم منذ كان رئيساً لدير الأنبا انطونيوس بالصحراء الشرقية، فاهتم بإنشاء المدارس منذ رسم مطراناً عـامـا ١٨٥٣م ثم بابا للأقـبـاط عـام ١٨٥٤م، ثم حـذا حـذوه من بعـده بابوات الإسكندرية.

---

١ ـ عنتر لطفى محمد ، الجهود الأهلية فى التعليم المصرى فى الفترة من ١٨٨٢ ـ ١٩٢٣، رسالة ماجستير غير مطبوعة القاهرة، (كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٧٩)، ص ٤٥.

٢ ـ سميرة بحر ، مرجع سابق، ص ٢١.

٣ ـ طارق البشرى ، مرجع سابق، ص ٣٨.

الباب الثالث

الأقباط فى الحياة الإجتماعية المصرية

إشراف
د. موريس أسعد

المقدمة

الاقباط فى الحياة الاجتماعية المصرية

د. موريس أسعد

توارث الأقباط - بل والمصريون جميعاً - من سمات أجدادهم الفراعنة أعظمها، ومن أخلاقهم أرفعها، وتعلموا منهم الإيمان بالخالق والتمسك بالدين. لقد تحققت نبوءة أشعياء النبى "فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر."(أشعياء ١٩: ١٩).

وعلى مر العصور اهتمت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية برعاية الإنسان، كما اهتمت باحتياجات الناس ومساعدتهم فى مختلف ظروفهم، فى الصحة والمرض والموت. وهذا هو موضوع البحث فى الفصل الأول من هذه الدراسة. لقد دعى البابا شنودة الثالث إلى السير فى خطى السيد المسيح الذى لم يكن يهتم فقط بإحتياجات الروح وإنما بإحتياجات الجسد أيضاً". قامت الأديرة القبطية بدور تنموى هام. وعملت أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية على إعداد القيادات التنموية، ومساعدة كل إنسان حتى يكتشف قدراته ومواهبه ويوجهها لما فيه منفعة ذاته وأسرته ومجتمعه. كذلك تنامت برامج الرعاية الإجتماعية والتنموية فى سائر إيبارشيات الكرازة المرقسية وأسقفياتها وكنائسها.

ويتناول الفصل الثانى "الأسرة القبطية والتحولات الاجتماعية"، فيتتبع الأسرة المصرية القديمة وتأثيرها على الأسرة القبطية حتى يومنا هذا. ثم يدرس التراث المسيحى فى البيت القبطى، والأحوال الشخصية للأقباط، والخدمة المتكاملة للأسرة القبطية، والكنيسة والتربية المنزلية، والأسرة القبطية وختان الإناث.

ويتحدث االفصل الثالث عن "العائلة القبطية فى الكنيسة"، ويتتبع حياة الإنسان القبطى فى البيت والكنيسة منذ ولادته، ويَعبُر معه من مرحلة إلى المراحل التالية فى حياته، وما يرتبط بذلك من تقاليد كنسية، وعادات وممارسات أسرية واجتماعية، مثل ممارسة الأصوام والإحتفال بالأعياد، ورعاية الكنيسه للإنسان المسيحى فى حالة المرض، وعزاء الكنيسة للعائلة عندما ينتقل أحد أفرادها.

ويبرز الفصل الرابع "المرأة فى العصر القبطى". فما كان للمرأة من شأن عظيم فى العصور الفرعونية إنتقل إليها فى العصر القبطى، مبيناً ما كانت عليه المرأة من كرامة وطهر وعفاف، فكانت نموذجاً جذب الكثيرين من الوثنيين إلى الإيمان المسيحى، كما قامت بدور هام فى تشجيع المسيحيين للثبات على الإيمان المسيحى فى مواجهة الإضطهاد الرومانى. وكان للمرأة دور هام فى حياة الكنيسة كشماسة وكراهبة تقوم بأعمال يدوية وفكرية وروحية وافتقاد المرضى والمسجونين والغرباء والمعوزين. واشتغلت المرأة فى العصر القبطى كذلك بخدمة التطبيب وعلاج المرضى بالأعشاب. وقد تميزت المرأة القبطية عبر العصور بالحكمة والرزانة والحشمة.

ويواصل الفصل الخامس الحديث عن "المرأة القبطية فى العصر الحاضر": دور الزوجة والأم

القبطية، ورعاية الأرملة فى الكنيسة، وخدمة الشماسات والمكرسات فى الكنيسة، وخدمة المرأة القبطية ودورها فى التنمية، وما تقوم به فى خدمة المجتمع المعاصر.

ويناقش الفصل السادس "مظاهرالحياة القبطية واستمرارها في الحياة المعاصرة"، ويؤكد على تواصل حياة المصريين على ضفاف النيل منذ قديم الزمان، وكيف انصهرت الفرعونية المصرية فى جرن المعمودية وصارت مسيحية، وكيف انتقل المصريون من اللغة القبطية إلى اللغة العربية، وكيف استوعبت مصر الموجات البشرية الوافدة من الخارج دون أن يحدث تغيير يذكر فى التكوين الانثروبولوجى لمصر، وكيف أن المصريين جميعاً إن هم إلا "أقباط وطناً ومسلمين أو مسيحيين ديناً"، على حد تعبير الكاتب الكبير نجيب محفوظ. فجميع المصريين يشتركون معاً فى كثير من العادات والممارسات. غير أن المسيحيين قد احتفظوا بملامح خاصة تنبع من حياتهم الروحية وبفعل إيمانهم بالتالوث القدوس وممارسة الأسرار المقدسة.

ويدرس الفصل السابع موضوع "الجمعيات والمؤسسات القبطية الأرثوذكسية" من حيث نشأتها وانتشارها، ويقدم بعض نماذج من الجمعيات القبطية العاملة فى مختلف المجالات الدينية والاجتماعية، وكذلك الجمعيات القبطية النسائية، والهيئات القبطية لرعاية الفئات الخاصة والمعوقين، ثم الجمعيات القبطية والوحدة الوطنية، والجمعيات القبطية والقانون، والكنيسة والجمعيات القبطية، وأخيراً الجمعيات المسيحية على خريطة الجمعيات الأهلية.

الفصل الأول

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ورعاية الإنسان

د. موريس أسعد

منذ بداية المسيحية على أرض مصر فى القرن الأول الميلادى، قدمت الكنيسة القبطية الرعاية الروحية والتعليمية والصحية والاجتماعية لأبنائها عبر الأجيال، ووقفت إلى جانب أبنائها فى مختلف الظروف والمواقف، وكانت دائماً سباقة فى مساعدة كل من كانت له حاجة من أبنائها، بل ومن غيرهم.

١ ـ الكنيسة القبطية وإحتياجات المؤمنين

إذ يجتمع المؤمنون فى حضرة الله فى كنيسته المقدسة، فى المدينة وفى القرية، فإنهم يشعرون أنهم معاً عائلة كبيرة واحدة. وإذ يتقدمون للتناول من سر التناول المقدس، فهنا تكتمل شركتهم معاً فى الرب يسوع المسيح، لا فرق فى ذلك بين غنى وفقير، متعلم وغير متعلم، كبير وصغير، أو بين ذكر وأنثى. وقد اعتادت الكنيسة فى كثير من المدن والقرى أن يجتمع أعضاء الكنيسة عقب القداس الإلهى، وخصوصاً فى فترة الصوم الكبير، فى القاعة الملحقة بالكنيسة. ويشترك الشعب مع الكاهن فى تناول الطعام معاً على مائدة واحدة يطلق عليها "الاغابى"، وهى تعنى "وليمة المحبة". وتتناوب عائلات القرية فى إعداد الطعام وتقديمه، ويقوم كبار العائلة التى قدمت الطعام بأنفسهم بخدمة المائدة التى يجتمع فيها جميع أفراد الشعب.(١)

وفى الليتورجيات القبطية تصلى الكنيسة من أجل الإنسان والحيوان والطبيعة والعالم. وتصلى من أجل الناس فى سائر ظروف حياتهم، من أجل الأرملة واليتيم والغريب والضيف، ومن أجل المرضى بكل أنواع الأمراض الجسدية والنفسية والروحية، ومن أجل المسجونين والساقطين وكل من هو فى ضيقة نفسية أو مادية، ومن أجل المسافرين بكل نوع، سواء على الأرض أو فى البحر أو فى الجو، ومن أجل جميع الراقدين الذين انتقلوا من هذا العالم، كل واحد باسمه، الذين ذكرت أسماؤهم والذين لم تذكر اسماؤهم، والذين هم فى فكر كل واحد من الشعب. كما تصلى من أجل الحكام والملوك والولاة والرؤساء، ومن أجل سائر المدن والكور والجزائر وكل مدينة وقرية، بل ومن أجل العالم أجمع، ومن أجل أن يحل سلام الله فى نفوس البشر. وتقدم الكنيسة صلوات خاصة من أجل مياه الأنهار، وتخص بالذكر نهر النيل، ومن أجل ثمرات الأرض والزروع والعشب ونبات الحقل والشجر والكروم حتى تكثر أثمارها. وإذ تصلى الكنيسة من أجل العالم كله فإنها تطلب بركة خاصة لشعبها.(٢)

وعلى مر العصور، واصلت الكنيسة القبطية رعايتها للإنسان المصرى، المسيحى وغير المسيحى. وفى القرن التاسع عشر شهدت مصر تغيرات جذرية فى نمط الحياة العامة فى البلاد،

---

١ ـ مراد كامل، حضارة مصر فى العصر القبطى، (القاهرة: مطبعة دار العالم العربى، ١٩٦٧م)، ص ١٨١.

٢ ـ الخولاجى المقدس، قداس القديس باسيليوس، اوشية السلام، اوشية الاجتماعات ـ اوشية الراقدين، اوشية الوضع، اوشية المياه، اوشية الزروع، اوشية الثمار.

فظهرت الحاجة إلى قيام اهتمامات من نوع جديد، وإلى تقديم الخدمات الرعوية والاجتماعية بأساليب مغايرة للأسلوب التقليدى الذى ساد المجتمع المصرى لمدة قرون عديدة. ففى منتصف القرن التاسع عشر، قام البابا كيرلس الرابع بإنشاء مدارس حديثة كانت سباقة فى تخريج قيادات من المسيحيين والمسلمين الذين لعبوا أدواراً هامة فى الحياة الاجتماعية والسياسية والإقتصادية فى مصر. فإلى جانب مدرسة الأقباط الكبرى للبنين، انشأ اول مدرسة مصرية للبنات، وكذلك مدرسة للصناعات. وقد تبعه فى ذلك مطارنه الإيبارشيات الذين اسسوا مدارس حديثة فى إيبارشياتهم. وقد قام التعليم فى هذه المدارس على أسلوب عصرى حديث. وقد واكبت تلك المدارس التغير الاجتماعى فى مصر.[1] وفى بدايات القرن العشرين قدم الأنبا ابرام اسقف الفيوم نموذجاً إنسانياً فى مساعدة ذوى الحاجات، وسد عوز كل من كان يلجأ إليه. ولايزال المؤمنون بحاجة إلى مثل هذه القيادات الروحية والرعوية.[2]

٢ ـ الدور التنموى للأديرة القبطية

تقوم الأديرة القبطية بدور رئيسى فى حياة الشعب القبطى، ليس فقط من حيث انها مدارس لتعلم التقوى والفضيلة، ونماذج لتكريس الحياة تكريساً كلياً فى حياة الزهد والتقشف والطاعة والعبادة والعفة والبتولية، وإنما كذلك فيما قدمته على مر العصور من خدمات اجتماعية وشعبية. فكانت الأديرة دائما مفتوحة للشعب الذى يأتى للصلاة ونوال البركة، والإسترشاد بآباء البرية لتوجيههم فى حياتهم الروحية. وكانت عظات الأنبا شنودة فى الدير البحرى فى أواخر القرن الرابع الميلادى وبداية القرن الخامس موجهات للشعب فى حياتهم اليومية، حيث كان يهاجم السحر والشعوذة، ويدعو الأغنياء إلى رعاية الفقراء.[3] كما يذكر أن القديس باخوميوس قد أنشأ مستشفى ملحقة بديره، وكانت هذه المستشفى مفتوحة لمعالجة المرضى من الشعب.[4]

ولقد كانت الأديرة القبطية منذ قيام الرهبنة فى القرون الأولى للمسيحية مراكز لتعمير الصحراء. فمنذ عصر القديسين أنطونيوس ومقاريوس وباخوميوس وشنودة أقيمت الأديرة بعيداً عن العمران فى الصحروات. وكان الرهبان دائماً نشطين، يعملون بأيديهم، وينتجون ما يأكلون، ويمارسون مختلف الأنشطة اللازمة لمواصلة حياتهم فى تلك المناطق التى كانت جرداء قبل لجوئهم إليها. وهكذا قدمت الأديرة القبطية ورهبانها أمثلة حية فى إستصلاح الأراضى الصحراوية، وزرعها بجهودهم الذاتية المحدودة. وعندما قامت الدولة بتأميم أوقاف الأديرة أثناء العهد الإشتراكى، كان منها الاف الأفدنة من الأراضى التى استصلحها الرهبان فى الصحروات. وما تزال الأديرة القبطية تواصل دورها الطليعى فى زراعة الصحروات، ونذكر من بين هذه الأديرة: أديرة وادى النطرون (دير السيدة العذراء المعروف بدير السريان، ودير الأنبا بيشوى، ودير البراموس، ودير القديس مقاريوس، وكذلك دير مارجرجس الذى انشأه حديثاً

---

١ ـ إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، وهى تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية التى اسسها مار مرقس البشير، (القاهرة ١٩٧٥)، الكتاب الرابع، ص ٢٠٣ ـ ٢٤٦.

٢ ـ إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، (القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٨٤)، الكتاب الخامس، ص ٩٨ ـ ١٠١.

٣ ـ William H.Worrell, A Short Account of the Copts, (Ann Arbor, University of Michigan Press, 1945), pp. 22 - 25.

مراد كامل، حضارة مصر فى العصر القبطى، ص ١٩٠ ـ ١٩١.

٤ ـ المصدر السابق، ص ١٨٢.

الأنبا بموا في منطقة الخطاطبة) وأديرة الصعيد (كدير الأنبا صموئيل ودير الأنبا أنطونيوس ودير الأنبا بولا والدير المحرق)، وكذلك باقي الأديرة القبطية.

٣ – أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية

على مدى سنوات طويلة قبل رسامته أسقفاً، اهتم القمص مكاري السرياني بتعميق مفهوم حياة الشركة في الكنيسة، وقدم أمثلة تطبيقية لحياة الشركة في الكنيسة في رسالته للماجستير بكلية برنستون اللاهوتية بأمريكا،[1] وكذلك في كتابه "مذكرات اللاهوت الرعوي" حيث وضع برنامجاً متكاملاً لحياة الشركة في الكنيسة، وقدم تخطيطاً مفصلاً لعمل الكنيسة مع الأسرة، والطفل، والشباب والبالغين، والمسنين.

وفي قسم الدراسات الاجتماعية بمعهد الدراسات القبطية، الذي أسسه ورأسه حتى يوم نياحته ، وجه طلبة القسم وخريجيه للقيام بمشروعات هدفها تنمية حياة الشركة في الكنيسة، فقام بمشروع "العضوية الكنسية" حيث تم إعداد نماذج للسجلات لتطبيقها في كل كنيسة محلية لتنظيم الرعاية بها، وتنمية حياة الشركة بين أعضائها، وتقديم الخدمات المتكاملة لشعب الكنيسة. وفي مشروع "سجل الخدمات الكنسية" سعى الأنبا صموئيل إلى تسجيل سائر الأنشطة والخدمات الروحية والرعوية والتربوية والتعليمية والاجتماعية والصحية، ورعاية اليتامى والمسنين، وغير ذلك من الخدمات التي تقوم بها كل كنيسة وكل إيبارشية، وذلك بهدف تقييم هذه الخدمات ووضع خطة للنهوض بها وتنميتها حتى تنمو حياة الشركة في كل كنيسة محلية.[2] أما مشروع "الدياكونية الريفية"[3] فكان يهدف إلى امتداد حياة الشركة لتضم أبناء الكنيسة في القرى التي ليس بها كنائس. وقد جمعت خدمة الدياكونية الريفية بين الخدمة الروحية والخدمة الاجتماعية، وصاحب خدمة الدياكونية الريفية ما أطلق عليه الأنبا صموئيل "المذبح المتنقل"، حيث يقوم كهنة كل منطقة بإقامة القداس الإلهي في القرى التي لا توجد بها كنائس مرة كل شهر، فيحمل الكاهن معه اللوح المقدس وأواني المذبح وملابس الخدمة، وقد صممها الأنبا صموئيل بحيث يسهل حملها جميعاً في حقيبة كتب صغيرة.

وتتويجاً لما كان يقوم به القمص مكاري السرياني من خدمات، قام قداسة البابا كيرلس السادس برسامته أسقفاً للخدمات العامة والاجتماعية. وقد عبر البابا كيرلس السادس عن هذا التوجه الجديد في حياة الكنيسة القبطية في نص تقليد رسامة الأنبا صموئيل: "... ولما كانت الحياة العامة والاجتماعية بالنسبة لبعض أبناء كنيستنا المحبوبة التي انتمنا عليها من قبل الرب المسيح، وما لاحظناه في كثير من الحالات التي ترد لنا يومياً بالنسبة لبعض العائلات التي كانت في الماضي متيسرة الحال وأصبحت في حاجة إلى من يرعاها ويهتم بأمرها من كساء وغذاء

---

١ . إيريس حبيب المصري، قصة الأنبا صموئيل أسقف العلاقات العامة والخدمات الاجتماعية، (القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٨٦م)، ص ٢٤.

٢ . موريس اسعد، "من مآثر الأنبا صموئيل"، مجلة مدارس الأحد (القاهرة: العدد السابع، السنة ٥٢، أغسطس ١٩٩٨م)، ص ١١.

موريس اسعد، الأنبا صموئيل في ذكراه العشرين (٦ أكتوبر ١٩٨١م - ٢٠٠١م)، (القاهرة: أصدقاء الأنبا صموئيل، ٢٠٠١م)، ص ١٥ - ٢٣.

٣ . نفس المصدر السابق، ص ٤٤ - ٤٥.

Otto F.A. Meinardos, Christian Egypt: Faith and Life (Cairo: The American University in Cairo Press, 1970), pp. 45- 46.

قام كاتب هذه السطور بالإشراف على خدمة "الدياكونية الريفية" منذ إنشائها عام ١٩٥٩م حتى عام ١٩٦٥م.

وإرشاد روحي يؤول إلى سلام الأفراد وإستقرار الأسر. وكذلك الحالة الاجتماعية بصفة عامة، كإسعاف الملهوفين وسد أعوازهم وإرشاد أولئك الذين يغترون بمظاهر الحياة الدنيا، فيستسلمون لأهوائهم وعواطفهم أو تستهويهم التعاليم الغريبة فيبتعدون عن كنيستهم ويتنكرون لعقيدتهم. وهم مسئولون منا شأنهم في ذلك شأن أبنائنا المخلصين لكنيستهم. لذلك وقع الإختيار على إبننا المبارك القمص مكاري السرياني فمنحناه بإرشاد الروح القدس رتبة الأسقفية وسميناه الأنبا صموئيل لكي يقوم بتنظيم الخدمات العامة والاجتماعية للشعب ... "[1]

وقد ابتعد الأنبا صموئيل في خدمته عن أسلوب تقديم الصدقات والحسنات، لما في ذلك من إمتهان لكرامة الإنسان، ولأنه يخلق أشخاصاً تواكليين ومتكاسلين. وعلى العكس من ذلك دعى إلى مساعدة كل شخص لكي يكتشف قدراته ومواهبه ويدربها، وأن يتاجر كل إنسان في الوزنات التي منحها له الله حتى ينميها ويربح بها. وكان شعار الأنبا صموئيل: "لا تعطي الجائع سمكة، بل علمه أن يصطاد السمك." وكذلك: "ساعد الناس ليساعدوا أنفسهم." وهكذا أصبحت أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية منبراً لتطبيق المبادئ الروحية واللاهوتية والاجتماعية التي آمن بها الأنبا صموئيل. فجال مع سيده المسيح في أنحاء إيبارشيات الكرازة المرقسية داعياً لهذه المبادئ، وملبياً نداء أي صوت يقول له: "اعبر إلينا وأعنا." وكان دائماً يتمثل بقول رب المجد: "أما أنا فقد أتيت ليكون لهم حياة وليكون لهم أفضل."[2]

ولا تزال أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية التي أنشأها الأنبا صموئيل تقف شاهداً شامخاً على عظمة هذا الخادم الأمين للرب يسوع المسيح. لقد كان الأنبا صموئيل أول من إهتم بخدمة جامعي القمامة في مصر، فأعد برامج لتطوير حياتهم وحياة أسرهم، وذلك بتأسيس جمعية جامعي القمامة، والعمل على تصنيع ما يصلح للتصنيع مما يجمعونه من المخلفات. ودعى إلى تغيير أسلوب نقل القمامة من العربات التي تجرها الحمير إلى سيارات نقل صغيرة، وأنشأ لهم مركزاً اجتماعياً ثقافياً في منطقة المقطم، كما أسس جمعية إخوة الكادحين، وأنشأ مراكز التدريب المهني لإعداد عمال مهرة في مجالات النجارة وصيانة السيارات والبرادة واللحام وتوصيلات الكهرباء ولف البوبينات وإصلاح الراديو والتلفزيون والتبريد والسباكة الصحية. وقد شجع الأنبا صموئيل الكنائس والإيبارشيات على إنشاء الحضانات لرعاية الطفولة، حتى تجد الأم التي تعمل مكاناً آمناً لطفلها أثناء تواجدها في عملها. وقد أنشأ مراكز لتدريب الخادمات للعمل في تلك الحضانات. وأقام الأنبا صموئيل مراكز لتدريب قيادات من الخادمات حتى يقمن بالخدمة في مراكز تنمية المجتمع عن طريق تدريب فتيات القرى والأحياء الشعبية التي يخدمن فيها على التطريز والخياطة والتسيج، وتعليمهن القراءة والكتابة، وتنمية وعيهن بسائر شئون الحياة، وإعدادهن لحياة زوجية صالحة.

علاوة على ذلك، تعاون الأنبا صموئيل مع إيبارشية ملوي وقرية نزلة عبيد في إيبارشية المنيا. وذلك بالعمل على تطوير الحياة في الإيبارشيتين وتقديم المساعدة الفنية والمادية لتحديد أولويات

---

١ . موريس اسعد، الأنبا صموئيل في ذكراه العشرين، المصدر السابق، ص ٤٢ .
أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية، الأنبا صموئيل، صفحات من حياته وسيرته، (القاهرة، ١٩٨١م)، ص ٢٥ ـ ٢٧.

٢ . نفس المصدر، ص ٣٧ ـ ٣٩.
موريس اسعد، "من مآثر الأنبا صموئيل"، مصدر سبق ذكره، ص ١٢ ـ ١٣.

التنمية فى كل منهما بالتعاون مع أهل القرى أنفسهم، وإستغلال الإمكانيات المحلية، والعناية بالنظافة والصحة، وإنشاء عيادة طبية فى عدد من قرى الإيبارشيتين.

أما خدمة العائلات المسيحية المقيمة فى الأحياء الشعبية حيث يعيش عدد قليل من العائلات المسيحية فقد أولاها الأنبا صموئيل اهتماماً خاصاً لتثبيت أفرادها فى الإيمان المسيحى وربطهم بالكنيسة ومساعدتهم فى سائر ظروف معيشتهم. واهتم الأنبا صموئيل كذلك بفتح فصول لتعليم اللغات الأجنبية - الإنجليزية والفرنسية والألمانية - وتعليم الشباب الكمبيوتر حتى يسايروا لغة العصر.(١)

وكان من بين الخدمات المتميزة فى أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية خدمة "لجنة الأسرة" التى أعطاها الأنبا صموئيل إهتماماً خاصاً. وقد تفضل قداسة البابا شنودة الثالث بإلقاء كلمة الإفتتاح فى "المؤتمر الأول عن الأسرة القبطية فى المجتمع المصرى المعاصر" بالإسكندرية فى صيف ١٩٧٥م، حيث كلف قداسة البابا لجنة الأسرة بأن تقوم بدراسة مشكلات الأسرة القبطية، وأن تهتم بتخطيط البرامج التى تعمل على تنمية الاستقرار الأسرى. وقد تكاملت المؤتمرات واللقاءات السنوية التى كانت تعقدها لجنة الأسرة مع برامج التدريب المحلية فى الإيبارشيات وبرامج الاستعداد للزواج، والمخطوبين والمخطوبات، والمتزوجين حديثاً. وقد تم إنشاء ٣٣ مركز من مراكز الرعاية الشاملة للأسرة فى العديد من الإيبارشيات.(٢)

وقد جعل الأنبا صموئيل من أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية نموذجاً لحياة الشركة بين أعضاء هذه الأسقفية وخدامها. فكان الأنبا صموئيل لا يرى نفسه سوى عضو فى هذه الشركة الروحية. إذ كان يستمع للصغير قبل الكبير، لا يفرض رأياً، وإنما يناقش كل فكرة بأسلوب الحوار. وبقلب مفتوح كان يعطى كل إنسان مكانه، ويقبل كل شخص بما هو عليه. ولعل من أجمل العبارات التى كان يرددها الأنبا صموئيل: "إبحث عن الشئ الطيب فى كل إنسان". ولم يقدم الأنبا صموئيل نفسه إلا فى صورة الإنسان العادى البسيط، سواء فى مظهره أو فى تعامله مع الناس أياً كان مستواهم. ولم يكن من المتعذر على أى شخص أن يكشف ذاته أمام الأنبا صموئيل دون ما إدعاء أو مواربة.(٣)

وبعد نياحة الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والاجتماعية عام ١٩٨١م، تولى الإشراف على الأسقفية الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف والبهنسا حتى نهاية عام ١٩٨٤، حيث وضع

---

١ - أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية، اليوبيل الفضى لأسقفية الخدمات العامة والاجتماعية: ٣٠ سبتمبر ١٩٩٢م - ٣٠ سبتمبر ١٩٨٧م، (القاهرة، ١٩٨٧م)، ص ٩ - ٢٨.

موريس اسعد، الأسرة القبطية والتحولات الإجتماعية فى مصر، (القاهرة، لجنة رعاية القداس، توزيع مكتبة الرجاء، ٢٠٠٠م).

٢ - Maurice Assad, "The Coptic Family and Social Change in Egypt," in Masamba ma Mpolo and Cecile De Swemer, Families in Transition (Geneva: World Council of Cherches, 1978),pp. 50 -53.

٣ - موريس اسعد، "من مآثر الأنبا صموئيل"، مصدر سبق ذكره، ص ١٣.

موريس اسعد، "حياة الشركة فى فكر الأنبا صموئيل وتطبيقاتها فى حياته وخدمته"، فى إيريس حبيب المصرى، قصة الأنبا صموئيل مصدر سبق ذكره، ص ٧٢.

موريس اسعد، الأنبا صموئيل فى ذكراه العشرين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠ - ٢١.

(خدم كاتب هذه السطور مع المتنيح الأنبا صموئيل منذ عام ١٩٥٥ حتى نياحته. وكان مسؤولاً عن لجنة الأسرة بأسقفية الخدمات العامة والاجتماعية فى الفترة من ١٩٧٢م حتى ١٩٨٧م)

خطة متكاملة لجميع برامج وخدمات الأسقفية عرفت باسم "المائدة المستديرة" أو "الكونسرتيوم" (Consortium). وقد اشتملت "المائدة المستديرة على خطة شاملة لجميع برامج وخدمات الأسقفية والعديد من الإيبارشيات وكذلك المشروعات المشتركة فيما بينها، وذلك لفترة ثلاث أو خمس سنوات. وقد اشترك مع أسقفية الخدمات في المائدة المستديرة العديد من الهيئات المسكونية والكنائس العالمية وهيئات التنمية التي قامت بتدعيم برامج المائدة المستديرة.

وفي يونيو عام ١٩٨٥م قام قداسة البابا شنودة الثالث بسيامة الأنبا سرابيون أسقفاً عاماً، وكلفه قداسته بتولي شئون أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية. فواصلت الأسقفية ما بداه الأنبا صموئيل، وقامت بتنمية الكثير من الخدمات التي ذكرناها آنفاً، وحققت مشروع التنمية الزراعية بإنشاء مزرعة نموذجية بالقرب من وادي النطرون. وشجعت الشباب على البدء في مشروعات صغيرة، وقدمت لهم المعونات والقروض لتحقيق ذلك. كما إهتمت بتدريب القيادات التنموية المحلية في العديد من الإيبارشيات وكذلك اهتمت الأسقفية بمكافحة إدمان المخدرات.[١]

كما أنشأت الأسقفية "المركز القبطي للدراسات الاجتماعية" وكذلك "وحدة العمل المسكوني".

وبعد تجليس الأنبا سرابيون أسقفاً على لوس انجلوس بأمريكا، كلف قداسة البابا شنودة الثالث الأنبا يؤانس الأسقف العام وسكرتير قداسته للإشراف على خدمة أسقفية الخدمات.

وفي مناسبة احتفال أسقفية الخدمات بيوبيلها الفضي، أي بمضي خمسة وعشرين عاماً على تأسيسها (١٩٦١ ـ ١٩٨٦م)، قال قداسة البابا شنوده الثالث في الكلمة الإفتتاحية لهذا الإحتفال: "أحيي من كل قلبي روح أخي وحبيبي نيافة الأنبا صموئيل. فإن الأنبا صموئيل يمثل الأساس الأول والمتين لهذه الأسقفية. لقد تمت رسامتنا أسقفين ـ الأنبا صموئيل وأنا ـ في يوم واحد وبصلاة واحدة، وتزاملنا للعمل في مكان واحد ... أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية تتميز بأنها أسقفية عملها العطاء الدائم في خدمة المجتمع الذي نعيش فيه، سواء في خدمة الفقراء أو المرأة أو الشباب أو تنظيم الأسرة أو التدريب المهني. أومن كثيراً بالتدريب المهني لمصر كلها... كنت فرحاً جداً بالتدريب المهني في أسقفية الخدمات..."[٢]

وقد اهتم قداسة البابا شنوده الثالث بأسقفية الخدمات وجميع أنشطتها. ففي عام ١٩٧٥م قدم كلمة الافتتاح للمؤتمر الأول عن الأسرة القبطية في المجتمع المصري المعاصر"، وكان يعين المتنيح الأنبا يؤانس أسقف الغربية لرئاسة ما تلا ذلك من مؤتمرات لجنة الأسرة بأسقفية الخدمات. وفي الإحتفال بتخريج دفعات الشباب في مراكز التدريب المهني، وكذلك تخريج دفعات رائدات مراكز تنمية المجتمع للفتيات التي أشرنا إليها من قبل، والمتخرجات في مراكز تدريب مشرفات الحضانات، كما اهتم البابا بأن يقوم بنفسه بتوزيع الشهادات على هؤلاء الخريجين والخريجات.

٤ ـ رعاية الإنسان في الكرازة المرقسية

دعا قداسة البابا شنودة الثالث إلى مؤتمر بالمقر البابوي بدير الأنبا بيشوي عام ١٩٨٧م حول

---

١ ـ أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية، اليوبيل الفضي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩ ـ ٤٦.

٢ ـ سجل كاتب هذه السطور الكلمة الافتتاحية لقداسة البابا شنودة الثالث في الاحتفال باليوبيل الفضي لأسقفية الخدمات وسجل كلمة قداسته.

العمل الاجتماعي. وقد دُعي إلى هذا المؤتمر، إلى جانب العديد من مطارنة وأساقفة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وأسقفية الخدمات العامة والاجتماعية والمهتمين بخدمة الإنسان في إيبارشيات الكرازة المرقسية، دُعي إلى جانب هؤلاء مجلس كنائس الشرق الأوسط، وهيئة كاريتاس وجمعية الصعيد للمدارس والتنمية، والهيئة الإنجيلية للخدمات الاجتماعية. كما شارك في المؤتمر المتنيح البطريرك بارثينيوس بطريرك الإسكندرية للروم الأرثوذكس والمطران غايس عبد الملك أسقف الكنيسة الأسقفية بمصر في ذلك الوقت. وفي الكلمة الإفتتاحية قال قداسة البابا: "الخدمة الاجتماعية كان يقوم بها السيد المسيح له المجد، فلم يكن يهتم فقط باحتياجات الروح وإنما باحتياجات الجسد أيضاً، سواء شفاء الأمراض أو سد احتياجات الناس في حالات الجوع والحزن. وكان أيضاً له صندوق يعطى منه لخدمة الفقراء. ولما خرج يهوذا لتسليمه ظنوا أنه سيقوم بحاجة الفقراء ... النمو صفة مسيحية، النمو في كل شئ. نحن نغبط القديس يوسف الصديق في عنايته بالخدمة الاجتماعية في مصر، من جهة اهتمامه بالتموين . لو أن يوسف الصديق قد ترك التموين وتفرغ للصلاة لكان يلام من الله. للصلاة وقت وللعمل الاجتماعي وقت. العمل الاجتماعي يحتاج إلى حب وإلى كرامة... مال الكنيسة ليس ملكاً لخدام الكنيسة، وإنما ملك لله وهم مجرد وكلاء عليه... نعيش في مجتمع محتاج، إذا لم ننقذه قد ينحرف. وهنا يكون للخدمة الاجتماعية سبب روحي عميق... نحن في العمل الاجتماعي وفي أعمال التنمية لا علاقة لنا إطلاقاً بالخلافات العقائدية. كلنا قلب واحد لخدمة المحتاجين. وقد ضرب لنا السيد المسيح مثل السامري الصالح، وأظهر لنا كيف أنه كان أفضل من الكاهن واللاوي في عمل الرحمة. وقال السيد أريد رحمة لا ذبيحة... أريد أن أذكر بالخير في هذا الاجتماع نفس المتنيح الأنبا صموئيل الذي خدم في الخدمة الاجتماعية منذ أن رسم أسقفاً عام ١٩٦٢م إلى يوم نياحته. هو تعب ونحن دخلنا على تعبه..."[١]

وتنامت برامج الرعاية الاجتماعية والتنموية في سائر إيبارشيات الكرازة المرقسية وأسقفياتها، فاهتمت برعاية الإنسان في سائر جوانب حياته الروحية والتعليمية والثقافية والصحية والاجتماعية. فافتتحت بعض الإيبارشيات المدارس الخاصة التي تهتم بتعليم اللغات وتقدم لأبنائها تعليماً متقدماً. كما اهتمت برعاية الأطفال فأعدت لهم دور الحضانة لما قبل سن المدرسة، ووضعت خططاً لمساعدة الشباب على إقامة مشاريع تنموية صغيرة، كما أعدت برامج لتدريب الشباب على مختلف الحرف، وكذلك فصول اللغات والتدريب على الكمبيوتر. وقد أنشأت العديد من الإيبارشيات والكنائس والعيادات الطبية والمستوصفات والمستشفيات، وأقامت دوراً لرعاية المسنين الذين يحتاجون إلى رعاية خاصة، كما أعدت مراكز لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة من المعاقين ذهنياً وبدنياً. وتقدم الكنائس والإيبارشيات برامج "إخوة الرب" لرعاية الأرامل والأيتام والمسنين الذين لا يجدون من يعولهم. وتساهم مع الشباب المقبلين على الزواج في تكوين اتحادات الملاك، وتساعدهم في بناء وحدات سكنية لا تكلفهم سوى التكاليف الفعلية لثمن الأرض والبناء. وأقامت قاعات ملحقة بالكنائس لسائر المناسبات، تقيم فيها العائلات الحفلات بعد الإكليل، أو تستقبل فيها المعزين في حالة وفاة أحد أفراد الشعب.

---

١ ـ شارك كاتب هذه السطور في مؤتمر التنمية الذي دعا إليه قداسة البابا شنوده عام ١٩٨٧م، ممثلاً لمجلس كنائس الشرق الأوسط، وقام بتسجيل كلمة قداسة البابا أثناء إلقائها.

الفصل الثانى

مظاهر الحياة القبطية واستمرارها فى الحياة المعاصرة

د. موريس أسعد

١ ـ تواصل الحياة المصرية

عاش المصريون جميعاً طوال عصور التاريخ شعباً واحداً فى وطن واحد: فجميعهم من أصل واحد، وعاشوا فى البيئة الجغرافية والاجتماعية ذاتها. وعندما قال هيرودوت فى القرن الخامس قبل الميلاد إن "مصر هبة النيل"، فإن ذلك لا يعنى فقط قيام الحياة البشرية المستقرة على ضفاف النيل، إذ يرتوى الإنسان والحيوان بمائه، ويسقى منه الزرع، وإنما فوق ذلك تأثر المصريون بالنهر والشمس والأرض والهواء، تلك العوامل الأربعة التى تعتبر مصدر الحياة على أرض مصر. وقد شكل المصريون حضارتهم متأثرين بتلك العوامل. غير أن تلك العوامل الجغرافية لم تكن لتنفع بشئ لو لم يكن هنالك ذلك الإنسان الذى بعبقريته وجهده بنى حضارته، منتفعاً بتلك الطبيعة الجغرافية التى وهبها له الله. وإذ يتفاعل الإنسان المصرى مع ظروفه البيئية، فإنه يتأثر بها ويؤثر فيها، وتتكون لديه أنماط الحياة التى تتلاءم مع تلك البيئة، وتنمو لديه العادات والطباع والسمات والسلوكيات التى تميزه من خلال تفاعله مع كل ما حوله من أناس وحيوانات ونباتات وأرض مثمرة وصحروات.[١]

وقد تطلع المصريون منذ العصور الفرعونية إلى ما وراء الطبيعة، خاشعين أمام خالق هذا الكون. وفى موكب الشمس رفعوا أعينهم إلى السماء، مصلين إلى الخالق، رافعين قلوبهم دائماً نحو مكوِّن هذا النظام العجيب الماثل فى هذا الكون، وساعين إلى التمسك بالقيم الروحية والأخلاقية، مبدعين حضارة سمت عن سائر الشعوب التى كانت ما تزال تتردى فى درجات متفاوتة من البدائية، على حد قول جيمس برستد.[٢] وقد عرفوا أن حياتهم فى هذه الدنيا تتلوها حياة أخرى فيما بعد الموت الأرضى، وأن الروح البشرية خالدة، توزن بعد موت صاحبها بميزان دقيق، وأن كل إنسان لابد أن يقف أمام الديان العادل، وينال جزاءه تبعاً لأفعاله فى هذه الحياة الدنيا. وقد حرص المصريون القدماء على التمسك بالحياة القويمة، والأخلاق الكريمة، حتى ينالوا جزاء الصالحين فى الحياة الأخرى.[٣]

ولعل المصريون القدماء قد تأثروا بعض التأثر بالحضارات الأخرى التى وفدت إلى مصر من

---

١ ـ د. جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة فى عبقرية المكان، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨١م)، المجلد الثانى، صفحة ٤٠٧ ـ ٤٦٦.

John Willson, "Egypt: The Nature of the Universe", in H.and H.A Frankfurt and others, Before Philosophy: The Intellectual Adventure of Ancient Man: An Essay on Speculative Thought in the Ancient Near East, (Harmondsworth, Middlesex: Penguin Books, 1949), pp. 39-62.

يقول جيمس برستد: "إن هؤلاء المصريين الذين عاشوا فى عصر ما قبل التاريخ المدفونين فى القدم الميادات ـ هم وأجدادهم ـ كانوا أقدم مجتمع عظيم على الأرض استطاع أن يضمن لنفسه غذاء ثابتاً باستئناس الوارد البرية من نبات وحيوان، على حين أن تقلبهم على المعادن فيما بعد وتقدمهم فى اختراع أقدم نظام كتابى، قد جعل فى أيديهم السيطرة على طريق التقدم الطويل نحو الحضارة." جيمس هنرى برستيد، فجر الضمير، ترجمة د. سليم حسن، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩)، صفحة ٢٩.

٢ ـ نفس المصدر السابق، من ٣٠ ـ ٣٥.

٣ ـ "كانت مصر دائماً بلد الإيمان قبل وبعد الأديان". د. جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة فى عبقرية المكان، (القاهرة: عالم الكتب، المجلد الثانى، ١٩٨١)، من ٤٢٨.

الشرق ومن الغرب ومن الجنوب، غير أنهم قد تأثروا كذلك بالحضارة الوافدة من الشمال وأثروا فيها، وأعنى بها الحضارة اليونانية. فمن المعروف أن فيثاغورس وأفلاطون، وغيرهما من الفلاسفة اليونان، قد زاروا مصر، وتعلموا على أيدى الحكماء المصريين، ونقلوا الفكر المصرى القديم إلى الفلسفة اليونانية.[١]

وعندما جاء القديس مرقس الرسول إلى مصر، وبشر المصريين بالمسيحية، فإنه وجد لديهم أرضاً خصبة. وكانت مصر قد سبقت واستقبلت الرب يسوع الطفل مع أمه العذراء مريم ويوسف النجار، الذين حضروا إلى مصر كلاجئين هرباً من اضطهاد هيرودس (متى ٢: ١٣ - ١٥). وعلى مدى القرن الأول وبدايات القرن الثانى للمسيحية كانت مصر فى معظمها قد اعتنقت المسيحية، وأصبح الشعب المصرى مسيحياً.[٢]

ولم تلغ المسيحية ما تميز به المصريون من سمات وعادات وقيم، وإنما أضافت إليها وقوّمتها. ووجد المصريون فى كنيستهم المصرية أعماقاً روحية تمسكوا بها،[٣] وأصبحت الكنيسة ملاذاً لهم من سطوة اليونان والرومان والبيزنطيين وظلمهم. وفى جرن المعمودية انصهرت الفرعونية المصرية وصارت مسيحية. وفى بوتقة الإيمان المسيحى تمسك الأقباط بكنيستهم، وتعمقوا إيمانهم. وليس بدعاً أن نذكر أن القديس اثناسيوس الرسولى هو واضع قانون الإيمان الذى تتمسك به جميع الكنائس المسيحية فى شتى بقاع الأرض حتى اليوم، والذى اعترف به مجمع نيقيه[٤]، ثم أكمله مجمع القسطنطينية[٥] ووضع مقدمته مجمع أفسس الأول.[٦]

وبعد الفتح العربى لمصر فى القرن السابع الميلادى، كان تحوُّل غالبية المصريين إلى الإسلام تدريجياً، واستغرق الانتقال من اللغة القبطية إلى اللغة العربية أكثر من قرنين ونصف قرن من الزمان. وتركت اللغة القبطية آثارها على اللهجة العربية العامية المصرية، ودخلت كلمات قبطية كثيرة على العربية العامية المصرية. "وإذا كانت العرب قد عربت مصر لغويًا ودينيًا، فقد مصرتهم مصر حضاريًا وماديًا".[٧] وهكذا نجد أن مصر قد مصرت سائر الموجات البشرية التى وفدت إليها من الخارج. وقد ظلت مصر وحتى يومنا هذا فرعونية الدم، إذ كانت العناصر الوافدة إليها من الخارج تُحتوى، ولم تترك أثرًا يذكر على مصرية المصريين. "فمنذ وضع الأساس الجنسى للسكان فيما قبل التاريخ، لم تؤد المؤثرات الوافدة بعد ذلك إلى تغيير حقيقى أو هام فى التكوين الأنثروبولوچى لمصر."[٨]

---

١ ـ نفس المصدر السابق، ص ٤٣٠ ـ ٤٣٢.

٢ ـ إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية. وفى تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية التى أسسها مارمرقس البشير، (القاهرة: مطبعة دار العالم العربى، بدون تاريخ)، الكتاب الأول، ص ١٦ ـ ١٨.
Aziz S. Atiya, A History of Eastern Christianity, (London: Methuen & Co. Ltd., 1968), pp. 22 - 28.

٣ ـ نفس المصدر السابق، ص ١٠ ـ ٢٢.

٤ ـ إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الأول، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

٥ ـ نفس المصدر السابق، ص ٢٢٨ ـ ٢٣٦.

٦ ـ الشماس منسى القمص، (القس منسى يوحنا)، كتاب تاريخ الكنيسة القبطية، (القاهرة: الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية، ١٩٨٢م)، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٦.

٧ ـ جمال حمدان، شخصية مصر، المجلد الثانى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٧.

٨ ـ نفس المصدر السابق، ص ٢١٦ ـ ٢١٨.

ولئن كانت التسمية "قبطي" تطلق اليوم على المسيحي المصري، غير أن الأساس في كلمة "قبطي" أنها تعني "مصري". وهكذا ذكر مرقس سميكة في خطاب سياسي: "جميعكم أقباط: البعض منكم أقباط مسلمون، وآخرون أقباط مسيحيون، وجميعكم سلالة المصريين القدماء."[1] ويضيف جمال حمدان: "تعد الأقلية القبطية من صميم الكيان المصري الكبير، وكتلة رصينة من جسم الأمة شديدة التماسك منه والالتحام به".[2] ويقول محمد حسنين هيكل: "أقباط مصر ليسوا أقلية وإنما جزء من الكتلة الإنسانية الحضارية للشعب المصري."[3] ويضيف نجيب محفوظ: "نحن جميعاً من نسل الأقباط، لكن بعضنا دخل الدين الإسلامي، والبعض ظل على دينه المسيحي، وكثيراً ما كان يتزاوج هؤلاء من هؤلاء. وكنا في جيلي نسمي أنفسنا جميعاً أقباطاً وطناً ومسلمين ديناً."[4]

وهكذا نجد أن المصريين جميعاً - مسلمين ومسيحيين - يمثلون وحدة بشرية في وطن واحد، لهم ذات السمات العامة، ويشتركون معاً في حياتهم اليومية في سائر توجهات الحياة واهتماماتها، ويمارسون معاً مختلف المهن والأنشطة العامة وأعمال الزراعة والصناعة والتجارة. وغير ذلك من الخدمات والأنشطة الاجتماعية والاقتصادية.[5]

ويعيش المسلمون والمسيحيون كجيران معاً في نفس القرية أو في ذات المدينة. فالبيت المسلم يجاور البيت المسيحي، والكنيسة والمسجد يجاور احدهما الآخر، وتتناغم أجراس الكنائس مع صوت مؤذن المسجد، وكل منهما يدعو أبناء دينه للصلاة لله، فيذهب المسلم إلى المسجد، ويذهب القبطي إلى الكنيسة.[6]

٢ - من مآثر الأقباط في الحياة العامة والسياسية

عاش الأقباط عبر العصور في القرى والمدن المصرية، وشكلوا مع جيرانهم وحدة سكانية متجانسة. وقد بنيت القرى والمدن المصرية التقليدية على الروابي والتلال، سواء منها الطبيعية أو المصنوعة، حتى لا تطغى عليها مياه الفيضان الذي كان يغمر أرض مصر قبل بناء السد العالي، ومن قبله خزان أسوان والقناطر الخيرية وغيرها من الخزانات والقناطر على امتداد وادي النيل في مصر.[7]

ولا تزال القرية المصرية مشابهة للقرية المصرية في العصور الفرعونية إلى حد كبير. وعلى مر العصور يعمل الفلاحون المصريون في حقولهم بجد ونشاط، يقلبون أرضهم ويحرثونها، ويبذرون بذورهم. وفي صبر يتطلعون إلى محاصيلهم وهي تنمو شيئاً فشيئاً. وإذ ينضج

---

١ - Kenneth Cragg, The Arab Christian: A History in the Middle East, (London: Mowbray, 1992), p. 173.

٢ - جمال حمدان، شخصية مصر، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢٥.

٣ - جريدة الأهرام، القاهرة، في ١٩٩٧/٤/٢٢م.

٤ - جريدة الأهرام، القاهرة، في ١٩٩٧/٦/٢م.

٥ - د. جمال حمدان، شخصية مصر، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢٦ - ٥٢٧.

٦ - قال لورد كرومر الذي كان المعتمد البريطاني وقت الاحتلال البريطاني لمصر: "إن الفرق الوحيد بين القبطي والمسلم هو أن الأول مصري يتعبد في كنيسة مسيحية بينما الآخر يتعبد في مسجد إسلامي."
Quoted in, Maurice Assad, "Christian Witness in a non Christian Society, "in Voices from The Third World, (Ecumenical Association of Third World Theologians, Volume XXIII No 1, June 2000), p. 105.

٧ - جمال حمدان، شخصية مصر، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٢ - ٢١٥، ٢٣٣ - ٢٣٤.

المحصول يجمعونه ويرسلونه إلى الأسواق، فيوفرون الغذاء من حبوب وخضر وفاكهة، وهي غذاء ضروري لمواصلة الحياة على أرض مصر. ويقوم الفلاح بتربية الماشية والأغنام والدواجن. وكانت بيوت الموسرين من الفلاحين مبنية بالحجر، بينما بيوت باقي الفلاحين مبنية بالأجر (أي الطوب النيء).[1]

ولقد حدث كثير من التطور في حياة الفلاح المصري وأساليبه في الزراعة، إذ اختفت الساقية والشادوف وحل محلهما رافعات المياه الميكانيكية، كما أن الآلات الزراعية الميكانيكية قد انتشر استخدامها، وحلت محل المحراث الذي يجره الحيوانات وغير ذلك من الآلات اليدوية التي اخترعها المصريون القدماء وتواصل استخدامها حتى العصر الحديث.

ولعل أهل المدن لا يختلفون كثيراً عن أهل القرى في أسلوب حياتهم. وعلى مر العصور حدث بعض التطور على الحياة في المدينة والقرية. ومع تقدم طرق المواصلات ووسائل النقل من سكك حديدية وسيارات وحافلات النقل السريع والنقل الجوي بالطائرات، ومع تقدم الصناعات، ناهيك عن انتشار المدارس في القرى، ودخول الكهرباء، والمياه الصالحة للشرب إلى سائر القرى المصرية، كل هذا أدى إلى تلاحم الحياة في القرية والحياة في المدينة تلاحماً لا فكاك فيه. وقد أثر في ذلك على وجه الخصوص انتشار المذياع والتلفاز في المدينة والقرية.

وقد اشتهر الأقباط عبر العصور، وحتى بدايات العصر الحديث في القرن التاسع عشر، بما كان لهم من خبرة في شتى مجالات الحياة. وكانوا يتقنون العديد من الصناعات والفنون التي كانوا يتناقلونها في محيط عائلاتهم، فكان منهم المهندسون والأطباء والكتاب، وبرعوا في الأعمال الفنية مثل أشغال الذهب والنجارة والبناء والرسم والنحت والحفر على الخشب والنقش وغير ذلك من الصناعات.

وعندما احتل السلطان سليم الأول مصر عام ١٥١٧م، جمع هؤلاء جميعاً ونقلهم إلى القسطنطينية (الأستانة)، وكان عددهم حوالي ثمانين ألفاً. وبذلك قضى على النهضة الفنية والمعمارية في مصر، وكانت كبوة لم تنهض منها مصر كلية، إذ حرمت مصر مما كان لديها من خبرات[2] وبذلك تسبب هذا السلطان في القضاء على أكثر من خمسين من الصناعات المصرية.[3]

كما عرف عن الأقباط إخلاصهم وأمانتهم والتزامهم وتفوقهم في أعمال الإدارة والصرافة والحسابات، فاعتمد عليهم الحكام المسلمون في العديد من الوظائف العامة. وكان من بينهم من نالوا ثقة الحكام. نذكر من بينهم المعلم رزق الذي اتخذه علي بك الكبير مستشاراً خاصاً له، وكان بمثابة وزير المالية في عهده. وكان المعلم ابراهيم الجوهري رئيساً للكتبة في عهد إبراهيم بك ومراد بك. وقد عرف عن المعلم ابراهيم الجوهري تقواه واهتمامه ببناء الكنائس. وقد استطاع

---

١ ـ الأب هنري عبيروط البسوعي، الفلاحون، ترجمة محمد غلاب، (القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ)، ص ٤٠ ـ ٥٤.
Winifred S. Blackman, The Fellahin of Upper Egypt, (London: George G. Harper Company Ltd., 1927), pp. 280 - 316.L.

٢ ـ Butcher, The Story of the Church. of Egypt, (London: Smith Elder & Co., 1807), Vol. II, pp. 241 - 242.

٣ ـ نفس المصدر السابق، ص ٢٤٢.

أن يستصدر فرماناً من الباب العالي لبناء كاتدرائية القديس مرقس بالأزبكية. وكان ابراهيم الجوهري محباً للخير، وكان ثرياً، وعرف عنه مساعدة المحتاجين والفقراء. وبعد أن توفى ابنه الوحيد وهب معظم ثروته للكنيسة.(١)

وبعد وفاة ابراهيم الجوهري تولى منصبه اخوه جرجس الذي أصبح وزيراً لآخر المماليك ابراهيم بك ومراد بك. وعندما تولى محمد علي حكم مصر أصبح جرجس الجوهري وزيراً للمالية في عهده.(٢)

وعلى مر العصور واجه الأقباط الواناً مختلفة من الضيقات والاضطهادات، في بعض العهود الإسلامية، منذ فتح العرب لمصر. فقد خُيِّر الأقباط بين الإسلام، أو دفع الجزية، أو القتل. وقد استشهد كثيرون من الأقباط في تلك العصور ممن تمسكوا بإيمانهم المسيحي ولم يستطيعوا أن يدفعوا الجزية بسبب فقرهم. ولعل من أسوأ تلك الفترات ما وقع على الأقباط من اضطهاد في أيام الحاكم بأمرالله (٩٩٦م).(٣) إذ أحرق الكنائس ونهب بيوت الأقباط وأحرق متاجرهم وخرّب حقولهم. وكان بين من قتل في عهده من كبار الأقباط فهد بن ابراهيم والمعلم غبريال بن نجاح.(٤)

وقد وصف المقريزي قساوة الحاكم بأمر الله وتجبره واضطهاده للقبط، فقال " إن الحاكم ألزم الأقباط بملابس معينة، وأنه منعهم من عمل الشعانين وعيد الصليب... وقبض على جميع ما هو محبس على الكنائس والديارات وأدخله في الديوان... وأحرق صلبان كثيرة... وهدم الكنائس... وأباح ما فيها للناس فنهبوا منها ما يجل وصفه، وهدم دير القصير، ونهب العامة ما فيه، ومنع النصارى من عمل الغطاس على شاطئ النيل بمصر... وألزم رجال النصارى بتعليق الصلبان الخشب التي زنة كل صليب منها خمسة أرطال في أعناقهم... وأخذ في هدم الكنائس كلها، وأباح ما فيها وما هو محبس عليها للناس نهباً... وكتب إلى ولاة الأعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات، فعم الهدم فيها..."(٥)

وعلى مدى العصور تمسك الأقباط بإيمانهم المسيحي الأرثوذكسي في مواجهة الاضطهادات المتلاحقة. ومنذ دخول الإسلام إلى مصر، بقيت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية منبراً للإيمان المسيحي، ومشجعة لأبنائها على التمسك بإيمانهم الأرثوذكسي. وكان الحكام يثقلون على الأقباط في الجزية التي يفرضونها عليهم، والتي كانت أعلى بكثير من قدرة الأقباط، وكان الحكام يطالبون البطريرك القبطي بجمع تلك الجزية من الأقباط. وكان البطريرك القبطي يجمع أراخنة الشعب، وكان جميع الأقباط يتعاونون معاً، بل وكانوا يحرمون أنفسهم من ضرورات الحياة حتى يوفوا بهذا النير المفروض عليهم. وقد قام سعيد باشا، في عهد البابا كيرلس الخامس، بإلغاء الجزية التي كانت مفروضة على الأقباط. وكان في هذا القرار تدعيماً للوحدة الوطنية والمساواة بين جميع المصريين كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات.(٦)

---

١ ـ الشماس منسي القمص، كتاب تاريخ الكنيسة القبطية، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨٩ ـ ٨٩٥.
٢ ـ نفس المصدر السابق، ص ٨٩٥ ـ ٨٩٦.
٣ ـ نفس المصدر السابق، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥.
٤ ـ نفس المصدر السابق، ص ٤٨٨.
٥ ـ نفس المصدر السابق، ص ٤٨٨ ـ ٤٨٩.
٦ ـ Aziz S. Atiya, A History of Eastern Christianity, op. cit., pp. 108 - 109.

وعندما إستقل أحمد بن طولون بمصر فى عهد الخليفة المعتمد بن المتوكل، وكان ذلك فى عام ٨٧٠م، أراد ابن طولون أن يحتفل بإستقلاله بمصر، فخفف الضرائب على جميع المصريين. وأراد أن يبنى مسجداً يكون أفخم ما بنى من مساجد فى مصر، فأشار عليه البعض أنه يحتاج إلى ثلاثمائة عمود من الرخام لبناء المسجد، وأن عليه أن يهدم الكنائس ليأخذ عمدانها الرخامية. علم بذلك ابن كاتب الفرغانى وهو فى السجن. وكان الفرغانى من أشهر مهندسى عصره، فأرسل إلى ابن طولون رسالة يبلغه فيها أنه يستطيع أن يبنى له هذا المسجد دون حاجة إلى هدم كنائس الأقباط، فأخرجه من السجن، وبنى الفرغانى مسجد ابن طولون على عامودين فقط جهة القبلة. وعندما فرض ابن طولون على ابن كاتب الفرغانى أن يترك ديانته المسيحية رفض، وقطعت رأسه، وأصبح الفرغانى أحد الشهداء الأقباط الذين خدموا الحكم دون أن يفرطوا فى إيمانهم المسيحى. ولا يزال مسجد ابن طولون شاهداً على عبقرية ابن كاتب الفرغانى الذى أنقذ الكنائس من الهدم.(١)

ولعل معجزة نقل الجبل المقطم شاهد آخر على تمسك الأقباط بإيمانهم، وعلى قوة هذا الإيمان. فقد أوعز رجل يهودى إلى الخليفة المعز لدين الله بأنه إذا كانت المسيحية ديانة حقيقية ، فلابد أن ينفذ المسيحيون ما قاله السيد المسيح:"لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل."(متى ١٧: ٢٠) أعجب المعز بهذا الكلام، لأنه لو تم ذلك سوف تتسع رقعة المدينة. فدعى البطريرك البابا الأنبا ابرام بن زرعة، وأمهله ثلاثة أيام ليقوم بذلك. وإذا لم ينقل الجبل فسوف لن يُبقى مسيحياً واحداً على أرض مصر. خرج البابا مهموماً من أمام الخليفة، وجمع الأساقفة، وحبسوا انفسهم لمدة الأيام الثلاثة فى كنيسة السيدة العذراء (المعلقة). وأصدر البابا منشوراً عاماً يأمر فيه جميع مسيحيى مصر بالصوم والصلاة طوال الأيام الثلاثة. وبقى البابا والأساقفة فى الكنيسة المعلقة صائمين وعاكفين على الصلاة. وفى اليوم الثالث غفى الأب البطريك قليلاً، وإذ بالسيدة العذراء تظهر له وتخبره أنه عند خروجه من الكنيسة "سوف تجد رجلاً يحمل جرة ماء، وهو سوف يبلغكم بما ينبغى عمله." خرج البابا من الكنيسة فوجد سمعان الخراز يحمل جرة ماء يذهب بها لخدمة المرضى المسنين والمحتاجين. وبعد صلاة القداس خرج الجميع بالألحان، حاملين الصلبان، وتوجهوا إلى المكان. وهناك أخذ الجبل يرتفع وينتقل من مكانه مع كل مرة يصلون "كيرياليسون" واختفى القديس سمعان الخراز... ومن يذهب اليوم إلى كنيسة القديس سمعان الخراز بالجبل المقطم سوف تبهره الكنائس التى دشنت فى ذلك المكان التاريخى.(٢)

ولعل فترة الغزوات التى جاءت من الغرب إلى الشرق، والتى أطلقوا عليها اسم "الحروب الصليبية" (١٠٩٥م - ١٢٩١م) كانت من أسوأ فترات التاريخ التى عانى فيها الأقباط مع غيرهم من المسيحيين فى الشرق. فقد أصاب الأقباط اضطهاداً من الجانبين، من المسلمين ومن

---

١ - الشماس منسى القمص، كتاب تاريخ الكنيسة القبطية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥١.
Butcher, The Story of the Church of Egypt, op. cit., vol. I, pp. 472 - 473.

٢ - الشماس منسى القمص، كتاب تاريخ الكنيسة القبطية، مصدر سبق ذكره ص ٤٥٨ - ٤٦٠.
إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، (الاسكندرية، مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج، ١٩٨٩م)، ص ٢٢ - ٢٤.

الصليبيين اللاتين سواسية. إذ اعتبرهم المسلمون "عباد الصليب" وسعوا إلى إبادتهم، ونظر إليهم اللاتين على أنهم منبوذون، بل وأسوأ من الهراطقة.[١]

وقد كان حرق مدينة الفسطاط على يد الوزير شاور فى عهد آخر خلفاء الدولة الفاطمية عام ١١٦٨م من أسوأ الكوارث التى لحقت بالأقباط.[٢] وفى وسط كل تلك الضيقات والاضطهادات التي واجهت الأقباط، تمسك الأقباط بوطنهم، مخلصين لبلدهم، ومضحين بأرواحهم من أجل إيمانهم.

ففى أيام الحملة الفرنسية على مصر، لم يُخف نابليون بونابرت عداءه للأقباط، وكان يعتبرهم "لصوص مكروهين فى البلاد"، ومع ذلك كان بونابرت يعتمد عليهم "فى جباية الضرائب كما فعل المماليك من قبل... لأنهم يعرفون الأصول العامة لإدارة البلاد."[٣] وقبل أن يغادر نابليون مصر عائداً إلى فرنسا سراً، ترك للجنرال كليبر كتاباً مؤرخاً فى ٢٢ أغسطس سنة ١٧٩٩م يقول فيه: "... كنت مزمعاً إن سارت الأمور سيرها الطبيعى أن أضع نظاماً جديداً للضرائب يجعلنا نستغنى تقريباً عن خدمات الأقباط."[٤]

وعلى الرغم من اضطهاد الأتراك والمماليك للأقباط، "على الرغم من ذلك كان موقف الأقباط من الأوروبيين سلبياً، والوثائق التى عثر عليها المؤرخون عن الحملة الفرنسية تجزم بأن الأقباط لم يحاولوا مساعدة الغزاة."[٥]

وقد تمسك البابا بطرس الجاولى باستقلال الكنيسة القبطية، ذلك الاستقلال الذى مازالت الكنيسة القبطية تتمتع به. فقد عرض عليه السفير الروسى فى مصر فى ذلك الوقت حماية قيصر روسيا للأقباط. فسأله البابا: "هل يموت ملككم" فأجابه السفير "طبعاً يموت." فقال له البابا: "نحن فى حماية الملك الذى ليس لملكه نهاية." وذهب السفير إلى محمد على باشا، فسأله محمد على عما أعجبه فى مصر. فقال له السفير الروسى: "لم تدهشنى عظمة الأهرام، ولا ارتفاع المسلات. ولم يبهرنى كل ما فى القطر المصرى من عجائب. إن ما أثر فى نفسى فقط هو زيارتى للرجل التقى بطريرك الأقباط." وبعد أن روى السفير ما حدث بينه وبين البطريرك، توجه محمد على إلى البطريركية وشكر البابا على وطنيته وإخلاصه.[٦]

وعندما احتلت بريطانيا مصر (١٨٨٢م - ١٩٢٢م)، فقد الأقباط جانباً كبيراً مما كان لهم من مكانة، وذلك بسبب سياسة التفرقة بين المصريين المسلمين والمسيحيين. ففى عام ١٩٠١، قدم

---

١. Aziz S. Atiya, A History of Eastern Christianity, op. cit., pp. 92 -93.
Maurice Assad, "Christian Witness in a non- Christian Society", op. cit., p. 108.

٢. الشماس منسى القمص، كتاب تاريخ الكنيسة القبطية، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٣ - ١٩٤.
Aziz S. Atiya, A History of Eastern Christianity, op. cit. pp. 93 -94.

٣. القمص انطونيوس الأنطونى، وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها، (القاهرة: دار الطباعة القومية بالفجالة، ١٩٧٥)، الجزء الأول، ص ٣١٦ - ٣١٧.

٤. نفس المصدر السابق، ص ٣١٧.

٥. نفس المصدر السابق، ص ٣١٧.

٦. نفس المصدر السابق، ص ٣٩٤ - ٣٩٥.

إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الرابع، (الإسكندرية: مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج، ١٩٩٢)، ص ٣٦٩ - ٣٧٠.

المعتمد البريطاني الدون جورست Eldon Ghorst تقريراً للحكومة البريطانية ذكر فيه أن الأقباط يشكلون عشر سكان مصر، ومع ذلك فإنهم يحتلون ٣٢. ٤٥٪ من الوظائف الحكومية، ويتقاضون ٤٠٪ من المرتبات. وبناء على ذلك ضيّق الحكام البريطانيون على الأقباط فى الوظائف الحكومية.(١)

ورداً على السياسة البريطانية في مصر، اجتمعت القيادات القبطية فى المؤتمر القبطى فى أسيوط عام ١٩١١م، حيث طالبوا بمساواتهم بمواطنيهم المسلمين في الوظائف الحكومية والتعليم وتدريس الدين المسيحي للتلاميذ الأقباط فى المدارس وجعل يوم الأحد عطلة رسمية. كتب البابا كيرلس الخامس إلى الأنبا مكاريوس مطران أسيوط معبراً عن تخوفه من عقد هذا المؤتمر، وطلب البابا من الأنبا مكاريوس أن يضع هذا المؤتمر تحت إشرافه وتوجيهه. وقد تحدث الأنبا مكاريوس فى افتتاح المؤتمر وقال: " ... أطلب منكم أن تظهروا كل الحكمة فى مناقشاتكم بما يحفظ لكم حسن العلاقات مع بقية إخوانكم المصريين." (٢)

ومما يجدر ذكره تعيين قبطيين رؤساء للوزارة المصرية، وهما بطرس باشا غالى (١٩٠٨م - ١٩١٠م) ويوسف باشا وهبة (١٩١٩م - ١٩٢٠م).

وقد اتحد الأقباط والمسلمون معاً في مقاومة الإحتلال البريطاني. وقد ترسخت الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط بقيادة سعد زغلول. وكانت ثورة ١٩١٩م ضد الاحتلال البريطاني مركزاً للوحدة الوطنية، وكانت المساجد والكنائس مقاراً للمؤتمرات الوطنية، تحدث الشيوخ المسلمين فى الكنائس، وخطب الكهنة الأقباط فى المساجد. وقد دعا القمص سرجيوس من فوق منبر الجامع الأزهر إلى "وحدة الهلال مع الصليب". وقد رددت دعوته مآذن المساجد ومنارات الكنائس. وكانت الكنيسة المرقسية بكلوت بك مركزاً للمؤتمرات الوطنية التى اجتمع فيها القادة والشعب، المسلمون والمسيحيون معاً. كما كانت مقراً لمؤتمر السيدات المصريات،المسيحيات والمسلمات. ومن الكنيسة المرقسية عارض الأقباط قبول يوسف وهبة الوزارة ومعالاته للإنجليز، كما عارضوا حضور لجنة ملنر إلى مصر.(٣)

وقد صدر دستور ١٩٢٣م محققاً للوحدة الوطنية والمساواة بين جميع المصريين. فقد نص على أن الإسلام هو الدين الرسمي لمصر، ولكنه نص أيضاً على المساواة بين جميع المصريين أمام القانون، دون أية تفرقة بسبب الدين أو اللغة، وجميعهم متساوون فى الحقوق والواجبات، كما نص كذلك على حرية العبادة.

وعندما شكل سعد زغلول الوزارة (عام ١٩٢٤م) كان بين أعضاء وزارته وزيران قبطيان. وكان ويصا واصف، وهو قبطي، رئيساً لمجلس النواب حيث كانت أغلبية أعضاء البرلمان من حزب الوفد فى ذلك الوقت.

ومنذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م، وعلى الرغم من أن مجموعة الضباط الأحرار وأعضاء مجلس

---

١ - نفس المصدر السابق، ص ٨٧.
٢ - نفس المصدر السابق، ص ١٠٠.
٣ - نفس المصدر السابق، ص ٨٤.

قيادة الثورة لم يكن بينهم قبطي واحد، ولكن الوزارة كانت - ولا تزال - تضم بين وزرائها وزيراً أو وزيرين من الأقباط.

وقد أبدى الرئيس جمال عبد الناصر تفهما لمسئولية الحكومة عن حماية كنائس الأقباط. وقد قام المتنيح الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والاجتماعية بدور رئيسي في سبيل تحمّل الدولة مسئوليتها عن حماية الكنائس من المتطرفين. وفي هذا الإطار تمت الزيارة التاريخية التي قام بها البابا كيرلس السادس ومعه الأنبا صموئيل بزيارة الرئيس جمال عبد الناصر في بيته. وفي هذه الزيارة تقرر مشاركة الدولة بالمساهمة في بناء كاتدرائية القديس مرقس بشارع رمسيس بالعباسية، كما اشترك الرئيس جمال عبد الناصر مع البابا كيرلس السادس في وضع حجر الأساس للكاتدرائية في ١٤يولية ١٩٦٥م، كما اشترك الرئيس جمال عبد الناصر مع البابا كيرلس السادس والامبراطور هيلاسيلاسي، إمبراطور اثيوبيا في ذلك الوقت، في الإحتفال بتدشين هذه الكاتدرائية عام ١٩٦٨م.

٣ - دور الأقباط في الإقتصاد المصري

ذكرنا من قبل كيف قام السلطان سليم الأول (١٥١٧م) بنقل الصناع الأقباط المهرة من مصر إلى الآستانة حيث قاموا هناك بنهضة معمارية وصناعية وفنية. وعلى الرغم من ذلك استطاع الاقباط أن ينهضوا من هذه الكبوة واستعادوا جانباً غير يسير مما كان لهم من خبرات صناعية وفنية.

واستطاعوا أن يحتفظوا بما كانوا يمارسونه من أعمال طوال العصور الوسطى وحتى العصر الحديث، مثل القيام بأعمال الإدارة والسكرتارية والحسابات وجمع الضرائب ومختلف الصناعات التي تتطلب مهارات خاصة.

وعندما تولى محمد علي حكم مصر في بدايات القرن التاسع عشر لم يستطع أن يستغني عن الأقباط، فاستوزر شخصيات قبطية مثل المعلم إبراهيم الجوهري وأخوه جرجس الجوهري والمعلم غالي. ومع تحديث إدارة البلاد لم يعد ما كان للأقباط من نفوذ، وفقدوا ما كان لهم من وظائف تقليدية، وعلى الخصوص في جمع الضرائب.

وحتى منتصف القرن العشرين كانت كثير من العائلات القبطية تمتلك مساحات شاسعة من الأرض الزراعية. وعندما قامت ثورة ١٩٥٢م قامت بتحديد الملكية الزراعية بمائتي فدان ثم بمائة فدان. وبذلك فقد الكثيرون من الأقباط جانباً كبيراً من ثرواتهم الزراعية: "أثّرت التأميمات على الأقباط أكثر مما أثرت على المسلمين، لأنها قضت على الكثير من الأعمال الفنية التي تفوق فيها الأقباط. وبالجملة، فقد الأقباط ٧٥٪ من أعمالهم وممتلكاتهم."[١]

وقد تناقصت فرص الأقباط في التعليم العالي منذ قام جمال عبد الناصر بتحويل الأزهر إلى جامعة تحتوي على كليات في جميع التخصصات العلمية والفنية والأدبية، مثل الطب والعلوم

---

١. Saad Eddin Ibrahim, The Copts of Egypt, (Cairo, Ibn Khaldun Centre for Devlopment Studies, 1994), P.11.

والهندسة والآداب وكليات البنات وغيرها. وهكذا "قدم الأزهر لطلابه المسلمين فرصاً ممتازة للدراسة حرم منها الأقباط."[1]

وفي ضوء الظروف الاقتصادية للبلاد سعت بعض العائلات القبطية إلى البحث عن حياة افضل لأنفسهم ولمستقبل أولادهم، فحملوا القليل من متاعهم وهاجروا إلى كندا والولايات المتحدة الأمريكية واستراليا وأوروبا وبعض بلاد افريقيا وأمريكا الجنوبية بل وحتى نيوزيلاندا. وقد سعت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية إلى مواصلة رعايتها لأبنائها هؤلاء فانشأت لهم ما يزيد على مائتي كنيسة في سائر القارات.

ومع تشجيع المبادرات الفردية والإستثمار في عهد الرئيس محمد حسني مبارك، قام كثير من الأقباط بمشاريع صناعية وتجارية وفنية ناجحة، وإحتلوا مراكز قيادية في الإقتصاد المصري.

٤ ـ الظهور النوراني

على مدى العصور، يؤمن الأقباط مع غيرهم من المسيحيين في شتى أنحاء العالم بالظهور العيني أو النوراني للقديسين، الم يظهر موسى وإيليا على الجبل مع السيد المسيح (متى ١٧: ٣، مرقس ٩: ٣٠). فهنالك ظهور السيدة العذراء في بلدة فاطيما بالبرتغال. وكذلك ظهور السيدة العذراء في كنيستها بالزيتون عام ١٩٦٨م. وقد شاهد تجلي العذراء في كنيستها بالزيتون مئات الآلاف من الأشخاص من المسيحيين ومن غير المسيحيين، وحضر كثيرون من سائر أنحاء العالم خصيصاً، وشاهدوا العذراء في هيئتها النورانية، وكذلك الحمام الذي كان يطير حول قبة الكنيسة. وقد شكل البابا كيرلس السادس لجنة لتقصي الحقائق حول هذا الموضوع برئاسة الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف والبهنسا (كان أسقفا حينئذ). وقد صدر بيان من المقر البابوي بالقاهرة بتاريخ ٤ مايو ١٩٦٨م جاء فيه:[2]

"منذ مساء الثلاثاء ٢ أبريل ١٩٦٨م الموافق ٢٤ برمهات سنة ١٦٨٤ش، توالى ظهور السيدة العذراء أم النور في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية التي باسمها بشارع طومانباي بحي الزيتون بالقاهرة. وكان هذا الظهور في ليال مختلفة كثيرة لم تنته بعد، بأشكال مختلفة، وأحياناً بالجسم الكامل وأحياناً بنصفه العلوي، يحيط بها هالة من النور المتلالي، وذلك تارة من فتحات القباب بسطح الكنيسة وتارة أخرى خارج القباب، وكانت تتحرك وتمشي فوقها، وتنحني أمام الصليب العلوي فيضيء بنور باهر، وتواجه المشاهدين وتباركهم بيديها وإيماءات رأسها المقدس. كما ظهرت أحياناً بشكل جسم كما من سحاب ناصع او بشكل نور يسبقه انطلاق أشكال روحانية كالحمام شديد السرعة. وكان الظهور يستمر لفترة زمنية طويلة وصلت أحياناً إلى ساعتين وربع كما في فجر الثلاثاء ٣٠ أبريل سنة ١٩٦٨م الموافق ٢٢ برمودة سنة ١٦٨٤ش حين استمر شكلها الكامل المتلالي، من الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعين إلى الساعة الخامسة صباحاً..."[3] وفي تلك الليلة عاين الأنبا أثناسيوس مع أعضاء اللجنة البابوية لتقصي الحقائق

---

١. نفس المصدر السابق، ص ٢٣.

Maurice Assad. "Christian Witness in a Non-Christian Society: A Case Study From Egypt", im Voices from the Thire World. (Volume xx Nol. grne 2000) pp. 111- 112.

٢. حكيم امين ويوسف منصور، عشر سنوات مجيدة في تاريخ الكنيسة. (القاهرة ١٩٦٩) ، ص ٦٣،٦٧.

٣. "بيان من المقر البابوي بالقاهرة"، نفس المصدر السابق ، ص ٦٥ ،٦٧.

هذا الظهور المقدس فى ليلة ٣٠ أبريل ١٩٦٨م.

ويتوالى تجلى القديسين وظهورهم فى صورة نورانية لتشجيع المؤمنين على مواجهة ما قد يقابلهم فى حياتهم من صعوبات، ولتثبيتهم فى الإيمان المسيحى. ففى كل ليلة شاهد السكان فى أسيوط والاف الزائرين الذين توافدوا على المدينة لمشاهدة هذه الظواهر الروحية فوق قباب ومنارات كنيسة القديس مرقس الرسول فى أسيوط. وقد أصدر مجلس كهنة مدينة أسيوط بياناً موقعاً عليه من ستة كهنة من بينهم القس مينا حنا سكرتير مطرانية أسيوط. وقد نشر هذا البيان فى مجلة الكرازة، وجاء فيه: "هذا البيان صادر من مجلس الكهنة بمدينة أسيوط، يؤكدون فيه مشاهدة الجموع لتجلى العذراء بين منارتى وقباب كنيسة القديس مرقس الرسول التى تم افتتاحها للصلاة بتاريخ ١٩٩٩/١٠/٣١م، وذلك بعد أن تم إعادة بنائها مع دار المطرانية. وقد تبين أن السكان المجاورين للكنيسة قد بدأوا منذ شهر يشاهدون ظواهر روحية فى سمائها ليلاً فظنوها أمراً عادياً، ولم يولوها الاهتمام اللازم إلا بعد أن تكررت هذه الظواهر تحمل معها أسراباً من الحمام الكبير الحجم والناصع البياض، واقترنت بتجلى العذراء بصورة نورانية، وفى أوقات مختلفة منذ ليلة السابع عشر من أغسطس، فأخذوا يعتلون اسطح المنازل المجاورة، ويتجمعون فى الحارات والشوارع المحيطة بالكنيسة. وانتشر نبأ تجلى العذراء، فتوافد الكثيرون من بلاد مختلفة ملتمسين بركات التجلى. وقد سأل الكثيرون من الراغبين فى زيارة موضع التجلى عن مواعيد الظهور، ورداً على ذلك نذكر أن التجليات والظواهر الروحية لا تخضع لرغبات بشرية ولا لمقاييس زمنية. فقد يذهب إلى مكانها من يرغبون فى رؤيتها فلا يرونها، بينما قد يراها عرضاً غيرهم من المارين بعدهم. وقد تلقت الكنيسة كثيراً من الاستفسارات عن هذا التجلى من خارج البلاد. ونرجو أن يكون فى هذا الكفاية."[1]

وقد صاحب هذا التجلى الروحانى للسيدة العذراء مريم معجزات شفاء المرضى الذين يؤمنون بقوة الله الفاعلة فى قديسيه. وقد قامت مطرانية أسيوط بتصوير هذا الظهور الروحانى بالفيديو. وقام مراسلو شبكات التلفزة العالمية ومراسلو الجرائد من مختلف بلاد العالم بتسجيل هذه الظواهر النورانية غير البشرية بعدساتهم وبأقلامهم. وقد نشرت بعض الصور لهذا الظهور العجيب فى عدد مجلة الكرازة المشار إليه فى هذا المقال مع بيان كهنة أسيوط وفى أعداد جريدة وطنى وغيرها من الجرائد والمجلات.[2] وقد سعد كاتب هذه السطور بمشاهدة النور فوق قباب ومنارات كنيسة القديس مرقس الرسول بأسيوط حيث قضينا الليل كله فوق سطح إحدى العمارات العالية. أما الطيور التى حلقت فوق رؤوسنا فكانت أجنحتها طويلة مثل النسور.

٥ ـ نمط الحياة الأسرية القبطية

الزواج فى المسيحية وحدة عضوية بين الزوجين، وهو رباط مقدس بينهما، إذ هو سر من

---

١. "بيان من الآباء كهنة أسيوط عن التجليات فى الكنيسة الرقسية"، مجلة الكرازة، السنة الثامنة والعشرون، العددان ٣٥، ٣٦ فى ١٢ اكتوبر ٢٠٠٠م، ٢ بابة ١٧١٧ش، ص ٢.

٢. باسمة وليم، "قرابة مليونى زائر يشهدون التجليات النورانية والحمام المقدس فى سماء كنيسة مارمرقس بأسيوط"، جريدة وطنى، ١٥ اكتوبر ٢٠٠٠م، ص ٥.
رؤوف توفيق، "تجربة ليلة لا تنسى: انوار العذراء فى سماء اسيوط"، مجلة صباح الخير، ٣ اكتوبر ٢٠٠٠م، ص ٣-٧.
القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، ظهور العذراء والتجليات الروحية فى اسيوط (القاهرة، ٢٠٠٠م).

الأسرار السبعة في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. لذلك لا ينفك الزواج المسيحي إلا بانتقال أحد الزوجين من هذا العالم، أوبسبب علة الزنا، إذا ثبت على أحد الزوجين أنه قد اقترفها. وقد أكد السيد المسيح "أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى. وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته. ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذ ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان... وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني. والذي يتزوج بمطلقة يزني." (متى ١٩:٤-٩)، (مرقس ١٠:٢-١١)، (لوقا ١٦:١٨) وقد كرر الرب يسوع هذه الوصية في الموعظة على الجبل (متي٥:٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٢). ونفس الوصية قد أعطيت أيضاً للمرأة: "وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني." (مرقس١٠:١٢)

وتعتبر فترة الخطوبة فترة تعارف وإختبار بين الخطيبين. والهدية التي يقدمها الخطيب لخطيبته (الشبكة) تكون عربوناً للحب الذي ينمو في حياتهما، وتأكيداً لجدية مشروع الزواج فيما بينهما. وأثناء فترة الخطوبة، يعبر الخطيب لخطيبته عن تقديره لها بما يقدمه لها من هدايا. وقد جرى العرف على أنه إذا قرر الخطيب أن يترك خطيبته وألا يتمم مشروع الزواج، فعليه أن يترك ما كان قد قدمه لها من هدايا. ولكن إذا كان هذا القرار من جانب الخطيبة، فعليها أن ترد له هداياه بما فيها خاتم الخطوبة (الدبلة) والشبكة. وتهتم عائلة العروس بأن تتأكد من ارتياح ابنتها لإتمام الزواج مع خطيبها. والخطيبان هما وحدهما صاحبا القرار النهائي في إتمام الزواج.

وفي عام ١٨٩٥م أصدر البابا كيرلس الخامس منشوراً بطريركياً للكهنة يذكرهم فيه أنه خضوعاً للقوانين الكنسية لا يكفي أن يرى الخطيب خطيبته، وإنما لابد أن يدرس كل منهما الآخر، وأنه يتعين على الكهنة أن يتحققوا من أن الخطيبين يقدمان على الزواج بقبول كل منهما للآخر تقبلاً كاملاً قبل إتمام سر الزواج المقدس.

وإذا كان أحد الطرفين من كنيسة أخرى غير الكنيسة الأرثوذكسية، ففي هذه الحالة تشترط الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أن يتم عماد الطرف المنتمي إلى الكنيسة الأخرى حتى يصبح عضواً في الكنيسة الأرثوذكسية.

وعلى الرغم من أن المحاكم المدنية تحكم بالطلاق بين الزوجين لأسباب غير علة الزنا، فإن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قد أنشأت في عهد البابا شنودة الثالث "المجلس الإكليريكي" لبحث أي حالة يتقدم فيها أحد الطرفين بطلب الزواج مرة ثانية في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. ويدرس المجلس الاكليريكي تلك الطلبات من جميع نواحيها، ويسمح فقط بمنح تصريح زواج للطرف المتقدم بطلب الزواج في حالتين لا ثالث لهما: الأولى: بطلان الزواج، والثانية: في حالة ثبوت أن الطرف الآخر يمارس أو قد مارس علة الزنا.

وفي حالة وفاة الزوج، لا تسمح الكنيسة بإتمام زواج الأرملة ثانية إلا بعد مرور عشرة شهور على الأقل من وفاة الزوج، حتى يتم التأكد من أنها لم تحبل من زوجها المتوفى قبل وفاته. على أن هذه القاعدة يمكن التغاضي عنها إذا قدمت هذه الأرملة التقارير الطبية التي تثبت أنها ليست حاملاً.

ولا تسمح المسيحية بالزواج بأكثر من زوجة واحدة. فالزواج المسيحي زواج وحدوي، أي زوج واحد لزوجة واحدة، وزوجة واحدة لزوج واحد. وقد تمسكت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بشريعة الزوجة الواحدة للزوج الواحد. وقد كتب قداسة البابا شنودة الثالث كتابه الشهير "شريعة الزوجة الواحدة"[1] رداً على حكم أصدره أحد القضاة في المحاكم المدنية، سمح فيه لشخص مسيحي قبطي أرثوذكسي بأخذ زوجة ثانية على زوجته. وقد رفضت الكنيسة هذا الحكم، وصدر حكم محكمة النقض بتأييد موقف الكنيسة في وحدانية الزواج المسيحي.

وقد سعى بعض أثرياء المسيحيين في بعض العصور أن ينقضوا سر الزواج المقدس الوحدوي، فوقفت لهم الكنيسة وقفة حازمة. ويذكر أنه في عهد البابا يوحنا الخامس عشر (البطريرك التاسع والتسعين في عداد بطاركة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية) سعى بعض الأغنياء وأصحاب الحظوة من كبار الأقباط لعزله عن كرسيه بسبب مقاومته لتعدد الزوجات بين الأقباط، حيث قام البعض منهم باتخاذ أكثر من زوجة. وقد قام خلفه البابا مرقس الخامس (١٦٠٣ - ١٦١٩) بمواصلة الوقوف ضد هذه الممارسة، والتي سار معها أسقف دمياط في ذلك الوقت، بحجة أنه في العهد القديم سُمح بالزواج بأكثر من زوجة. فعزله البابا مرقس الخامس عن كرسي المطرانية، وحرمه لهذه الهرطقة التي هي ضد الإيمان المسيحي. وقد قام ذلك المطران المشلوح بالسعي لدى الوالي جعفر باشا لعزل البطريرك عن كرسيه. ولكن الأقباط في القاهرة والصعيد تمسكوا ببطريركهم حتى أعادوه إلى كرسيه.

وقد وقفت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بحزم على مدى عصور تاريخ المسيحية في مصر وإلى يومنا هذا ضد سائر الممارسات الجنسية الشاذة وغير الشرعية، سواء الزنا أو الجنسية المثلية، أو غير ذلك من الممارسات الخاطئة، تلك الممارسات التي قاومها الكتاب المقدس في العهد القديم والعهد الجديد (لاويين ١٨:٢٣، ٢٠:٥، ١٢؛ أيوب ٨:١٣، ١٣:١٦، ١٥:٣٤، ١٧:٨، ٢٠:٥، ٢٧:٨، ٣٤:٣٠، ٣٦:١٣؛ مزمور ٣٥:١٦؛ هوشع ٦:٩؛ رومية ١:٢٧، ٥:٦؛ تيموثاوس الأولى ١: ١؛ بطرس الثانية ٢: ٥-٧؛ يهوذا ٤ . ١٥).

وفي بعض العصور، أيام انتشار العبيد والسراري الذين كانوا يشترون بالمال، قام بعض أثرياء الأقباط بشراء السراري ومعاشرتهن كأنهن زوجات، وأنجبن منهن أبناء، فوقفت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية لهم بالمرصاد، وحرمتهم من شركة الكنيسة. ويذكر أنه في عهد البابا أبرام بن زرعة، البطريرك الثاني والستين، كان هناك "رجل مشهور بالغنى ونفوذ الكلمة يدعى أبا سرور وهو من الحاصلين على المناصب العالية في الحكومة، وكانت لديه عدة سراري ومحظيات، فاعترض عليه البطريرك في ذلك وعنفه كثيراً. ولما لم يرتدع أصدر عليه البابا حرماناً من الكنيسة، فما كان من هذا الغشوم إلا أن سعى في موته، فدس له السم، وراح البطريرك شهيد الواجب، ولم يتم على الكرسي البطريركي سوى ثلاث سنين وستة أيام، ورقد في الرب في ٦ كيهك ٦٩١ ش، (٩٧٩م).

---

١ . قداسة البابا شنودة الثالث، شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية، (القاهرة منشورات الكلية اللاهوتية الإكليريكية، ١٩٦٧م).
انظر: موريس اسعد، الأسرة القبطية والتحولات الاجتماعية في مصر، (القاهرة، مكتبة الرجاء، ٢٠٠٠م)، ص ٩٤ . ٩٥.

٦. العادات والممارسات الشعبية.

سادت بين المصريين جمعياً، على مر العصور، بعض العادات والممارسات والمعتقدات والأساطير الشعبية. فقد عرف السحر والشعوذة من قديم الزمان بين المصريين القدماء. ويذكر لنا الكتاب المقدس موقف موسى النبي من السحرة والعرافين المصريين (تكوين ٧:٨-١٣، ٩:١١). ولايزال بعض الناس يعتقدون في أفعال السحر، مثل مايسمى "العمل" وغير ذلك من وسائل الشعوذة.

وكذلك تسود معتقدات أسطورية بين بعض الناس، ذلك عندما يقف غراب على نافذة بيت معين، فيقول أهل البيت أن أحد أفراده سوف يموت. وهناك ممارسات يلجأ إليها بعض البسطاء، حتى تحبل المرأة التي تمر عليها سنوات من الزواج دون أن تحبل. وكذلك الأمر بالنسبة للفتاة التي قد يُظن أنه قد فاتها سن الزواج.

ويسعى بعض الناس إلى استطلاع المستقبل. وقد سادت مثل تلك المعتقدات من قديم الزمان. من ذلك مثلاً السعي إلى تفسير الأحلام. فيذكر لنا سفر التكوين كيف فسر يوسف حلم رئيس السقاة وحلم رئيس الخبازين وكانا محبوسين مع يوسف، وكذلك حلم فرعون (تكوين ٤٠:١-٢٣ ، ٤١:١-٣٣). مثل هذه الأحلام والرؤى قد تمت بتدبير إلهي. ولم يكن قيام يوسف بتفسير هذه الأحلام بحكمة من عنده، وإنما بكشف إلهي.

وتطالعنا الجرائد والمجلات في كل يوم وتقدم للناس ما يسمى "حظك اليوم"! ويهتم كثير من الناس بقراءة ذلك ربما قبل أن يقرأوا أخبار ذلك النهار. ويذهب بعض الناس إلى قارئي فنجان القهوة، واستطلاع أوراق "الكوتشينة" أو قراءة "البخت" في الودع أو الأصداف البحرية، ويسعون في ذلك إلى معرفة ما ينتظرهم في مستقبل حياتهم مع أسرهم. ومثل هذه المعتقدات موجودة عند كثير من شعوب العالم في يومنا هذا ومن قديم الزمان.

كما يعتقد المصريون وغيرهم من الشعوب فيما يسمى "الحسد"، فيعلقون خرزة زرقاء حول رقبة الطفل درءاً لحسد الحاسدين، كما يخفون جنس الطفل الوليد، بأن يلبسوا الطفل الذكر ملابس الأنثى لمدة عامين حتى فطام الطفل. وفي الريف يثقبون إحدى أذني الصبي الذكر وهو بعد صغير، خصوصاً إذا كان الولد الوحيد في الأسرة، ويضعون فيها حلقة، ويعملون ذلك لحماية الصبي من العين الشريرة. واعتقاد المصريين في الحسد والعين الشريرة منتشر في كثير من الأوساط في القرية والمدينة. وكل هذه المعتقدات والممارسات توارثها المصريون من أجدادهم القدماء.

ويسود بين بعض الأقباط الاعتقاد بأن قراءة مزامير معينة لفترات معينة وسيلة ناجحة في اعتقادهم من أجل إنجاز غرض معين أو كوسيلة للانتقام من شخص معين.

ويعتقد بعض المصريين فيما يسمى "مس الشيطان" الذي قد يصيب بعض الأشخاص. فيقال أن فلانا عليه روح نجس. ويلجأ الأقباط إلى القديسين لإخراج الشياطين والأرواح النجسة، فيذهبون إلى مارجرجس بميت دمسيس، أو يلجأون إلى الرهبان في الأديرة الذين يعتقدون أن

الله قد منحهم موهبة إخراج الشياطين. ويؤمن كثير من المسلمين والأقباط بالتبرك من موالد الأولياء، مثل مولد السيدة زينب بالقاهرة أو مولد السيد البدوى بطنطا. ويذهب الأقباط إلى موالد بعض القديسين مثل مولد السيدة العذراء ببياض شرق بنى سويف، أو مولد السيدة العذراء فى دير درونكة، أو مولد الست دميانة فى البرارى أو مولد مارجرجس فى ميت دمسيس وفى ببا بمحافظة بنى سويف، وغير ذلك من أعياد القديسين. ويعيش الناس أثناء الأيام التى يقضونها فى تلك الموالد فى الخيام أو فى حجرات يستأجرونها، فتقيم كل أسرة فى خيمة أو حجرة. ويستمر كل مولد من هذه الموالد لمدة أسبوع أو أسبوعين. ويذهب الناس إلى هذه المواسم لنوال البركة، وكنوع من الترويح والراحة والنزهة.

وتنتشر بين المصريين عادة الوشم، على الخصوص فى تلك الموالد، فيدق المسلمون على أيديهم أشكالاً مختلفة، أما المسيحيون فيدقون علامة الصليب على أيديهم.

٧ ـ التقويم القبطى فى الحياة اليومية

تطلع علينا الجرائد اليومية فى مصر كل يوم وهى تحمل على صدر صفحتها الأولى تاريخ اليوم بحسب التقويم القبطى، إلى جانب التقويمين الميلادى والهجرى. وقد ألف المصريون القدماء أول تقويم عرفته البشرية، وقسموا السنة إلى فصول وإلى شهور، وأعطوا كل شهر اسماً. وأدركوا تتابع ساعات النهار والليل. وجعلوا كل شهر ثلاثين يوماً. وميزوا بين سنوات الخصب وسنوات القحط، مثلما عملوا أيام يوسف الصديق.

وقد وضع التقويم القبطى على أساس التقويم المصرى القديم. والسنة فى التقويم القبطى منقسمة إلى اثنى عشر شهراً، كل شهر منها يحتوى على ثلاثين يوماً، ثم أضافوا إليها ما يسمى بالشهر الصغير (أو أيام النسئ) وهو يحتوى على خمسة أيام. وقد ارتبطت السنة القبطية، مثل السنة المصرية القديمة، بالفيضان الذى كان يغمر البلاد فى كل عام. وقد قسموا السنة إلى ثلاثة فصول، كل فصل منها أربعة أشهر. وسموا الفصل الأول: "فصل الفيضان"، وفيه شهور توت، بابه، هاتور، كيهك؛ والفصل الثانى: "فصل بذر البذور"، وفيه شهور طوبة، أمشير، برمهات، برمودة؛ والفصل الثالث: "فصل جنى المحصول"، وفيه شهور بشنس، بؤونة، أبيب، مسرى. ثم يلى ذلك خمسة أيام الشهر الصغير. وأسماء الشهور القبطية مشتقة من أسماء الشهور المصرية القديمة. فمثلاً شهر "توت" كان اسمه القديم "تحوت"، وشهر "بابة" كان اسمه "باؤفى"، و"هاتور" كان "حاتحور"، و"طوبة" كان "طيبى"، و"أمشير" كان "مخير"، و"برمهات" كان "قمنوث"، و"برمودة" كان "فرموتى"، و"بشنس" كان "بخونس" و"بؤونة" كان "بينى"، و"أبيب" كان "إبيفى"، و"مسرى" كان "مسورى". وتعتبر السنة القبطية مثل السنة المصرية القديمة سنة نيلية.

وقد عرف التقويم المصرى القديم منذ عام ٤٢٤١ ق.م. وقد بدأ المسيحيون المصريون التقويم القبطى يوم ٢٩ أغسطس سنة ٢٨٤م، وذلك تخليداً لذكرى الشهداء الذين استشهدوا أيام الاضطهاد الرومانى.

ولا يزال الفلاح المصرى يستخدم التقويم القبطى فى حساب الدورات الزراعية. ولا تزال تجرى الأمثال المرتبطة بالشهور القبطية على السنة الناس. مثال ذلك:

بابة: "أدخل واقفل البوابة".

هاتور: "أبو الدهب المنثور".

كيهك: "صباحك مساك"

طوبه: "تخلى العجوزة كركوبة"

امشير: "أبو الزعابير".

برمهات: "روح الغيط وهات".

وقد ورد فى كتاب "فضائل مصر وأخبارها وخواصها لابن زولاق" اسماء الشهور القبطية كما ذكرناها آنفاً. وسرد مؤلف هذا الكتاب مع اسم كل شهر من الشهور القبطية ما يوافق كل شهر منها من الأعمال فى الزراعات وزيادة النيل، وما يرتبط بكل واحد من الشهور القبطية من "أعمال فلكية رصدية"، وكيف كان المصريون يتصرفون فيه، وأسلوب سلوكهم فى هذا الشهر أو ذاك.[1]

٨ ـ اللغة القبطية فى اللهجة المصرية العامية

اللغة القبطية هى آخر تطور للغة المصرية القديمة. وقد اقتبست اللغة القبطية الحروف اليونانية لسهولة كتابتها أكثر من الحروف المصرية القديمة، وأضافت إليها سبعة حروف من الخط الديموطيقى الذى كانت تكتب به اللغة المصرية عند قدوم اليونان إلى مصر. وهذه الحروف هى: شاى (ش)، فاى (ف)، خاى (خ)، هورى (هـ)، جنجا (ج)، تشيما ٠(تش)، تى (ت).

وقد ذكرنا فى القسم السابق من هذا المقال اسماء الشهور القبطية، كما ذكرنا أن الفلاح المصرى لايزال يستخدم التقويم القبطى لتحديد المواسم الزراعية ومواعيد زراعة مختلف المحاصيل التى يقوم بزراعتها.

وقد استغرق الانتقال من اللغة القبطية إلى اللغة العربية عدة قرون، تلاحمت فيها اللغة القبطية مع اللغة العربية، ونتج عن ذلك اللهجة العامية العربية المصرية، التى لاتزال نستخدمها كلغة تخاطب فى حياتنا اليومية. كما تأثرت طريقة نطق الكلمات والحروف وأسلوب التعبير فى مختلف مناطق مصر باللهجة الدارجة التى كانت سائدة فى تلك المناطق فى العصر القبطى قبل دخول العرب مصر؛ إذ كانت هناك عدة لهجات قبطية نذكر منها اللهجة البحيرية، واللهجة الصعيدية، واللهجة الفيومية، واللهجة الأخميمية، واللهجة القبطية البشمورية. بل وقد تفاعلت تلك اللهجات ببعضها البعض فتولد منها لهجات قبطية خاصة بمدينة معينة. مثال ذلك كان أهل جرجا يستبدلون حرف "ج" بالحرف "د" فى اللهجة القبطية الجرجاوية وهم يفعلون ذلك فى اللهجة العربية السائدة فى تلك المدينة إلى اليوم، فينطقون اسم بلدهم "دردا" بدلا من "جرجا".

---

١ ـ مراد كامل، حضارة مصر فى العصر القبطى، (القاهرة: مطبعة دار العالم العربى ١٩٦٧م)، ص ١٩٢-٢٠١.

وكذلك تعطيش حرف "ج" فى الصعيد مختلفاً عن أهل القاهرة وهكذا.

ولا تزال كثير من الألفاظ والتعبيرات القبطية سائدة فى الحياة اليومية فى مصر. كلمة "مام" (mum) التى نقولها للأطفال الصغار ليأكلوا، فهى تعنى فى اللغة القبطية "كُل"، وكلمة "امبو" فهى تعنى "إشرب"، وكلمة "واوا" معناها "ألم" أو "وجع"؛ وكلمة "كوخ" معناها "قذارة"؛ وكلمة "تاتا" معناها "إمشى"؛ وكلمة "بعبع" وهى فى القبطية "بوبو" ومعناها "عفريت". وغير ذلك كثير من الكلمات القبطية التى لا نزال نستخدمها مع أطفالنا فى اللهجة العربية الدارجة، ومنها كلمة "عيب"، وأصلها القبطى "اواعب" أو "اواب" ومعناها "مقدس".

وعند نزول المطر، يقول الأولاد: "يا نطرة رخى"، وكلمة "رُخ" كلمة قبطية معناها "إنزل"؛ وكلمة "سخام" أصلها فى اللغة القبطية "سخم" وهى تعنى "نجس" أو "وسخ"؛ ويقال كذلك "جبنة حالوم"، وكلمة "حالوم" فى اللغة القبطية تعنى "جبنة"؛ والسمك الصغير الذى نطلق عليه "بسارية" فهى أيضاً كلمة قبطية تعنى "السمك الصغير".

وهنالك العديد من الأطعمة المصرية لاتزال تحمل اسمها القبطى، من ذلك مثلاً "المدمس" وأصلها القبطى "متمس" ومعناها "الفول المطمور"، وكلمة "بيصارة" وهى فى القبطية "بيصورو" وتعنى "الفول المطبوخ". ونجد كذلك "لفت" و"ملوخية" و"أوطة"، وكلمات تتعلق بوصف الأشياء مثل كلمة "ياما" وأصلها القبطى "اما" وتعنى "كثير"؛ وكلمة "عنتيل" أصلها "انتورى" ومعناها "القوى" أو "الشديد". وكلمة "باش" هى نفسها الكلمة القبطية ومعناها "لان" أى "أصبح طرياً"، وكلمة "بك" معناها "نزل" أو "سقط" (مثل بك الدم أى نزل الدم). وكلمة "بوش" القبطية ولاتزال تستعمل فى العامية ومعناها "فارغ" أو "خالى"، وكلمة "كوُش" أصلها قبطية وتعنى "أخذ كل شئ ولم يترك لغيره شيئاً". وعبارة "كانى... مانى" هى أيضاً قبطية وتعنى "سمن... وعسل". وعند الفجر نقول "شاشا". النور. وكلمة "شاشا" أصلها القبطى "شاهشا" ومعناها "سطع" أو "أنار". وكلمة "طمس" أو "انطمس" التى نستعملها اليوم فى العامية المصرية أصلها القبطى "طمس" أو "طمسى" ومعناها "دفن".

أما كلمات الغناء التى نسمعها فى الأفراح: "ياليلى ياعينى" فهى أيضاً كلمات قبطية، فكلمة "ليلى" بالقبطية تعنى "فرح" أو "ابتهاج" أو "إنشراح". وقد وردت هذه الكلمة فى مديحة قبطية للعذراء، ومطلعها: "ليلى اودى بارتينوس" ومعناها: "افرحى أيتها العذراء".

أما كلمة "هيهليصا" وهى كلمة منتشرة بين (المراكبية) فى النيل، وهى تتركب من كلمتين قبطيتين: "هى" ومعناها "وقع" أو "سقط"، وكلمة "هيليص" أو "لوص" ومعناها "الوحلة" أو "الطين". وعندما نقول: "حتتك بتتك"، فهتان الكلمتان أيضاً قبطيتين: "حات" وتعنى "قلب" أو "صدر"، وكلمة "بات" القبطية تعنى "ضلوع" أو "عظم".

ومن اسماء الأدوات والأشياء التى نستعملها فى حياتنا اليومية وهى من أصل قبطى، نذكر كلمة "لبان" وهو "الحبل" الذى يجر المركب الصغير، وكلمة "خن" وهى تعنى "ركن"

ومن اسماء المدن والأماكن التى لا تزال تحتفظ باسمائها القبطية نذكر مدينة "أسوان"،

وأصلها "سوان" وتعنى "السوق". ومدينة "أسيوط"، أصلها القبطى "سيوط"، و"أهناسيا" أصلها القبطى "هناس". أما مدينة "المنيا" فأصلها القبطى "منى"، أما "الأشمونين" فأصلها القبطى "خمون - شمون" أو "شمون - شمون" وتعنى مدينة الثمانية معبودات. مدينة "ملوى" أصلها القبطى "مناوى" وتعنى "مستودع الأشياء". ومدينة "منف" كان أصلها القبطى "منفر" أو "ممفى" وكانت عاصمة الدولة القديمة منذ عهد الملك مينا موحد القطرين. أما "بركة قارون" فى الفيوم، فاسمها القديم "موريس"، وأصل الاسم "مر اور" ثم أضاف إليها الإغريقى "إيس" وهى تعنى "البحيرة الكبيرة". وعلى هذا فاسم موريس اسم قبطى ومصرى قديم وليس فرنسياً كما يظن البعض. وهو من المساهمات القبطية فى التراث العالمى منذ استشهاد القديس موريس قائد الكتيبة الطيبية فى بلاد سويسرا. واسم "شبرا" أصله القبطى "شبرا" وهى تعنى "حقل" أو "غيط"، من ذلك (شبرا مصر، شبرا البلد، شبراخيت، شبرامنت). وكذلك لفظه "ميت" ومعناها "طريق". من ذلك (ميت غمر، ميت برة، ميت يزيد). وكذلك "بولاق الدكرور" أصلها القبطى "بلاق" وتعنى جزيرة، وكلمة "دكرور" وهى تعنى "ضفادع". أى أن بولاق الدكرور تعنى "جزيرة الضفادع".

ومن اسماء الأشخاص المنتشرة على الخصوص بين الأقباط وهى فى الأصل كلمات قبطية فهى كثيرة. وقد ذكرنا قبلاً اسم "موريس"، ونضيف هنا اسم "بانوب" ومعناه "عبد الإله أنوبيس" وهو إله التحنيط عند المصريين القدماء. وربما يكون مشتقا من كلمة "بى نوب" وتعنى "مصر". وكذلك اسم "باهور" ومعناه "عبد الإله حور"، واسم "إيزيس" تيمناً بالإلهة إيزيس، واسم "باخوم"، واسم "بشاى" ومعناه "عيد"، واسم "مينا" وهو أحد الملوك الفراعنة، وكذلك القديس الشهير "مارمينا". وبعض هذه الاسماء عُربت، مثل "بشاى" أصبح "عيد"، واسم "بيشوى" أصبح "بخيت"، واسم "شنودة" أصبح "عبد الله".(١)

٩ - الخصوصية القبطية

وعلى الرغم من أن المصريين جميعاً - مسيحيين ومسلمين - لهم ذات السمات العامة التى تميزهم كشعب واحد فى وطن واحد، غير أن المصريين المسيحيين - أى الأقباط - قد إحتفظوا بملامح ذاتية خاصة بهم. وذلك بفعل إيمانهم بالإله الواحد الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس، وبفعل صبغة المعمودية والميرون بعمل الروح القدس فى حياتهم، ومن تواصل التفافهم حول كنيستهم كجماعة دينية يتم التزاوج بين أعضائها. وقد أمدتهم الكنيسة فى كل مدينة وقرية، عبر قرون طويلة، بالتعليم والإرشاد الرعوى، وحفزتهم على التمسك بالإيمان المسيحى، وبالقيم الروحية والأخلاقية والإيمانية المسيحية التى توجه حياتهم وسلوكهم. ويضع الأقباط أمام أعينهم سير القديسين والرهبان والنساك والشهداء، متقلدين بسيرهم، ومجاهدين الجهاد الحسن، حتى يصلوا إلى كمال إيمانهم المسيحى.

---

١ - نفسى المصدر السابق، ص ٣٦ - ٧٤.

محرم كمال، آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية، ص ٣٦ - ٦٥.

الفصل الثالث

الأسرة القبطية والتحولات الاجتماعية

د. موريس أسعد

١ ـ الأسرة عند المصريين القدماء

توارثت الأسرة المصرية، سواء القبطية أو المسلمة، بعض سماتها الرئيسية من المصريين القدماء. فاستمرار الحياة المستقرة على ضفاف النيل الاف السنين اسهم في تواصل التراث الأسري. وما نشاهده في آثار المصريين القدماء يقدم لنا صورة لعلاقة الحب والتعاطف والتواد بين الأزواج والزوجات، وبين الوالدين وأولادهم وبناتهم. وكان الزواج دائماً شركة مكرمة بين الزوج والزوجة. وفي نص مصري قديم، يوصي الحكيم الشباب: "إذا كنت شخصاً ذو مكانة، فابحث لنفسك عن زوجة. ولتحب زوجتك في البيت على ما هو واجب، واملأ احشاءها، واكس ظهرها، فلتفرح قلبها ما دمت حياً. إنها حقل طيب لرجلها."(١)

وكان الزواج بزوجة واحدة هو النمط السائد، فلم يعرف الفلاحون المصريون في قديم الزمان نظام تعدد الزوجات. ولم يعرف الفلاحون المصريون قديماً زواج الأخ بأخته أو الأب بإبنته، وربما يكون قد عُرف ذلك بين بعض الفراعنة أو بين علية القوم، ولكنه لم يكن معروفاً بين العامة." (٢)

وكان للمرأة حقوقاً مساوية للرجل في معظم مسالك الحياة. ولم تلبس المرأة المصرية القديمة الحجاب، وتعلمت في المدارس أسوة بالذكور، وبما يتناسب ودورها في الحياة. وقد تولت بعض النساء عرش مصر مثل الملكة حتشبسوت. وكان بين النساء كاهنات المعابد، بل والبعض منهن اعتبرن إلاهات. غير أن الدور الرئيسي الذي لعبته المرأة المصرية القديمة كان في البيت كزوجة وأم. أما الأبناء فكانوا محور حياة الأسرة. فقد اهتم المصريون القدماء بتربية أبنائهم وتعليمهم، وقام الآباء بتدريب أبنائهم لكي يخلفوهم في حقولهم أو حرفهم أو عملهم. فنقرأ النصيحة التالية في نص مصري قديم: "إتخذ لنفسك زوجة في شبابك حتى تعطيك إبناً. فلتتجبه لنفسك بينما لا تزال صغيراً، وتحيا حتى تراه رجلاً. مغبوط (سعيد) هو الرجل الذي يعمر بيته بالناس، وهو يكون محترماً بسبب أبنائه." (٣) وعندما كان يموت الأب كان إبنه يرث ممتلكاته. وكان الأب الميت يعتبر حياً في شخص إبنه الذي كان يواصل حمل مسئوليات الأب. وكان الأبناء يتحملون كذلك مسئولية والديهم المسنين.

---

١ . Adolf Erman, The Ancient Egyptians: a Sourcebook of their Writings, trans. Aylward N. Blachman, (New York: Harper Torchbooks, Harper and Row Publishers, 1966), p. 61.
Quoted in Maurice Assad, "The Coptic Family and Social Change in Egypt, "In Masamba ma Mpolo and Cécile De Sweemer (editors), Families in Transition, (Geneva: World Council of Churches, 1978), p. 32.

٢ . نفس المرجع السابق، ص ٣٢.
Sir G. Gardner Wilkinson, The Ancient Egyptians: Their Life and Customs (London: Brachen Books, 1988), vol. I, p. 5, Vol. II, p. 224.
Adof Erman, The Ancient Egyptians: Their Life and Customs, (London: Brachen books, 1988), Vol. I, p.5, Vol. II, p. 224.

٣ . Adof Erman, The Ancient Egyptians, op. cit, p. 135.
Quoted in Maurice Assad, "The Coptic Family and Social Change in Egypt," op. cit., p. 32.

٢ ـ التراث المسيحى فى البيت القبطى

تتمسك الأسرة القبطية بمبادئ الحب والمساواة التى أكد عليها الرسول بولس: "ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد فى المسيح." (غلا ٣: ٢٨). "وأما المرأة فهى مجد الرجل... غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل فى الرب. لأنه كما أن المرأة هى من الرجل كذلك الرجل ايضاً هو بالمرأة". (١ كو ١١:٧، ١١ ـ ١٢). ويتحدث القديس اكليمندس الإسكندرى بأجلى وضوح عن المساواة بين الرجل والمرأة: "يمارس كل من الرجل والمرأة الفضائل ذاتها. ومن المؤكد انه إذا كان هناك رب واحد لكليهما، إذن فهناك معلم واحد فقط لكليهما. كنيسة واحدة، فضيلة واحدة، تواضع واحد، الغذاء نفسه، الزواج معاً. التنفس والبصر والسمع والمعرفة والرجاء، والطاعة، الحياة كلها متماثلة فى الرجل والمرأة. فأولئك الذين يتمتعون بالحياة معاً، فلهم ايضاً الفضيلة مشتركة، وكذلك التربية."[١]

ولعل أعظم تأثير على حياة الأسرة القبطية يكمن فى الطبيعة السرية للزواج القبطى. فالزواج القبطى سر من أسرار الكنيسة السبعة. وقد شبه الرسول الوحدة بين الزوج وزوجته بذلك السر العظيم الذى هو سر اتحاد المسيح بالكنيسة. (أف ٥: ٢٢ ـ ٣٣)

ولقد كان للبيت القبطى عبر العصور دوره الفعال فى تشكيل الذاتية القبطية لأبنائه وبناته. فتنشئة الأطفال فى جو عائلى روحى إيمانى، يسوده الحب والرعاية، متمسكين بالإيمان بالثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، ومتقلدين بالقديسين والقديسات الذين تضعهم الأسرة أمامها كنماذج للحياة المسيحية فى الفضيلة والتقوى. فى هذا الجو يترعرع الأطفال فى أحضان الكنيسة والبيت، متمسكين بهذا الإيمان العميق بالرب يسوع المسيح مخلص العالم. وهكذا يترعرع الأطفال فى أحضان كنيستهم القبطية، وينمون فى القامة والحكمة والنعمة. ولقد دعا القديس اكليمندس الإسكندرى الزوجين المسيحيين أن يتحدا معاً فى العبادة وأن يشتركا معاً فى قراءة الكتاب المقدس وفى تعاليم الرسل. ويقدم هذه الوصية للأبوين: "علما أولادكما كلمة الرب فى عمق. وضعا بين أيديهم كل سفر من الأسفار المقدسة." [٢]

لقد عاش الآباء والأمهات الأقباط حياة التقوى والفضيلة والتمسك بالإيمان الأرثوذكسى، وقدموا من أنفسهم نماذج حية لأبنائهم وبناتهم عن معنى الوجود المسيحى. فالأب يقود زوجته وأطفاله فى الصلاة العائلية، مقدماً من نفسه كاهناً للمذبح العائلى. وإذ يتطلع الأطفال إلى صور القديسين والقديسات والشهداء التى تزين حجرات المنزل، فإنهم يتذكرون دائماً هذه النماذج الحية للشهادة المسيحية. وهكذا يتعلمون روح العبادة والتقوى فى البيت، ويتشحون بها يوماً بعد يوم. ولقد كان تمسك العائلات القبطية بصلاة الأجبية بساعاتها السبعة خير معلم للصلاة. وإذ تمتزج صلوات المزامير مع قراءة الكتاب المقدس والترتيل والألحان، فهنالك ترفرف الملائكة ومعها

---

١. Clement of Alexandria, Christ the Educator, trans. Simon P. Wood, (New York: Fathers of the Church, Inc, 1954), pp. 11 - 12.
Quoted in Maurice Assad, "The Coptic Family and Social Change in Egypt," op. cit, p. 34.

٢. Quoted in Rev. Makary El-Souriany (Later Bishop Samuel), Ancient and Contemporary Christian Education in the Coptic Church of Egypt, unpublished M. A. Dissertation, Princeton Theological Seminary, 1955, p. 137.

بخور غير مرئي، يملأ البيت برائحة زكية تعطر المكان كله، ويكون البيت المسيحي نوراً للجيران وأهل البلدة جميعاً.

ولم تقتصر الممارسات الروحية في الأسرة القبطية على العبادة العائلية، وإنما امتزجت بالصوم، حيث يتعلم الأطفال معنى ضبط النفس والتضحية والرقي إلى مستويات روحية سامية. وفي مناسبات الأصوام والأعياد السيدية وأعياد القديسين والشهداء، تشترك الأسرة القبطية مع الكنيسة في هذه التذكارات المقدسة. وتلتقي الأسرة مع الأصدقاء والأقرباء، ومع جماعة المؤمنين في شركة روحية وفي رياضة نفسية وترويحية. (١)

٣ ـ أثر التحولات الاجتماعية على البيت القبطي

عاش المجتمع المصري تحولات إجتماعية جذرية خلال القرن العشرين، وعلى الخصوص في النصف الثاني من هذا القرن. وقد تأثرت حياة الأسرة المصرية بهذه التحولات الاجتماعية، مما أدى إلى تغير نمط حياة الأسرة القبطية، وتبدل أسلوب حياتها.

وهكذا انتقلت الأسرة المصرية من الأسرة الممتدة، حيث تعيش عدة أجيال من الأبناء والأحفاد معاً في بيت واحد إلى الأسرة الصغيرة التي تقتصر على الزوجين وأولادهما. ومن يتزوج من الأبناء يستقل مع زوجته في مسكنهما الجديد. وفقدت الأسرة عدداً من وظائفها التقليدية. فأصبحت المؤسسات المتخصصة في مجالات الإقتصاد والتربية والترفيه وغيرها تقوم بدورها في حياة أبناء الأسرة، وحتى التربية الدينية لم تعد الأسرة تلعب فيها دوراً هاماً، وقامت الكنيسة والمدرسة بهذا الدور بدلاً من الأسرة.

ومع تغير ظروف الحياة تزايدت حركة التمدن فتزاحمت العائلات في الانتقال من الريف إلى المدينة، ومن قرية إلى قرية، ومن مدينة إلى مدينة، سعياً وراء الرزق، تبعاً لما هو متاح من أعمال، سواء في مجالات العمران أو الصناعة او التجارة أو الأعمال الحكومية. وقد يؤدي الانتقال السريع إلى شعور بالغربة، وفقدان الروابط الحميمة بين أفراد الأسرة، كما يؤدي هذا الانتقال السريع إلى إعتماد كل فرد من افراد الأسرة على نفسه، كما يتسع أفق الأطفال في تلك الأسر نتيجة للتعرض لبيئة جديدة وجيران جدد. (٢)

وإلى جانب الانتقال من بلد إلى بلد داخل الوطن، والذي يطلق عليه اسم الهجرة الداخلية، تأثرت حياة الأسرة المصرية بنوعين آخرين من الهجرة إلى خارج الوطن، وهما الهجرة المؤقتة والهجرة المستديمة.

وقد تزايدت الهجرة الخارجية المؤقتة إلى دول الخليج والعراق وليبيا حتى بلغت في عام ١٩٨٥م إلى حوالي ٣.٥ مليون مهاجر، ومن بينهم عدد غير قليل من المسيحيين وقد تقلصت هذه الهجرة الخارجية المؤقتة بعد غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠م. وقد لوحظ أن غياب رب الأسرة عن زوجته وأولاده لمدة قد تطول لعدة سنوات قد أثرت كثيراً على حياة العائلات التي

---

١ ـ مراد كامل، حضارة مصر في العصر القبطي، (القاهرة: مطبعة دار العالم العربي، ١٩٦٧م)، ص ١٨٣ ـ ١٨٨.

٢ ـ Maurice Assad, "The Coptic family and Social Change in Egypt," op. cit. p. 43.

غاب أربابها في بلاد الهجرة المؤقتة لفترات طويلة.[1] أما الهجرة المستديمة، وعلى الخصوص إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا، فقد تزايدت هي الأخرى منذ الستينات من القرن العشرين. وفي هذا النوع من الهجرة إنتقلت عائلات بكامل افرادها، من أبوين وأولادهما، إلى بلد الهجرة سعياً وراء حياة جديدة، وثقافة جديدة، ومجتمع جديد. وقد عملت الكنيسة القبطية على توفير الرعاية الروحية لأبنائها في مجتمعاتهم الجديدة، فتأسست الكنائس القبطية في بلاد المهجر حيث وجدت العائلات القبطية.

أما وسائل الإعلام الحديثة، فقد غيرت من نمط الحياة الأسرية، إذ لم يعد البيت والمدرسة وحدهما المصدران الرئيسيان للمعرفة بالنسبة للطفل. وتغير دور الأبوين والمعلمين مع تقدم الوسائط الإعلامية. وفي هذا العصر الذي أصبح يعرف بأنه عصر التفجر المعرفي، تغير دور التربية من التعليم إلى التعلم الذاتي. فالجريدة والمجلة والكتاب والراديو والتلفاز والفيديو والسينما والإنترنت تقدم ثروة معرفية تنهل منها الأجيال المتعاقبة بصورة قد لا يدركها الآباء والمعلمون. ومن خلال تفاعل الأبناء مع هذه الأنماط الفكرية الجديدة التي تقدمها تقنيات الإعلام المعاصر تتباعد توجهاتهم العقلية عما يسمعونه من آبائهم ومعلميهم. ويحتل التلفاز ومعه الفيديو مكاناً رئيسياً في حياة الأسرة. فقد يكون هذا الجهاز مصدراً لوحدة أعضاء الأسرة مع بعضهم البعض، إذ يجتمعون معاً حوله، ويستمعون معا لما يقدمه لهم، ويثير إنتباههم معا إليه. وفي غمرة هذا الإهتمام المشترك بما يعرض أمامهم على الشاشة الصغيرة، يذوب ما قد يكون قائماً بين أفراد الأسرة من منازعات أو خلافات. غير أن تأثير هذا الجهاز قد يأخذ طريقاً غير ما ذكرنا. فهذا الكائن الجماد إن هو إلا قوة خارجة عن نطاق الأسرة ويتخطى سلطة الوالدين، ويسيطر على جميع أفراد الأسرة، وعلى تشكيل العلاقات فيما بينهم. بل إنه قد يصبح مصدراً للفرقة بين أعضاء الأسرة الواحدة. فإذ يجلسون معاً في حجرة واحدة حول التلفاز، وكل واحد يركز ناظرية وإنتباهه فيما يتتابع أمامه من صور وأحداث والجميع مستغرقين فيما يعرض أمامهم، فإن أحداً منهم قد لا يشعر أن أشخاصاً آخرين يجلسون معه في نفس الغرفة. وينتهي الأمر بأعضاء تلك الأسرة الواحدة إلى غربة الواحد منهم عن بقية أعضاء الأسرة.[2]

وهكذا يلتهم التلفاز وقت أفراد الأسرة، ويؤثر بالتالي على قدراتهم الإنتاجية، كما يؤثر في القيم وتغييرها لدى كل فرد من أفراد الأسرة، بصورة لا يستطيع الأبوين السيطرة عليها.

غير أن التلفاز قد أصبح وسيلة إعلامية تحتل مركز الصدارة في حياة الأسرة والمجتمع، فهو مصدر رئيسي للمعرفة والمعلومات، خصوصاً بالنسبة للأميين، وهو أيضاً وسيلة معرفية وتعليمية، وهو كذلك نافذة على العالم، يقدم ما يحدث في سائر بقاع الأرض بعد لحظات من حدوثه. كما أنه يطرح القضايا السياسية والاجتماعية، وهو كذلك وسيلة ترفيهية بما يقدمه من برامج موسيقية وفنون ورياضة وأفلام ومسلسلات.

غير أن التلفاز إلى جانب ماله من منافع عالية له سلبياته. فهو أحيانا يقدم شخصية الإنسان

---

١ - موريس اسعد وآخرين، الهجرة المؤقتة من القرية المصرية ومسئولية الكنيسة: بحث ميداني، (القاهرة: مجلس كنائس الشرق الأوسط، ١٩٨٦).

٢ - Maurice Assad, "The Coptic Family and Social Change in Egypt," op. cit., pp. 45 - 46

الشرير وكأنه بطل، وقد يبث قيما أخلاقية وسلوكيات غير حميدة، ويعالج المسائل الجنسية بطريقة لا تصلح للتنمية الجنسية السليمة للأبناء، وينمى لدى الناس السلوك الاستهلاكى، ويؤثر على تفكير الأطفال والشباب وفى تكوين فهمهم لما يدور فى العالم، موجهاً إياهم بالصورة التى يريدها صانعوا البرامج. وبالجملة لا يعمل على تنمية الشخصية المستقلة الواعية.

٤ ـ الأحوال الشخصية للأقباط

اهتمت الكنيسة القبطية منذ بداية المسيحية فى مصر وحتى اليوم برعاية الأسرة القبطية، ومساعدة الزوجين على احتمال أحدهما الآخر فى حب وعطاء، وقدمت لهما الرعاية الروحية. غير أن تنظيم الأحوال الشخصية للأقباط قد أخذ شكلاً قانونياً عندما أصدر السلطان العثمانى عبد المجيد وثيقة عرفت باسم "الخط الهمايونى" عام ١٨٥٦م. وقد نص الخط الهمايونى على " تشكيل مجالس ملية مكونة من رجال دين وعلمانيين لإدارة المصالح الملية المختصة بحماية المسيحيين والفصل فى أحوالهم الشخصية". وفى عام ١٨٨٣م صدر الأمر العالى الخاص بتنظيم طائفة الأقباط الأرثوذكس. وقد حددت المادة ١٦ منه أن: "من وظائف المجلس الملى النظر فيما يحصل بين أبناء الملة من الدعاوى المتعلقة بالأحوال الشخصية."

وبعد زوال السيادة العثمانية على مصر، صدر القانون رقم ٨ لسنة ١٩١٥م. وقد أقر هذا القانون استمرار المجالس الملية فى الفصل فى أمور الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس، تبعاً لما نص عليه الخط الهمايونى. وقد قامت المجالس الملية الفرعية فى سائر الإيبارشيات بالفصل فى مسائل الأحوال الشخصية، وقام المجلس الملى العام بالقاهرة بدور المحكمة الإستئنافية للأحوال الشخصية.

وفى عام ١٩٣٨م، وضعت مجموعة القواعد التى حددت أسباب التطليق بين الأقباط الأرثوذكس. وهى كما يلى:

أ ـ زنا أحد الزوجين.

ب ـ اعتناق أحد الزوجين ديناً غير المسيحية

جـ ـ الحكم على أحد الزوجين بعقوبة الأشغال الشاقة أو السجن لمدة تزيد على سبع سنوات.

د ـ غيبة أحد الزوجين سبع سنوات متوالية بحيث لا يُعلم مقره ولا حياته من عدمها.

هـ ـ إعتداء أحد الزوجين على الآخر إعتداء يجعل حياته أو صحته فى خطر ولم تنفع فيه الإرشادات الدينية.

وقد أقرت محكمة النقض هذه القواعد. وقامت المجالس الملية بتطبيقها.

وبصدور القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥م لم يعد للمجالس الملية شأن بالأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس، وكذلك بالنسبة لبقية الطوائف المسيحية. فقد ألغى هذا القانون المحاكم الشرعية للمسلمين، وأحيلت جميع قضايا الأحوال الشخصية للمسلمين وغير المسلمين إلى المحاكم الوطنية. وتنص الفقرة الثانية من المادة السادسة من هذا القانون على: "أما بالنسبة

للمنازعات المتعلقة بالأحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين والمتحدى الطائفة والملة... فتصدر الأحكام في نطاق النظام العام طبقاً لشريعتهم". أما المادة السابعة من هذا القانون فقد نصت على أنه "لا يؤثر في تطبيق الفقرة الثانية من المادة المتقدمة تغيير الطائفة أو الملة بما يخرج أحد الخصوم من وحدة طائفية إلى أخرى أثناء سير الدعوى إلا إذا كان التغيير إلى الإسلام فإنه في هذه الحالة تطبق الشريعة الإسلامية". وحيث أنه لم يصدر قانون الأحوال الشخصية لغير المسلمين، فقد استخدم القضاة والمستشارين اجتهاداتهم الشخصية في إصدار الأحكام فيما يعرض عليهم من قضايا الأحوال الشخصية.

وقد أولى قداسة البابا شنوده الثالث منذ تنصيبه بطريركاً إهتماماً خاصاً بمسألة التطليق وإنحلال الزواج القبطي. فبعد أربعة أيام من جلوسه على الكرسي المرقسي أصدر القرار البابوي رقم ٧ في ١٨ نوفمبر ١٩٧١م، والذي ينص على أنه: "لا يجوز التطليق إلا لعلة الزنا"، وينص كذلك على أن: "كل طلاق يحدث لغير هذه العلة الواحدة لا تعترف به الكنيسة المقدسة، وتعتبر أن الزواج - الذي حاول هذا الطلاق أن يفصمه - ما يزال قائماً". وبعد شهر أصدر قداسة البابا شنوده الثالث القرار البابوي رقم ٨. وقد نص هذا القرار على عدم جواز زواج المرأة المطلقة. ويقوم المجلس الإكليريكي للكنيسة القبطية الأرثوذكسية بدراسة كل حالة من الحالات التي تقدم إليه، ويتدارس ما قد يدل على الخيانة الزوجية، وكذلك الحالات التي يُحكم فيها ببطلان الزواج، ويصدر قراره على ضوء القرارين البابويين رقم ٧ و ٨.

وقد دعا قداسة البابا شنوده الثالث ممثلين عن الكنائس الكاثوليكية والإنجيلية، وتدارسوا مع وفد من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية برئاسة قداسة البابا شنوده الثالث موضوع الأحوال الشخصية الخاصة بالمسيحيين، ووضعوا معاً قانوناً موحداً للأحوال الشخصية لجميع الطوائف المسيحية في مصر. ومشروع القانون هذا مكون من ١٤٣ مادة. وقد إعتمدته جميع الطوائف المسيحية في مصر عام ١٩٧٨م. وقدمته الكنائس مجتمعة إلى وزارة العدل. ولكنه مع الأسف لم يصدر هذا القانون بعد.[١]

٥ - الخدمة المتكاملة للأسرة القبطية

أنشئت لجنة الأسرة بأسقفية الخدمات العامة والإجتماعية مساء يوم الاثنين ٢٩ يناير ١٩٧٣م وقد رأس هذا الاجتماع المتنيح الأنبا يؤانس أسقف الغربية، وشارك فيه القمص صليب سوريال والقمص أنطونيوس أمين والدكتورة بياتريس جبراوى والسيدة مارى باسيلي أسعد وغيرهم من القيادات الكنسية والعلمانية. وقد تشرف كاتب هذه السطور بعرض الخطة المقترحة لتقديم خدمة متكاملة للأسرة القبطية. وقد رؤى أن تسير هذه الخدمة في عدة إتجاهات متساوقة، تتضمن البحوث والدراسات حول الأسرة، وتدريب قيادات الخدمة المتكاملة للأسرة، وإنشاء فصول تجريبية ببعض الكنائس للمقبلين على الزواج ولحديثي الزواج، ووضع منهج متكامل لكافة مراحل الحياة الأسرية.

---

١ - القمص صليب سوريال، "تجربتي امام المحاكم الروحية،" مجلس كنائس الشرق الأوسط، ابحاث وخبرات في قوانين العائلة والزواج المختلط، (بيروت: مجلس كنائس الشرق الأوسط، ١٩٩٠م)، ص

وفى عام ١٩٧٥م باشر كاتب هذه السطور عقد مؤتمرين: الأول عن "المشكلة السكانية فى الشرق الأوسط ورفاهية المواطن العربى" وذلك فى إطار مجلس كنائس الشرق الأوسط ، والمؤتمر الثانى عن "الأسرة القبطية فى المجتمع المصرى المعاصر" وذلك فى نطاق لجنة الأسرة بأسقفية الخدمات العامة والاجتماعية. وإنطلاقاً من هذين المؤتمرين امتدت خدمة الأسرة إلى سائر إيبارشيات الكنيسة القبطية من أسوان جنوباً حتى الإسكندرية وبورسعيد شمالاً.

وقد اهتم قداسة البابا شنوده الثالث بخدمة الأسرة فتفضل بإفتتاح مؤتمر "الأسرة القبطية فى المجتمع المصرى المعاصر" عام ١٩٧٥م، وقام قداسته بتقديم باب الأسرة فى مجلة الكرازة.

وعندما اجتمعت اللجنة الإستشارية للتربية الأسرية لمجلس الكنائس العالمى فى الإسكندرية عام ١٩٨٠م، قضى أعضاء اللجنة ثلاثة أيام فى القاهرة. وقد استقبلهم قداسة البابا، وقد خصص قداسته محاضراته الأسبوعية فى ذلك اليوم عن الأسرة المسيحية.

وقد أتاح قداسة البابا شنوده الثالث لكاتب هذه السطور أن يقدم مقالات متتالية حول الأسرة لنشر فكرة إنشاء "لجنة الأسرة" والدعوة إلى تنمية برامج التربية الأسرية فى سائر الإيبارشيات والكنائس المحلية. فلجنة الأسرة هى مجموعة الخدام القائمين على خدمة الأسرة بإشراف وتوجيه نيافة الأسقف والآباء رعاة الكنيسة.

ومنذ بداية عمل لجنة الأسرة بأسقفية الخدمات العامة والاجتماعية عام ١٩٧٣م كان موضوع تنظيم الأسرة من بين الموضوعات الرئيسية المطروحة للبحث. وفى افتتاح المؤتمر الأول عن "الأسرة القبطية فى المجتمع المصرى المعاصر" عام ١٩٧٥م، طالب قداسة البابا شنودة الثالث المؤتمر أن يبحث قضية تنظيم الأسرة. وقد تناول قداسته هذا الموضوع فى أحاديث صحفية متعددة حيث دعا قداسة البابا إلى ضرورة تنظيم النسل الذى أصبح ضرورة قومية واجتماعية واقتصادية. وقال قداسته "إن حل المشكلة الإقتصادية ليس مسئولية الحكومة وحدها، وإنما مسئولية كل من يعيش على أرض مصر."

وفى الحلقة الإستشارية عن "المسألة السكانية ورفاهية المواطن العربى" تحدث الأنبا سمعان أسقف الخدمات العامة والاجتماعية عن "تنظيم الأسرة - وجهة نظر مسيحية"، قال: إذا كان للإنسان الحق فى أن يتسلط على جسده من أجل خيره وصحته وبقائه، فلا شك أن من حق الإنسان أن ينظم فترات إنجابه للأطفال، أو أن يحد العدد الذى يستطيع أن يقدم له العناية لإخراج إنسان سوى متكامل نافع للمجتمع. يجب أن نأخذ بمبدأ تنظيم الأسرة من أجل كرامة الإنسان وقيمة النفس البشرية وسلامة المجتمع."

وفى نفس تلك الحلقة قال غبطة البطريرك أغناطيوس زكا الأول، بطريرك السريان الأرثوذكس (وكان وقتئذ مطران بغداد للسريان الأرثوذكس). "وحيث أن الزواج لا يهدف إلى إنجاب النسل فقط، بل وأيضاً إلى الحفظ من الخطيئة... وحيث أننا نسعى إلى إيجاد الأسرة السليمة الصالحة، والأسرة هى خلية المجتمع، لذلك لا نرى أى حرج على الزوجين من إستعمال وسائل منع الحمل عند الضرورة سعياً إلى تنظيم الأسر."

وفي تقديمه لكتاب "تنظيم الأسرة: وجهات نظر مسيحية". والذي ضم محاضرتي البطريرك زكا والأنبا صموئيل، قال الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف والبهنسا: "لقد بات أكيداً أن الأرض لن تتسع أجلاً أو عاجلاً للتزايد السكاني بلا حدود. وسيضطر الإنسان لإيقاف هذا التزايد يوماً من الأيام، فحري به أن ينظم عملية التكاثر قبل وصولها إلى وضع مدمر للإنسانية."

وقد تناول المؤتمر الأول عن "الأسرة القبطية في المجتمع المصري المعاصر" موضوع تنظيم الأسرة. وأوصى بترشيد الزوجين في موضوع الإنجاب والنسل، والوعي بالمسئولية الوالدية والتخطيط للإنجاب. وعقدت لجنة الأسرة حلقات دراسية محلية في عدد من الإيبارشيات تناولت موضوع تنظيم الأسرة، ووضعت عدداً من الدراسات حول هذا الموضوع. وتعاونت في هذا المجال مع الهيئات القومية مثل المجلس القومي للسكان ، وجمعية تنظيم الأسرة بالقاهرة، والجمعية المصرية لرعاية الخصوبة.[1]

وفي مناسبة إنعقاد "المؤتمر العالمي للسكان والتنمية"، الذي عقدته هيئة الأمم المتحدة في القاهرة عام ١٩٩٤م، أصدر قداسة البابا شنوده الثالث "بيان من قداسة البابا شنودة الثالث" أكد فيه: "إننا نؤيد تنظيم الأسرة. فالتضخم السكاني أصبح له خطره الكبير من نواح متعددة. فهو خطر من الناحية الإقتصادية من حيث قدرة الدولة في تقديم الخدمات اللازمة من تموين ومدارس وخدمات صحية... الخ. وكذلك ليس من السهل على الأبوين العناية التربوية بعدد كبير من الأولاد. فليس المهم إذن هو كثرة النسل. إنما النسل الصالح المُعتنى به. والكنيسة القبطية لها مراكز متعددة في كل محافظات مصر لتنظيم الأسرة تستخدم فيها الوسائل الطبية المشروعة المعروفة بعيداً عن الإجهاض." [2]

٦ . الكنيسة والتربية المنزلية

إذا كانت التربية الأسرية تعنى إعداد الفرد للحياة الأسرية في مراحلها المختلفة عن طريق برامج تعد لكل مرحلة من مراحل الحياة، فإن "التربية المنزلية" تعنى دخول الكنيسة إلى كل بيت مسيحي ورعايته رعاية روحية، وتعليم جميع أفراد الأسرة أصول الإيمان المسيحي، ومتابعة أفرادها في نموهم الروحي ومعرفتهم الإيمانية. وقد اهتم نيافة الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف والبهنسا بتنمية مفهوم "التربية المنزلية" وتطبيقه في إيبارشية بني سويف والبهنسا وسائر مراكزها وكنائسها.

فمن المعروف أن نسبة كبيرة من الأسر المسيحية مبتعدة عن الكنيسة، وأن كثير من المسيحيين بعيدون عن إيمانهم المسيحي وعن ممارسة الحياة المسيحية. لذلك يتعين على الكنيسة أن تبحث عن هذه الخراف الشاردة وتصل إليها في بيوتها. وتدخل الكنيسة إلى البيوت عن طريق شماس التربية المنزلية، الذي يقوم بزيارة البيوت المسيحية التي تقع في منطقة خدمته. إذ

---

١ . موريس اسعد "الكنيسة والتربيةالحياة الأسرة" مجلة معهد الدراسات القبطية، (القاهرة: معهد الدراسات القبطية، ١٩٧٥م)، ص ٥١ ـ ٥٢.
Maurice Assad, "The Church and Family Life Education," in Bulletin of the Institute of Coptic Studies (Cairo: Institute of Coptic Studies, 1975), pp. 49 -62.
موريس اسعد، المسألة السكانية وتنظيم الأسرة: مسئولية الكنيسة، (القاهرة: لجنة الأسرة بأسقفية الخدمات العامة والاجتماعية، ١٩٨٥م).

٢ . قداسة البابا شنوده الثالث، المؤتمر العالمي للسكان والتنمية: بيان من قداسة البابا شنوده الثالث وملاحظات على الوثيقة للأنبا سرابيون، (القاهرة: أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية، المركز القبطي للدراسات الاجتماعية، ١٩٩٤م).

تقسم العائلات المسيحية فى كل مدينة وقرية من قرى الإيبارشية إلى مناطق، ويكلف كل شماس من شمامسة التربية المنزلية بزيارة البيوت المسيحية الموجودة فى منطقته. وعندما يدخل الشماس أى بيت فإنه يهتم بكل نفس فى البيت، ويعطيها ما يناسبها من الواجبات. وفى كل زيارة يتابع الواجبات والممارسات الروحية لكل عضو من أعضاء البيت.

وهكذا يقوم خادم التربية المنزلية بدور الإشبين. فقد وضعت الكنيسة منذ العصور الأولى للمسيحية نظام الأشابين الذين تكلفهم الكنيسة برعاية المعمدين - سواء كانوا أطفالاً أم بالغين - ومتابعة نموهم الروحى. وتوصى الكنيسة الأشابين: "وأنتم أيها الأشابين... مسؤولون عن أعمالهم (يقصد المعمدين) وأفعالهم، وقد ضمنتموهم من السيد المسيح، وتسلمتم هذه الوديعة بمقتضى الشريعة... وتعلموهم طرق الله المرضية، وتنهروهم عن مخالطة الأردياء وفعلة السوء... ولا تكونوا فى تعليمهم مثل من يتهاون فى حراسة البضائع." وهكذا فإن خدمة التربية المنزلية نظام كنسى، وهى تنفيذ لوصية إلهية، وتطبيق لنظام إنجيلى، وعود إلى نظام رسولى رعوى أصيل فى المسيحية.[1]

٧ - الأسرة القبطية وختان البنات

توارثت الأسرة المصرية من بين ما توارثته من عادات منذ أيام أجدادنا فى العصور الفرعونية القديمة عادة ختان البنات، وذلك بإستئصال أجزاء من الأعضاء التناسلية الخارجية للفتاة فى سن ما بين السادسة والحادية عشرة من عمرها. وهذه الممارسة ضارة بصحة الفتاة الجسمية والنفسية، كما أنها تؤثر تأثيراً سيئاً على حياتها بعد الزواج. وترفض المسيحية تلك العادة السيئة، ليس فقط لأنه لم يرد لها ذكر فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وإنما لما فيها من تشويه لما خلقه الله بقطع أو بتر أعضاء من جسد الفتاة أو أجزاء منها. فالمسيحية لا تجيز لإنسان أن يبتر أو يقطع أى عضو من أعضاء الجسد، "فقد وضع الله الأعضاء كل واحد منها فى الجسد كما أراد." (١ كو ١٢: ١٨). لذلك ترفض المسيحية ختان الإناث رفضاً كاملاً.[2]

وقد تصدت "لجنة رعاية الفتاة بمطرانية بنى سويف والبهنسا" لهذه العادة. وكانت بداية هذا التصدى فى حلقة "المرأة القبطية فى الكنيسة والمجتمع" التى عقدتها فى مركز المؤتمرات بسدمنت عام ١٩٨١م. وفى نطاق اهتمام اللجنة بتوعية الأسر القبطية بالأضرار الناتجة عن ختان البنات، أصدرت "سلسلة رعلية الفتاة"، وقد صدر منها أكثر من عشرين كتاباً حتى عام ١٩٩٧م. كما أنها تصدر سلسلة أخرى بعنوان "صحتك يا فتاتى". وتتناول اللجنة ختان البنات فى إطار نظرة متكاملة للفتاة بوصفها إنسان كامل فى المسيح. وتواصل اللجنة عقد المؤتمرات والحلقات واللقاءات حول هذه الاهتمامات للتوعية بدور الفتاة كإنسان، ومكانتها فى الكنيسة والأسرة والمجتمع.[3]

---

١ - الأنبا أثناسيوس، مطران بنى سويف والبهنسا، الدليل المبسط للحياة الأسرية: أما أنا وبيتى فنعبد الرب، (بنى سويف: مطرانية بنى سويف والبهنسا، خدمة الأسرة، ١٩٩٥م)

٢ - موريس أسعد، ختان الإناث، (القاهرة: سلسلة رعاية الفتاة، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م).

٣ - هيدى بانوب، الرعاية المتكاملة للفتاة، (القاهرة سلسلة رعاية الفتاة ٣، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م).

الفصل الرابع

العائلة القبطية في الكنيسة

د. موريس أسعد

تعيش الكنيسة القبطية الأرثوذكسية مع العائلة القبطية في حياتها اليومية يوماً بيوم. فهي تحيا مع العائلة القبطية من يوم الولادة إلى آخر يوم في حياة كل فرد منها. وقد قامت الكنيسة القبطية - ولاتزال تقوم - بدور رئيسي في حياة الأقباط. ويدرك الإنسان القبطي قبطيته من خلال حياته الكنسية ومن خلال أسرته، بل إنه يستمد كيانه كقبطي من تراث كنيسته العريق. ففي الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يجد المبادئ التي تحكم حياته وسلوكه. ومن تراث الكنيسة القبطية وتقليدها الكنسي وعباداتها وأسرارها يستمد القوى الروحية التي تعينه في مواجهة الخطيئة والشر، وفي الوقوف أمام التيارات التي تحاول إبعاده عن مخلصه الرب يسوع المسيح. ويفعل الروح القدس في حياة الإنسان المسيحي تتواصل حياة القداسة بين الكنيسة المجاهدة والكنيسة المنتصرة، أي بين المؤمنين الذين يعيشون على هذه الأرض، وبين القديسين الذين انتقلوا إلى الحياة الباقية.

فحينما يولد الطفل تحتفل الأسرة المسيحية باليوم السابع من الولادة (السبوع). وكانت العائلات القبطية تدعو الكاهن في ذلك اليوم ليرفع صلاة شكر لله من أجل سلامة الوالدة، ومن أجل هذا العضو الجديد في الكنيسة. وتسمى هذه الصلاة "صلاة الطشت". وفي ذلك اليوم تحتفل الأسرة بالاسم الذي تسمي به المولود الجديد. وكان الأقباط يختارون أسماء أطفالهم من بين الأسماء المذكورة في الكتاب المقدس أو من بين أسماء القديسين والقديسات. وكانت هناك عادة بين بعض العائلات القبطية بأن يوقدوا سبع شمعات، ويطلقون على كل شمعة اسماً. وكانت الشمعة التي تستمر مضيئة يطلقون اسم، الوليد بإسم تلك الشمعة. وغالبا ما يختار الوالدين اسماً لقديس يحبونه، أو قد يطلقون على الطفل اسم القديس الذي يأتي تذكاره يوم ميلاد الطفل.[1]

وفي هذا اليوم تدعو الأسرة الكاهن، ويحضرون وعاء يصب فيه ماء، ويضع الكاهن فيه قليلاً من الزيت والملح، وتوقد سبع شمعات، وتوقد الشورية (المجمرة) ويصلي الكاهن صلاة الشكر مع البخور، ويقرأ البولس (عبرانيين ١: ٥ - ١٢) وبعد الثلاثة تقديسات وصلاة الإنجيل، يقرأ المزمور (١٢: ١، ٢)، ثم الإنجيل (يوحنا ١: ١٤ - ١٩). وبعد ذلك يرتل المرتلون: "لأن غير المتجسد تجسد، والكلمة تجسمت، وغير المبتدئ ابتدأ، وغير الزمني صار تحت الزمان. اشفعي فينا يا سيدتنا كلنا السيدة العذراء والدة الإله مريم أم مخلصنا، ليغفر لنا خطايانا". ثم يصلي الكاهن الأواشي الصغار الثلاث، وقانون الإيمان، وبعدها يرفع الكاهن هذه الطلبة: "يا الله العظيم الأبدي، الرب الضابط الكل، الذي من قبل كلمتك، ربنا يسوع المسيح، الكائن منذ البدء وإلى الأبد، خلقت العالم بحكمتك التي لا تستعصي، وكونت الإنسان مثل صورتك ومثالك، وملأته من

---

١ - مراد كامل، حضارة مصر في العصر القبطي، (القاهرة: مطبعة دار العالم العربي، ١٩٦٧م)، ص ١٧٥.

رحمة صلاحك، وزينته بكل بهاء، وأعطيته روح حكمة وفهماً عقلياً، وسلطته على كل شئ، وتركته ليعمل كل النهار ويباركك. من أجل هذا نسأل ونتضرع إلى صلاحك عن عبدك/ عبدتك (فلان بن فلان/ بنت فلان). باركه/ باركها بكل البركات السمائية، وبارك أيضاً ميلاده وليطل عمره كنعمتك، حتى ينمو ويكثر ثلاثين وستين ومائة. وليفرح به/ بها أبواه ويسرا بميلاده/ها مثل زكريا واليصابات اللذين وهبت لهما يوحنا النبي. وفي الزمان المحدد فليستحق/ فلتستحق حميم الميلاد الجديد لغفران الخطايا..." وبعد هذه الطلبة يقول الكاهن الهوس الرابع وهو المزمور ١٤٨، ١٤٩. ثم يصلي جميع الحاضرين في البيت الصلاة الربانية، ويقول الكاهن التحاليل الثلاثة ثم يرش الماء قائلاً: "واحد هو الآب القدوس، واحد هو الابن القدوس، واحد هو الروح القدس، الإله الواحد." ويشترك الجميع في المزمور ١٥٠: "سبحوا الله يا جميع قديسيه..." وفي أثناء التوزيع يحمم الكاهن الطفل المولود بالماء، ثم يقول البركة. وتسمى هذه الصلاة "صلاة الحميم" أو "صلاة الطشت".[١]

وعندما يتم الطفل الذكر أربعين يوماً والأنثى ثمانين يوماً، تأخذ الأسرة الطفل إلى الكنيسة لكي يقوم الكاهن بتعميده في جرن المعمودية. وتدعو الأسرة الأقرباء والأصدقاء للاحتفال بانضمام عضو جديد إلى كنيسة المسيح.

وقبل بداية "سر العماد المقدس". يرفع الكاهن صلاة خاصة تعرف باسم "تحليل المرأة". فبعد الصلاة الربانية وصلاة الشكر مع البخور، يقرأ البولس (عبرانيين ١: ٨ ـ ١٢)، وبعد الثلاثة تقديسات وأوشية الإنجيل يقرأ المزمور (مزمور ٣١: ١، ٢) والإنجيل (لوقا ٢: ٢١ ـ ٣٥). هذا بالنسبة للطفل الذكر. أما إذا كان الطفل أنثى، فيقرأ البولس (١ كورنثوس ٧: ١٢ ـ ١٤)، والمزمور (مزمور ٤٤: ١٢)، والإنجيل (لوقا ١٠: ٣٨ ـ ٤٢). وبعد ذلك يصلي الكاهن أوشية السلام، وأوشية الآباء، وأوشية الاجتماعات. ثم يصلي الجميع قانون الإيمان. وبعدها يقول الكاهن هذه الطلبة: "أيها الرب الإله ضابط الكل أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، كنز النور، الخالق المخضع جميع الأمراض، المصلح الجميع بتوبة الاتفاق. الذي زين كل شئ بناموس محبته، بتدبير كلمته، إبنه الوحيد الذي ظهر لنا بالجسد من والدة الإله الطاهرة العذراء، كل حين القديسة مريم، والروح القدس المشفي، طبيب طبيعتنا ومرشدنا إلى معرفتك الحقيقية، لكي نخلص من قبل إنذار أناجيلك المقدسة. من أجل الإنسان الذي صنعته وفعل المرأة التي أخرجتها منه معينة له، كشركة الزواج الشرعي، وباركت ثمرة الولادة الناموسية المساوية لصورتك ومثالك، وجعلت نظام الطبيعة سارياً بتناسل الزرع، وزينت العالم وكل ما فيه بواسطة كافة قديسيك ونسل ملكوت السموات. من أجل هذا يارب ظهرت طبيعتنا وعتقتنا للإتحاد في شخصك في شركة سرية. نسأل ونطلب منك يا محب البشر لكي تتطلع على أمتك (فلانة) حتى يتجدد روح قدسك في أحشائها. طهرها من أدناسها. لتجدد نفسها وجسدها وروحها. اعتقها من كل لائمة ومن جميع أعمالها القديمة، غفراناً لجميع آثامها. بالنعمة والرافة ومحبة البشر اللواتي لابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا..." [٢]

---

١ ـ صلوات الخدمة في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية (القاهرة: مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية، ١٩٧٦م)، ص ٨١ ـ ٩١.
٢ ـ نفس المصدر السابق، ص ٩ ـ ٣٧.

وإذ تتقدم الأم بطفلها لنوال "سر المعمودية المقدس" يصلي الكاهن التحليل على أم الطفل (أو أمهات الأطفال) قبل البدء في سر العماد، يقول فيه: "... يا سيدنا نطلب ونتضرع إلى صلاحك عن أمتك، هذه التي حفظت ناموسك، وأكملت وصاياك، واشتهت أن تدخل إلى موضع قدسك، وتسجد أمام هيكلك مشتاقة إلى التناول من أسرارك المحيية... هكذا أيضاً يا سيدنا هذا الطفل المولود منها باركه وقدسه، وأنت به إلى حد القامة والبلوغ، وليبنو كمشيئتك الطاهرة. ثبته في إيمانك الأرثوذكسي ورجائك ومحبتك..." ثم يقول الكاهن أوشية الموعوظين. وبعدها يصلي على قارورة الزيت: "... انقله ليكون زيت مسحة وموعظة لكي يجعل النفس مؤمنة بالمسيح يسوع ربنا... أرسل قوتك المقدسة على هذا الزيت، ليصير دهن موعظة يبطل كل أفعال المضاد..." وهنا يفحص الكاهن الأطفال ويأمر الأمهات بخلع ملابس الأطفال وكل شئ في أذانهم وأرجلهم وأيديهم، ويرشم الأطفال الذكور أولاً ثم الإناث وهو يقول: "أدهنك يا (فلان/فلانة) باسم الأب والإبن والروح القدس الإله الواحد. زيت عظة (لفلان/لفلانة) في كنيسة الله الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية آمين..." ويواصل الكاهن الصلوات من أجل الأطفال المقدمين للعماد. ثم يضع يده على رؤوسهم وهو يصلي قائلاً: "باسم الابن الوحيد يسوع المسيح أهيئ تطهير هذا الجسد. باسم الابن الوحيد يسوع المسيح فليعتق من كافة الشياطين، ومن سائر الأدناس. وليهرب من هذا الجسد كل ظلمة. وكل فكر قلة الإيمان فليهرب من هذه النفس..." ثم تتجه الأم حاملة طفلها ووجهه ناحية الغرب، وتقول: "أجحدك أيها الشيطان، وكل أعمالك النجسة، وكل جنودك الشريرة، وكل شياطينك المرذولة، وكل حيلك الرديئة والمضلة..." وينفخ الكاهن في وجه كل طفل وهو يقول ثلاث مرات: "أخرج أيها الروح النجس." ثم تتجه الأم حاملة طفلها نحو الشرق وتقول: "أعترف بك أيها المسيح إلهي، وبكل ناوميسك المخلصة، وكل خدمتك المحيية، وكل أعمالك المعطية الحياة." ثم يلقن الكاهن الإيمان للأم نيابة عن طفلها: "أؤمن بإله واحد، الله الآب ضابط الكل، وابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا، والروح القدس المحيي، وقيامة الجسد، والكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الرسولية آمين." ويسألها الكاهن ثلاث مرات: "آمنت على هذا الطفل"، فتجاوبه ثلاث مرات: "آمنت".

وبعد ذلك يقوم الكاهن بدهن الطفل بزيت "الغاليليون" في قلبه وذراعيه ويديه بعلامة الصليب وهو يقول: "أدهنك يا (فلان/ فلانة) بدهن الفرح، مضاداً لكل أفعال المضاد. لتغرس في شجرة الزيتون اللذيذة، في كنيسة الله المقدسة الجامعة الرسولية آمين."

ويواصل الكاهن الصلوات ثم يبدأ في الصلاة على جرن المعمودية وبه الماء المعد لتعميد المتقدمين للمعمودية. ويصلي صلاة الشكر ويرفع البخور، ويقرأ البولس (تيطس ٢: ١١ ـ ٣:٨)، والكاثوليكون (١ يوحنا ٥: ٥ـ ١٤)، والإبركسيس (أعمال الرسل ٨: ٢٦ ـ ٤٠). ثم يصلون الثلاث تقديسات وأوشية الإنجيل، ثم يقرأ المزمور (مزمور ٣١: ١ ـ ٢) والإنجيل (يوحنا ٣: ١ ـ ٢١). ثم يصلي الكاهن الأواشي السبع الكبار. ثم يصلي الكاهن على الماء بجرن المعمودية (الذي يطلق عليه أيضاً "الأردن")... ثم ينفخ الكاهن في الماء ثلاث مرات مثال الصليب وهو يقول: "قدس هذا الماء، وهذا الزيت ليكونا لجميع الميلاد الجديد آمين. حياة أبدية آمين. لباس غير الفاسد آمين. نعمة البنوة آمين. تجديد الروح القدس آمين. لأن ابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح الذي نزل إلى

الأردن وطهره شهد قائلاً: إن لم يولد أحد من الماء والروح لا يستطيع أن يدخل ملكوت الله. وأيضاً أمر تلاميذه القديسين ورسله الأطهار قائلاً: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم. ويواصل الكاهن الصلوات على الماء... ثم يقوم الكاهن بتغطيس كل طفل من الأطفال الذين قدمتهم أمهاتهم للمعمودية كل على حدة وهو يقول "أعمدك يا (فلان/فلانة) باسم الآب"، ثم في الغطسة الثانية "والابن"، وفي الغطسة الثالثة "والروح القدس آمين". (١)

وبعد أن يتم عماد الطفل بتغطيسه ثلاث مرات في الماء الذي قد أصبح مقدساً بالصلوات التي رتبتها الكنيسة لسر المعمودية - أول الأسرار السبعة - (٢) ينال الطفل ثاني الأسرار المقدسة، وهو سر الرشم بالميرون المقدس. ويقوم الكاهن برشم الطفل ٣٦ رشماً. وفي أثناء الرشم يصلي الكاهن قائلاً:

"مسحة نعمة الروح القدس. آمين."

"مسحة عربون ملكوت السموات. آمين."

"دهن شركة الحياة الأبدية. آمين."

"مسحة مقدسة للمسيح إلهنا. آمين."

"كمال نعمة الروح القدس ودرع الإيمان والحق. آمين"

"أدهنك يا (فلان/فلانة) بدهن مقدس باسم الآب والإبن والروح القدس. آمين."

وإذ ينفخ الكاهن في وجه الطفل المعمد يقول هذه الصلاة:

"إقبل الروح القدس، وكن إناء طاهراً من قبل يسوع المسيح ربنا. هذا الذي له المجد مع أبيه الصالح والروح القدس."

وبعد أن يتم عماد الطفل ورشمه بالميرون المقدس، تلبسه أمه ملابس بيضاء. ويقوم الكاهن بشد وسط الطفل المعمد بزنار، وهو يمثل الصليب، كما أنه علامة على ارتباط الطفل بالإيمان الجديد، ثم يضع على رأس الطفل الإكليل ويقول:

"ضع أيها الرب الإله على عبدك (عبدتك) أكاليل من السماء. آمين. أكاليل مجد. آمين. أكاليل إيمان غير مغلوب ولا مقاوم. آمين. أكاليل ثبات. آمين. امنح عبدك (عبدتك) ليكون مملوءاً من نعمة روحك القدوس. بالرأفات ومحبة البشر اللواتي لابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا..." وهكذا يصبح الطفل المعمد عضواً في جسد المسيح الواحد، كنيسته المقدسة، جماعة المؤمنين. وتعيّن الكنيسة لكل طفل معمد "أشبيناً"، يكون مسؤولاً عن رعاية الطفل روحياً وتنشئته في أحضان الكنيسة. وغالباً ما تكون الأم هي الأشبين لطفلها أو طفلتها. ويقرأ الكاهن هذه الوصية على الأشابين:

---

١ - نفس المصدر السابق، ص ٢٨ - ٦٣.

٢ - نفس المصدر السابق، ص ٦٥ - ٨٥.

"... اليوم يا أحبائى صار أولادكم وارثين الحياة مع السيد المسيح. اليوم أخذ أولادكم عربون الحياة، وصاروا ثابتين فى الإيمان الأرثوذكسى الصحيح... فالآن يا أحبائى اعلموا أنكم تسلمتم أولادكم من المعمودية المقدسة الطاهرة الروحانية... إعلموا أنكم قد صرتم لهذا العماد كفلاء وضمناء. وأنتم من اليوم والديهم الروحيين، والمطلعون على أسرارهم، والمسؤولون عن أوزارهم... وقد ضمنتموهم من السيد المسيح ضماناً صحيحاً، لتجاوبوا عنهم يوم الدين..." [1]

ولأول مرة يتناول الأطفال المعمدين من سر التناول المقدس. وفى نهاية القداس الإلهى يُزفون فى الكنيسة.

وقد جرت عادة العائلات القبطية أن تقدم أطفالها - الذين لم يتم عمادهم - لكى يعمدوا قبل عيد القيامة المجيد. وقد خصصت الكنيسة يوم الأحد السابق على أحد الشعانين (أحد السعف) ليكون اليوم الذى يعمد فيه جميع الأطفال - الأولاد والبنات - الذين لم يتم عمادهم بعد. لذلك يسمى "أحد التناصير".

وإذ يشب الطفل فى بيت مسيحى، فإنه يرى والده فى الصباح وهو يصلى، وترى البنت أمها تقف ومعها كتاب الأجبية تتلو صلوات وتترنم بالمزامير. تقف الطفلة خلف أمها. ويقف الولد خلف والده. ومن والديهما يتعلمان الصلاة. وهكذا ينمو الإيمان المغروس منذ الطفولة فى حياة الأطفال يوماً بعد يوم.

وكانت كثير من العائلات القبطية - ولايزال البعض منها - تخصص ركناً من أركان البيت للصلاة. ويضعون فى هذا الركن أيقونة للقديس الذى تعتبره الأسرة شفيعاً لها. ويسمونها "مقصورة القديس شفيع الأسرة". ويضيئون أمام تلك الأيقونة قنديلاً من الزيت. وتجتمع الأسرة أمام تلك الأيقونة للصلاة فى الصباح وفى المساء. غير أن البعض من هذه العادات لم تعد سائدة بين كثير من العائلات القبطية الذين ألهتهم مشاغل الحياة اليومية.[2]

وفى الصباح الباكر من يوم الأحد (أو الجمعة) تدخل العائلة القبطية إلى الكنيسة. ويسجد الولد أمام الهيكل مع أبيه، وتقف البنت بجوار أمها. وأمام أيقونة العذراء مع الطفل يسوع وأيقونات الشهداء والقديسين يوقدون الشموع متأملين فى شخص العذراء والقديسين، متشفعين بهم ومتمثلين بإيمانهم. وفى خشوع يخلون أنفسهم أمام الله من سائر انشغالات هذا العالم. ويتتبعون صلوات القداس الإلهى. ويتعمقون قراءات اليوم من رسائل القديس بولس الرسول، ومن الرسائل الجامعة ومن أعمال الرسل ثم المزمور وإنجيل القداس. ويخرجون من العظة بالمفاهيم الروحية التى تربط قراءات اليوم معاً والتى يسعون إلى تطبيقها فى حياتهم. وإذ يصلى الكاهن صلاة الصلح: "يا الله العظيم الأبدى الذى جبل الإنسان على غير فساد..." يتتبع الكبار والصغار خطة الله لخلاص البشرية. ويعيشون مع الرب يسوع المسيح فى ميلاده العجيب وفى حياته وصلبه من أجل خلاص كل من يؤمن به، وفى قيامته المجيدة وصعوده إلى السموات...

---

١ - مراد كامل، حضارة مصر فى العصر القبطى، (مصدر سبق ذكره)، ص ١٧٥ - ١٧٦.

٢ - Maurice Assad, "Sharing the Word and the Bread of Life: A Coptic Family in the Church," in George Lemopolo (editor), You Shall be my Witnesses: Mission Stories from the Eastern and Oriental Orthodox Churches. (Athens: Tertois, Katerini, 1993), pp. 32 -37.

وفى أثناء هذه الصلوات يرتفعون إلى هذه الأعماق الروحانية. وإذ يقول الكاهن: " أين هى قلوبكم؟" يردد الجميع: "هى عند الرب." وهكذا يرتقون بعقولهم وقلوبهم إلى السماء مرددين: "كيريالايسون - يارب ارحم." وإذ يحل الروح القدس على الخبز والخمر فيتحولان إلى جسد الرب ودمه، يركعون جميعاً أمام الله الذى يحل بروحه القدوس وسط المؤمنين الخاشعين الساجدين لهذا الحضور الإلهى... ومع المؤمنين يتقدم أفراد الأسرة، الأب والأم والأولاد والبنات، للتناول من جسد الرب ودمه. وإذ يصرف الكاهن الشعب فى ختام القداس: "امضوا بسلام، سلام الرب معكم" يرد الشعب: "ومع روحك أيضاً." وإذ ينصرف الجميع لمواصلة حياتهم اليومية، فإنهم لا ينصرفون من الكنيسة، إذ تبقى الكنيسة فى قلوبهم وعقولهم وأجسادهم، شاعرين أنهم قد اكتملوا فى حرية مجد أولاد الله.(١)

وإذ تواصل العائلة القبطية حياتها اليومية، فإنها تعرف أن الكنيسة معها دائماً، ليس فقط من خلال العبادات الطقسية والاجتماعات الروحية، وإنما من خلال تواجد الكنيسة مع العائلة فى مختلف مراحل حياتها وفى سائر ظروفها. فالأولاد والبنات كانوا يذهبون إلى مدرسة الكنيسة (أو الكُتّاب القبطى). وفى منتصف القرن التاسع عشر قام البابا كيرلس الرابع بإنشاء المدارس الحديثة التى كانت سباقة فى تخريج قيادات من المسيحيين والمسلمين الذين لعبوا أدواراً هامة فى الحياة العامة فى مصر. وقد تبعته الكنائس والإيبارشيات والجمعيات القبطية بإنشاء الكثير من المدارس القبطية فى سائر أنحاء مصر.

وإذ يواصل الأبناء والبنات نموهم، مستمتعين بما يضفيه الجو العائلى من دفء، وينتقلون من مرحلة إلى مرحلة من مراحل الحياة، وينتهون من مراحل التعليم، ويقومون بالأعمال التى تأهلوا لها، فإنهم يصلون إلى مرحلة الاستعداد للاستقلال عن آبائهم وأمهاتهم، بتكوين أسر جديدة. وعلى مر العصور كانت - ولا تزال - الكنيسة معاوناً للأسرة فى البحث عن شريك الحياة المناسب أو شريكة الحياة المناسبة. وفيما مضى كان يتم اختيار شريك الحياة من بين الأقرباء والجيران، أو من بين أهل المدينة أو القرية. وقد سمحت الكنيسة القبطية بالزواج من ابنة (أو ابن) العم والخال أو ابنة (أو ابن) العمة أو الخالة. ومع تزايد الاختلاط فى المجتمع المعاصر أصبح للفتاة القول الفاصل فيمن تختاره شريكا لحياتها.

وتستمد الأسرة المسيحية كيانها كأسرة مسيحية من سر الزواج المقدس الذى يصبح بواسطته الزوجان جسداً واحداً وروحاً واحداً بفعل الروح القدس. وهكذا يتحقق فى تلك الوحدة العضوية التى يتميز بها الزواج القبطى الوحدوى التماسك والترابط والتواد بين الزوج والزوجة وبين الوالدين والأبناء.

وفى يوم الإكليل تلبس العروس الملابس البيضاء وتضع على رأسها الطرحة البيضاء. وأثناء صلوات الإكليل المقدس يضع الكاهن أكاليل مذهبة على رأس العروسين دلالة على قدسية الزواج، وعلامة على النعمة الروحية التى ينالانها بفعل الروح القدس فيهما، فيصبحان كياناً واحداً على ما قدمنا. ويضع الكاهن البرنس الأبيض حول كتفى العريس، وهو يشبه البرنس

---

١ - مراد كامل، حضارة مصر فى العصر القبطى، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٣ - ١٧٤.

الذى يلبسه الكاهن أثناء الخدمة فى الأعياد، دلالة على أن العريس هو الكاهن على مذبح أسرته، وأنه مسؤول عن رعاية هذه الأسرة روحياً مع الكنيسة.[1]

وتقيم بعض الأسر الموسرة حفلات عقب الإكليل فى بعض الفنادق أو النوادى ويكلفونها مبالغ طائلة. وقد شن الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والاجتماعية حملة ضد هذا التبرج الذى لا طائل تحته، والذى ليس له من هدف سوى التباهى أمام الآخرين.

وفيما مضى من قرون، وحتى *بدايات القرن العشرين*، *كان الزوجان الجدد يعيشان فى بيت* والد الزوج. فكنا نجد العديد من الأبناء وزوجاتهم وأولادهم يعيشون معاً فى بيت واحد، فيما كان يعرف باسم "الأسرة الممتدة". ولكن هذه العادة تقلصت على امتداد القرن العشرين، وأصبح الزوج والزوجة فى الأغلب يستقلان عن والديهما فى مسكن مستقل. وقد عاد بعض الأبناء للسكن مع والدى العريس أو مع والدى العروس بسبب ندرة المساكن وغلوها، أو لحاجة الوالدين لرعاية إبنهم أو إبنتهما.

وقد اعتادت كثير من الأسر القبطية عندما تنتقل إلى بيت جديد أن تدعو الكاهن ليبارك المسكن الجديد، فيصلى فى البيت صلاة الشكر والصلوات الخاصة بتبريك البيوت، ويصلى على كوب أو إناء به ماء، ثم يرش جميع أنحاء البيت بالماء الذى قد تبارك بالصلاة استجلاباً للخير وطرداً للشر.[2]

وإذا مرض أحد افراد البيت القبطى، خصوصاً فى حالة الأمراض الخطيرة والممتدة، تدعو الأسرة الكاهن ومعه سر التناول المقدس بعد القداس الإلهى ويناول المريض، ويصلى من أجله. وتطلب من الكاهن أن يقيم صلاة القنديل من أجل المريض، وهو سر مسحة المرضى، ويقوم الكاهن بدهن المريض بالزيت المقدس عند انتهاء صلاة القنديل. وقد اعتادت الأسر القبطية أن تدعو الكاهن لكى يقيم صلاة القنديل فى البيت أثناء الصوم الكبير حيث يقوم الكاهن بدهن جميع افراد الأسرة بالزيت الذى تمت الصلاة عليه. وفى صباح جمعة ختام الصوم (وهو يوم الجمعة السابق على أحد الشعانين) تقيم الكنيسة صلاة القنديل قبل القداس الإلهى ويقوم الكهنة بدهن جميع أفراد الشعب - الرجال والنساء والأطفال - بهذا الزيت المقدس من أجل شفاء الجميع من أمراض الجسد والنفس والروح: "أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له." (يعقوب ٥: ١٤ - ١٥).

وقد رتبت الكنيسة صلاة خاصة من أجل أى شخص يعضه كلب، تسمى "صلاة القديس أبو تربو". فإذا عض كلب أحد افراد الأسرة، تدعو الأسرة الكاهن ليصلى من أجل هذا الشخص. فيحضر الكاهن ومعه سبع خبزات من فطير، وسبع قطع من الجبن بلا ملح، وسبع ثمرات من البلح، وقليل من الزيت والخمر وإناء به ماء. ويحضر الكاهن (أو الأسرة) سبع صبيان صغار دون البلوغ. وبعد رفع البخور وصلاة الشكر والمزمور الخمسين، يقرأ البولس (٢ كورنثوس ٢:

---

١ - نفس المصدر السابق، ص ١٧٦.

٢ - صلوات الخدمة فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩ - ١٨٤.

١٢ ـ ١٧)، ثم يشترك الحاضرون في صلاة الثلاثة تقديسات، وبعدها يصلي الكاهن أوشية الإنجيل ثم يقرأ المزمور (مزمور ٨٤: ٥ ـ ٦) ثم الإنجيل (متى ١٥: ٢١ ـ ٢٨). وبعد ذلك يصلي الكاهن الأواشي الثلاث الصغار وقانون الإيمان. ثم تقرأ سيرة القديس أبو تربو.

وقد سجن هذا القديس أيام دقلديانوس لأنه كان يجاهر بإيمانه المسيحي، وآمن على يديه كثيرون من الوثنيين. وفي يوم قابله كلب سعران به داء الكلب، فصلى إلى الله قائلاً: "نجني يارب من فم هذا الوحش الرديء المختبل، كما نجيت دانيال من أفواه الأسود، وكما نجيت يونان من بطن الحوت، وداود من يد الفلسطيني..." فظهر له ملاك الرب وأمره أن يمد عصاه ويضعها على الكلب. وفي الحال مات الكلب. وصلى أبو تربو شاكراً الله الذي أرسل ملاكه لإنقاذه... وجاء يوماً صبي عضه كلب وأخذ يستنجد بالقديس أبو تربو، فدعى القديس سبعة صبية صغار، وأخذوا يدورون حول الصبي الذي عضه الكلب سبع مرات... وشفى الصبي من عضة الكلب في الحال.

وبعد قراءة سيرة القديس أبو تربو يصلي الكاهن والحاضرون المزامير التالية مزمور ١٩: "يستجيب لك الرب..."، مزمور ٢٢: "الرب يرعاني..."، مزمور ١٨: "طوباهم الذين بلا عيب..." مزمور ١٢١: "رفعت عيني إلى الجبال...". ثم يرفع الكاهن طلبة من أجل هذا الشخص الذي عضه الكلب: "يارب اسمع تضرعي أنا عبدك. أطلب إليك ... تراءف على عبدك (عبدتك)... من الكلب حتى لا يمرض، ولا يصير فيه جرح، ولا يتألم من سم فمه..." وبعد ذلك يمسك الأطفال السبعة بأيدي بعضهم بعضاً، ويدورون حول الكاهن والمريض سبع دورات، وهم يقولون: "آمن بأنك ستشفى وأنك ستخلص من دائك بقوة ويفرح..." وبعد انتهاء الدورات يقول الشماس: "السلام لك أيها المعلم" فيجاوبه الكاهن: "ولك السلام ياولدي. ماذا جئت تطلب؟ يرد الشماس: "قد جئت أطلب الشفاء والعافية من عند الله والقديس أبو تربو." ثم يتناول من الفطير بفمه ويضعه في حجر الذي عضه الكلب. وهكذا يقوم جميع الأطفال بذلك. ويأخذ الكاهن منهم اللقم ويضعها في حجر الذي عضه الكلب. ثم يأخذها المريض ويفطر منها سبعة أيام ويشرب قليلاً من الماء والخمر، ويدهن الكاهن المريض بالزيت المصلى عليه ببركة الله والقديس أبو تربو.[١]

وعندما ينتقل أحد أفراد العائلة القبطية يُحمل جثمان الميت إلى الكنيسة حيث يصلي الكهنة على الجثمان طالبين الراحة الأبدية له مع القديسين. مقدمين التعزيات الروحية لأسرته ومحبيه، ومذكرين الحاضرين أن هذا هو طريق الأرض كلها.[٢] وفي اليوم الثالث من الوفاة يقوم الكاهن بزيارة بيت الميت حيث يصلي طالباً الرحمة من الله للمنتقل والعزاء لأهله. ويسمي العامة هذه الصلاة "رفع الحصير"، لأن أهل الميت والمعزين كانوا يجلسون على الحصير تعبيراً عن حزنهم. وتقيم عائلة الميت القداسات أيام السبوع والأربعين وفي تذكار السنة، ويطلبون من الكاهن ذكر

---

١ ـ نفس المصدر السابق، ص ١٨٥ ـ ١٩٥.

Otto F. Meinardus, Christian Egypt: Faith and Life, (Cairo: The American University in Cairo Press, 1970), p. 224.

O. H. E. Khs- Burmester, The Egyptian or Coptic Church: A Detailed Description of Her Liturgical Services, (Cairo: Society of Coptic Archeology, 1967), pp. 152 -153.

٢ ـ خصصت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية صلوات التجنيز على المنتقلين بما يتناسب مع الفئات العمرية والجنس على النحو التالي: تجنيز الرجال الكبار، تجنيز النساء الكبار، تجنيز الأطفال الذكور، تجنيز البنات، تجنيز النساء اللواتي يمتن عند الولادة، وكذلك صلوات تجنيز خاصة لكل من البطاركة والمطارنة والأساقفة والقمامصة والقسوس والشمامسة والرهبان.

أمواتهم الأعزاء باسمائهم أثناء القداسات، وعلى الخصوص في صلاة السجدة يوم عيد حلول الروح القدس.[1]

وتحتل الأصوام مكانة هامة في الحياة اليومية للعائلة القبطية. فإلى جانب صوم الميلاد (٤٣ يوماً) وصوم يونان (٣ أيام) والصوم الكبير (٥٥ يوماً) وصوم الرسل الذي ينتهي بعيد الرسل يوم ١٢ يوليو، وصوم العذراء (من ٧ ـ ٢١ أغسطس) فهناك أيضاً صوم الأربعاء والجمعة طوال العام (ما عدا فترة الخمسين يوماً ـ الخماسين ـ التي تعقب عيد القيامة المجيد). ويواظب الشعب القبطي أثناء الصوم على حضور القداسات في الكنائس والتي تقام بعد الظهر، ويكون الجميع صائمين، ويتقدمون للتناول من الأسرار المقدسة. أما في أسبوع الآلام، وهو يبدأ بعد صلاة القداس في أحد الشعانين، فتقام الصلوات المعروفة باسم صلوات البصخة، ويشترك أفراد الأسرة القبطية في صلوات البصخة التي تقام في جميع الكنائس القبطية صباحاً وظهراً ومساءً. وفي يوم الجمعةالعظيمة ـ أو جمعة الصلبوت ـ تستمر الصلوات طوال اليوم.[2]

وتحتفل العائلة القبطية مع الكنيسة بالعديد من الأعياد. ففي عيد الميلاد المجيد يحتفلون بذكرى ميلاد الرب يسوع المسيح من أجل خلاص العالم، وفي عيد الغطاس يتذكرون كيف تعمد الرب من يوحنا المعمدان مؤكداً أن كل من يؤمن به لابد أن يعتمد باسم الآب والابن والروح القدس. وفي عيد القيامة المجيد يحتفلون بقيامة رب المجد من بين الأموات منتصراً على الموت. وتحتفل الكنيسة في هذه الأعياد الثلاثة بصلاة القداس الإلهي مساء ليلة كل عيد منها حيث تنتهي الصلاة حوالي منتصف الليل.

وفي يوم عيد أحد الشعانين أو"أحد السعف" يحتفل الأقباط بذكرى دخول السيد المسيح إلى أورشليم منتصراً. وفي يوم خميس العهد يحتفلون بذكرى تأسيس سر التناول المقدس، وفيه يتقدم كل الشعب للتناول من الجسد المقدس والدم الكريم. أما عيد شم النسيم فهو يسمى أيضاً "اثنين الفصح"، وفيه تواصل العائلة القبطية احتفالها بالقيامة المجيدة بحضور القداس الإلهي في الصباح المبكر وبعده يحتفلون بحلول الربيع. أما عيد حلول الروح القدس فيأتي في اليوم الخمسين بعد أحد القيامة المجيدة، وهو يسمى أيضاً "عيد العنصرة". ويهتم الأقباط بعيد زيارة العائلة المقدسة لمصر، وتحتفل به الكنيسة القبطية في أول شهر يونية من كل عام.[3]

وتحتفل الكنيسة القبطية في كل يوم من أيام السنة القبطية بتذكار واحد أو أكثر من القديسين والقديسات من بين سحابة الشهداء والآباء والرهبان والراهبات والنساك والملائكة. وتقرأ الكنيسة سيرتهم (سيرتهن) من كتاب السنكسار قبل إنجيل القداس في كل يوم من أيام السنة القبطية.[4]

١ـ مراد كامل، حضارة مصر في العصر القبطي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٧ ـ ١٧٩، ص ١٩٧ ـ ٢٨٣.
٢ ـ نفس المصدر السابق، ص ١٨٤ ـ ١٨٦.
٣ ـ نفس المصدر السابق، ص ١٨٦ ـ ١٨٩.
٤ ـ انظر السنكسار القبطي على مدى أيام السنة حسب التقويم القبطي.

الفصل الخامس

المرأة فى العصر القبطى

د. أمال جورجى شحاته

وصل تكريم المرأة فى عصر الفراعنة القدماء إلى حد تقليدها منصب الملكة. ففى الأسرة الثامنة عشر كانت تحكم البلاد امرأة وهى الملكة حتشبسوت. والأكثر من ذلك أن المرأة قد عظم شأنها لدرجة اختيارها ضمن الآلهة، فكلنا يعلم الإلهة إيزيس والإلهة حتحور فى الدولة القديمة. ولكن العظمة الروحية التى إمتازت بها المرأة فى مصر لا ترتكز على هؤلاء وحدهن - إذ أنهن يؤلفن فئة محدودة - بل ترتكز فوق ذلك على أن المرأة كانت مسئولة عن أولادها أمام معلميهم، كما كانت مسئولة عن والديها فى شيخوختهما.

وعندما اعتنق المصريون المسيحية ظلت المرأة حاملة للشعلة، فقد سمت بأخلاقها وفضائلها حتى صارت نموذجاً للوثنيين وقدوة مُثلى اجتذبتهم إلى دين المسيح، وذلك بطريقة معيشتها، لأنها كرست حياتها للخدمة فى خشوع. وعاشت فى استقامة وطهارة، فانتزعت بسلوكها هذا احترام الجميع.

وكانت التعاليم التى تسلمها التلاميذ من السيد المسيح عن كرامة الشخصية الإنسانية تتردد كل يوم على مسامع الشعب فى محاضرات معلمى الكنيسة الأول بمدرسة الإسكندرية، امثال إكليمندس الذى كان يعلن لسامعيه قيمة الطُهر والعفاف. ولكن الوثنيين كانوا يتباهون بما هم فيه من فساد. وكانت المرأة المسيحية مثالاً حياً للكرامة الإنسانية التى تترفع عن الهبوط إلى حمأة الرذيلة.

وحين أبصر الوثنيون هذا التمسك التام بالعفاف تحول كثير منهم إلى الدين الجديد - دين المسيح - الذى ارتفع بالصلة الزوجية إلى مرتبة الروحيات.

ولقد كان من أثر تمسك الزوجة فى العصر المسيحى بكرامتها وحفظها لطهارتها وإدراكها لما هو صحيح فى مسئوليتها نحو المجتمع المدنى الذى تعيش فيه أن لا تقتصر أنشطتها وخدمتها على شئون البيت وخدمة الأسرة ورعايتها، بل تمتد إلى ما هو أعم من ذلك، إلى حد أن وثق بها آباء الكنيسة ومعلموها، فنجد أن أوريجانوس ناظر مدرسة الإسكندرية حين سجل الكتاب المقدس فى لهجات مختلفة استخدم بعض النساء اللاتى يُجدن الخط كى يكتبنه فى صيغته النهائية.

ومع أن التاريخ يذكر سير النساء اللواتى بلغن مكانة روحية سامية، إلاَّ أن هناك الافًا من الجنديات المجهولات اللواتى عرفن معنى الفضائل المسيحية وعشن بموجبها. ومن أرق هذه الأمثلة وأروعها قصة رواها القديس مكاريوس الكبير. فقد شاء ذات يوم أن يعرف درجة القداسة التى وصل إليها، فرأى فى رؤى الليل ملاكاً ينبئه أنه بلغ مرتبة سيدتين فى بلدة بالقرب من الإسكندرية. فلما حان الصباح ترك صومعته قاصدًا تلك البلدة التى أعلمه بها الملاك. وعند

وصوله إلى هاتين السيدتين استقبلاه بالتكريم والإجلال. ثم سألهما عن كيفية معيشتهما ليعرف السبب فيما نالتا من تقدير، فأعلمتاه بأنهما تسكنان معاً وأنهما متزوجتان من أخوين، وأنهما اتفقتا منذ اليوم الأول على أن لا تتفوه إحداهما بكلمة تجرح الأخرى، وإذا أحست واحدة منهما بأنها أساءت إلى رفيقتها اعتذرت لها في الحال، دون أن تسمح بالانتظار حتى تغيب الشمس. وحينما سمع القديس مكاريوس هذا الكلام هتف قائلاً: "حقاً إنه لا فرق بين الراهبة والمتزوجة، ولا بين الناسك ومن يعيش في العالم. فقد وهب الله تعالى نسمة الحياة للجميع ولم يطالبهم إلاّ بصدق نواياهم."

لقد اهتمت المرأة بتربية أولادها تربية تتفق والكمال المسيحي. بل واتسعت تلك الأمومة لتشمل كل من يحتاج إلى الرعاية في شتى صورها. فلقد استشهد والدي أوريجانوس اثناء الاضطهادات التي وقعت في القرن الثاني الميلادي، وكان أوريجانوس وهو أكبر إخوته السبعة لا يزال صبياً صغيراً يافعاً. ولم يكتفي الإمبراطور الظلوم أنه أفقد هؤلاء الأبرياء والديهم، بل وصادر أموالهم. فدبر الله لهم سيدة غنية من سيدات الإسكندرية لكي تعتني بهم - ولم يذكر التاريخ اسمها - وسهرت على تربية هؤلاء الأطفال الأيتام. وبذلك هيأت الفرصة ليكون أوريجانوس من أبرز المعلمين، ومن أعلام الفكر المصري المسيحي الناضج الذين أنجبتهم الكنيسة القبطية.

ولما بلغت الاضطهادات المروِّعة - التي شنها أباطرة الرومان على المصريين - درجة الأوج، كانت المرأة قوة راسخة شددت من عزيمة الرجال، إذ كانت تقف إلى جانبهم وهم يقاسون أشد أنواع العذاب وتشجعهم على احتمال ما يلاقونه من هول، وبعد ذلك تتلقى هي ما تلقاه الرجال من صنوف التنكيل في سكينة وثبات.

ولا مبالغة إذا ذكرنا أنه كان يحدث في بعض الأحيان أن يجبن الرجل فتكون المرأة سبباً في أن يستعيد شجاعته. ومن أبرز الأمثلة على ذلك القديسة الشهيدة دميانة، تلك التي كانت الإبنة الوحيدة لمرقس والي البرلس، وكانت قد طلبت منه أن يبني لها قصراً تقيم فيه بمنأى عن العالم لتخلو فيه إلى ربها وتقضي عمرها في تأمل وصوم وصلاة وعبادة وخلوة، فأجابها والدها إلى رغبتها، وبنى لها قصرًا في المنطقة التي تعرف الآن بالبراري، بالقرب من بلقاس، حيث عاشت فيه في أمن وسلام مع أربعين عذراء، نذرن أنفسهن مثلها وعشن جميعهن في أمن وهدوء وطمأنينة. إلاّ أن دقلديانوس الإمبراطور الكافر أثار حرباً شعواء على المسيحيين فجرعهم صنوف التعذيب بشتى ألوانها. وحين أعلن هذا الطاغية اضطهاده، طلب من الولاة أن يذهبوا معه إلى الهيكل لرفع القرابين لآلهته. فجبن الوالي مرقس والد القديسة دميانة، وخشية على مركزه ذهب مع الإمبراطور للتبخير للأوثان. وما أن علمت القديسة دميانة بما حدث من أبيها حتى ذهبت لملاقاته وأعربت له عن حزنها العميق لما فعله، وإزاء كلماتها وتأنيبها ما كان من مرقس إلاّ أن يعود إلى الإمبراطور معلناً له مسيحيته وإيمانه بالإله الواحد يسوع المسيح الذي قام من الأموات. فأمر الإمبراطور بقطع رأسه بالسيف. ثم أرسل جنده إلى حيث تعيش القديسة دميانة والأربعون عذراء رفيقاتها لتعذيبها، فاحتملت هي ورفيقاتها كل صنوف العذاب بصبر عجيب، إلى حد أن أهل القرية قد خرجوا جميعاً ليشاهدوا ما سوف يفعله الجند بهؤلاء العذارى. فلما

رأوا ثباتهن وشجاعتهن أعلنوا مسيحيتهم، فأمر الضابط الروماني بقتلهم جميعاً كما أمر بقتل القديسة دميانة والأربعين عذراء. وهكذا كانت بسالتها وسيلة فعالة في إشعال حمية الإيمان الثابت في قلوب هؤلاء جميعاً.

ثم انتهت الإستشهادات وحل الأمن والطمأنينة فعادت المرأة إلى مزاولة أعمالها. وإلى جانب ذلك كانت توجد من وهبت حياتها للخدمة ومن جمعت بين خدمة الله وخدمة الناس، فآثرت أن تكون راهبة أوشماسة أو كليهما معاً في آن واحد. فلم تكن حياة العبادة تنصب على العبادة والتأمل فقط، بل شملت العمل اليدوى والعقلي والخدمة الاجتماعية، على مثال ما هو كائن الآن في أديرة الراهبات حيث تختص كل راهبة بعمل يناسب ما وهبها الله من كفاءة بدنية أو عقلية بالإضافة إلى رسالتها الأصلية وهدفها من الرهبنة، ألا وهو الالتصاق بشمس البر.

أما درجة الشموسية فكانت تستلزم ممن تنالها أن تفتقد المرضى والمسجونين والغرباء والمعوزين، كما كان من واجباتها أن تزور العائلات المنكوبة وتقدم تقريراً للكاهن عن أعمالها أولاً بأول، فكانت الشماسة مسئولة عن الحي الذي تقوم بخدمته وترعى سكانه، وتعمل جهدها على تخفيف آلامهم، وعلى ادخال الطمأنينه في نفوسهم، كما كانت تحرص على مرافقتهم للكنيسة حتى ينالوا حظهم من العناية الروحية. وكانت الشماسة والشماس يوصفون بأنهم عينا الأسقف وأذنيه لأهمية أعمالهم التي يكلفهم بها.

ومن أعظم الأمثلة للشماسات تلك الشماسة التي لم يذكر التاريخ اسمها، وهي التي اختبأ عندها القديس أثناسيوس الرسولي حامي الإيمان القويم، وهو العشرون في عداد بطاركة كنيسة الإسكندرية. ذلك أن الأريوسيين كانوا يطاردونه بُغية قتله. وفي ذات ليلة قاموا بهجوم على الكنيسة التي كان يصلي فيها، فوقف الشعب ضد الأريوسيين ثم حملوه خارج الكنيسة، فإذ وجد نفسه حراً طليقاً أخذ يتمشى في الطرقات المحيطة بالكنيسة وهو يفكر وكان ظلام الليل ستاراً يغطيه عن أعين مطارديه.

وبينما هو يفكر ويصلي ألهمه روح الله أن يلجأ إلى بيت شماسة لم تتجاوز العشرين من عمرها. ولما قرع الباب فتحته بنفسها، وكان سرورها عظيمًا إثر رؤيتها لهذا القديس. ثم ظل في بيتها ما يقرب من ست سنوات، خدمته فيها بكل أمانة وبلا أدنى تقصير، حتى كانت تأتي له بالمخطوطات من الكنيسة وتحمل إلى الشعب رسائله البنَّاءة التي كان يوجهها لأبنائه ولأفراد الشعب في مختلف المناسبات، مما أثار دهشة أصحابه وأعدائه معاً فكان أصحابه وأحبائه يتلقون تلك الرسائل بغبطة ولهفة وهم يتساءلون في حيرة: ترى أين البابا المعظم ؟! أما خصومه فكانوا يغتاظون لعجزهم عن معرفة مقر إقامته للفتك به. وهكذا تلاشت جهود الأحباء والأعداء في البحث عنه.

ولما مات الإمبراطور الأريوسي - وكان المؤمنون وقتئذ مجتمعين للصلاة في الكنيسة - إذا بأثناسيوس الرسولي يفاجئهم بوقفته بينهم !! فما كان منهم إلا أن يلاقوه بفرح لا يوصف. ثم سألوه: أين كنت مختبئاً ؟؟ فأجابهم: لم أختبئ عند أحدكم لئلاً يسألكم الحكام عن مكاني فتكذبون حرصاً على حياتي، فآثرت أن أختبئ عند تلك الشماسة التي هي فوق الشبهات، ولا

يخطر على بال أحد أنني في ذلك المكان، فكسبت بذلك حياتكم وحياتي.

ولا نغفل أيضاً فوق هذا كله عن الخدمات الجليلة ذات القيمة الكبيرة التي كانت تؤديها أيضاً المرأة في العصر القبطي ، وعلى الأخص خدمة التطبيب، أعني الطب. فقد كانت بعض النسوة يعرفن الكثير من الأعشاب وما لها من فوائد صحية، فيقمن بتركيب العقاقير منها، ويصفنها للمرضى. علاوة على أن هذه الخدمات كانت في معظم الأحيان توهب بالمجان.

نعم، لقد أظهرت المرأة في العصر القبطي الحكمة والرزانة في كل مظاهر الحياة، حتى ملابسها وزيها كانت مقبولة ولطيفة بعيدة عن ضروب الزينة والفخفخة، ولم تجنح أبداً إلى الخروج عن الحد المطلوب، بهذا كله وصلت المرأة إلى مكانه مرموقه في مركزها الديني والأدبي والإجتماعي.

المصادر والمراجع

١ ـ الصفي بن العسال، القوانين، نشره جرجس فيلاثاوس عوض (القاهرة، مطبعة التوفيق بمصر، ١٨٨٦م).

٢ ـ الأنبا بطرس الجميل، السنكسار الجامع لأخبار الأنبياء والرسل والشهداء والقديسين، (القاهرة: المطبعة الحديثة، ١٩٣٥م).

٣ ـ مراد كامل، حضارة مصر في العصر القبطي، (القاهرة، ١٩٤٥).

٤ ـ د. حجاجي ابراهيم : بعض الألفاظ اليونانية الدخيلة على القبطية، (القاهرة، ١٩٩٣م).

٥ـ René Basset: Le synaxaire Arabe Jocobite, (Paris.)

٦ـ E. L. Butcher: The story of the church of Egypt, (London 1897).

٧ـ B. Evetts: History of Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria, (Paris 1901).

الفصل السادس

المرأة القبطية فى العصر الحاضر

ا. هيدى فيليب بانوب

١ ـ الزوجة والأم القبطية

لعل أهم دور قامت به المرأة القبطية عبر العصور، وحتى يومنا هذا، هو دورها كزوجة وكأم. فالمسيحية تقدس الزواج. قال الرب يسوع المسيح: "الذى جمعه الله لا يفرقه إنسان" (متى ١٩: ٦، مرقس ١٠: ٩). ويفعل الزواج المقدس، وهو أحد أسرار الكنيسة السبعة، وبعمل الروح القدس، يصبح الزوجان جسداً واحداً. وقد أوضح قداسة البابا شنوده الثالث فى كتابه **شريعة الزوجة الواحدة** أن الكنيسة القبطية تسير تبعاً لشريعة السيد المسيح التى تحدد بأن تكون زوجة واحدة لزوج واحد. فالزواج القبطى ليس مجرد عقد يمكن فسخه بالإرادة المنفردة أو باتفاق الطرفين. إنه على العكس من ذلك وحدة عضوية بين الزوجين، ولا تنفصل هذه الوحدة إلا بموت أحد الزوجين أو بسبب ممارسة أحدهما لخطية الزنى، التى تقضى على فعل السر الذى جعل الإثنين واحداً.[١]

وتحتل الأم القبطية مكان الصدارة فى البيت القبطى. فهى ترضع أطفالها الإيمان الأرثوذكسى مع اللبن. ومع زوجها ينشئان أطفالهما فى أحضان الكنيسة القبطية، فينمون فى الحكمة والقامة والنعمة، متمسكين بإيمانهم المسيحى فى مواجهة التيارات التى تسعى إلى زعزعة هذا الإيمان. وقد دعى القديس إكليمندس السكندرى الزوجين المسيحيين أن يتحدا معاً فى العبادة مع أولادهما وأن يشتركوا معاً فى قراءة الكتاب المقدس. وتوصى الدسقولية الأبوين: "علما أولادكما كلمة الرب فى الحق... وضعا بين أيديهم كل سفر من الأسفار المقدسة."[٢]

وإذ تعيش الأمهات القبطيات حياة التقوى والفضيلة والتمسك بالإيمان الأرثوذكسى، فإنهن يقدمن مع أزواجهن نماذج حية لأبنائهم وبناتهم عن معنى الحياة المسيحية. وإذ تكرس الأم حياتها لرعاية أطفالها، فإنها تقدم لهم المثال الذى يحتذونه فى حياتهم. وبتقواها وصبرها تتعلم بناتها معنى عطاء الذات من أجل بناء بيت يسوده الحب والتفانى فى العطاء.

٢ ـ رعاية الأرملة فى الكنيسة

تهتم الكنيسة القبطية برعاية النساء اللاتى يفقدن أزواجهن. فمن الملاحظ أن معظم النساء القبطيات المترملات يكرسن حياتهن بعد وفاة أزواجهن لتربية أطفالهن، ولحياة التقوى والعبادة. وقد أوصى بولس الرسول تلميذه تيموثاؤس بإكرام الأرامل "اللاتى هن بالحقيقة أرامل".

---

١ ـ البابا شنوده الثالث، شريعة الزوجة الواحدة فى المسيحية وأهم مبادئنا فى الأحوال الشخصية، (القاهرة مؤلفات قداسة البابا شنوده الثالث، مطبعة الأنبا رويس، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م)، صفحة ٤٣ ـ ٤٤.

٢ ـ Quoted in Maurice Assad, :The Coptic Family and Social Change in Egypt," in Masamba Ma Mpolo and Cécile de Sweemer (editors), Families in Transition, (Geneva: World Council of Churches, 1977).

انظر أيضاً: وليم سليمان قلادة، الدسقولية تعاليم الرسل، (القاهرة: دار الجيل للطباعة، الطبعةالاولى، ١٩٧٩م)، صفحة ٢٨٢ ـ ٢٨٥.

ويوصي الرسول الأبناء والأقارب والأحفاد برعاية والديهم الأرامل وأن يوقروهن ويكرموهن. ولم يمانع الرسول من زواج الأرامل "الحدثات" أو "الصبيبات الأرامل". غير أن الرسول يفضل أن تبقى الأرملة بدون زواج (تيموثاوس الأولى ٥: ٣ ـ ١٦).

وقد أفرزت الدسقولية تعاليم الرسل فصلاً عنوانه: "لأجل الأرامل والعذارى"،[١] تذكرنا فيه بنماذج الأرامل اللاتي ورد ذكرهن في الكتاب المقدس، مثل الأرملة التي عالت إيليا، وحنة بنت فنوئيل، والأرملة التي وضعت الفلسين كل معيشتها في الصندوق فامتدحها الرب يسوع المسيح. وتشبِّه الدسقولية الأرامل بأنهن مثل "مذبح الله": والأرامل المعروفات بالحق، هن اللاتي صارت كل واحدة منهن زوجة لبعل واحد، وشهد لهن من قبل كثيرين بأعمال حسنة، وبأنهن بالحقيقة أرامل متعبدات، ربين أولادهن بلا عيب."[٢] وتحدد الدسقولية "عمل الأرملة" بأنها تلك التي "تجلس في بيتها وتفكر فيما للرب. وفي الليل والنهار بفم لا يسكت تصلي إلى الله بسريرة طاهرة مثل الحكيمة يهوديت... تطلب إلى الله بلا فتور عن الكنيسة... وهي متعمقة في الصلاة، ولا تميل إلى الشره وشهوة كثرة الأطعمة... عينها طاهرة، وأذنها طاهرة... غير محبة للفضة، ولا متعظمة القلب، ولا محبة للنصيب الأكثر... وديعة غير قلقة... تجلس في بيتها كل وقت ترتل وتصلي وتطلب وتقرأ في الكتب، تسهر وتصوم، تتكلم مع الله كل حين بتسابيح وتراتيل روحانية."[٣]

ويقدم لنا تاريخ الكنيسة عبر العصور أمثلة حية لنساء ترملن، فكرسن حياتهن لتربية أطفالهن وتنشئتهم في أحضان الكنيسة. وبعد أن أدَّين رسالتهن نحو أولادهن انصرفن لحياة العبادة والخدمة الكنسية، ومن أمثلة ذلك الأرملة القديسة يوفيميا.[٤] وفي حياتنا المعاصرة أمثلة كثيرة لنساء أرامل وهن نماذج حية للتفاني في تربية أبنائهن وتكريس حياتهن لحياة العبادة والخدمة الكنسية.

٣ ـ الشماسات والمكرسات في الكنيسة

أحيا قداسة البابا شنودة الثالث نظام الشماسات في الكنيسة القبطية، وكان قد اندثر منذ القرن الثالث عشر. وقد قام قداسته بتكريس العديد من الشماسات، كما اهتم بدراسة نظام الشماسات في الكنيسة الأولى، وطقوس تكريسهن للخدمة في الكنيسة.[٥]

وقد ذكر الرسول بولس في رسائله عدداً من الشماسات (الخادمات)، نذكر منهن فيبي خادمة كنيسة كنخاريا (رومية ١٦: ١)، وبريسكلا (رومية ١٦: ٣ ـ ٥)، وافودية وسنتيخي (فيلبي ٤: ٢ ـ ٤). وقد حددت الدسقولية تعاليم الرسل أن تكون الشماسة من بين العذارى أو الأرامل المؤمنات، وهي تقوم على خدمة النساء في الكنيسة وافتقادهن، وعلى الخصوص لأجل امرأة

---

١ ـ نفس المصدر السابق، صفحة ٢٢٤ ـ ٢٤١.

٢ ـ نفس المصدر السابق، صفحة ٢٢٨.

٣ ـ نفس المصدر السابق، صفحة ٢٢٨ ـ ٢٤١. انظر كذلك: فيدي باتوت ومرريس اسعد، الفتاة القبطية في العصور الأولى للمسيحية، (بني سويف، لجنة رعاية الفتاة بمطرانية بني سويف والبهنسا، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م)، صفحة ٤٩ ـ ٥٨.

Fawzia Assaad, "Euphémia La Sainte Vierge", in Le Monde Copte, (Paris, 1989), pp. 41 - 47.

٥ ـ البابا شنوده الثالث، "تواضعوا وكونوا في مستوى العذراء"، مجلس كنائس الشرق الأوسط، المرأة في الكنيسة والمجتمع في الشرق الأوسط (بيروت، مجلس كنائس الشرق الأوسط، ١٩٧٩م)، صفحة ٦٦.

تعمد. وقد وضعت الكنيسة في العصر الرسولي طقساً خاصاً لتكريس الشماسات.[1]

وفي عام ١٩٩١م، أقر المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية "لائحة المكرسات"، وهي تتكون من ٢٢ مادة. وقد حددت المادة ١٣ رتباً ثلاث للفتاة التي تتكرس تكريساً كلياً لخدمة الكنيسة. وهذه الرتب هي: "مكرسة"، وترقى بعد خمس سنوات إلى "مساعدة شماسة"، وبعد خمس سنوات أخرى إلى "شماسة". وقد أقر المجمع المقدس "طقس تكريس النساء"، والصلوات التي تقام في هذا الطقس، ويكون ذلك بعد ذكصولوجيات باكر، وقبل رفع البخور.[2]

وتقوم المكرسات بخدمة النساء وإفتقادهن، والعمل في مجال الخدمة الاجتماعية، وخدمة الأرامل وذوي الحاجات الخاصة، والإشراف على نشاط المرأة في الكنيسة، ومتابعة بعض النواحي الإدارية في الكنيسة، ومساعدة السيدات المتعمدات. ورتبة الشماسة في الكنيسة ليست من الرتب الكهنوتية، ولكنها لخدمة النساء.[3]

وتعتمد الإيبارشيات والكنائس في سائر أنحاء الكرازة المرقسية اليوم على خدمة المكرسات، وما يقمن به من خدمات في مختلف مجالات الخدمة، وعلى الخصوص بالنسبة لخدمة النساء والشابات والأطفال.

شاركت النساء في الخدمة عبر التاريخ المسيحي. فالنسوة كن يتبعن الرب يسوع المسيح ويخدمنه من أموالهن، وكانت مريم المجدلية أول مبشرة بقيامة الرب يسوع من بين الأموات. وكان بيت مريم أم مرقس أول كنيسة انطلقت منها الكرازة المسيحية. بل إن المرأة السامرية كانت أول كارزة تدعو الناس إلى الرب يسوع المسيح.

ومن مصر ذهبت القديسة فيرينا إلى بلاد الغال (سويسرا اليوم) مع الكتيبة الطيبية، وقامت بخدمة نساء سويسرا وفتياتها، فكانت تعتني بالمرضى وتعلم الفتيات والنساء العناية بأنفسهن. وقد جرت على يدها معجزات كثيرة، فآمن كثيرون على يدها. وكذلك زميلتها الشهيدة ريجولا، فقد صحبت شقيقها فيلكس الذي كان ضمن الكتيبة الطيبية، واستشهدت مع أخيها فيلكس ورفيقه اكسوبرانتيوس لتمسكهم بالإيمان المسيحي. وقد احتل الشهداء الثلاثة مكانة رفيعة في مدينة زيورخ السويسرية. ويحمل خاتم المدينة رسم الشهداء الثلاثة إلى يومنا هذا. وأقيمت الكنائس على أسمائهم.[4]

أما رائدات الرهبنة القبطية - سنكليتيكي أم الراهبات، والأم تاليدا، والأم ثيودورا، والأم سارة - فقد فاح عبير سيرتهن العطرة في سائر البلاد، فجاءت فتيات وسيدات من أنحاء المسكونة، وتعلمن على أيديهن حياة النسك والعبادة والروحانية، ونقلن نظام رهبنة النساء إلى الشرق والغرب.[5]

ولا تزال أديرة الراهبات تقدم نماذج حية للتقوى والنسك والروحانية. وعلى الرغم من أن

١ - وليم سليمان قلادة، الدسقولية تعاليم الرسل، صفحة ٢٥٦ - ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٥٨ هامش ١٧ - ٣. انظر كذلك: هيدي باتوب وموريس أسعد، الفتاة القبطية في العصور الأولى للمسيحية، مصدر سبق ذكره، صفحة ٤٩ - ٥٢.

٢ - المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية، لجنة السكرتارية، القرارات المجمعية في عهد صاحب القداسة والغبطة البابا شنوده الثالث (١١٧)، (القاهرة: مطبعة الأنبا رويس الأوقست بالكاتدرائية بالعباسية، ١٩٩٦)، صفحة ١٢٩ - ١٥٤.

٣ - نفس المصدر السابق، صفحة ١٤٩ - ١٥١.

٤ - هيدي باتوب وموريس اسعد، الفتاة القبطية في العصور الأولى للمسيحية، صفحة ٣٧ - ٤١.

٥ - نفس المصدر السابق، صفحة ٢٢ - ٢٨، ٣٥ - ٣٦.

الراهبات بصفة عامة لا ينزلن للخدمة بين الناس في المجتمع، فإنهن يقمن باستقبال الزائرين والزائرات والصلاة من أجلهم. ونذكر على سبيل المثال عيد القديسة دميانة في ديرها بالبرارى ببلقاس في شهر مايو من كل عام، حيث يتوافد عشرات الآلاف من الناس من المسيحيين وغير المسيحيين لنوال بركة الشهيدات الأربعين مع القديسة دميانة.

٣ ـ خدمة المرأة القبطية في الكنيسة

وتشارك المرأة القبطية والفتاة القبطية في العديد من مجالات التنمية. ففي أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية، اهتم الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والاجتماعية منذ الستينات من القرن العشرين بخدمات تنمية المرأة، فأنشأ مراكز التنمية الشاملة لتدريب الفتيات في الريف والمناطق الشعبية على أعمال تُنمّي دخلهن ومحو الأمية والعناية بالصحة وغير ذلك. كما أنشأ مراكز لإعداد مشرفات على دور الحضانة بالكنائس والإيبارشيات.[١] وتساهم الخادمات في برامج التنمية في أسقفية الخدمات وفي سائر إيبارشيات الكرازة المرقسية. وعلى سبيل المثال، تعمل مع الأنبا بطرس الأسقف العام العديد من الخادمات والمكرسات في الإهتمام بالمعاقين ذهنياً، وفي مختلف برامج التنمية في "جزيرة المحبة بطمس" حيث تجرى خدمات تنموية متكاملة.

وقد أنشأت السيدات القبطيات جمعيات لخدمة المجتمع إلى جانب الإهتمامات الدينية. ونذكر من هذه الجمعيات جمعية السيدات القبطية وجمعية صديقات الكتاب المقدس.

ولم تتقاعس المرأة القبطية عن مواجهة الممارسات والعادات الضارة بصحة الأم والطفل، والتي هي من مظاهر التخلف. ففي لجنة الأسرة بأسقفية الخدمات العامة والاجتماعية أنشئ برنامج المرأة. وفي مطرانية بني سويف والبهنسا تهتم "لجنة رعاية الفتاة" منذ إنشائها عام ١٩٨١م بالتنمية المتكاملة للفتاة، والدعوة إلى المساواة بين البنت وبين أخيها الولد. كما أن لجنة رعاية الفتاة تدعو إلى القضاء على ممارسة ختان الإناث. وتنشر اللجنة "سلسلة رعاية الفتاة"، وسلسلة "صحتك يا فتاتي" لتدعيم هذا العمل وتنمية حياة الفتاة بصورة سليمة.[٢]

٥ ـ المرأة القبطية في خدمة المجتمع المعاصر

عندما قامت ثورة ١٩١٩م ضد الاحتلال البريطاني، لم تتخلف المرأة القبطية عن مشاركة زميلاتها المسلمات في الدفاع عن الوطن. فلقد اشتركت ثلاثمائة من سيدات وشابات مصر المسلمات والمسيحيات في مظاهرة السيدات الكبرى يوم ٢٠ مارس ١٩١٩م، وهكذا لعبت المرأة القبطية دوراً رئيسياً في الاحتجاج على استمرار الاحتلال البريطاني لمصر، وعرّضن أنفسهن، مسلمات ومسيحيات معاً، لرصاص المحتل الغاشم.[٣]

وفي يوم ١٢ ديسمبر ١٩١٩م اجتمعت أكثر من ألفي سيدة قبطية ومسلمة بالكاتدرائية

---

١ ـ موريس اسعد، "من مآثر الأنبا صموئيل"، مجلة مدارس الأحد، (القاهرة: العدد السابع، السنة ٥٢، اغسطس ١٩٩٨م)، صفحة ١١ ـ ١٣.

٢ ـ هيدي بانوب، الرعاية المتكاملة للفتاة، (بني سويف، لجنة رعاية الفتاة بمطرانية بني سويف والبهنسا، سلسلة رعاية الفتاة ـ ٦، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م) صفحة ٢ ـ ٣.

٣ ـ هدى شعراوي، مذكرات هدى شعراوي رائدة المرأة العربية الحديثة، (القاهرة: كتاب الهلال، العدد ٣٦٩، سبتمبر ١٩٨١م)، صفحة ١٨٧ ـ ١٩١، إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية وهي تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية التي أسسها مارمرقس البشير، (القاهرة: مكتبة المحبة، الكتاب الخامس، ١٩٨٤م)، صفحة ٨٥ ـ ٨٦.

المرقسية بكلوت بك للاحتجاج على قبول يوسف وهبة، وهو قبطي، لرئاسة الوزارة، وللاحتجاج كذلك على قدوم لجنة ملنر. وكان في مقدمة السيدات القبطيات قرينات كل من الدكتور نجيب اسكندر، وعزيز مشرقي، وميخائيل شاروبيم، والقمص بولس، وحنا مسيحة، وميخائيل لبيب، ورفائيل بغدادي، ومعهن كذلك برلنتة ويصا واصف، وجوليت لبيب مقري، وجوليت صليب، وماري ميرهم. وهكذا اشتركت المرأة القبطية مع القيادات القبطية من الرجال التي اصدرت بيان ٢١ نوفمبر ١٩١٩م تحت عنوان: "احتجاج الاقباط على وزارة وهبة باشا - بيان للامة."[١]

وفي يوم الخميس ٨ يناير ١٩٢٠م، أي في اليوم التالي لعيد الميلاد المجيد، اجتمعت اكثر من الف سيدة مصرية من المسلمات والمسيحيات في الكاتدرائية المرقسية بكلوت بك، وقمن بتأليف "لجنة الوفد المركزية للسيدات"، وتم إنتخاب عضوات اللجنة في قلب الكاتدرائية. وقد انتخبت هدى شعراوي رئيسة للجنة رغم أنها لم تكن موجودة في القاهرة. وكان من بين السيدات القبطيات اللاتي تم إنتخابهن عضوات في هذه اللجنة قرينات كل من: فهمي بك ويصا، ومقاري بك، وتكلا باشا، ويصا واصف، وكذلك روجينة خياط. وكانت اللجنة مؤلفة من خمسة عشرة سيدة، إذ كانت الباقيات من المسلمات.[٢]

وقد جمع بين السيدات المسلمات والقبطيات كثير من الود وتبادل المجاملات . فقد قامت القيادات النسائية الإسلامية بتهنئة القيادات النسائية المسيحية بعيد القيامة المجيد في ٢٠ ابريل ١٩١٩م. وذهب وفد من السيدات القبطيات إلى مسجد السيدة زينب يوم ٢٤ أبريل ١٩١٩م لرد الزيارة، وكان في انتظارهن فريق من القيادات النسائية الإسلامية. وتواصل بين الفريقين تبادل التهنئة في الأعياد الإسلامية والمسيحية.[٣]

وعلى امتداد القرن العشرين، قامت نهضة نسائية عظيمة في مصر. وقد شاركت السيدات والفتيات القبطيات في سائر الإهتمامات الإجتماعية والقومية، وعلى الخصوص في مجال تعليم الفتيات، إذ تهتم العائلات القبطية بتعليم فتياتها إلى أعلى مستويات التعليم العالي. فالإناث يتمتعن بالمساواة في سائر مراحل التعليم مع الذكور في مصر.

وتعمل الفتيات والنساء القبطيات إلى جانب أخواتهن المسلمات في سائر مجالات العمل. فمنهن الطبيبات والمحاميات والمهندسات والعالمات في مختلف مجالات العلم والأديبات والمعلمات والإعلاميات والسكرتيرات، وقد برعت الكثيرات منهن في مجال استخدام الكمبيوتر والإنترنت، وغير ذلك من مجالات العمل. ولا يفوتنا أن نذكر أنه كانت هناك وزيرة قبطية في مجلس الوزراء (١٩٩٨م)، وكذلك عضوات في مجلس الشعب من السيدات القبطيات.

---

١ . نفس المصدر السابق، صفحة ٨٦.
سميرة بحر، الأقباط في الحياة السياسية المصرية، مصدر سبق ذكره، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م)، صفحة ٨٧ ـ ٨٨.
هدى شعراوي، مذكرات هدى شعراوي، مصدر سبق ذكره، صفحة ٢٠٠ ـ ٢٠٢.
٢ . نفس المصدر السابق، صفحة ٢٠٢ ـ ٢٠٣.
سميرة بحر، الأقباط في الحياة السياسية المصرية، صفحة ٨٨
٣ . نفس المصدر السابق، صفحة ٧٥.

الفصل السابع

الجمعيات والمؤسسات القبطية الأثوذكسية

د. موريس أسعد

١ ـ نشأة الجمعيات القبطية

في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، هبت قيادات من العلمانيين من أبناء الكنيسة القبطية الإرثوذكسية لمساندة كنيستهم في مواجهة الظروف الجديدة في المجتمع المصري. فتم تأسيس المجلس الملي العام سنة ١٨٧٤م. وكان الهدف من إنشائه مساعدة البابا والإكليروس في الأمور الإدارية للكنيسة.

وبدأت تظهر الحاجة إلى هيئات متخصصة في أعمال البر ومساعدة الفقراء واليتامى والأرامل والمرضى وتزويج الفتيات الفقيرات. وهكذا ظهرت فكرة تأسيس الجمعيات الأهلية في مصر، الإسلامية والقبطية على حد السواء.

ولم يكن إنشاء الجمعيات القبطية وانتشارها أمراً عفوياً، وإنما أدت إلى قيامها عوامل وظروف اجتماعية كانت تواجه ـ ولا تزال ـ المجتمع المصري. نذكر بينها:

أ ـ حاجة الأقباط إلى توفير الخدمات الأساسية لأبنائهم وبناتهم، وعلى الخصوص في مجال الرعاية الاجتماعية والصحية والتعليم، وذلك في وقت لم تكن تلك الخدمات متاحة إلا في نطاق ضيق للغاية.

ب ـ رغبة الأرامنة والعلمانيين الأقباط، من ملاك الأراضي والموظفين ـ وقد عاد البعض منهم من الخارج حيث درسوا في أوروبا واستفادوا من خبرتهم هناك ـ في القيام بخدمات اجتماعية تفيد بلدهم وكنيستهم.

جـ ـ مواجهة الجمعيات التبشيرية الأجنبية ـ الأمريكية والبريطانية والفرنسية والإيطالية ـ والتي استخدمت خدماتها التعليمية والصحية والاجتماعية كوسيلة لاستقطاب أبناء الأقباط وحفزهم على ترك كنيستهم واتباع مذاهبها الوافدة من الخارج.

د ـ استفادة القيادات العلمانية القبطية من خبرة الجمعيات الأجنبية التي نشطت في إنشاء المدارس والمستشفيات والملاجئ وغير ذلك من المؤسسات الخيرية لرعاية أبناء طوائفها المقيمين في مصر.[١]

٢. تأسيس الجمعيات القبطية وانتشارها

بدأت حركة العمل الاجتماعي الأهلي في مصر في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر. فقد نشطت قيادات شعبية من المسلمين والأقباط، وتجمع أفراد من كل منهما، وبدأوا في تكوين الجمعيات الأهلية المصرية، الإسلامية والقبطية. وقد تنوعت الخدمات التي قامت تلك الجمعيات

---

٢ ـ يوفان لبيب رزق، "الأهرام ديوان الحياة المعاصرة" جريدة الأهرام، (القاهرة: ٧ مارس ١٩٩٧)، ص ٧.

بتقديمها. فمنها تلك التى اهتمت بإنشاء المدارس على اختلاف مستوياتها لتعليم أبناء الشعب، وأخرى قامت بإنشاء المستوصفات والمستشفيات، وغيرها أنشأت الملاجئ لرعاية اليتامى ودور المسنين، وكذلك تقديم المساعدات الاجتماعية للأسر الفقيرة، وإنشاء المشاغل لتدريب الفتيات الفقيرات، وهنالك أيضاً الجمعيات التى اهتمت بالنواحى الدينية والثقافية، وكذلك تلك التى تولت رعاية الفئات الخاصة مثل المكفوفين والكفيفات والمعاقين ذهنياً وغيرهم.

ويذكر كتاب "الحالة الدينية في مصر" أن عدد الجمعيات القبطية فى نهاية القرن التاسع عشر كان خمس جمعيات[1] . وأغلب الظن أن تلك هى الجمعيات الأهلية المشهرة أو المسجلة رسمياً. غير أن تلك الفترة قد شهدت حركة شعبية فى سائر أنحاء القطر المصرى، وعلى الخصوص في سائر أنحاء الصعيد، حيث نشطت جهود الأقباط، افراداً وجماعات، للقيام بأنشطة اجتماعية فى المدن والقرى. فتم إنشاء المدارس بالجهود الذاتية، وتكونت جمعيات، ولكنها لم تكن مسجلة. وقد وجدت أنشطة مماثلة فى بعض مدن الوجه البحرى.

ومن أهم الجمعيات القبطية التى أنشئت فى تلك الفترة نذكر منها:

أ ـ الجمعية الخيرية القبطية

تأسست الجمعية الخيرية القبطية عام ١٨٨١م. وكانت تسمى عند تأسيسها "جمعية المساعى الخيرية القبطية"، ثم أسقط من اسمها كلمة "المساعى" عام ١٩٠٨م. وكان الهدف من تأسيسها تعليم أبناء الأقباط بالمجان، وصرف إعانات شهرية ـ وكذلك فى الأعياد والمناسبات ـ للعائلات الفقيرة. وكان بطرس باشا غالى أول رئيس لهذه الجمعية، وهو الذى دعا إلى إنشائها. وقد أنشأت الجمعية "المشغل البطرسى" عام ١٩١٠م، حيث كانت تتعلم الفتيات الفقيرات الدراسة الابتدائية والتدبير المنزلى والفنون الطرزية، وهناك كان يتم إعدادهن للمستقبل. وفى عام ١٩٢٦م، أسست الجمعية الخيرية القبطية "المستشفى القبطى" بمبناه الحالى فى شارع رمسيس (شارع الملكة سابقاً)، وقد خصصت عدداً من أسرة المستشفى لعلاج الفقراء بالمجان.[2]

ب ـ جمعية التوفيق القبطية

تأسست جمعية التوفيق القبطية عام ١٨٩١م، أى بعد عشر سنوات من تأسيس الجمعية الخيرية القبطية. وقد ذكرت جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى الأربعاء أول سبتمبر ١٩٠٣م أن "الجمعية الخيرية الإسلامية وجمعية التوفيق القبطية كبرى الجمعيات المصرية". وقد اشترك فى تأسيس هذه الجمعية رفلة جرجس، وجندى بك ابراهيم صاحب جريدة الوطن، وميخائيل بك شاروبيم المؤرخ والقاضى، ومرقس بك سميكة مؤسس المتحف القبطى وغيرهم. وقد تولى رفلة جرجس رئاسة الجمعية لمدة عام واحد ثم تنحى عن الرئاسة لإنتخابه عضواً فى المجلس الملى العام. وتولى الرئاسة بعده ميخائيل بك شاروبيم (١٨٩٢م ـ ١٨٩٦م)، وتولاها بعد ذلك المستشار الدكتور ابراهيم منصور، وهو أيضاً من مؤسسى الجمعية. وقد أسست جمعية التوفيق القبطية

---

١ ـ نبيل عبد الفتاح (رئيس التحرير) وضياء رشوان (مدير التحرير)، تقرير الحالة الدينية في مصر ـ ١٩٩٥م، الطبعة الرابعة، (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٩٦م)، ص ٢٤٧.

٢ ـ نفس المصدر السابق، ص ٢٤٨.

عدة مدارس للبنين والبنات، ابتدائية وثانوية، وكذلك مدرسة للصناعات، وكلية البنات القبطية. وقد أصدرت الجمعية "مجلة التوفيق"، وهي كانت من أهم المجلات القبطية، ومن أوسعها انتشاراً. وأنشأت الجمعية فروعاً تابعة لها في الإسكندرية وطنطا والفيوم، وقد قام كل فرع منها بإنشاء مدرسة قبطية.[1]

حـ . جمعية النشأة القبطية

تأسست جمعية النشأة القبطية عام ١٨٩٦م. وقد حددت لنفسها أهدافاً ثلاثة: نشر دراسة اللغة القبطية وتشجيع تعليمها وتعلمها، تقديم العظات وتدريس المبادئ الإيمانية المسيحية، وجمع تاريخ واف للأقباط. وكان حبيب جرجس حينئذ مدرساً للاهوت بالإكليريكية، وكان يقوم بإلقاء عظات اسبوعية في قاعتها. ومنذ عام ١٨٩٨م أصدرت "نتيجة النشأة" بصفة منتظمة كل عام. وهي تتبع التقويم القبطي. وهذه النتيجة فريدة فيما تقدمة من معلومات عن الأعياد والمواسم والزراعة والطقس. وقد أعد هذا التقويم توفيق اسكاروس مؤسس الجمعية ورئيسها، وهو مؤلف كتاب "نوابغ القبط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر". ولا تزال "نتيجة النشأة" تصدر كل عام حتى اليوم.[2]

د . جامعة المحبة

أسسها حبيب جرجس باسم "جامعة أشعة حب يسوع"، ثم تغير اسمها إلى "جامعة المحبة". وقد اهتم حبيب جرجس ومن شاركوه في هذه الجمعية بتربية النشء المسيحي تربية مسيحية وتعليم اللغة القبطية. واهتموا كذلك بتعليم الدين المسيحي في المدارس. وقد أسست الجمعية مدرسة لتعليم البنات الصغيرات.[3]

وفي خلال النصف الأول من القرن العشرين، توالى تأسيس الجمعيات القبطية في القاهرة والإسكندرية وباقي المحافظات. وقد اهتمت تلك الجمعيات بتدعيم العمل الروحي بين الأقباط. فقامت بتعليم الألحان القبطية وتكوين الفرق الشماسية التي كانت تنتقل من كنيسة إلى أخرى يومي الجمعة والأحد من كل أسبوع، وتشارك في صلوات القداس الإلهي مع الكاهن وشمامسة الهيكل. وكانت كثير من تلك الجمعيات تقدم عظات أسبوعية في القاعات التي أنشأتها لذلك الغرض. وقد تحولت بعض هذه القاعات إلى كنائس فيما بعد.

وبعض الإسهامات الكبرى التي قدمتها الجمعيات القبطية كانت في مجال إنشاء المدارس الإبتدائية والثانوية ودور الحضانة في سائر محافظات مصر، في المدن والقرى على حد سواء. وبذلك أسهمت في تعليم نسبة كبيرة من المواطنين المصريين، الأقباط والمسلمين دون تفرقة.

وكذلك قامت كثير من الجمعيات القبطية بإنشاء المستوصفات لعلاج المرضى في المدن والقرى. وقام البعض منها بإنشاء المستشفيات، وكذلك الملاجئ ودور الإيواء للبنين والبنات من

---

١ . نفس المصدر السابق، ص ٢٤٨.

إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، وهي تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية التي أسسها مار مرقس البشير، الكتاب الخامس، (القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٨٤م)، ص ١١١ ـ ١١٣، ١١٥.

٢ . نبيل عبد الفتاح (رئيس التحرير) وضياء شومان (مدير التحرير)، تقرير الحالة الدينية في مصر، مصدر سبق ذكره، ١٩٩٥م، ص ٢٤٨.

٣ . نفس المصدر السابق، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢.

الأطفال اليتامى أو ذوى الحالات الخاصة. كما قامت جمعيات بإنشاء دور لكبار السن.

وقد أنشئت بعض الجمعيات القبطية لأهداف ثقافية محددة، فاهتمت بنشر التراث القبطى والثقافة القبطية، مثل جمعية الآثار القبطية بالقاهرة، وجمعية مارمينا العجايبى للدراسات القبطية بالإسكندرية، ومؤسسة القديس أنطونيوس بمصر الجديدة، ومعها مركز دراسات الآباء.

وقد قامت بعض الجمعيات القبطية بنشر مجلة شهرية أو دورية، تقدم فيها التعاليم المسيحية لقرائها. نذكر منها "مجلة التوفيق" لجمعية التوفيق القبطية، و "مجلة الإيمان" لجمعية الإيمان القبطية بشبرا، "مجلة المحبة" لجمعية المحبة القبطية بشبرا، "ومجلة مدارس الأحد" لبيت مدارس الأحد بروض الفرج. وحرى بالذكر أن قداسة البابا شنوده الثالث كان رئيساً لتحرير مجلة مدارس الأحد قبل رهبنته.

فى الواقع لم يقتصر نشاط كثير من الجمعيات القبطية على نوع واحد من هذه الأنشطة الاجتماعية والصحية والتعليمية والثقافية، بل إن البعض منها قد اتسع مجال عمله فى عدة ميادين فى ذات الوقت، فجمعت بين مختلف تلك الأنشطة.

وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، تابعت الجمعيات القبطية خدماتها الإنسانية والاجتماعية والروحية. وقد قامت الجمعيات القبطية بإعادة اشهار تكوينها بمقتضى القانون رقم ٣٢ لعام ١٩٦٤م. ومنذ بداية السبعينات وحتى عام ١٩٩٧، توالى إنشاء الجمعيات القبطية.

وفيما يلى نذكر البعض من الجمعيات القبطية التى تم إنشاؤها على امتداد القرن العشرين كنماذج لتلك الجمعيات وأنشطتها:

أ ـ جمعية الإيمان القبطية المركزية

تأسست هذه الجمعية عام ١٩٠٠م فى حارة السقايين، ثم انتقلت إلى حى الفجالة. وقد اهتمت بالوعظ ودراسة الكتاب المقدس واللغة القبطية.(١)

ب ـ جمعية أصدقاء الكتاب المقدس

أسسها باسيلى بطرس عام ١٩٠٨م ـ وهو من خريجى المدرسة الإكليريكية ـ بعد عودته من زيارة لإنجلترا عام ١٩٠٧م، حيث وقف على النشاط الروحى للجمعيات الدينية هناك. وجعل أغراض الجمعية الاهتمام بدراسة الكتاب المقدس، ونشر الوعى الروحى، وتنمية حياة الفضيلة لدى الشباب. ومن أبرز أنشطتها إعداد بيوت لسكنى الطلبة المغتربين، وإلقاء المحاضرات والعظات فى قاعاتها، وإقامة المخيمات الصيفية وفى العطلات للشباب على شاطئ النيل، حيث الخلوة الروحية والعبادة المشتركة ودراسة الكتاب المقدس وبحث مشاكل الشباب وكيفية علاجها، ومناقشة القضايا الدينية والاجتماعية. وقد أسست جمعية أصدقاء الكتاب المقدس فروعاً لها فى العديد من المحافظات ، وكان أعضاء هذه الفروع يشتركون فى سائر أنشطتها. كما أنشأت كنيسة مارمرقس بشبرا. ومن أهم شخصياتها مرقس باشا سميكة، والإيغومانوس ابراهيم لوقا،

---

١ ـ نفس المصدر السابق، صفحة ٢٤٨.

إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية. وهى تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية التى اسسها مار مرقس البشير، الكتاب الثانى، (القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٨٥م)، ص ٢٤٩.

والواعظ الشهير عياد عياد. وكثيرون غيرهم، منهم القمص مرقس داود الذى انتدب مديراً للكلية الإكليريكية فى أديس أبابا.[1]

حـ - جمعية ثمرة التوفيق

تأسست عام ١٩٠٨م. وكان أول رئيس لها تادرس ميخائيل، وتلاه فى الرئاسة شقيقه عبده ميخائيل. وقد أنشأت الجمعية مدرسة للبنين عام ١٩١٠م. وقامت بتعليم التلاميذ فيها بالمجان. كما أنشأت مستوصفاً خيرياً لعلاج الفقراء بالمجان عام ١٩٠٩م. واهتمت برعاية الفقراء. وفى أثناء الحركة الوطنية عام ١٩١٩م اتخذ سعد زغلول مقر جمعية ثمرة التوفيق منتدى لإلقاء خطبه وبياناته.[2]

د - جمعية الإخلاص القبطية بالإسكندرية

انشئت عام ١٩٠٩م. ومن أهم أهدافها إحياء اللغة القبطية، وتعليم الدين المسيحى. ومن أهم أعمالها إنشاء كنيسة السيدة العذراء بمحرم بك، ومدرسة للفنون الطرزية، ومستشفى ومستوصف، ومدرسة أولية.[3]

هـ - جمعية الإيمان القبطية الأرثوذكسية بجزيرة بدران بشبرا

تأسست عام ١٩١٤م كفرع من جمعية الإيمان القبطية المركزية، ثم استقلت عنها. وقد أصبحت هذه الجمعية من أكبر الجمعيات القبطية. فقد أنشأت ست مدارس للبنين والبنات، ما بين الحضانة والابتدائى والثانوى، ومدرسة تجارية - وهى أولى المدارس التجارية الحرة فى مصر. وتضم مدارسها حوالى سبعة الآف طالب وطالبة. وقد اكتسبت مدارسها شهرة واسعة وسمعة طيبة بين المدارس الأميرية والحرة. وقد أنشأت هذه الجمعية كنيسة مارجرجس بجزيرة بدران وأقامت مستشفيين وصيدلية ومطبعة. كما اهتمت برعاية العائلات الفقيرة، وتعليم أبنائها بالمجان فى مدارسها. كما أصدرت "مجلة الإيمان" وكانت توزع منها خمسة عشر الف نسخة. وقد رأس هذه الجمعية لسنوات طويلة القمص جرجس بطرس راعى كنيسة مارجرجس بجزيرة بدران.[4]

و - جمعية ملجأ الأيتام

أسسها جرجس بك فهمى عام ١٩١٧م. وأنشأت ملجأ الأيتام عام ١٩١٩م. وألفت فرقة موسيقية من أبناء الملجأ. وكانت تدربهم تدريباً مهنياً متطوراً.[5]

ز - جمعية السلام القبطية بشبرا

أنشئت جمعية السلام القبطية أولاً فى حى القللى عام ١٩٢٨م، ثم انتقلت بعد ذلك إلى حى شبرا (شيكولانى). وكانت أولى مؤسساتها المستوصف القبطى، وهو ثانى مستوصف قبطى

---

١ - نبيل عبد الفتاح (رئيس التحرير) وضياء شومان (مدير التحرير)تقرير الحالة الدينية فى مصر - ١٩٩٥، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩.
٢ - نفس المصدر السابق، ص ٢٤٧، ٢٤٩.
٣ - نفس المصدر السابق، صفحة ٢٤٩.
٤ - نفس المصدر السابق، صفحة ٢٤٩.
٥ - نفس المصدر السابق، صفحة ٢٤٩.

يؤسس في القاهرة. ثم أنشأت في نفس العام (١٩٢٩م) ملجأ للبنات اليتيمات. ثم افتتحت مدارس لتعليم البنين والبنات بالمجان. وكان رئيسها متى ساويرس ينفق عليها من ماله الخاص. ولعل كنيسة مارجرجس بشارع الجيوشي بشبرا أهم إنجاز قام به هذا الرجل في رحاب جمعية السلام.[١]

ح - جمعية الآثار القبطية

تأسست هذه الجمعية عام ١٩٣٤م كجمعية علمية. وكان اسمها في البداية "رابطة محبي الفن القبطي" ثم تغير عام ١٩٣٨م إلى "جمعية الآثار القبطية". ومنذ تأسيسها على يد مريت غالي رئيسها، كان اهتمامها الرئيسي هو البحث في التراث القبطي، من خلال نشر "مجلة جمعية الآثار القبطية"، وهي مجلة علمية عالية المستوى، تنشر المقالات باللغة التي كتبها أصحابها. وقد نشرت كذلك إصدارات عن "الفن والآثار القبطية"، وكذلك "نصوص ووثائق". وأصدرت أيضاً خرائط وأدلة منها: "خريطة مصر المسيحية"، ثم عدة أدلة عن "الآثار في العصر القبطي". وقد قامت الجمعية بعدد من الاكتشافات الأثرية القبطية. وتحتوي مكتبتها على أهم الكتب والدراسات بمختلف اللغات عن التراث القبطي، وهي تحتوي على ثلاثة عشر ألف مجلد في مختلف نواحي التراث القبطي والآثار القبطية.[٢]

ط - رابطة القدس

تأسست رابطة القدس عام ١٩٤٤م. وكانت أهدافها الرئيسية: المحافظة على تراث الأقباط في القدس، ومساعدة الفلسطينيين من أبناء الكنيسة القبطية، وتيسير إجراءات زيارة الأراضي المقدسة، والمساهمة في المدارس والكنائس القبطية بالقدس وتدعيمها مادياً وبشرياً، وإتاحة الفرصة للسفر مجاناً إلى القدس بالقرعة لأعضاء الرابطة، وإصدار نبذات ومطبوعات إرشادية ودورية منتظمة منذ عام ١٩٤٤م. وقد تحول مقرها بالفجالة إلى كنيسة بها عدة مذابح وهي نماذج مصغرة للأماكن المقدسة وكنيسة القيامة بالقدس.[٣]

ى - جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية

تأسست هذه الجمعية في الإسكندرية عام ١٩٤٥م. (يوم ١٥ هاتور ١٦٦١ ش - ٢٤ نوفمبر ١٩٤٥م، وهو يوم تذكار استشهاد مارمينا العجايبي.) وهدف الجمعية نشر الثقافة القبطية - الدينية والتاريخية،وإحياء ذكرى شهداء الأمة القبطية وأبطالها ونوابغها في كافة العصور بالكتابة والخطابة، ونشر رسائل ودراسات مبسطة عن أهم المواضيع التي يتعين على كل قبطي الإلمام بها، وتنظيم زيارات ورحلات للأديرة والأماكن الأثرية التي يهتم كل قبطي بزيارتها. وتواصل الجمعية إصدار "رسالة مارمينا". وقد شارك في الكتابة في هذه الرسالة قمة علماء القبطيات، نذكر منهم:

---

١ - إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية الكتاب السادس، (القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٨٥)، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

٢ - Aziz S. Atiya, A History of Eastern Christianity, (London Methuen, Co. , 1968), p. 118.
Otto F. A. Meinardus, Christiam Egypt: Ancient and Moderm (Cairo: Cahiers d'Histoire Egyptienne,1965), p. 440.
Mirrit Botros Ghali, "Society of Coptic Archaeology, "in Aziz S. Atiya, the Coptic Encyclopedia. (New York: The Macmillan Publishing Company, 1991), Vol. 7, p. 2142.

٣ - إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية الكتاب السادس، مصدر سبق ذكره، ص ٢١١ - ٢١٣.

الدكتور عزيز سوريال عطية، والدكتور جورجي صبحي، ويسى عبد المسيح، والدكتور مراد كامل، والدكتور باهور لبيب، والقمص يعقوب مويزر، والدكتور منير شكرى. (وكيل الجمعية وصاحب الفضل الكبير فيما حققته من إنجازات). وقد قامت الجمعية بإعادة طبع كتاب اللغة القبطية الذى ألفه الدكتور جورجي صبحي عام ١٩٢٤م، وأمد البابا كيرلس السادس الجمعية بالمال اللازم لطبع هذا الكتاب. كذلك قامت الجمعية بإصدار كتاب عن أعلام القبط المعاصرين. وقد كان لهذه الجمعية دور بارز في إنشاء كنيسة مارمينا بفلمنج (رمل الإسكندرية). وقد أسست بجوارها مكتبة قبطية علمية حافلة بأمهات الكتب. كما ساهمت مع البابا كيرلس السادس في جهده الجبار لإعادة بناء وتعمير دير مارمينا وكنائسه في مريوط.[1]

ك - جمعية أبناء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بالفجالة

إهتمت هذه الجمعية بنشر اللغة القبطية، وتعليم الألحان القبطية، وكونت جوقة من الشمامسة تقوم بزيارة الكنائس أيام الجمعة والأحد لتقديم الألحان وقيادة الشعب في مرددات القداس، وفق جدول مرتب لهذه الزيارات. وقد قامت الجمعية بطبع الخولاجي الذى يحتوى على الثلاثة قداسات القبطية. كما اهتمت بطبع العهد الجديد وأسفار موسى الخمسة باللغة القبطية. وأصدرت التقويم القبطى بطريقة فريدة. وقد أنشأت كنيسة السيدة العذراء بروض الفرج بشبرا. ومن أبرز شخصيات هذه الجمعية وديع سعيد، الذى ترهب في دير القديس مقاريوس في برية شيهيت (وادى النطرون) باسم القس داود المقارى.

ويرجع الفضل في كل هذه الخدمات إلى القس داود المقارى. ولعله أول جامعي يصبح راهباً. وكان يجيد عدة لغات أجنبية إلى جانب القبطية والعربية. وقد اخترع أول آلة كاتبة باللغة القبطية. واشترك مع دكتور برومستر في طبع كتاب تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع. واهتم بإحياء اللغة القبطية. كما أصدر مجلة الأنوار الأسبوعية باللغة العربية، وكان يصدر لها ترجمة باللغتين الإنجليزية والفرنسية تصدر شهرياً. وقد ترهب في دير القديس مكاريوس (أبو مقار) بوادى النطرون عام ١٩٤٣م ورسم قساً على كنيسة الديرعام ١٩٤٤م. وتم ترشيحه للبطريركية عـام ١٩٤٦م.[2] وقد ألحق بكنيسة العذراء بروض الفرج بيت النعمة، لرعاية الأطفال المحتاجين لإيواء. وكان يشرف عليه بنفسه. وقد عاش حياة التقشف والنسك والروحانية في غرفة ملاصقة للكنيسة. وقد دونت صفحة عن حياته وأعماله في "موسوعة السير العالمية" باللغة الانجليزية.

ل - الجمعية الخيرية القبطية بمعصرة سمالوط

هذه الجمعية نموذج للجمعيات القبطية التى انتشرت في المدن والقرى في سائر أنحاء مصر، حيث هب القادة من العلمانيين الغيورين لإنشاء الجمعيات القبطية لمساندة كنيستهم ومعاونتها في خدمتها الروحية والاجتماعية. وقد كان من قادة هذه الجمعية الدكتور فهمى القطشة رئيس الجمعية. وقد أنشأت الجمعية مدرسة للبنات، وتولى هو إدارتها إلى جانب عمله كطبيب. وقد ضم مبنى المدرسة قاعة للاحتفالات والسينما ومكتبة. وقد قام بتصميم المبنى الدكتور عوض

---

١ - نفس المصدر السابق، ص ٢٣٥ - ٢٤١.

٢ - نفس المصدر السابق، ص ١٠٨ - ١١٥.

كامل أستاذ العمارة بكلية الفنون الجميلة العليا. كما شيدت هذه الجمعية كنيسة باسم القديس مرقس بمعصرة سمالوط، وتم تدشينها يوم الأحد الموافق ٢٧ أبريل ١٩٤٧م.[١]

م - جماعة التربية القبطية بالجيزة

تأسست جماعة التربية القبطية بالجيزة بدعوة من الفنان حبيب جورجى عام ١٩٦٠م. وحددت أهدافها في فتح مدارس أولية فى القرى المحرومة من التعليم. فكانت تفتح مدرسة أولية فى أى منطقة يوجد فيها عشرون طفل فأكثر، ودعت أهل القرى والنجوع لتعليم أبنائهم وبناتهم فى هذه المدارس الأولية. وكانت تتقاضى من كل طفل خمسة قروش شهرياً. وكانت تجمع التبرعات والإشتراكات لتغطية تكاليف هذه المدارس. وقد افتتحت أكثر من خمسين مدرسة أولية فى قرى الجيزة وغيرها من الإيبارشيات وكانت تعقد حلقات تدريبية لإعداد المدرسين لهذه المدارس. وكل مدرسة منها كانت عبارة عن غرفة كبيرة تعد لهذا الغرض، حيث يقوم المدرسون بتعليم اللغة العربية والحساب والجغرافيا ومبادئ الدين المسيحي للأطفال فى الفترات الصباحية، وفى المساء، كانوا يعقدون الاجتماعات الروحية والوعظ لأهل القرية. وبعد أن أصبح تعليم الدين المسيحي مقرراً فى المدارس الحكومية، وكذلك توحيد التعليم الابتدائى والأولى، تحولت هذه المدارس الأولية إلى مراكز خدمة، واقتصرت على إيبارشية الجيزة. وأصبحت الخدمة فى هذه المراكز قاصرة على محو الأمية للكبار، وفصول مدارس الأحد، والوعظ والاجتماعات الروحية. ثم أضافت الجمعية إلى خدمتها افتتاح بيوت لطلبة وطالبات الجامعة الذين يفدون من البلاد إلى الجامعة بالجيزة. فافتتحت أولاً بيت الطالبات، كما أنشأت بيتاً للطلبة الجامعيين، هو بيت الشمامسة بالجيزة بهدف إعدادهم للخدمة. وانشأت فى داخله كنيسة، ثم نقلت ملكية بيت الشمامسة إلى مطرانية الجيزة رسمياً. واهتمت جماعة التربية كذلك بخدمة الأسرة، فأنشأت مراكز تنمية الأسرة. وقد انبثق عن جماعة التربية جمعية أخرى باسم "جمعية فيلوباتير للثقافة الدينية والخدمة الاجتماعية بالجيزة." وهى جمعية متعددة الأغراض، وهى تركز على خدمة الأسرة. واهتمت كذلك بدفن الموتى.[٢]

ن - جمعية رجال جمع القمامة بالمقطم

أسس الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والاجتماعية هذه الجمعية عام ١٩٧٤م. وكان هو أول رئيس لها. وكانت هذه الجمعية امتداداً للخدمة التى كان قد بدأها الأنبا صموئيل فى منطقة المقطم. وقد أضيف إلى إسمها فيما بعد "للتنمية المجتمع"، ثم تغير اسم الجمعية إلى "جمعية التنمية المحلية". وقد بذل الأنبا صموئيل جهداً كبيراً لتطوير حياة سكان منطقة المقطم من جامعى القمامة. وكان من بين اهتماماته فى هذا الخصوص استبدال العربات التى تجرها الحمير بسيارات نصف نقل، والقيام بمشروعات تنموية للاستفادة من القمامة التى تجمع من المنازل بتحويلها إلى سماد أو بإعادة الاستفادة من مكونات القمامة بعد إعادة تصنيفها.[٣]

---

١ - نفس المصدر السابق، صفحة ٢٤٣ - ٢٤٤.

٢ - نبيل عبد الفتاح (رئيس التحرير) وضياء شومان (مدير التحرير) تقرير الحالة الدينية فى مصر - ١٩٩٥، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٢ - ١٤٣.

٣ - المصدر السابق، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

س ـ مؤسسة القديس أنطونيوس بمصر الجديدة

انشئت مؤسسة القديس انطونيوس بمصر الجديدة عام ١٩٧٩م وقد اهتم مؤسسوها، وعلى راسهم الدكتور نصحى عبد الشهيد، بالتراث القبطى ودراسات آباء الكنيسة فى القرون الأولى للمسيحية. وأسست "مركز دراسات الآباء" عام ١٩٨٩م. ومنذ بداية عمل المؤسسة ومركز دراسات الآباء تواصل العمل فى ترجمة كتابات آباء الإسكندرية فى العصور الأولى للمسيحية من لغاتها الأصلية إلى العربية. وقد نشرت العديد من الترجمات لكتابات القديس مكاريوس الكبير والقديس كيرلس الإسكندرى وغيرهما من آباء الكنيسة. وتقدم المؤسسة من خلال المركز محاضرات وندوات شهرية عن آباء الكنيسة، يقدمها متخصصون فى هذا المجال من الأقباط ومن الخبراء من الكنائس الشقيقة. ومن أهم إنجازات المؤسسة إرسال العديد من الدارسين للتخصص فى دراسات آباء الكنيسة فى بعثات دراسية إلى اليونان وألمانيا وفرنسا وإنجلترا. وقد أنهى البعض منهم دراستهم وحصلوا على أعلى الدرجات العلمية (كالماجستير والدكتوراة) التى أهلتهم للإسهام فى التعريف بالتراث القبطى، والمشاركة فى لجان الحوار الرسمى بين الكنيسة القبطية والكنائس الأخرى، وكذلك القيام بالتعليم فى كليات اللاهوت القبطية. ويحتوى مركز دراسات الآباء على مكتبة قيمة تحفل بأمهات الكتب الآبائية واللاهوتية بمختلف اللغات، كما يحتوى على اركان للبحث والدراسة حتى يواصل الباحثون أعمالهم والاستفادة من المراجع النادرة الموجودة بالمكتبة.[1] وقد شجع الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف والبهنسا هذه المؤسسة وقام بتدعيمها والاهتمام بمبعوثيها، وقد القى العديد من المحاضرات فى مركز دراسات الآباء.

٣ ـ الجمعيات القبطية النسائية

شاركت القيادات النسائية القبطية فى العمل الوطنى والاجتماعى، وعلى الخصوص منذ قيام الثورة المصرية ضد الاحتلال البريطانى فى عام ١٩١٩م. فقد اشتركت نساء قبطيات مع هدى شعراوى فى اللجان النسائية التى تكونت للمطالبة بالحقوق المصرية. وقد عقدت النساء القبطيات مؤتمراً وطنياً بالكاتدرائية المرقسية بكلوت بك فى ٢١ ديسمبر ١٩١٩م، حيث اجتمعت الفان من السيدات، وكان الاجتماع تحت رئاسة القمص باسيليوس وباقى كهنة الكاتدرائية. وأرسلت المجتمعات برقية احتجاج على الاحتلال البريطانى. وقد وقعت على هذه البرقية السيدات حرم عزيز مشرقى، وحرم حنا مسيحة، وحرم نجيب إسكندر، وحرم روفائيل بغدادى، وحرم صليب منقريوس، وحرم ميخائيل لبيب، وحرم ويصا واصف، والآنستان جوليت صليب وماري ميرهم. وقد أرسلن هذه البرقية إلى رئيس الوزراء يوسف وهبة، استنكرن فيه بقائه فى الوزارة، كما أرسلن البرقية أيضاً إلى المندوب السامى البريطانى. وحرى بالذكر أن عدداً من السيدات المسلمات حضرن هذا المؤتمر النسائى التاريخى وفى مقدمتهن هدى شعراوى.[2]

وقد اهتمت القيادات النسائية القبطية بتأسيس جمعيات قبطية نسائية. كان لها دور هام فى

Patristic Centre in Cairo

١ ـ نشرة باللغة الإنجليزية تلخص تاريخ مؤسسة القديس انطونيوس وانشطة مركز دراسات الآباء. إعداد دكتور نصحى عبد الشهيد.

٢ ـ إيريس حبيب المصرى، كنسة الكنيسة القبطية الكتاب الخامس، مصدر سابق ٨٥ـ٨٦؛ الكتاب السادس،مصدر سابق. ص ٢٢ ـ ٢٣، ٢٤٥.

المساهمة فى العمل الاجتماعى التطوعى. ولعل من الأمثلة الهامة لتلك الجمعيات "جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة"، وكذلك "جمعية صديقات الكتاب المقدس".

أ ـ جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة

تأسست هذه الجمعية عام ١٩٤٠م. وقد توالى على رئاستها السيدة فوتينى حنا زوجة عزيز مشرقى المحامى، والسيدة ايلى عبد المسيح، والمؤرخة إيريس حبيب المصرى. وقد اهتمت الجمعية بافتتاح المدارس الأولية والإبتدائية لتعليم الأطفال الفقراء. وقد بلغ عدد المدارس التى أسستها فى القرى المصرية والأحياء الشعبية بالمدن واحداً وخمسين مدرسة.(١)

ب ـ جمعية صديقات الكتاب المقدس

أسست بعض القيادات النسائية جمعية ـ بل جمعيات ـ على غرار "جمعية أصدقاء الكتاب المقدس" التى ذكرناها انفاً. وكما اهتمت جمعية أصدقاء الكتاب المقدس بتنمية الوعى بدراسة الكتاب المقدس بين الشباب من الذكور، فكذلك اهتمت "جمعية صديقات الكتاب المقدس" بتنمية دراسة الكتاب المقدس بين الشابات والسيدات عضوات الجمعية. وأنشأت المشاغل للفتيات والسيدات. وقد انتشرت "جمعية الصديقات" فى العديد من المحافظات.(٢)

٤ ـ الجمعيات القبطية لرعاية الفئات الخاصة

يوجد فى مصر حوالى ستة ملايين من الأشخاص المعاقين بمختلف أنواع الإعاقة الجسمية والعقلية. ونصف هؤلاء من المعاقين ذهنياً، والباقى بين المكفوفين والكفيفات، والصم والبكم، وغير ذلك من أنواع الإعاقة البدنية.

وقد اهتمت العديد من الجمعيات والمؤسسات القبطية بهذه الفئات. ولعل من أهم هذه الهيئات ما يلى:

أ ـ جمعية معهد الكفيفات المسيحيات الخيرى

تأسس معهد الكفيفات المسيحيات الخيرى عام ١٩٤١م، وتم إشهاره كجمعية مسجلة (مشهرة) عام ١٩٦٦م. ويشتمل المعهد على مدرسة للتعليم الأساسى والثانوى للبنات الكفيفات. وبالجمعية قسم داخلى لرعاية الفتيات الكفيفات رعاية كاملة وإيوائهن، وبها كذلك دار ضيافة لإيواء ورعاية الكفيفات العاملات.(٣)

ب ـ جمعية الكرمة القبطية بشبرا

أسس هذه الجمعية القمص بولس باسيلى عام ١٩٥٣م، وأشهرت عام ١٩٦٦م. وتقوم هذه الجمعية برعاية المكفوفين والكفيفات، فأنشأت مدرسة أبناء النور للبنين المكفوفين، ومدرسة بنات

---

١ ـ نفس المصدر السابق، الكتاب السادس، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٧.
نبيل عبد الفتاح (رئيس التحرير) رضيا، شوزان (مدير التحرير) تقرير الحالة الدينية فى مصر ـ ١٩٩٥م، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

٢ ـ يوسف هاشم إمام، دليل هيئات رعاية المعوقين بجمهورية مصر العربية، (القاهرة: اتحاد هيئات رعاية الفئات الخاصة والمعوقين، ١٩٩٤م)، ص ٥ ـ ٦.

٣ ـ نفس المصدر السابق، ص ٢٥.

النور الكفيفات. وتقدم المدرستان التعليم الأساسى (الإبتدائى والإعدادى) والثانوى للمكفوفين والكفيفات. كما أنشأت دار حضانة للأطفال فاقدى البصر ينتقلون بعدها إلى التعليم الأساسى. وبالجمعية مكتبة صوتية وقسم لتعليم الموسيقى للمكفوفين والكفيفات. وبها كذلك قسم لإعداد مرتلى الكنائس من المكفوفين، ودارللمغتربين منهم.[1]

حـ ـ الجمعية الخيرية القبطية بالمعادى

أنشئ مركز الإعاقة العقلية بالمعادى عام ١٩٥٥م، وتم إشهاره كجمعية خيرية عام ١٩٦٧م. ويقبل المركز الأطفال المعاقين ذهنياً من سن ٤ إلى ١٠ سنوات. ويقوم بتدريبهم على المهارات الفردية والاجتماعية والتخاطب.[2]

د ـ جمعية العهد الجديد القبطية الأرثوذكسية بروض الفرج

تأسست عام ١٩٦٥م وأشهرت عام ١٩٦٧م. وهى تهتم برعاية المعاقين فى السمع والكلام. وبها مركز لعلاج التخاطب وعيوب الكلام.[3]

هـ ـ جمعية إخوة الكادحين بالقاهرة

أنشأ هذه الجمعية الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والاجتماعية عام ١٩٧٩م، وتم إشهارها عام ١٩٨٤م. وتهتم هذه الجمعية بتعليم المهارات الأساسية للمعوقين وذويهم. كما تقرم ببرمجة البيانات الخاصة بهم وإدخالها بالكمبيوتر. وترعى الجمعية المعاقين بدنياً، وتصرف لهم أجهزة تعويضية، وتقدم لهم مساعدات عينية.[4]

و ـ جمعية أم النور مريم بالإسكندرية

تأسست هذه الجمعية وأشهرت عام ١٩٧٩م. وهى تهتم برعاية المعوقين والعاجزين، وتقوم بتدريبهم فى مراكز التدريب المهنى للمعوقين التابعة للجمعية.[5]

ز ـ جمعية الأنعام للكفيفات المسيحيات بالجيزة

تأسست هذه الجمعية وأشهرت عام ١٩٨٦م. وقد انشأت داراً لإيواء الكفيفات المسيحيات من جميع الأعمار ورعايتهن اجتماعياً وثقافياً وصحياً. وتهتم بتدريب الكفيفات على بعض الأعمال الحرفية.[6]

حـ ـ مؤسسة السلام للراهبات الأرثوذكس بالمقطم

تم تأسيس هذه المؤسسة وإشهارها عام ١٩٩٠م كمؤسسة مركزية تعمل فى سائر المحافظات. وهى تتبع دير بنات مريم ببنى سويف. وقد انشأت دار التأهيل الفكرى بالميمون (إطفيح/ محافظة الجيزة) لرعاية المتخلفين عقلياً فئة شديدى ومتوسطى الإعاقة، وتقدم لهم

---

١ ـ نفس المصدر السابق، ص ٢٧.
٢ ـ نفس المصدر السابق، ص ٢٩.
٣ ـ نفس المصدر السابق، ص ٣٣.
٤ ـ نفس المصدر السابق، ص ٤٤.
٥ ـ نفس المصدر السابق، ص ٥٨.
٦ ـ نفس المصدر السابق، ص ٢١.

الرعاية الاجتماعية والتأهيل الحرفي على الزراعة وتربية الدواجن، والسلال، وطباعة القماش، والنسيج اليدوي، والنجارة الخفيفة.[1]

ط - جمعية جنود العجايبي والبابا كيرلس لرعاية المعوقين بالشرابية

تأسست هذه الجمعية وأشهرت عام ١٩٩٢م. وهي تهتم بالأطفال المتخلفين عقلياً. وأنشأت لهم دار الحضانة. وتعقد ندوات لتوعية آباء وأمهات الأطفال المعوقين عقلياً. وتقدم مساعدات نقدية وعينية للمعوقين وأسرهم.[2]

ى - مؤسسة القديس يوحنا الحبيب للتنمية والخدمات الاجتماعية بمصر الجديدة

أنشأ الأنبا يطرس الأسقف العام "مؤسسة القديس يوحنا الحبيب للتنمية والخدمات الاجتماعية" وأشهرت عام ١٩٩٥م. وقد تحدد ميدان عملها في رعاية الفئات الخاصة. وقد اهتم الأنبا بطرس بإقامة "مركز القلب الفرحان للقاصرين ذهنياً" عام ١٩٩٣م. وتشرف المؤسسة على تدعيم المركز وتطويره. ويرعى المركز حوالي ثمانين شخصاً من المعاقين ذهنياً، من الأطفال والشباب من الجنسين، ويوفر لهم التعليم الأساسي الخاص بالمعاقين ذهنياً، من المسيحيين والمسلمين. ويقوم المركز بتدريبهم ذهنياً للوصول إلى أقصى نمو ممكن لقدراتهم العقلية، ومساعدتهم على تكوين العادات الخلقية والاجتماعية السليمة، واكتساب المهارات التي تؤهلهم للحصول على دخل حتى يشعروا بأنهم أشخاص نافعين، كما يوفر لهم الفرص للمشاركة في الأنشطة الاجتماعية. وتسعى المؤسسة إلى رعايتهم رعاية شاملة من النواحي النفسية والاجتماعية والطبية والمهنية. كما أنشأت المؤسسة "مركز النور الحقيقي للمكفوفين". ويقوم هذا المركز بإنتاج الكتب الدينية والطقسية بالبرايل للمكفوفين. ويسعى المركز إلى إنشاء مطبعة الكترونية حديثة لطبع سائر الكتب للمكفوفين.[3]

٥ - الجمعيات القبطية والوحدة الوطنية

لعبت الجمعيات القبطية دوراً هاماً أثناء الحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار البريطاني. وقد كانت الجمعيات القبطية مراكز حيوية للنهضة الروحية بين الأقباط، كما كانت ميداناً لجمع الجهود الوطنية في مقاومة الاحتلال البريطاني، وفي صد الزحف الأجنبي على مصر وعلى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. كما أن الجمعيات القبطية كانت - ولا تزال - تقدم خدمتها لجميع المواطنين دون تمييز بين مواطن وآخر.

وكان للجمعيات القبطية أثر هام في تدعيم الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط. فقد تصدت الجمعيات الأهلية - الإسلامية والقبطية - لمواجهة النشاط المتزايد الذي كانت تقوم به الإرساليات الأجنبية لجذب الأقباط على الخصوص إلى مذاهبها. وقد تعاونت الجمعيات الإسلامية والقبطية معاً في مواجهة هذا النشاط الأجنبي. فعندما أنشئت الجمعية الخيرية القبطية، اشترك في تأسيسها كبار رجال الأقباط الأرثوذكس ومعهم الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد النجار،

---

١ - نفس المصدر السابق، ص ٢٦.

٢ - نفس المصدر السابق، ص ٤٨.

٣ - تعتمد هذه المعلومات على أوراق تسجيل "مؤسسة القديس يوحنا الحبيب للتنمية والخدمات الاجتماعية" وإشهارها بوزارة الشئون الاجتماعية، وكذلك على متابعة كاتب هذه السطور لأنشطتها عن كثب.

والشيخ عبد الله النديم. وقد خطب عبد الله النديم في حفل تأسيس هذه الجمعية. وقد عبر النديم تعضيده للجمعية الخيرية القبطية في كثير من المناسبات.

وفي الوقت الذي كان فيه النديم عضواً في مجلس إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية فإنه كان يحضر حفلات توزيع الشهادات على طلبة مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية. كما كان يحضر كذلك حفلات توزيع الشهادات على طلبة مدرسة الجمعية الخيرية القبطية، وكان يخطب في الاحتفالين.

وكان عبد الله النديم يشارك كذلك في الحفلات التي كانت تقيمها جمعية التوفيق القبطية. وكان يخطب في هذه الحفلات معبراً عن الاتحاد بين المسلمين والأقباط وداعياً إليه.

وفي عام ١٩١٩م أقامت جمعية التوفيق القبطية حفلاً بمناسبة عيد النيروز. وقد حضر هذا الحفل عدد كبير من المسلمين والأقباط، ومن رجال الدين الإسلامي والمسيحي. وقد رأس هذا الحفل فتح الله بركات، وخطب في الحفل كل من عاطف بركات (شقيق فتح الله) ومرقس حنا.

وقد قامت جمعية ثمرة التوفيق القبطية على وجه الخصوص بدور متميز في الحركة الوطنية عام ١٩١٩م، فاتخذها سعد زغلول مقراً لإلقاء خطبه وبياناته من فوق منبرها.

وقد استمر هذا الدور الطليعي للجمعيات القبطية في تدعيم الوحدة الوطنية ولا يزال. ففي عام ١٩٤٤م، أقامت جمعية السلام القبطية مهرجاناً شعبياً في أول يناير من ذلك العام. وقد شارك في هذا الحفل عدد كبير من المسلمين والأقباط. وكان من بين من خطبوا في هذا الحفل فؤاد سراج الدين وحبيب المصري.

وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م، حضر محمد نجيب، وكان وقتئذ رئيس الجمهورية، حفل جمعية التوفيق القبطية بمناسبة عيد النيروز عام ١٩٥٢م، وألقى كلمة تحية بهذه المناسبة. وفي هذا الحفل ألقى عباس محمود العقاد قصيدة عصماء أعدها خصيصاً لهذه المناسبة، كما غنت سيدة الغناء العربي السيدة أم كلثوم في هذا الحفل الوطني.

وهكذا كانت - ولا تزال - الجمعيات القبطية مدرسة تربى فيها جيل من المهتمين بقضايا الوطن الذين شاركوا في الحركة الوطنية، وفي تنمية المجتمع، وساهموا في تدعيم الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط.

وبعض الاسهامات القومية والوطنية التي قامت بها الجمعيات القبطية كانت على وجه الخصوص في مجالي التعليم والصحة. فقد تعلم في المدارس القبطية الكثيرون من المواطنين المصريين - المسلمين والمسيحيين. وقد أشاد الرئيس الراحل أنور السادات بالمدرسة القبطية التي تعلم فيها في بلدته. وكذلك قدمت المستشفيات القبطية والمستوصفات الرعاية الصحية للمواطنين جميعاً دون أية تفرقة بين قبطي ومسلم.[1]

---

١ - نبيل عبد الفتاح (رئيس التحرير) وضياء شرمان (مدير التحرير)، تقرير الحالة الدينية في مصر، مصدر سبق ذكره، ١٩٩٠، ص ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٣.
يونان لبيب رزق، "الأهرام ديوان الحياة المعاصرة"، جريدة الأهرام (القاهرة ٣ مارس ١٩٩٧)، ص٧.
إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب السادس، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

٦ ـ الجمعيات القبطية والقانون

بدأ تأسيس الجمعيات الأهلية في مصر منذ أواخر عهد إسماعيل. وكان إنشاء الجمعيات الخاصة بالجاليات الأجنبية في مصر سابقاً على تأسيس الجمعيات الأهلية المصرية ـ الإسلامية والقبطية. فقد سمحت الحكومة بإنشاء هذه الجمعيات للاهتمام بالفقراء واليتامى في تلك الجاليات، بالإضافة إلى تقويم وإنشاء المستوصفات والمدارس الخاصة بكل طائفة منها. وتلى ذلك تأسيس الجمعيات الأهلية المصرية. وقد كفل دستور ١٩٢٣م المساواة بين جميع المصريين، بل وبين جميع المقيمين في مصر من مصريين وأجانب. وهكذا نص دستور ١٩٢٣م على المساواة بين جميع المصريين دون تفرقة بين مسلم وغير مسلم. وأكد الدستور على حرية الاعتقاد وحرية ممارسة الشعائر الدينية. وساوى بين جميع المصريين في الحقوق والواجبات. وقد وضع هذا الدستور الإطار التشريعي لتكوين الجمعيات الأهلية. وتضمن القانون المدني بنوداً تحدد التنظيم القانوني لتكوين الجمعيات الأهلية، ومجالات عملها، وطريقة إشهارها. وقد انشئت أول وزارة للشئون الاجتماعية عام ١٩٣٩م، وكان أول وزير لها عبد الرحمن عزام باشا، وكانت ضمن وزارة علي ماهر باشا رئيس الوزراء في ذلك الحين.

وصدر القانون الخاص بالجمعيات الأهلية رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥م. وجاء إنشاء أول وزارة للشئون الاجتماعية لاحقاً لتأسيس العديد من الجمعيات الأهلية الإسلامية والقبطية.

وبعد ثورة يوليو عام ١٩٥٢م، اهتمت الدولة بالهيمنة على كافة الأنشطة العامة والأهلية. فصدر القرار الجمهوري رقم ٣٨٤ لعام ١٩٥٦م، الذي ألغى المواد ٥٤ إلى ٨٠ من القانون المدني الذي أشرنا إليه من قبل بشأن الجمعيات الأهلية. وبذلك أخضعت كافة نشاطات الجمعيات الأهلية للرقابة والإشراف المباشر للدولة.

وفي عام ١٩٥٩م أصدرت إدارة الفتوى والتشريع بمجلس الدولة الفتوى التفسيرية لقانون الجمعيات برقم ١٩٨٣/١/٣م في ٢٩ مارس ١٩٥٩م، والتي يشار إليها باسم "فصل الجمعيات القبطية عن الكنائس". وبمقتضى هذه الفتوى أصبح لا يسمح لأية جمعية قبطية أن تضيف إلى اسمها كنيسة معينة، أو أن تقوم بإدارة كنيسة، أو أن تجمع تبرعات لإنشاء كنيسة.[١]

ثم صدر القانون رقم ٣٢ لعام ١٩٦٤م، وقد نص هذا القانون على أن تقوم كل جمعية أهلية بإعادة إشهارها من جديد، بمقتضى هذا القانون الجديد، بحيث تتمشى مع هذا القانون. وهذا ينطبق على الجمعيات الأهلية والمؤسسات الخاصة، الإسلامية والمسيحية والعامة. وقد أثر هذا القانون "على فاعلية الجمعيات الأهلية المسيحية ودورها في المجتمع المصري، فحدث انكسار وجمود في واحدة من أهم المؤسسات الأهلية للأقباط المصريين. ولم يكن هذا الانكسار فقط محصلة للقواعد القانونية التي نص عليها القانون المذكور، ولكنه كان محصلة لجملة ممارسات الدولة وتوجهاتها السياسية."[٢]

ومن بين ممارسات الدولة في تلك الفترة كان تأميم بعض المستشفيات التي أنشأتها

---

١ ـ نبيل عبد الفتاح (رئيس التحرير) وضياء شومان (مدير التحرير)، تقرير الحالة الدينية في مصر، مصدر سبق ذكره، ١٩٩٥م) ص ٢٤٧ ـ ٢٥٣.

٢ ـ نفس المصدر السابق، ص ٢٥٢.

الجمعيات الأهلية، وكان من بينها "المستشفى القبطي"، التي أنشأته الجمعية الخيرية القبطية عام ١٩١٠م، على ما قدمنا من قبل، وواصلت الإشراف عليها وإدارتها حتى تأميمها.

وخلال السنوات التي تلت اعتماد القانون ٣٢ لسنة ١٩٦٤م، صدرت عدة قرارات جمهورية ووزارية تحدد الجمعيات والمؤسسات التي أصبحت تعتبر "ذات صفة عامة"، وذلك يعني:

أ ـ عدم جواز الحجز على ممتلكاتها وأموالها.

ب ـ عدم جواز تملك أموالها بمضي المدة.

حـ ـ جواز قيام وزارة الشئون الاجتماعية بنزع ملكيتها للمنفعة العامة التي تقوم بها.[١]

ونذكر فيما يلي تلك القرارات والجمعيات القبطية التي أصبحت تعتبر "ذات صفة عامة" (حتى عام ١٩٨٥م):

قرار رئيس الجمهورية رقم ٧٥٠ لسنة ١٩٦٨م:

في إدارة الشئون الاجتماعية الجنوبية بالقاهرة

- جمعية معهد الكفيفات المسيحيات والبنين المكفوفين
- الجمعية القبطية الخيرية الكبرى.

في إدارة الشئون الاجتماعية الشمالية بالقاهرة:

- جمعية المحبة القبطية الأرثوذكسية.
- جمعية السلام القبطية الارثوذكسية.

في مديرية الشئون الاجتماعية بمحافظة السويس:

- الجمعية الخيرية القبطية الأرثوذكسية.[٢]

قرار رئيس الجمهورية رقم ١١٦٥ لسنة ١٩٦٩م:

في مديرية الشئون الاجتماعية بمحافظة الإسكندرية:

- جمعية التوفيق والثبات القبطية.

في مديرية الشئون الاجتماعية بمحافظة البحيرة.

- الجمعية الخيرية القبطية الأرثوذكسية بدمنهور.

في مديرية الشئون الاجتماعية بمحافظة الدقهلية:

- الجمعية الخيرية القبطية الكبرى.

---

١ ـ محمد أحمد عبد الجواد وعبد الستار فرج خليل، القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤م بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة ولائحته التنفيذية، (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٨٩م)، ص ٧٧ ـ ٧٨.

٢ ـ نفس المصدر السابق، ص ٦٧ ـ ٧٦.

فى مديرية الشئون الاجتماعية بمحافظة بور سعيد:

- جمعية النهضة القبطية لرعاية الطفولة والأمومة.

فى مديرية الشئون الاجتماعية بمحافظة سوهاج:

- جمعية السيدات القبطية بسوهاج.[1]

قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ٨٥٩ لسنة ١٩٨٥م:

فى إدارة الوايلى الاجتماعية بالقاهرة .

- جمعية النظام القبطية ومؤسساتها الخيرية.

فى إدارة الشئون الاجتماعية بشمال القاهرة:

- جمعية نهضة الملاك ميخائيل القبطية الأرثوذكسية.

- جمعية الشهيدة دميانة وبيتها الخيرى.

فى مديرية الشئون الاجتماعية بمحافظة البحيرة:

- جمعية صديقات الكتاب المقدس بدمنهور.[2]

٧ ـ الكنيسة والجمعيات القبطية

يعرف الشعب القبطى عبر العصور بانه ملتف حول كنيسته. ومنذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وعلى امتداد القرن العشرين، تواصل اهتمام الأقباط بكنيستهم على مستويات جديدة، فظهرت ثلاثة اهتمامات أو خدمات لعبت دوراً فعالاً فى حياة الأقباط وكنيستهم: إنشاء المجلس الملى العام، وتأسيس الجمعيات القبطية، وقيام حركة مدارس الأحد. ولم يكن القصد من هذه الحركات الثلاث مناواة السلطات الكنسية أو انتزاع اختصاصاتها، وإنما الإسهام مع الإكليروس فى مواجهة تحديات وتيارات اقتضت أن يهب أبناء الكنيسة من أراخنة وعلمانيين للإسهام فى مواجهة تلك الظروف الجديدة، ومواكبة التغير الاجتماعى الذى حصل فى المجتمع المصرى.

وقد كان للجمعيات القبطية دور واضح فى النهضة الكنسية خلال فترة تزيد على مائة عام. فقد ساهمت كثير من الجمعيات القبطية فى بناء الكنائس. واهتمت معظم الجمعيات القبطية بالنهضة الروحية والثقافة الدينية لشعب الكنيسة من خلال القاعات التى بنتها، ومنها قدمت الاجتماعات الروحية والعظات والدراسات الكتابية. وقد تحول العديد من هذه القاعات إلى كنائس. وكذلك لعبت الجمعيات القبطية دوراً هاماً فى الاهتمام بتعليم اللغة القبطية والألحان الكنسية، وتكوين الفرق الشماسية. ومن الجمعيات لقبطية تلك التى اهتمت بالأطفال والشباب وأنشأت لهم النوادى الرياضية فى مدارسها، وفتحت أبوابها لفصول مدارس الأحد

---

١ ـ نفس المصدر السابق، ص ٧٩ ـ ٨٣.

٢ ـ نفس المصدر السابق، ص ١٤٦ ـ ١٤٩.

واجتماعات الشباب.

وجدير بالذكر أن بعض الآباء الكهنة كانوا - بل ولا يزال البعض منهم - رؤساء لمجالس إدارات جمعيات قبطية، نذكر من بينهم: القمص جرجس بطرس رئيس جمعية الإيمان القبطية بجزيرة بدران بشبرا، والقمص مرقس داود رئيس جمعية أصدقاء الكتاب المقدس، والقمص صليب متى ساويرس رئيس جمعية السلام القبطية ومؤسساتها الخيرية، والقمص بولس باسيلي مؤسس ورئيس مجلس إدارة جمعية الكرمة للمكفوفين. كما أسس بعض الآباء الأساقفة والمطارنة جمعيات ومؤسسات خيرية في نطاق إيبارشياتهم أو خدماتهم، نذكر من بينهم الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والاجتماعية الذي أسس ورأس جمعية رجال القمامة وكذلك جمعية إخوة الكادحين. ونذكر كذلك الأنبا بطرس الأسقف العام الذي أسس مؤسسة القديس يوحنا للتنمية والخدمات الاجتماعية ويتولى رئاستها.

وقد قام قسم الدراسات الاجتماعية بمعهد الدراسات القبطية، والذي كان يرأسه الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والاجتماعية، عام ١٩٦٠ بوضع دراسة مسحية موسعة سميت "سجل الخدمات الكنسية"، وكان من بين استمارات الدراسة استمارة خاصة بالجمعيات القبطية. وقد قام بتصميم الاستمارة كاتب هذه السطور مع بعض أساتذة الجامعات. وقد اشتملت استمارة الجمعيات القبطية على طلب بيانات عن أغراض الجمعية، وشروط العضوية فيها، وأسماء المسؤولين عنها، وما لديها من عقارات وأملاك، وإيراداتها ومصروفاتها السنوية وأبوابها، والخدمات التي تؤديها، والأنشطة التي تمارسها من دينية وتعليمية وصحية واجتماعية، وما يتبعها من مدارس ومؤسسات اجتماعية، وما تقدمه من نشاط ترويحي وخدمة للشباب، وما لديها من ملاجئ ودور حضانة ومشاغل وغير ذلك من الأنشطة.[١]

ومنذ اعتلى قداسة البابا شنودة الثالث عرش مرقس الرسول حرص قداسته على الالتقاء بأعضاء الجمعيات القبطية، وفتح أبوابه لهم. وقد عقد البابا شنودة الثالث مؤتمرين للجمعيات القبطية، كان المؤتمر الأول في ٢٨ نوفمبر عام ١٩٩٤م،[٢] وكان المؤتمر الثاني في ١٩ ديسمبر ١٩٩٦م،[٣] وقد اشترك في المؤتمرين عدد كبير من رؤساء الجمعيات القبطية وتبادل قداسة البابا الحديث معهم، وخرجوا بتوصيات منها: إنشاء مكتب للجمعيات القبطية بالبطريركية، وتسجيل كافة المعلومات عنها بالكمبيوتر، وتصنيفها حسب أنشطتها، وتنسيق العمل فيما بينها، وتنمية التعاون فيما بين الجمعيات والكنائس في الأهداف ومجالات العمل المشتركة وغير ذلك من التوصيات. وقد قام البابا بتوزيع شهادات التقدير على مجموعة كبيرة من العاملين في مجال الجمعيات القبطية، وخص بالذكر أسماء الراحلين القمص مرقس داود رئيس جمعية أصدقاء الكتاب المقدس، ويونان نخلة رئيس جمعية المحبة، ومتى ساويرس رئيس جمعية السلام.

---

١ - قام كاتب هذه السطور بالإشراف على هذه الدراسة وإعداد استمارات "سجل الخدمات الكنسية" بالتعاون مع بعض أساتذة الجامعات.

٢ - "أول مؤتمر للجمعيات القبطية"، مجلة الكرازة، (القاهرة: السنة الثانية والعشرون، الجمعة ٩ ديسمبر ١٩٩٤)، ص ١، ١٤.

٣ - "المؤتمر الثاني للجمعيات القبطية بالبطريركية، مجلة الكرازة، (القاهرة: السنة الرابعة والعشرون، الجمعة ١ مارس ١٩٩٦)، ص ١٧ - ١٨.

٨ ـ الجمعيات المسيحية على خريطة الجمعيات الأهلية

يوجد في مصر حتى عام ١٩٩٥م عدد ١١٣٣٤ جمعية أهلية. ومن بين هذا العدد يوجد ٥٨٧ جمعية مسيحية (بنسبة ٥ . ١٨ ٪). وهذا العدد يتضمن جميع الجمعيات المسيحية: القبطية الأرثوذكسية، والبروتستانتية والكاثوليكية.

وإذا نظرنا إلى جدول توزيع الجمعيات المسيحية على سائر المحافظات حتى عام ١٩٩٥م (ص ٢٥٢ ـ جدول رقم ١)، يتبين لنا أن محافظة سوهاج تحتل المقام الأول، إذ فيها ٤٣ جمعية مسيحية من بين ٣٦٥ جمعية (بنسبة ١١ . ٧٨ ٪)، ويليها محافظة المنيا حيث يوجد فيها ٣٣ جمعية مسيحية من بين ٣٢٣ جمعية (بنسبة ١٠ . ٢٢ ٪). وبعدها تأتي محافظة أسيوط، وفيها ٣٢ جمعية مسيحية من بين ٣٨٦ جمعية (بنسبة ٨ . ٦٤ ٪). ثم محافظة قنا وبها ٣٢ جمعية مسيحية من بين ٣٧٤ جمعية (بنسبة ٨ ، ٥٦ ٪)، أما محافظة القاهرة فيأتي ترتيبها الخامسة بين المحافظات، إذ فيها ١٦٧ جمعية مسيحية من بين ٢٢٠٥ جمعية (بنسبة ٧ ، ٥٧ ٪).

ومع ذلك فإننا نجد أن أكبر تجمع للجمعيات المسيحية في القاهرة ويليها الإسكندرية (٤٥ جمعية مسيحية ـ بنسبة ٥,٧٤ ٪). أما محافظات الوجه القبلي (بني سويف، الفيوم، المنيا، أسيوط، سوهاج، قنا، أسوان) ففيها معاً ١٩٠ جمعية مسيحية من بين ٢٢٢٠ جمعية (بنسبة ٨,٥٥ ٪. وأما محافظات الوجه البحري (دمياط، الدقهلية، الشرقية، القليوبية، كفر الشيخ، الغربية، المنوفية، البحيرة) ففيها معاً ١٣ جمعية مسيحية من بين ٣٨١٦ جمعية (بنسبة ٣ . ٤٣ ٪). وفي منطقة قناة السويس والبحر الأحمر (بورسعيد، الإسماعيلية، السويس، البحر الأحمر، شمال سيناء) يوجد ٢٩ جمعية مسيحية من بين ٧٥٨ جمعية (بنسبة ٣ ، ٦٩ ٪). وفي محافظة الجيزة يوجد ٢٣ جمعية مسيحية من بين ١٠٤٠ جمعية (بنسبة ٢ ، ٢١ ٪). وفي كل من محافظتي الوادي الجديد ومرسى مطروح نجد جمعية مسيحية واحدة في كل منهما.

وقد انشئت على مدى خمسة وعشرين عاماً (١٩٧٠م ـ ١٩٩٥م) ١١٦ جمعية مسيحية في جميع المحافظات من بينها ٤٠ جمعية مسيحية في القاهرة، ١٤ في المنيا، ٩ في سوهاج، ٨ في الإسكندرية، ٧ في كل من القليوبية والجيزة، ٤ في كل من الغربية والإسماعيلية وأسيوط وقنا، ٣ في كل من المنوفية وبني سويف والفيوم، ٢ في كل من الشرقية وسيناء، وجمعية مسيحية واحدة في كل من بورسعيد والوادي الجديد.[١]

ولاشك أنه إلى جانب الجمعيات الأهلية الإسلامية والمسيحية، توجد جمعيات أهلية قامت من أجل أغراض إنسانية عامة أو حددت أهدافها في مسائل علمية أو ثقافية أو اجتماعية أو غير ذلك من الأغراض والأهداف، وذلك مثل جمعية الأخاء الديني، وجمعيات تنظيم الأسرة، والجمعية المصرية للوقاية من الممارسات الضارة بصحة المرأة والطفل (وكاتب هذه السطور عضو في مجلس إدارتها)، والجمعيات المهتمة بحقوق الانسان وغيرها. وفي هذه الجمعيات يشارك أعضاء من المسيحيين، وفي كثير منها أعضاء في مجالس الإدارة من المسيحيين، بل إن رؤساء البعض

---

١ ـ نبيل عبد الفتاح (رئيس التحرير) وضياء شومان (مدير التحرير)، تقرير الحالة الدينية في مصر ـ ١٩٩٥، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٦.

منها مسيحيون.

ويعتبر عام ١٩٩٤م وما بعده العصر الذهبي للجمعيات الأهلية في مصر، إذ لعبت الجمعيات الأهلية المصرية، ومن بينها الجمعيات المسيحية، دوراً بارزاً في المنتدى العالمي الذي صاحب المؤتمر العالمي للسكان والتنمية الذي عقدته هيئة الأمم المتحدة في القاهرة في سبتمبر ١٩٩٤م.

الباب الرابع

الصحافة القبطية

دكتور موريس أسعد

المقدمة

د. موريس اسعد

تعتبر الصحافة القبطية من المعالم الرئيسية للنهضة القومية والكنسية في مصر منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى نهاية القرن العشرين. ويسعى هذا الباب إلى تسجيل أهم معالم الصحافة القبطية. وهو يشتمل على ستة فصول: يتحدث الفصل الأول عن بدايات الصحافة القبطية، ويتناول الفصل الثاني الجرائد القبطية، ويبحث الفصل الثالث في المجلات القبطية التي صدرت لفترات محدودة وتوقفت عن الصدور، ويقدم الفصل الرابع المجلات القبطية التي مازالت تواصل صدورها. وفي الفصل الخامس عرض لأهم المجلات القبطية للشباب والخدام، ويهتم الفصل السادس بالمجلات القبطية للنشء والأسرة وكبار السن.

الفصل الأول

بدايات الصحافة القبطية

د. موريس أسعد

نشأة الصحافة في مصر

شهد القرن التاسع عشر بداية الصحافة في مصر. وكانت البداية عندما جاءت الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨- ١٨٠١)، إذ صحب نابليون بونابارت على سفينته إحدى المطبعتين اللتين أحضرهما مع الحملة، وكانت المطبعة الأخرى على سفينة أخرى من سفن الحملة. وقد سميت واحدة منهما المطبعة الفرنساوية والأخرى المطبعة الشرقية. وقد اشتملت على جميع الأدوات اللازمة للطباعة. فإلى جانب الحروف الفرنسية (اللاتينية) كانت هناك حروف عربية وسريانية ويونانية. وفي أثناء وجود الحملة في البحر قبل الوصول إلي الإسكندرية، قامت بطباعة منشور باللغة العربية لتوزيعه على المصريين. وبعد أن تم استيلاء نابليون على القاهرة أمر بنقل مطابع الحملة إلى القاهرة . وفي أثناء وجود الحملة الفرنسية بمصر أصدرت صحيفتين: الأولى تسمى لوكوريه دو ليجيبت Le COURIER de L'EGYPTE وكانت هذه الجريدة موجهة إلى الجنود الفرنسيين. أما الصحيفة الثانية فكانت صحيفة علمية لدراسة شئون مصر، والمسائل الخاصة بالحياة الاجتماعية والأدبية والإقتصادية فيها. وكان يقوم على تحرير هذه الجريدة العلماء الذين اصطحبهم نابليون معه إلى مصر، وبذلك كان السجل الرسمي لنشاط الحملة العلمي في مصر. وكانت الجريدتان خاصتين بالفرنسيين. أما المطبعة العربية فكانت تطبع المنشورات التي كانت توزع على الجماهير المصرية في مفارق الطرق ورؤوس العطف وأبواب المساجد. وقد فكرت الحملة في إصدار صحيفة باللغة العربية، ولكنها رحلت عن مصر قبل تنفيذ هذه الفكرة. وقد حمل الفرنسيون مطابعهم عائدين بها كلها إلى فرنسا، ولم يتركوا منها شيئاً في مصر. (١)

وعندما أصبح محمد علي والياً على مصر (١٨٠٥م-١٨٤٠م)، اهتم بتنظيم شئون البلاد. وبدأ يفكر في إدخال الطباعة إلى مصر منذ سنة ١٨١٥م، أي عندما فكر في تكوين جيش مصري حديث. وفي ذلك العام أرسل محمد علي شاباً يدعى نقولا مسابكي إلى ميلانو في إيطاليا ليتعلم فن سبك الحروف وصنع أمهاتها وليدرس فن الطباعة هناك. وعاد هذا الشاب إلى مصر بعد أربع سنوات اتقن فيها ساتر شئون الطباعة، وأحضر معه ثلاث طابعات ومعها حروفاً عربية وتركية وإيطالية ويونانية. وعمل مع مسابكي أربعة من خريجي الأزهر. وقد تم استيراد مطبعة بولاق في عام ١٨٢١م، وبدأ تشغيلها في عام ١٨٢٢م. وصدر عن هذه المطبعة صحيفتان هما "جورنال الخديوي" ثم "الوقائع المصرية".

وتوالى بعد ذلك صدور الصحف والمجلات التي أصدرها أشخاص مصريون. وكانت أولى

---

١ . د. خليل صابات، تاريخ الطباعة في الشرق العربي، الطبعة الثانية، (القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م) ، ص ١٣١-١٤٣.
د. ابراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية، الطبعة الثانية، (القاهرة، مكتبة الآداب بالجماميز، ١٩٤٥م) ، ص١٨-٢٤.

هذه الصحف صحيفة "وادي النيل" لصاحبها عبد الله أبو السعود، وجريدة مصر لأديب اسحق عام ١٨٧٧م وجريدة "الأهرام" التي أصدرها سليم وبشارة تقلا عام ١٨٧٥م، ودار الهلال التي أصدرت "مجلة الهلال" الشهرية التي أسسها جرجي زيدان عام ١٨٩٢م، وتولاها من بعده إميل وشكري زيدان، وجريدة "المقطم" اليومية المسائية التي أصدرها فارس نمر، وكذلك "مجلة المقتطف" الأدبية الشهرية، وقد أصدرها فؤاد صروف وفارس نمر[١]

المطبعة القبطية

قام البابا كيرلس الرابع بنهضة رعوية كان لها أثرها في تقدم الشعب القبطي. فإلى جانب اهتمامه بتعليم أبناء وبنات الشعب في المدارس التي افتتحها، فإنه رأى ضرورة وجود مطبعة تطبع فيها الكتب الطقسية والروحية والتعليمية. فكلف البابا واحداً من أبناء الشعب بشراء المطبعة واستيرادها من الخارج. وقام بالإعداد للمطبعة بأن طلب من محمد سعيد باشا أن يقوم أربعة من الشبان الأقباط الأذكياء بالتدرب على أعمال الطباعة في المطبعة الأميرية التي كان قد اشتراها محمد علي. كما اشترى للمطبعة أكثر من واحد وخمسين آلة من الحروف المصنوعة من الرصاص من قلم الروضة والمطبوعات. ووضع البطريرك الخطة اللازمة لسير المطبعة.

وصلت المطبعة إلى ميناء الإسكندرية عام ١٨٦٠م، وتم شحنها إلى القاهرة. وكان البابا في ذلك الوقت في دير الأنبا أنطونيوس، فكلف وكيل البطريركية باستقبال المطبعة استقبالاً حافلاً. وقد علقت مجلة الهلال على هذا الحدث: "الاحتفال بالمطابع الجديدة دليل على احترام العلم والرغبة في إحرازه. وأول احتفال جرى من هذا النوع في الديار المصرية احتفال الأنبا كيرلس الرابع بطريرك الأقباط الأرثوذكس المتوفى سنة ١٨٦١م، وهو من أكبر رجال الإصلاح القويم. فإنه أول من أنشأ مدرسة قبطية ومطبعة وطنية، ولم يكن في مصر عند وصولها إلى ميناء الإسكندرية وكان هو في الدير بالجبل. بعث إلى وكيل البطرخانة بمصر يأمره باستقبال تلك الأدوات عند وصولها إلى القاهرة باحتفال رسمي، يقوم فيه الشمامسة بالملابس الرسمية المختصة بالخدمة الكنائسية ويرتلون التراتيل الروحية. وكان لاستقبال تلك المطبعة احتفال تحدث الناس عنه لغرابته."[٢]

وقد عاتب البعض البطريرك على ذلك الاستقبال الحافل للمطبعة فرد عليهم. "إنما أنا أُحيِّي النهضة العلمية، واحتفل بمستقبل حظ الأقباط منها. لأن هذه الآلات الحديدية هي الواسطة الوحيدة للرقي، والدليل على احترام العلم والرغبة في إحرازه، عن طريقه القويم. ولئن استغربتم صدور أمري، فإنني لو كنت حاضراً لرقصت أمامها طرباً كما رقص داود النبي أمام تابوت العهد".[٣]

غير أن البابا كيرلس الرابع لم يتسع له الوقت لينفذ خطته الإصلاحية بإصدار الكتب

---

١ ـ المرجع السابق ، ص ٢٥ ـ ٣١ ، ٩٣ ، ١٠٢.
د. خليل صابات، تاريخ الطباعة في الشرق العربي، مرجع سابق، ص ١٤٦ ، ١٦٨.

٢ ـ المرجع السابق ، ص ٢٠١، ٢٠٢.
إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، وهي تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية التي اسسها مارمرقس البشير، الكتاب الرابع، (الاسكندرية، مكتبة كنيسة مارجرجس بأسبورتنج، ١٩٩٢) ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٥.

٣ ـ د. خليل صابات، تاريخ الطباعة في الشرق العربي، مرجع سابق ، ص ٢٠٢.

الكنسية والروحية مطبوعة بدلاً من النساخين الذين اعتبروا هذه الآلة تهديداً لهم، وقد تنيح البابا في العام التالي متأثراً بالسم الذي دسه له طبيب القصر بدلاً من الدواء.

وبقيت المطبعة معطلة حتى عام ١٨٧٠م. ثم نقلت من البطريركية إلى وقف الأنبا انطونيوس بواسطة رزق بك لوريا وأخوه ابراهيم جرجس لوريا. وكان من أوائل الكتب التي طبعتها كتاب "تهذيب الأخلاق" لأبي زكريا بن عدي التكريتي وغير ذلك من الكتب الثمينة التي أحدثت ثورة فكرية هامة بين الأقباط. كما طبعت عليها كتب الصلوات والكتب الطقسية بدلاً من نسخها، وأصبحت توزع بأثمان زهيدة. وطبعت عليها كذلك بعض الصحف والمجلات، نذكر منها جريدة الوطن في بداية إصدارها، ومجلة التوفيق القبطية، ومجلة الحق وغيرها من المجلات.[1]

وكانت ثانية المطابع القبطية هي مطبعة التوفيق التي اشترتها جمعية التوفيق القبطية بمساعدة يعقوب نخلة روفيلة عام ١٨٩٥م، وكانت تطبع عليها مجلتها، وكذلك "جريدة مصر".[2] كما قام بعض الأشخاص بإقتناء المطابع. فقام إقلاديوس لبيب بشراء مطبعة حديثة، وكان يطبع عليها "مجلة عين شمس".[3] كذلك اقتنى جرجس فيلوثاوس عوض "المطبعة المصرية الأهلية"، وكان يطبع عليها كتبه وكتب غيره. وقام الأنبا إيسيذورس بشراء مطبعة كان يطبع عليها كتبه التي تناولت تاريخ الكنيسة والدراسات الكتابية والنواحي الروحية.

وقد بارك البابا كيرلس السادس الأرض التي أقيمت عليها مطبعة الأنبا رويس التي أهدتها الكنائس الألمانية للكنيسة القبطية. وقد قام قداسة البابا شنودة الثالث بشراء مطبعة الأوفست، وخصص لها البدروم تحت المقر البابوي بالأنبا رويس، ويشرف عليها الأنبا ديسقورس الأسقف العام، وتطبع عليها جميع كتب قداسة البابا.

وقد إقتنت مجلة مدارس الأحد مطبعة حديثة تطبع عليها المجلة و ما يصدر عنها من الكتب.

أما الأديرة القبطية فقد كانت سباقة في اقتناء المطابع حتى يطبع عليها كتب التراث القبطي. وكانت أولى مطابع الأديرة مطبعة دير السريان (١٩٥٠م)، وذلك في عهد الأنبا ثاوفيلس أسقف دير السريان (١٩٠٨م-١٩٨٩م). وكذلك مطبعة دير البراموس الأوفست التي اقتناها الدير أثناء فترة رئاسة الأنبا أرسانيوس لدير البراموس. أما المطبعة الحديثة التي اقتناها دير الأنبا مقار منذ عام ١٩٧٨م فهي تقوم بطباعة كتابات الأب متى المسكين ورهبان الدير ومجلة مرقس.[4]

الصحافة القبطية والنهضة الكنسية

منذ بدايات الصحافة في مصر في القرن التاسع عشر شارك العديد من القيادات القبطية العلمانية في النهضة الصحفية التي شهدتها مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين.

---

١. المرجع السابق ، ص ٢٠٢.

إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الرابع، مرجع سابق ، ص ٣٤٠ ، ٣٤٢.

٢. جمعية مارمينا العجايبي للدراسات القبطية بالأسكندرية، قاموس التراجم القبطية، (الأسكندرية، ١٩٩٥م)، ص ٢٧٧، ٢٧٨.

٣. المرجع السابق ، ص ٢٧.

٤ . د. باسم يوسف غبريال، "تطور حركة التأليف والترجمة والنشر في مائة عام"، مجلة مدارس الأحد، السنة ٥٤، نوفمبر وديسمبر ٢٠٠٠م، ص ١٠٣، ١٠٤.

وقد شجع وجود المطبعة الأهلية القبطية التى استوردها البابا كيرلس الرابع بعض القيادات القبطية على إصدار الجرائد والمجلات التى كان لها فاعليتها فى حياة الكنيسة القبطية وفى حياة المجتمع المصرى بوجه عام.

وقد شاركت المجلات القبطية فى النهضة الكنسية بما كانت - ولاتزال - تنشره من مقالات ودراسات روحية وأسرية وإجتماعية ونفسية وتاريخية، وبما كانت تقدمه من إسهامات فى الدعوة إلى النهضة الكنسية، وكذلك بما تقدمه من أخبار.

وكان لاهتمام كثير من الجمعيات القبطية والكنائس وبعض الآباء المطارنة والأساقفة والكهنة بإصدار مجلات اثر كبير فى ربط الشعب بالكنيسة أو بالجمعية.

ولا شك ان مجلة الكرازة التى يراس تحريرها قداسة البابا شنودة الثالث، بما لها من انتشار واسع فى سائر انحاء الكرازة المرقسية، بما فى ذلك بلاد المهجر، قد ربطت شعب الكرازة المرقسية فى كل مكان برئاسته الدينية. فمقابلات قداسةالبابا وأخبار الإيبارشيات والكنائس تخلق التواصل بين الإكليروس والشعب. وما تقدمه من مقالات روحية ودراسات كتابية وتاريخية وغيرها تقدم غذاء روحيا وعقليا للشعب.

وتساهم جريدة وطنى كذلك فى هذه النهضة بما تقدمه من موضوعات روحية واجتماعية واخبار عامة واخبار الكنيسة.

ولا شك ان الصحافة القبطية، سواء الجرائد أو المجلات القبطية، "كانت سبباً فى نشر الثقافة القبطية واستنهاض الهمم وتحريك الأنظار نحو فجر جديد." [1]

---

١. إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الرابع، مرجع سابق، ص٣٤٣.

الفصل الثانى

الجرائد القبطية

د. موريس اسعد

مقدمة

يتناول هذا الفصل أهم الجرائد القبطية التى كان لها اهتمام بالشئون القبطية، وأهمها جريدة الوطن، وجريدة مصر. أما الجرائد العامة التى أصدرها اقباط وكانت تقدم أخبار الاقباط وكنيستهم فتمت الإشارة إلى أسماء أصحابها.

أما جريدة الوطن وجريدة مصر فقد عرض لهما هذا الفصل مع إبراز دورهما واهتماماتهما.

جريدة الوطن

جريدة الوطن هى أول جريدة قبطية، وقد أصدرها ميخائيل عبد السيد كجريدة أسبوعية تصدر يوم السبت من كل أسبوع فى أربع صفحات. وقد صدر العدد الأول منها فى ١٧ نوفمبر ١٨٧٧م. وكانت تطبع فى المطبعة القبطية التى استوردها البابا كيرلس الرابع. وقد حدد صاحب الجريدة هدفها فى أنه: "الحث على اقتناء الرذائل والمثالب والتحلى بالفضائل والمناقب، وإحضار صورة ما يحدث فى البلاد الواسعة والممالك الشاسعة، فإن الأخبار والآثار يترتب عليها إدراك ومنشود الإنسان ... ونبل مقصوده، ولا سيما أن هذه الجريدة لن تكون قاصرة على نشر الأخبار بل ستجمل بالمواد العلمية التى هى أجل الآثار، متحرية فى نشر الأخبار وأفيدها وأجداها ومن الآداب أعلاها وأسناها".[1]

وكان يشترك فى تحرير جريدة الوطن توفيق حبيب، وكان يظهر اسمه على صدرها مع ميخائيل عبد السيد، الذى ناصر الدعوة للحركة الوطنية، وكان يتابع على صفحات الجريدة كل ما كان يقوله مصطفى كامل باهتمام. وفى هذا المضمار كتب مقالاً فى صحيفة الوطن قال فيه: "... فقد انشرح كل من سمع حضرة الوطنى الماهر مصطفى كامل، لأنه أظهر أن فى المصريين من هو مقتدر فى الإعراب عن نوايا الأمة المصرية بالاعتدال والرزانة والحض على مكارم الأخلاق والحث على المحبة والمسالمة ..."[2] وفى هذه المرحلة من حياة جريدة الوطن كانت تنطق بلسان كل المصريين المسلمين والاقباط معاً.

وكانت جريدة الوطن تهاجم الاحتلال الإنجليزى. وبسبب مواقفها الوطنية جرى تعطيلها ثلاث مرات فيما بين عامى ١٨٧٩م-١٨٨٨م. وقد استمر ميخائيل عبد السيد فى إصدار جريدة الوطن حتى عام ١٨٩٧ عندما باعها إلى جندى ابراهيم.

توقفت جريدة الوطن فى ٢٣ أغسطس ١٩٠٠م، حيث أعاد إصدارها جندى ابراهيم كجريدة

---

١. ايب نجيب سلامة، "لمحات فى تاريخ وواقع الإعلام المسيحى فى مصر (١٨٦٠م-١٩٩٧م)" فى الإعلام المسيحى: الرسالة، الواقع، الآفاق، تحرير اديب نجيب مراجعة سمير مرقس، (القاهرة، مجلس كنائس الشرق الأوسط، ١٩٩٩م)، ص ١٢١.

٢. نجيب كيرلس المنقبادى "جريدة الوطن وسياستها قبل الإحتلال الإنجليزى" جريدة وطنى، ١٩٩٢/٩/٢٦.

يومية. اهتمت جريدة الوطن في إصدارها الثاني بالشئون القبطية. فكانت تنشر تفاصيل أخبار المؤتمر القبطي بأسيوط عام ١٩١١م. وهاجمت سياسة الإنجليز في التفرقة بين الأقباط والمسلمين. وكان موقف جريدة الوطن مؤيداً لرجال الإكليروس في مواجهة المجلس الملي.

وفي تلك الفترة تزايد الخلاف بين الجرائد الإسلامية والجرائد القبطية، وكانت مقالات الشيخ عبد العزيز جاويشن في جريدة اللواء تثير سخط الأقباط، فقامت جريدة الوطن بالرد عليها. "وقد أدى هذا النقاش الصحفي إلى خصومة عنيفة بين المسلمين والأقباط. ووجهت الحكومة إنذارا إلى جريدة الوطن. فهبت جميع الصحف ضد قانون المطبوعات الذي كان سيفاً مسلطاً على رقاب جميع الصحف المصرية، واحتجت جريدة اللواء على تدخل الحكومة في شئون الصحافة، على الرغم مما كان هناك من خلاف بين جريدة "اللواء" وجريدة "الوطن".[1]

وقد استمر الإصدار الثاني لجريدة الوطن حتى يوم ١٧ أبريل ١٩٢٤م. وبعده احتجبت عن الصدور لمدة أيام. وتولى الإصدار الثالث أمين برسوم المحامي.

عادت جريدة الوطن إلى الصدور بالعدد رقم ٨٧٩٦ في يوم الاثنين ٢٨ أبريل ١٩٢٤م، وهو يوم شم النسيم في ذلك العام. وكان آخر عدد لجريدة الوطن هو العدد رقم ٩٧٣٥ الذي ظهر يوم ١٩ اكتوبر ١٩٣٠م.[2]

جريدة مصر

صدر العدد الأول من جريدة مصر يوم ٢٢ نوفمبر ١٨٩٥م كجريدة أسبوعية ثم تحولت إلى صحيفة يومية إبتداء من أول يناير ١٨٩٦م. وتعطلت عن الصدور في فبراير ١٩٦٦م. وصدر قرار بإلغائها نهائياً.

وقد شجع بطرس باشا غالي إصدار جريدة تمثل جميع الطوائف المسيحية في مصر. فكان يمثل الأقباط الأرثوذكس تادرس شنودة المنقبادي، والكاثوليك حليم بك غالي، والإنجيليون (البروتستانت) أخنوخ فانوس. ولكن هذين الأخيرين اعتذرا عن المشاركة في مشروع إصدار الجريدة، فقام بإصدارها تادرس شنودة المنقبادي وحده.

وكانت تصدر جريدة مصر كجريدة أسبوعية ثم تحولت إلى جريدة يومية. وتحت اسم الجريدة أنها "جريدة يومية سياسية أدبية زراعية اقتصادية". وقد اتخذت اسمها مصر" لأن "مصر هي البلد الأمين والبقعة المباركة والأرض الطيبة. بل هي مهد العلم ودوحة الحكمة والفضائل. خطتها يد جدنا الأكبر مصرايم بن حام بن نوح من مهد الطوفان وظلت حافظة على اسمه حتى الآن."

وقد أولت جريدة مصر اهتماماً خاصاً بالأخبار السياسية الداخلية والخارجية. كما اهتمت بالتاريخ والأدب والرياضة. وكان عدد صفحاتها بين أربع صفحات وثمان صفحات. وقد شاركت جريدة مصر في القضايا الوطنية، وفتحت صفحاتها للكتاب المسيحيين والمسلمين على السواء.

---

١. نادية منير، "جولة على أوراق الصحافة القبطية" [حوار مع الأستاذ نجيب كيرلس المنقبادي]، مجلة مدارس الأحد، السنة ٥٤، نوفمبر وديسمبر ٢٠٠٠م، ص ٦٨-٦٩.

٢. د. ابراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية، مرجع سابق، ص ١٩٧.

فإلى جانب سلامة موسى، وجرجس فيلوثاؤس عوض، وتوفيق حنين، كان بها مقالات لكبار الكتاب المسلمين مثل عباس العقاد، ومحمود عزمي، وعباس حافظ، وطه حسين. وكانوا جميعاً يتناولون القضايا الوطنية. وقد قامت الجريدة بالرد على الشيخ علي يوسف صاحب "جريدة المؤيد" الذي هاجم موقف الأقباط إذ لم يتبرعوا للحرب بين تركيا وإيطاليا عام ١٩١١م، ولم يؤيدوا موقف تركيا. فكان رد جريدة مصر أن هذه الحرب إنما هي حرب سياسية وليست دينية وليس من حقنا كمصريين أن نتدخل فيها.

وتصدت جريدة مصر لمحاولة الإنجليز التفرقة بين المسلمين والمسيحيين، جرياً على سياستهم "فرق تسد"، ومحاولتهم إشاعة الفرقة بينهم. كما هاجمت الجريدة جماعة الإخوان المسلمين بعد مقتل النقراشي باشا.

وقد قامت جريدة مصر بتناول القضايا القبطية والتعمق في أبعادها. فقد قامت بتأييد المؤتمر القبطي في أسيوط عام ١٩١١م، وأبرزت توصيات المؤتمر الخاصة بتدريس الدين المسيحي في المدارس، وإلغاء الشروط العشرة التي تقيد بناء الكنائس. وفي عام ١٩٣٤م طالبت الإذاعة المصرية بتخصيص وقت لإذاعة القداس الإلهي، وقد واصلت الجريدة هذه الحملة حتى قامت الدولة بإذاعة القداس الإلهي.

وكان لجريدة مصر موقفاً متشدداً فيما كان هناك من خلافات بين البابا والمجلس الملي، إذ كانت تدافع عن موقف المجلس الملي. كما كانت تنتقد أسلوب اختيار الأساقفة. ونادت بضرورة إنشاء هيئة للأوقاف القبطية.

وقد صدر أمر إلغاء التصريح في فبراير ١٩٦٦م. ولم يتمكن أصحاب الجريدة من إعادة صدورها، ولم توافق الدولة على مطلبهم رغم أنهم رفعوا قضايا للمطالبة بإعادة صدورها أمام مجلس الدولة.

وعلى مدى سنوات صدور جريدة مصر تولى رئاسة تحريرها شفوذة المنقباوي (١٨٩٥م-١٩٣٠م)، وتوفيق حنين (١٩٣٠م-١٩٣٢م)، ورمزي تادرس (١٩٣٢م)، وسلامة موسى (١٩٣٨م)، وعياد بشاي ومسعد صادق حتى توقفت.[1]

جريدة وطني

تصدر جريدة وطني يوم الأحد من كل أسبوع ومنذ صدور عددها الأول في عام ١٩٥٨م، وينتظر كثير من المصريين، وعلى الخصوص الأقباط منهم، صدورها لمتابعة ماتنشره من مقالات وأخبار ودراسات.

وقد راودت فكرة إصدار جريدة عامة تهتم بالشئون القبطية العديد من القيادات العلمانية القبطية. وقد تحمس لهذه الفكرة أنطون سيدهم ومعه بعض الاراخنة الاقباط، نذكر منهم الدكتور مراد كامل أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة وأول عميد لكلية الألسن والأستاذ بمعهد

---

١. نادية صبور: "جولة على أوراق الصحافة القبطية"، مرجع سابق، ص ٦٦-٦٢.

وراجع كذلك سلامة موسى: "الحلقة المفقودة في تاريخ وواقع الإعلام المسيحي في مصر"، مرجع سابق، ص ١٢٢، ١٢٣.

الدراسات القبطية، والمهندس عدلى أبادير يوسف رجل الاعمال القبطى المعروف، وسعد فخرى عبد النور المحامى. وكان للأنبا صموئيل اسقف الخدمات العامة والاجتماعية (وكان وقتهاالقمص مكارى السريانى رئيس قسم الاجتماع بمعهد الدراسات القبطية والأستاذ بالكلية الإكليريكية بالقاهرة) دور كبير فى توجيه المسيرة نحو إصدار الجريدة.

وبعد مداولات حول الإسم المقترح للجريدة اختار الجميع اسم جريدة وطنى. وكل عدد من أعداد جريدة وطنى يزين صدر الصفحة الأولى تحت اسم الجريدة ذلك البيت الشعرى الخالد الذى فاه به أحمد شوقى:

وطنى إذا شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

وعلى مدى السنوات منذ بداية صدور جريدة وطنى يتصدر الصفحة الأولى مقال الأسبوعى بقلم أنطون سيدهم حتى انتقاله من عالمنا عام ١٩٩٥م. وبعد رحيله سار على دربه نجله يوسف سيدهم، حيث يواصل رسالة والده، سواء ببذل الجهود حتى تواصل الجريدة رسالتها وكذلك بتصدير كل عدد من الجريدة بمقال أسبوعى، فى نفس المكان الذى كان يكتب فيه والده، يتناول فيه هموم الاقباط والمصريين جميعاً، كما انه يتولى رئاسة تحرير الجريدة. وقد جمع يوسف سيدهم مقالات انطون سيدهم فى مجلد ضخم بعنوان: "انطون سيدهم ومشوار وطنى" (١٩٥٨م -١٩٩٥م).

وقد تناولت مقالات انطون سيدهم موضوعات الوحدة الوطنية، وفيها تناول بشجاعة كل ما يتعلق بحقوق الاقباط كمواطنين، مؤكداً على المساواة فى الحقوق والواجبات بين جميع المصريين، وناصر كل من أشير برصاصات الإرهاب البغيض، سواء، في ديروط أو صنبو، وجمعت لهم جريدة وطنى التبرعات لمساندة أسر الشهداء. كما تناول الإعتداء على الاقباط بالقتل وتخريب ممتلكاتهم فى دلجا. وقد واجه الموقف المتراخى من قبل رجال الأمن، فكتب سلسلة من المقالات يُحمّل فيها الحكومة المسئولية عما يحدث للاقباط، ومن أمثلة ذلك: "الحكومة هى المسئولة"، "الحكومة شجعت الإرهاب"، "لقد ان الأوان"، "إنتكاسة بشعة: تشجيع عناصر الفتنة الطائفية". كما تناول أنطون سيدهم بقلمه: "مأساة مذبحة الدير المحرق" التى قتل فيها إثنان من رهبان الدير وثلاثة من الزائرين، وتبعها بمقالات أخرى عما تعرض له الأهالى بقرى محافظة أسيوط.

ولم يكتف أنطون سيدهم فى مقالاته بمواجهة الإرهاب، وإنما دافع ايضاً عن حقوق الأقباط فى "أجازات الأعياد"، "ما يعانيه الشباب القبطى من الاضطهاد"، "مهاجمة الأقباط من وسائل الإعلام وبرامج التعليم"، "متاعب الأقباط والحوار الوطنى".

وقد تنّدر أنطون سيدهم بصدور قرار جمهورى لإصلاح دورة مياه فى قرية صغيرة، وقال: "إنها حقاً لمهزلة المهازل أن تشغل الجهات المسئولة نفسها بكل هذه الإجراءات لإصلاح دورة مياه إحدى الكنائس". وفى أسابيع متتالية قام بمناقشة "الخط الهمايونى البغيض" والذى صدر عام ١٨٥٦م بالآستانة.

وقد تناول أنطون سيدهم فى مقاله الأسبوعى بجريدة وطنى: "القضايا الإقتصادية"،

"السياسية الداخلية، "السياسة الخارجية"، "قضايا التعليم"[1]

وتضم جريدة وطني نخبة من المحررين والكتاب الذين يتناولون مختلف المجالات الدينية والتربوية والاجتماعية والسياسية والإقتصادية والشباب والمرأة، كما انها تهتم بجوانب الفن والثقافة، وتفرد اهتماماً خاصاً لشئون الأسرة والمرأة والطفل.

وقد توالى إهتمام جريدة وطني بالظواهر الروحية، بدءاً بظهور السيدة العذراء في كنيستها بالزيتون بالقاهرة حتى ظهورها فوق كنيسة مارمرقس الرسول بأسيوط.

ويتصدر الصفحة الثانية بجريدة وطني صباح كل أحد المقال الأسبوعي لقداسة البابا شنودة الثالث وكذلك مقال الأنبا غريغوريوس. وعلى صدر الصفحة الثالثة مقال الأنبا موسى الأسقف العام للشباب. ومقالات لكتاب آخرين من القيادات المصرية من المسلمين والأقباط.

كذلك تهتم جريدة وطني بالمسائل المتعلقة بالسياسة الدولية، والسياسة الداخلية، والمشكلات القومية التي تهم المواطن المصرى، وهي تهتم أيضاً بالأدب والفن والموسيقى. وتتناول كذلك الأخبار الكنسية. وتتابع وطني الاكتشافات الأثرية.

وتسعى جريدة وطني أن تكون جريدة لكل المصريين إلى جانب إهتمامها بالمسائل القبطية.

وتفرد وطني صفحة للشباب يقوم بتحريرها الشباب بأقلامهم. كما تضيف وطني كل أسبوع ملحقاً باللغة الإنجليزية لمنفعة الأقباط في الخارج.[2]

جرائد أخرى أصدرها أقباط وتوقفت.[3]

١. جريدة قارون (١٩٢٤م) أصدرها زكي يوسف الفيومي في مدينة الفيوم.

٢. جريدة الفلاح المصرى (١٩٢٦م-١٩٣١م) أصدرها بطرس جاد.

٣. جريدة الإنذار (١٩٣٠م-١٩٥٥م) أصدرها صادق سلامة.

٤. جريدة الكتلة (١٩٤٤م-١٩٥٠م) أصدرها مكرم عبيد.

٥. جريدة اليومية (١٩٥٠/٥/١م -١٩٥٠/٨/٣١م) أصدرها وديع صليب وسلامة موسى.

٦. جريدة الفداء (١٩٥٢) أصدرها مسعد صادق.

---

١. يوسف انطون سيدهم، انطون سيدهم ومشوار وطني: ١٩٠٨م-١٩٩٨م، (القاهرة، المهندس يوسف انطون سيدهم، ١٩٩٦م)، ص ٤٠-٤٤.

٢. اعداد جريدة وطني.

٣. نجيب كيرلس الشفيدى، اوراق غير منشورة.

الفصل الثالث

المجلات القبطية التى توقفت عن الصدور

د. موريس اسعد

مقدمة

يتناول هذا الفصل المجلات القبطية التى صدرت لفترة معينة ثم توقفت عن الصدور. وقد تحدثنا عن أهم تلك المجلات، واكتفينا بالإشارة إلى أسماء باقى المجلات القبطية التى توقفت عن الصدور.

مجلة الحق

أسس القمص أفرام (السريانى) البراموسى قبل رسامته اسقفاً باسم "الأنبا إيسيذوروس" عام ١٨٩٤م "مجلة الحق" بالتعاون مع يوسف منقريوس ناظر المدرسة الإكليريكية فى ذلك الوقت. وكانت تصدر هذه المجلة يوم السبت من كل أسبوع، وكان القمص أفرام يكتب المقالات اللاهوتية والآبائية، كما كان يجيب عن أسئلة القراء. وقد اشتملت المجلة إلى جانب ذلك موضوعات دينية وادبية وأخبار كنسية. وقد إستمر القمص أفرام البراموس يعمل فى مجلة الحق لعدة سنوات، واستمرت المجلة فى الظهور بعد ذلك لبضعة سنوات ثم توقفت. [١]

مجلة صهيون

قام البابا كيرلس الخامس برسامة القمص أفرام البراموسى أسقفاً على دير البراموس فى ١٧ أكتوبر ١٨٩٧م باسم "الأنبا ايسيذوروس" مع أسقفين آخرين لدير الأنبا بولا ودير الأنبا أنطونيوس. والقى العظة فى قداس الرسامة الأرشيدياكون حبيب جرجس، قال فيها عن الأنبا إيسيذوروس: "... هو من المعدودين من طبقة العلماء الذين يستضاء بعلمهم ومعارفهم... فدونكم أيها الحضور الأفاضل كتبه ومؤلفاته الجليلة الكثيرة العدد التى حامى بها عن المعتقد الأرثوذكسى القويم الرأى ... كما اثبت قواعد الدين وأصول الإيمان ..." [٢]

ولكن سرعان ماتالب عدو الخير ضد الأنبا إيسيذوروس، إذ حدثت بعض المشاكل بين الأنبا إيسيذوروس اسقف ورئيس دير البراموس والأنبا يؤانس مطران الجيزة ووكيل الكرازة (الذى صار فيما بعد البابا يؤانس التاسع عشر)، وأسفرت الخلافات بينهما عن اتخاذ المجمع المقدس قراراً بتجريد الأنبا إيسيذورس من رتبته الكنسية فى أول يناير ١٨٩٨م. وبقى الأسقف ايسيذورس على هذه الحال لمدة ٤٤ عاماً. وطوال هذه السنوات استمر الأسقف إيسيذورس مخلصاً للإيمان الأرثوذكسى. وفى ليلة عيد القيامة فى ١٩ ابريل ١٩٤١م كتب البابا يؤانس التاسع عشر بخط يده مرسوماً بابوياً للأسقف إيسيذوروس بالصلح والحل والبركة، وسمح له بالصلاة وخدمة الأسرار الإلهية فى أية كنيسة من الكنائس القبطية الأرثوذكسية. [٣]

---

١. امير نصر، العلامة الأرثوذكسى الأسقف إيسيذوروس أول رئيس لدير البراموس (١٨٩٧م-١٩٤٢م)، مراجعة نيافة الأنبا إيسيذوروس اسقف ورئيس دير البراموس، (دير السيدة العذراء البراموس، ١٠٠٠م) ص ٧٧-٧٨.

٢. المراجع السابق، ص ٣٣.

٣. المرجع السابق، ص ٣٧-٣٨.

ورغم هذه المحنة التى تعرض لها الأنبا إيسيذوروس فإنه لم يتقاعس عن مواصلة الدفاع عن الإيمان الأرثوذكسى.

ففى نفس العام الذى حكم عليه وصدر الأمر بتجريده وحرمه من الكنيسة أصدر مجلة جديدة باسم "مظلة داود" وقد ظلت هذه المجلة تصدر بهذا الاسم لمدة عامين. وفى عام ١٩٠٠م أسس الأسقف إيسيذورس جمعية قبطية بهدف نشر التعليم الكنسى تحت اسم "جمعية التعليم المسيحى الأرثوذكسية فى القاهرة". وكان من أولى ثمارها إصدار "مجلة صهيون" (وهو الاسم الجديدة لمجلة مظلة داود).

وفى البداية كانت مجلة صهيون تصدر نصيف شهرية ثم أصبحت تصدر شهرياً. ولم تتوقف عن الصدور حتى يوم نياحته عام ١٩٤٢م. وطوال إثنين وأربعين عاماً كانت مجلة صهيون منارا للأرثوذكسية بحق كما كانت منارة للفكر الأرثوذكسى، وصخرة للإيمان المستقيم، وعلامة بارزة فى تاريخ الصحافة القبطية فى العصر الحديث. اهتمت مجلة صهيون كذلك بالتعليم الكنسى والثقافة القبطية.

وقد انتشرت مجلة صهيون انتشاراً واسعاً فى مصر والسودان، وكان إقبال الأقباط عليها منقطع النظير لما كانت تحتويه من دراسات كنسية وأدبية وتاريخية وثقافية ورسائل القراء. ولشهرة مجلة صهيون كان الأسقف إيسيذورس يعرف باسم "صاحب مجلة صهيون".

وقد قامت مجلة صهيون بالدفاع عن الإيمان الأرثوذكسى فى مواجهة البروتستانت والكاثوليك.[1]

وقد كتب أحد القراء إلى الأسقف ايسيذورس يقول:

"إن مجلة صهيون المجلة التى يجب أن يتخذها كل قبطى أرثوذكسى دستوراً له لأنها المعبرة عن طقوس وعقائد الكنيسة الأصلية، والمرجع فى كل أمر يلتبس فيه. فإلى الأمام أيها الأب الوقور. سر بصهيونك فى وسط زوابع هذه الأيام ترعاها وتحوطها أعين وقلوب الشعب المخلص للكنيسة".[2]

مجلة الكرمة

أصدر الأرشيدياكون حبيب جرجس مجلة الكرمة عام ١٩٠٤م. وقد صدر العدد الأول منها فى يوم أول توت عام ١٦٢١ للشهداء، (الموافق ١١ سبتمبر ١٩٠٤م). وتوالى صدورها فى بداية الشهور القبطية لمدة سبعة عشر عاماً، أى حتى عام ١٩٣١م. وكانت تصدر فى ٥٦ صفحة من القطع المتوسط. وعلى غلاف المجلة أنها "لسان حال الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: مجلة دينية أدبية تاريخية".

وكانت مجلة الكرمة امتداداً لما كان يقوم الأرشيدياكون حبيب جرجس بتدريسه فى الإكليريكية، إذ كان يلخص فيها الموضوعات التى تتناولها الدراسة فى الإكليريكية. فكانت أبحاث

---

[1] المرجع السابق، ص ٧٨-٨٢.

[2] المرجع السابق، ص ٨٠.

المجلة تتناول دراسة الكتاب المقدس والعقيدة والطقوس الكنسية وتاريخ الكنيسة، وإلى جانب ذلك كانت تقدم مقالاً عن الصحة.

وقد اعتمد حبيب جرجس على المنهج التحليلي في مناقشة الموضوعات التي كان يقدمها. كما كان يناقش الأفكار الفلسفية والثقافية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، فكان يفند تلك الأفكار ويرد عليها.[1]

مجلة المنارة المرقسية ومجلة المنارة المصرية

أصدر القمص مرقس سرجيوس مجلة المنارة المرقسية عام ١٩١٢م في مدينة الخرطوم عاصمة السودان حيث كان يقوم بالخدمة هناك. وكانت تصدر يوم السبت من كل أسبوع، وكان يوزع منها حوالي عشرة الاف نسخة في مصر والسودان. وكان يهاجم فيها الإستعمار البريطاني، كما كان ينتقد بعض الأوضاع الكنسية. وتوقفت المنارة المرقسية عن الصدور عام ١٩١٤م بسبب قيام الحرب العالمية الأولى وإعلان الأحكام العرفية وفرض الرقابة على الصحف.

وبعد عودة القمص سرجيوس إلى مصر، اصدر مجلة المنارة المصرية عام ١٩٢٨م، وكانت تصدر يوم الجمعة من كل أسبوع، وكان مقرها بالقللي بجوار الكنيسة القبطية التي كان القمص سرجيوس كاهناً لها.

وقد تميزت مجلة المنارة بالدفاع عن الإيمان المسيحي في مواجهة الهجوم الذي تعرضت له المسيحية من بعض الشيوخ. وقد جمع القمص سرجيوس مقالاته عن الإيمان المسيحي في عدة كتب هي: "سر المائدة"، "تجسد الله ولاهوت المسيح"، "التثليث والتوحيد"، "حقيقة صلب المسيح وموته"، "هل تحرفت التوراة والإنجيل"، "هل تنبأت التوراة عن المسيح"، "هل تنبأت التوراة أو الإنجيل على غير المسيح". وقد عرف عن القمص سرجيوس جرأته وشجاعته في مواجهة الهجوم على المسيحية.

وكانت تشتمل مجلة المنارة في ثنايا صفحاتها الست عشرة مقالات لكتاب من العلمانيين مثل، سعد دياب المحامي عن "المسيحية دين المحبة"، ومقالات لوليم سرجيوس في علم النفس، وتلخيص لكتاب "تاريخ الأمة القبطية" تأليف يعقوب نخلة روفيله بقلم رمسيس جبراوي المحامي. وإلى جانب ذلك اهتمت المجلة بتاريخ الكنيسة وتفسير الكتاب المقدس.

ومن جهة أخرى، كانت مجلة المنارة تنقد ما كان ينسب للحاشية البطريركية من أمور غير لائقة. وكذلك تناولت انتخابات المجلس الملي. وكانت مقالات القمص سرجيوس تتسم بالجرأة والصراحة، مما عرضه لمواجهة ما قدم ضده من تهم أمام المحكمة. وفي عام ١٩٥٢ أمرت الحكومة بإيقاف صدور مجلة المنارة المصرية وحددت إقامة القمص سرجيوس في منزله بالقللي بالقاهرة.[2]

---

١ ـ نادية منير، "جولة على اوراق الصحافة القبطية"، مجلة مدارس الأحد، السنة ٥٤، العدد التاسع والعاشر، (نوفمبر وديسمبر ٢٠٠٠م) ص ٨٦.

٢ ـ المرجع السابق، ص ٩٠.

أصدرت جمعية الإيمان القبطية الأرثوذكسية بشبرا "مجلة الإيمان" عام ١٩٣١م. وقد استمرت مجلة الإيمان لسنوات عديدة ثم توقفت. وكانت تصدر في ٤٨ صفحة. ومقالاتها تحتوى على عدة أقسام تناولت فيها موضوعات روحية وعقائدية وأخلاقية وتاريخ الكنيسة وغير ذلك من الموضوعات، وكان يطبع منها خمسة عشر الف نسخة.[١]

مجلة الأنوار

أصدر الراهب القس داود المقارى (وكان اسمه العلمانى الشماس وديع سعيد) مجلة الأنوار في ٢١ يوليو ١٩٤٦م كمجلة أسبوعية. وكان هدف مجلة الأنوار نشر الثقافة القبطية. كما فتحت صفحاتها لتبادل الرأى حول المشاكل التي كانت تعانيها الكنيسة آنذاك. وكانت تترجم مجلة الأنوار إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية وكانت توزع مجلة الأنوار الإنجليزية في ربوع إفريقيا بالتعاون مع "الجمعية الأفريقية الآسيوية المركزية".[٢]

مجلة التوفيق

أصدرتها جمعية التوفيق القبطية بالقاهرة عام ١٨٩٦م كمجلة أسبوعية، واستمرت حتى عام ١٩١٠م. وعاودت الصدور عام ١٩١٧م ولم تستمر حينئذ سوى عام واحد. وظهرت مرة أخرى في ١٥ يونيو ١٩٣٨ واستمرت حتى شهر يوليو ١٩٣٩م ثم احتجبت. وكانت المحاولة الأخيرة لإصدارها في أول ابريل ١٩٥٩م، وتواصل صدورها حتى عدد يناير ١٩٦٠م. وفى هذا العدد الأخير مقالات للأديب محمود تيمور والدكاترة باهور لبيب وزاهر رياض وعواطف عبد الجليل وملاك جرجس وموريس اسعد كاتب هذا المقال. وقد وصل عدد مشتركى المجلة عام ١٩١٠م أكثر ١٥٠٠ مشترك. وقد اهتمت مجلة التوفيق بتقديم أبحاث فى التاريخ القبطى والأديرة واللغة القبطية والحياة الأسرية، كما كانت تدعو لإنشاء المدارس ونشر التعليم، وعلى الخصوص تعليم المرأة. كما درجت على ترجمة مقالات ودراسات فى تاريخ الكنيسة.[٣]

مجلة مارجرجس

أصدر فؤاد باسيلي (القمص بولس باسيلي فيما بعد) مجلة مارجرجس عن دار النشر القبطية بشبرا عام ١٩٤٩م. وقد سماها مارجرجس لإبراز الدور الفذ الذى قام به هذا الشهيد العظيم فى مكافحة المادية والإباحية ورفع صوت الحق والعدل، وتقديمه كنموذج للشباب. وقد شارك فى تحرير المجلة عدد من الكتاب والآباء والصحفيين من أقباط ومسلمين. واهتمت المجلة بالكاريكاتير واتخذت من شخصية "القبطى افندى" نموذجاً للنقد البناء. كما تناولت المسائل الوطنية، وخصصت صفحتين للمهجر. وقد توقفت المجلة مع أحداث عام ١٩٨١م.[٤]

---

١. المرجع السابق، ص ٨٥. إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب السادس، مرجع سابق، ص ٣٢١.

٢. المرجع السابق، ص ٢،١١٥

٣. أديب نجيب سلامة، "لمحات في تاريخ وواقع الإعلام المسيحي في مصر (١٨٦٠م-١٩٩٧م)"، الإعلام المسيحي: الرسالة، الواقع، الآفاق، تحرير أديب نجيب سلامة، مراجعة سمير مرقس، تقديم القرويوليت جورج صليبا، (القاهرة: مجلس كنائس الشرق الأوسط ١٩٩٩م)، ص ١٢٤.

نجيب كيرلس الضبّاوى، "من ارشيف الصحافة: مجلة التوفيق، (١٨٩٦م-١٩٦٠م)، جريدة وطنى فى ١٩٩٥/١/١٥م.

٤. نجيب كيرلس الضبّاوى، "مجلة مارجرجس"، ورقة غير منشورة.

بعض المجلات الأخرى التي أصدرها أقباط وتوقفت

قام العديد من القيادات القبطية من الكهنة والعلمانيين بإصدار مجلات لفترات محدودة وتوقفت. وفيما يلي نذكر أسماء هذه المجلات وأسماء من أصدرها، وتاريخ صدورها - متى توافرت البيانات الخاصة بها:

١. **مجلة شهادة الحق:** (١٨٩٤م- ١٩١٠م) أصدرها يوسف منقريوس مدير المدرسة الإكليريكية القبطية الأرثوذكسية.

٢. **مجلة مظلة داود:** (١٨٩٨م) أصدرتها جمعية التعليم المسيحي.

٣. **مجلة النور:** (١٨٩٩م) أصدرها تادرس شنودة.

٤. **مجلة عين شمس:** (١٩٠٠م- ١٩٠٢م) أصدرها اقلاديوس لبيب الميري.

٥. **مجلة المفتاح:** (١٩٠٠م-١٩١٦م) أصدرها توفيق عزوز.

٦. **مجلة المحيط:** (١٩٠٢م- ١٩١٤م) أصدرها عوض واصف في الفيوم.

٧. **مجلة الفتى القبطي:** (١٩٠٥م) أصدرها باسيلي بطرس.

٨. **المجلة القبطية:** (١٩٠٧م- ١٩١٠م) أصدرها جرجس فيلوثاوس عوض.

٩. **مجلة الرابطة المسيحية:** (١٩٠٧م-١٩١١م) أصدرها الشماس فرج جرجس.

١٠. **مجلة الجنس اللطيف:** (١٩٠٨م-١٩٢٥م) أصدرتها ملكة سعد.

١١. **مجلة فرعون:** (١٩٠٩م-١٩١٤م) أصدرها توفيق حبيب مليكة (الصحفي العجوز).

١٢. **مجلة رخميبيس:** (١٩١٢م-١٩٣٠م) أصدرها بهزاي تادرس وكيرلس تادرس.

١٣. **مجلة المرأة المصرية:** (١٩٢٠م-١٩٣٩م) أصدرتها بلسم عبد الملك.

١٤. **مجلة النسر المصري:** (١٩٢٠م-١٩٢٥م) أصدرها ميخائيل بشارة داود.

١٥. **مجلة قارون:** (١٩٢٤م-١٩٩٥م) أصدرها زكي يوسف الفيومي في الفيوم.

١٦. **مجلة مارمرقس:** (١٩٢٥م) أصدرها زكي صليب في الإسكندرية.

١٧. **مجلة المصري:** ٥٠/٩/١٩٣٠م-٤/١٢/١٩٣٠م) أصدرها سلامة موسى.

١٨. **مجلة الصراحة:** (١٩٣٢م-١٩٣٦م) أصدرها ميخائيل بشارة داود.

١٩. **رسالة أصدقاء الكتاب المقدس:** (١٩٣٣م) أصدرتها جمعية أصدقاء الكتاب المقدس بالقاهرة، وكان يشرف على تحريرها الأرشيدياكون عياد عياد.

٢٠. **مجلة الديمقراطية:** (١٩٤٤م-١٩٤٥م) أصدرها سلامة موسى.

٢١. **مجلة صوت الشهداء:** أصدرها القمص بطرس سيفين.

٢٢. **مجلة تعاليم الكنيسة**: (١٩٤٩م) أسسها فى بنى مزار القمص منقريوس عوض الله ومسعد صادق.

٢٣. **مجلة نهضة الكنائس**: أصدرتها جمعية نهضة الكنائس القبطية الأرثوذكسية، وأشرف على تحريرها أيوب فرج.

الفصل الرابع

المجلات القبطية التى يتواصل صدورها

د. موريس اسعد

مجلة اليقظة

أصدر الإيغومانوس (القمص) ابراهيم لوقا مجلة اليقظة فى سبتمبر عام ١٩٢٤م، أثناء خدمته الكهنوتية فى اسيوط. وقد حدد الإيغومانس ابراهيم لوقا أهداف المجلة فى مقالته الإفتتاحية للعدد الأول، وقد جاء فيها:

"وكل ماعملتم بقول او فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب من به." (كولوسى٣:١٧).

باسم الرب يسوع الإبن الوحيد افتتح أول عدد من أعداد المجلة، طالباً من عرش الرحمة والعون أن يسكب بركة خاصة تقدس هذه الفاتحة لتكون أساساً لعمل مقدس ومبارك ويتمجد فيه الله، ويرجع بالخير على كنيسته، آمين هو الذى يفعل أكثر مما نطلب أو نفتكر.

واقدم الشكر لله الآب من جهة ربنا يسوع المسيح لانه حسبنى أهلاً للقيام بمثل هذه الخدمة الخطيرة، ولما أزرنى به من التشجيعات المتوالية التى دفعتنى للشروع فيها بقلب مملوء بالرجاء والثقة، والذى ابتدأ سيكمل إلى التمام "لانه لم يعطنا روح الفشل بل أعطانا روح المحبة والقوة والنصح" ....

وكما ابتدات أختم بطلب البركة من الله الذى يظهر قوته فى الضعف ليعيننى فى هذا العمل حتى النهاية، وليكون عملاً مقدساً لإتمام مشيئته ومجد اسمه وخير شعبه وكنيسته ...."

وبعد انتقال خدمة الإيغومانس ابراهيم لوقا من أسيوط إلى كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة أصبحت مجلة اليقظة تصدر من مقره الجديد. وبعد نياحته فى ١٩ ديسمبر ١٩٥٠م استمرت مجلة اليقظة، ولا تزال كريماته يواصلن إصدارها، ومن أصحاب امتياز مجلة اليقظة. وجرى بالذكر أن الأرشيدياكون فايز رياض زوج إحدى كريمات الإيغومانوس ابراهيم لوقا قام بتحرير مجلة اليقظة لسنوات طويلة حتى نياحته هو الآخر.

وكانت مجلة اليقظة تصدر فى ٦٤ صفحة، وفيما بعد أصبحت تصدر فى ٨٨ صفحة من القطع المتوسط.

وقد اهتم القمص ابراهيم لوقا بالقضايا الإصلاحية فى حياة الكنيسة القبطية والشعب القبطى. ومن هنا كان إسم المجلة "اليقظة". فهى دعوة لليقظة والإصلاح فى حياة الكنيسة والمؤمنين.

وقد تناولت مجلة اليقظة فى ابوابها دراسات الكتاب المقدس، والبحوث اللاهوتية، والرسائل الأخلاقية، والجوانب الروحية، وسير أبطال الكتاب المقدس والقديسين والشهداء، ورسائل

الإصلاح، وغير ذلك من الأبواب.[1]

وكانت تفرد مجلة اليقظة بابا خاصاً بالعلاقة بين المسيحية والإسلام تناول فيه القمص ابراهيم لوقا الرد على الافتراءات التي كانت تصدر من بعض الكتاب ضد الإيمان المسيحي. وقد صدرت هذه المقالات فيما بعد في كتاب: "المسيحية في الإسلام".

واهتم الإيغومانوس ابراهيم لوقا كذلك بتناول تاريخ البدع والهرطقات، وقام بتسجيل بعض المخطوطات الأثرية.

ولعل من أهم الجوانب التي انفردت بها مجلة اليقظة، خصوصاً قبل النصف الثاني من القرن العشرين، هو الاهتمام بالحركة المسكونية.[1]

رسالة المحبة

تأسست رسالة المحبة عام ١٩٢٤م، وتصدرها جمعية المحبة القبطية الأرثوذكسية. وهي تصدر ستة أعداد سنوياً، وتركز في كل عدد على المناسبات الكنسية التي تقع في فترة ظهور كل عدد منها، مثل أعياد الميلاد، والقيامة، والعنصرة، ورأس السنة القبطية. ويتصدر كل عدد مقال لقداسة البابا شنودة وبعض الآباء الأساقفة والقسوس. وفي المناسبات الهامة تصدر عدداً خاصاً بها، مثل العدد خاص بالعائلة المقدسة في مصر.[2]

مجلة مدارس الأحد

أصدرت مجلة مدارس الأحد عدداً خاصاً بمناسبة "اليوبيل الذهبي للمجلة: ١٩٤٧م-١٩٩٧م". وقد صدر العدد الأول من المجلة في أبريل ١٩٤٧م. وقد كتب افتتاحية العدد الأول الدكتور هنري الخولي، حدد فيها ملامح هذه المجلة الجديدة: "بيد قوية، هي يد القدير، تصدر مجلة مدارس الأحد، والتي ماقصدنا منها زيادة عدد مايصدر من مجلات. لكننا رغبنا في أن نبعث بعثاً جديداً في المجتمع القبطي. فلقد مر أكثر من نصف قرن والجميع ينشدون الإصلاح، ونحن قد عقدنا العزم بمشيئة القدير أن نطرق باب الإصلاح لنستقبل حياة جديدة ... أجل. فقد اعتزمنا أن تكون مجلة مدارس الأحد صدى لصوت الله الرهيب، لإصلاح الفرد والأسرة والمجتمع، ليجد فيها هؤلاء جميعاً غذاءهم الروحي والاجتماعي والأدبي والعلمي والصحي ...."

ومنذ بداية إصدار مجلة مدارس الأحد حددت هدفها في "أن تبرز المجلة الصورة الحقيقة للكنيسة بما فيها من جمال وعمق روحي، وذلك بما لديها من تراث فكري ووجداني يجب أن يتصل بحاضرنا". أما الوسيلة لتحقيق ذلك فهي اللجوء إلى الله ليتدخل الله بمعرفته وينير الطريق. واتخذت المجلة منذ البداية نظرة شمولية تقدم فيها الغذاء الروحي والاجتماعي والأدبي والعلمي والصحي، مستلهمة صوت الله للفرد والأسرة والكنيسة والخادم. وقد استخدمت المجلة في سبيل تحقيق ذلك "منهج الصراحة والشجاعة في إبداء الرأي والمحبة الغامرة للجميع

---

١. أرشيدياكون فايز رياض، جهاد كاهن: من مكتبة الإيغومانس إبراهيم لوقا. (القاهرة، ١٩٨٦م)، ص ٢٣-٢٤.
أعداد مجلة اليقظة.
نادية منير، "جولة على أوراق الصحافة القبطية"، مجلة مدارس الأحد، نوفمبر وديسمبر ٢٠٠٠م، ص ٨٧-٩٠.
٢. أعداد رسالة المحبة.

والصلاة العميقة المقترنة بروح التجرد والإخلاء وإنكار الذات، ثم الجمع السليم بين العلم والدين، لأجل سلام العالم وإنتشار كلمة الخلاص الذى بربنا يسوع المسيح.

وإذ تستعرض مجلة مدارس الأحد مسيرتها فى خمسين عاماً فإنها تذكر فى مقدمة هذا العرض أن "الصحافة هى مستودع التاريخ فى العصر الحديث. والصحافة القبطية منذ نشأتها فى القرن التاسع عشر هى مرآة المجتمع القبطى. وهى تعكس صورة صادقة للمسيرة الكنسية ... من كل الجوانب الروحية والأدبية والفنية والإقتصادية. وهى تقدم للمؤرخ القبطى مادة أمينة كل الأمانة لتاريخ للكنيسة القبطية ....

وقد تناولت مجلة مدارس الأحد عبر تاريخها جوانب متعددة فى حياة الفرد والكنيسة والمجتمع، فقدمت المقالات التى تهدف إلى بناء الشخصية الروحية، وعرض سير وشخصيات الكتاب المقدس والقديسين. وفى هذا الإطار وجهت عناية خاصة بالشباب. غير أن الحياة الروحية للفرد لاتنمو إلا فى إطار الكنيسة جسد المسيح الواحد. ومن هنا اهتمت المجلة بشرح عقائد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وطقوسها وتاريخها وتعاليم آبائها، وشرح الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، والدعوة للعبادة بالروح والحق. وتناولت مجلة مدارس الأحد عبر تاريخها حياة الأسرة المسيحية وبنائها الروحى والاجتماعى، والسير مع الأسرة فى مراحل حياتها، واختيار شريكة الحياة، وسر الزيجة المقدس، والخلافات التى قد تنشأ بين الزوجين، وتربية الأبناء والبنات. وكرست المجلة بعض صفحاتها لحركة مدارس الأحد وقدمت نماذج تربوية تعين العاملين فى هذا الميدان. واهتمت المجلة كذلك بحياة الكنيسة والعلاقات الكنسية بما فى ذلك العلاقة بين الإكليروس والشعب واختيار الرعاة الصالحين وأساليب الإدارة الكنسية، وغير ذلك من المسائل الرعوية. وأفردت المجلة اهتماماً خاصاً بالتعليم اللاهوتى ودور المجلس الملى والحياة الديرية. وقد لمست المجلة كذلك الحركة المسكونية دون تعمق. وربطت بين الثقافة والعلم والأدب والفلسفة والدين. وفى كل هذه المجالات نظرت مجلة مدارس الأحد إلى الإنسان المسيحى ودوره فى حياة الوطن والعلاقة بين الكنيسة والدولة.

وقد توالى على رئاسة تحرير مجلة مدارس الأحد إدوارد بنيامين (١٩٤٧م-١٩٤٩م) قداسة البابا شنودة الثالث وقت أن كان علمانياً باسم نظير جيد (١٩٤٩م-١٩٥٤م) ودكتور وليم سليمان (١٩٥٤م-١٩٥٩م)، ودكتور ميخائيل عياد (١٩٥٩م-١٩٧٦م) ومختار فايق (١٩٧٦م حتى الآن).

وقد أصدرت المجلة أعداداً خاصة بموضوعات معينة منها مايلى:

- عدد خاص عن الكرازة (عدد٣، ٣ عام ٩٦٠م).
- عدد خاص عن البابا كيرلس الرابع (عدد ٢ عام ١٩٦١م).
- عدد خاص عن ظهور السيدة العذراء فى كنيستها بالزيتون (عدد ٥، ٦ عام ١٩٦٨م).
- عدد خاص بمناسبة عودة رفات مارمرقس الرسول (عدد ٨، ٩ عام ١٩٦٨م)
- عدد خاص عن البابا كيرلس السادس (عدد٥، ٦ عام ١٩٧١م).

- عدد خاص عن قداسة البابا شنودة الثالث (الأعداد ٧-١٠ عام ١٩٧١م).
- عدد خاص عن القديس أثناسيوس الرسولى حامى الإيمان (عدد ٦، ٧ عام ١٩٧٣م).
- عدد خاص عن الكلية الإكليريكية (أعداد ١-٣ عام ١٩٧٤م).
- عدد خاص عن المعركة (عدد ١١ عام ١٩٧٣م).

هذا بالإضافة إلى:

- العدد الخاص باليوبيل الذهبى للمجلة: ١٩٤٧-١٩٩٧ (عدد ٣، ٤ عام ١٩٩٧).
- العدد الخاص بالكنيسة القبطية خلال القرن العشرين - الحلقة الأولى (عدد ٩، ١٠ عام ٢٠٠٠م).
- العدد الخاص بالكنيسة القبطية خلال القرن العشرين - الحلقة الثانية (عدد ٩-١٠ عام ٢٠٠١م).
- العدد الخاص بالكنيسة القبطية فى القرن العشرين - الحلقة الثالثة (عدد ٣، ٤ عام ٢٠٠٢م)

وللكاتب عدة مقالات بمجلة مدارس الأحد.

مجلة الكرازة

أصدر قداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية مجلة الكرازة عندما كان أسقفاً للمعاهد الدينية والتربية الكنسية، وذلك فى عام ١٩٦٥م. ومنذ ذاك الوقت يرأس قداسته تحرير مجلة الكرازة.

ويتصدر كل عدد من أعداد مجلة الكرازة رسم الكاتدرائية المرقسية بالأنبا رويس يعلوها كلمة مجلة وبجوارها كلمة الكرازة، وفوق حرف الألف شعلة وتحتها رسم شمس ساطعة. فمجلة الكرازة بحق ضوء ساطع يجوب أنحاء الكرازة المرقسية. ويحيط ذلك كله شكل بيضاوى يجمع ريشة قداسة البابا التى يخط بها كلماته النورانية مع النص: "رئيس التحرير: صاحب القداسة البابا شنودة الثالث".

وفى الأعوام الثلاثة الأولى لمجلة الكرازة كانت تصدر كمجلة شهرية (١٩٦٥، ١٩٦٦، ١٩٦٧م). وكانت أعدادها من الحجم المتوسط (١٥سم × ٢٤ سم)، وكانت تشتمل على ٤٠ صفحة. وقد عبر قداسة البابا فى افتتاحية العدد الأول عن التوجه العام للمجلة: "سنقول الحق ونشهد له فى قوة لأننا إن لم نفعل هذا لا يرضى الحق عنا. وفى قولنا الحق سوف لا نجامل أحداً، ولا نتملق أحداً، لأن المجاملة والتملق أضاعا كثيرين ...". وقد تناولت مقالات مجلة الكرازة فى هذه المرحلة الجوانب الروحية ودراسات فى أسفار الكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة والمجامع المسكونية والوحدة المسيحية على أساس الوحدة فى الإيمان. كما اشتملت كذلك على أخبار الإكليريكية واللجنة العليا لمدارس الأحد ومناهج التربية الكنسية والإجابة على أسئلة القراء التى كانت تتناول الحياة الروحية والتطبيقات العملية.

وفى عام ١٩٧٢ صدر عددان من مجلة الكرازة، يحتوى كل عدد منهما على ٩٢٠ صفحة. وقد حفل كل عدد منهما بالأخبار والمشروعات المستقبلية للكنيسة فى عهد قداسة البابا شنودة

الثالث، كما واصلت الأبواب التي أشير إليها في المرحلة السابقة للمجلة.

ومنذ عام ١٩٧٤م واصلت مجلة الكرازة رسالتها باعتبارها مجلة الكرازة المرقسية. فهي تنقل لشعب الكرازة في كل مكان أخبار الكرازة في صور إذ تسجل الخبر مع صوره خاصة بكل خبر تنشره المجلة، وأخبار الكنيسة في كل مكان، وكذلك أخبار المؤتمرات والأنشطة في سائر إيبارشيات الكرازة المرقسية. وفي كل عدد من أعداد الكرازة مقالات لقداسة البابا والآباء الأساقفة وبعض القيادات من الكهنة والعلمانيين. كما تفتح مجلة الكرازة صفحاتها لتبادل التهاني وتعزية المؤمنين عمن انتقل إلى الفردوس.[1]

رسالة الكنيسة القبطية

"رسالة الكنيسة القبطية" مجلة شهرية تصدر عن مطرانية البحيرة - كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بدمنهور، وتحت اسم المجلة أنها "دينية - إجتماعية - ثقافية".

وكانت تصدر قبلاً باسم "رسالة الكنيسة : دينية - إجتماعية - ثقافية". ويشرف على إصدارها القمص ميخائيل جرجس. وتحتوى المجلة على أخبار الكنيسة القبطية، ومقال لنيافة الأنبا باخوميوس مطران البحيرة والخمس مدن الغربية، ومقال للأنبا تواضروس، ومقالات في تاريخ الكنيسة والأسرة والشباب إلى جانب التأملات الروحية والقصة والاجتماعيات من تهاني وتعازي. والمجلة حافلة بالصور التي تسجل أخبار الكنيسة. ويحتوى غلاف المجلة الأمامي والخلفي على صور دينية مناسبة لوقت صدور العدد، كالقيامة والميلاد وزيارة العائلة المقدسة لمصر.

مجلة القرى المجاورة

تصدر مجلة القرى المجاورة عن مركز الدياكونية الريفية بدير السيدة العذراء مريم ببياض بمطرانية بني سويف. وقد أسسها الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف والبهنسا عام ١٩٧٥. ويواصل تحريرها والإشراف عليها القمص اغسطينوس ميخائيل والقمص باخوم عطية شحاته. هذه المجلة موجهة إلى القرى خدامًا وشعبًا. وقد أصدرت المجلة عددًا خاصًا عن الأنبا أثناسيوس بمناسبة مرور عام على نياحته (نوفمبر - ديسمبر ٢٠٠١م).

رسالة العلية

"رسالة العلية" مجلة غير دورية تصدر عن كنائس وسط القاهرة، ويشرف عليها نيافة الأنبا روفائيل الأسقف العام لكنائس وسط القاهرة.

ويحفل غلاف الرسالة الخارجي بصور ملونة لبعض الأيقونات بمساحة صفحة. الغلاف الأمامي (٢١سم×٣٠سم)، أما الغلاف الخلفي فيحتوى على بعض الصور لأنشطة كنائس وسط القاهرة. ويتصدر المجلة مقال لقداسة البابا شنودة الثالث ثم مقالات تعليمية وروحية لنيافة الأنبا موسى الأسقف العام للشباب والأنبا روفائيل الأسقف العام لكنائس وسط القاهرة. كما تحتوى

---

١. أعداد مجلة الكرازة منذ عام ١٩٦٥م.

دراسات في الكتاب المقدس ومقالات للشباب، كما تقدم الرسالة أخبار كنائس وسط القاهرة وأخبار أسقفية الشباب وبعض أخبار الكنيسة.

إيساجي

تصدر مجلة "إيساجي" عن "إيبارشية ملبورن القبطية الأرثوذكسية" باستراليا. وقد صدر العدد الأول منها في مايو/يونيو عام ٢٠٠٠م ويشرف عليها الأنبا سوريال أسقف ملبورن وتوابعها. ونصف المجلة باللغة العربية والنصف الآخر باللغة الإنجليزية. ويفتتح العدد بمقال لقداسة البابا شنودة الثالث ثم مقال نيافة الأنبا سوريال ثم مقالات عن الكتاب المقدس والحياة الأسرية وكلمات روحية وتعليمية وأخبار الكنيسة الأم ثم أخبار الإيبارشية وبعض الأخبار الأخرى.

وغلاف كل عدد من المجلة يشتمل على صور وأيقونات تبعاً للمناسبة التي يصدر بها العدد. كما يشتمل العدد على صور لأيقونات وصور فوتغرافية تسجل بعض الأحداث الكنسية.

الينبوع الحي

مجلة دينية عقائدية تاريخية شهرية تصدرها مطرانية كرسي النوبة وعطبرة وأم درمان. وتصدر عن دار المطرانية في أم درمان. وقد اصدرت المجلة عددا خاصاً عن قداسة البابا شنودة الثالث بمناسبة العيد الفضي لقداسته عام ١٩٧١م.

دراسات آبائية ولاهوتية

تصدر دراسات آبائية ولاهوتية عن مركز دراسات الآباء بالقاهرة نصف سنوية منذ عام ١٩٩٨م. ويشتمل كل عدد على بحوث ودراسات حول فكر آباء الكنيسة وما قدموه من مفاهيم لاهوتية. ويشارك في هذه البحوث أعضاء مركز دراسات الآباء وبعض الآباء المطارنة والأساقفة والكهنة. كما تشتمل على بحوث لعلماء اللاهوت تترجم عن اللغة اليونانية.

مجلة جمعية الآثار القبطية

تصدر جمعية الآثار القبطية مجلتها السنوية منذ عام ١٩٣٨م، وتحتوي المجلة على دراسات وبحوث علمية حول الآثار والفنون القبطية وحياة الأقباط وتراثهم الروحي بوجه عام. وتطبع تلك البحوث والدراسات باللغة التي يسطرها بها كتابها، ولذلك فى المجلة مقالات باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية إلى جانب اللغة العربية.

مجلة معهد الدراسات القبطية

أصدر معهد الدراسات القبطية مجلة باسم "مجلة معهد الدراسات القبطية". وقد صدر منها ثلاثة أعداد.

صدر العدد الأول فيّ عام ١٩٥٨م والعدد الثاني في عام ١٩٧٥م. وتعتبر هذه الأعداد مراجع علمية. وقد تناول العددان الأولان جوانب هامة في الدراسات القبطية تناولت الرهبنة القبطية والموسيقى القبطية والتقويم القبطي والطقوس القبطية والحياة الاجتماعية والأسرية

والتربية المسيحية وغير ذلك من الموضوعات الهامة بأقلام العالم السويسرى فونتين والأنبا صموئيل والأنبا غريغوريوس والأساتذة حبيب جورجى ويسى عبد المسيح ونجيب بولس والمستشار حلمى بطرس والمهندس يوسف سميكة والفنان رمسيس فانوس يوسف والدكاترة زاهر رياض وحشمت مسيحة وعونى برسوم وشاكر باسيليوس وبولس عياد وموريس أسعد والأستاذة إيريس حبيب المصرى. ثم أصدر المعهد عدداً خاصاً فى مناسبة العيد الأربعين لتأسيس أسقفية التعليم والمعاهد الدينية (سبتمبر ٢٠٠٢) ويواصل معهد الدراسات القبطية نشر مجلته العلمية القيمة.[1]

رسالة رابطة القدس

تصدر رابطة القدس رسالة دورية ترسلها لأعضائها ومعضديها منذ عام ١٩٤٤، مع بداية تأسيس رابطة القدس. وتحتوى الرسالة على رسائل روحية، ودراسات عن الأماكن المقدسة، وصور من الأراضى المقدسة وغير ذلك من الموضوعات حول الأراضى المقدسة، وكذلك أخبار الكنيسة القبطية فى مصر.

---

١. مجلة معهد الدراسات القبطية (القاهرة معهد الدراسات القبطية) العدد الأول ١٩٥٨م، العدد الثانى ١٩٧٥م.
جرجس داود وسيئوت داوار، "معهد الدراسات القبطية: أمل ورجاء"، مجلة مدارس الأحد، عدد خاص: الكنيسة القبطية فى القرن العشرين، الحلقة الثالثة، السنة ٥٦ العدد الثالث والرابع، مارس وابريل ٢٠٠٢م، ص ٥٩-٦٠.

الفصل الخامس

المجلات القبطية للشباب والخدام

د. موريس اسعد

مجلة مرقس: رسالة الفكر المسيحي للشباب والخدام

أصدر مجلة مرقس عام ١٩٥٨م الأرشيدياكون وهيب عطاالله (الأنبا غريغوريوس فيما بعد). وكان يشترك في تحريرها نخبة، من خدام التربية الكنسية بشبرا - القاهرة . وكان مقرها حينذاك مبنى الكلية الإكليريكية بالأنبا رويس. وعندما ذهب إلى الدير تنازل عن امتياز المجلة ورئاسة تحريرها للدكتور رؤوف جرجس. وفي عام ١٩٦٢م صدر ترخيص جديد للمجلة باسم صاحب الامتياز الجديد ورئيس تحريرها. وكان مدير التحرير الأستاذ يسرى لبيب.

اتخذت مجلة مرقس مقراً جديداً خاصاً بها (٥٠ أ شارع شبرا- القاهرة)، والحقت به مكتبة ودار نشر للمطبوعات المسيحية. وفي هذه المرحلة كانت المجلة تصدر عددين كل شهر: عدد للشباب وآخر للأطفال، وكان يوزع من مجلة الشباب ١٢ الف نسخة، ومن مجلة الأطفال ٧ الاف نسخة. غير أن هذه الفترة من ازدهار المجلة لم تستمر طويلاً، إذ توقفت مجلة الأطفال بعد حرب ١٩٦٧م. ومنذ ذلك الوقت تواصلت المجلة في الصدور مرة في كل شهر للشباب.

وبدخول رئيس التحرير ومدير المجلة في السلك الرهباني بدير الأنبا مقار، الأول باسم الراهب يوحنا المقاري والثاني باسم الراهب باسيليوس المقاري، واصلا الإشراف على مجلة مرقس وطباعتها في مطبعة الأوفست بالدير الذي ترهبا فيه. ويقومان بتحرير "دفتها". ويصدر من المجلة عشرة أعداد في العام، يتصدرها المقال الافتتاحي للأب متى المسكين. كما يشتمل كل عدد على مقال باللغة الإنجليزية يتم ترجمته إلى هذه اللغة من كتابات الأب متى المسكين.

وتشتمل أعداد مجلة مرقس على مقالات روحية وتقوية، وأقوال آباء الكنيسة وكتاباتهم، وعرض لتاريخ الكنيسة القبطية وعقيدتها وطقوسها وعبادتها الليتورجية وقديسيها. وتهتم المجلة كذلك بالأخبار المسكونية والحركات الروحية العالمية للصلاة من أجل وحدة الكنيسة. وتتناول المجلة كذلك المسائل الاجتماعية من وجهة نظر مسيحية، مثل رأي الكنيسة في تنظيم الأسرة، وفي زرع الأعضاء، وفي دور المرأة في الكنيسة وغير ذلك من الموضوعات الاجتماعية. ولمجلة مرقس قرأؤها من الشباب والخدام والقيادات الكنسية من اكليروس وعلمانيين، كما أن لها قراء كثيرون في أوروبا وأمريكا واستراليا وباقي بلاد المهجر.(١)

رسالة الشباب الكنسي

تصدر رسالة الشباب الكنسي عن أسقفية الشباب تحت رعاية الأنبا موسى أسقف الشباب. وتتميز رسالة الشباب الكنسي بالجمع بين المقالات الدينية والثقافية والأبعاد الوطنية. وفي صدر

١- نادية منير، "جولة على أوراق الصحافة القبطية"، مجلة مدارس الأحد، (القاهرة، السنة ٥٤، نوفمبر وديسمبر ٢٠٠٠م)، ص ٩٥-٩٦. اعداد مجلة مرقس.

كل عدد صفحة من كلمات قداسة البابا شنودة الثالث، ومقال افتتاحي للأنبا موسى بعنوان "أحاديث إلى الشباب". ومقالات لبعض الآباء. ويقوم بتحرير رسالة الشباب الكنسي شباب الاسقفية. وتتناول مقالات المجلة الحياة الأسرية للشباب، هذا إلى جانب الدراسات الروحية والنفسية وحوار الفكر والمواطنة وتأملات كمبيوترية. ثم رسائل الشباب والإجابة على تساؤلاتهم.

سلسلة دراسات لخدام الشباب

تصدر سلسلة دراسات لخدام الشباب عن اسقفية الشباب ويتصدرها مقال افتتاحي للأنبا موسى أسقف الشباب، ومقالات حول منهج خدمة الشباب وأسلوبه، وتجيب عن تساؤلات الخدام.

الكتاب الشهري للشباب والخدام

يصدر الكتاب الشهري للشباب والخدام عن بيت التكريس لخدمة الكرازة منذ عام ١٩٨٠م. ومسئول التحرير دكتور نصحي عبد الشهيد. والكتاب الشهري يحتوى على ٣٢ صفحة من القطع الصغير (١٣.٥سم × ١٩.٥سم)، ويشتمل بين ضفتيه على مقالات روحية ولاهوتية ودراسات في الكتاب المقدس ومقالات من كتابات الآباء وأخبار آبائية ومسكونية.

الشمعة

الشمعة رسالة غير دورية تصدر عن خدمة الشباب بكنيسة الملاك ميخائيل - مصطفى كامل بالإسكندرية. ويتصدر الرسالة صفحة بعنوان "المنبر البابوي" من كلمات قداسة البابا شنودة الثالث، ثم كلمة في أذنك، ومع أبي الكاهن، وحوار عبر العصور، وبنك المعلومات، والإنجيل المعاش، ثم صفحة من مذكرات شاب أوشابة، والعلم والمستقبل، ومقالات أخرى روحية ونفسية، وبريد الشمعة، وجواب لسؤالك، وقصة شمعة، وكتاب في سطور، وكلمات متقاطعة، ورموز كنسية، وزيارة كنسية. وتحتوى الشمعة على عدة صفحات باللغة الإنجليزية.

الفصل السادس

المجلات القبطية للنشء والأسرة وكبار السن

د. موريس اسعد

مجلة بستان الزهور

"بستان الزهور مجلة شباب المستقبل" رسالة تصدر عن دار القديس يوحنا الحبيب للنشر بإشراف نيافة الأنبا بطرس الأسقف العام. وبستان الزهور أول مجلة للأطفال جميع صفحاتها بالألوان. وفي صدر كل عدد صورة للبابا شنودة الثالث مع طفل مع كلمة للبابا. وتربط بستان الزهور بين الصورة والكلمة. ومن ذلك حقائق وغرائب، وحكايات كل زمان ومكان، وقصص مصورة من الكتاب المقدس بما يتناسب مع الأطفال، وتسالي، ورحلات مينا ومارينا، وفكرة، وكلمات لها معنى، وقصص على لسان الحيوانات، وزهور البستان، وصفحات للتلوين، ومسابقة العدد. وصور زهور البستان.

وتصدر عن دار القديس يوحنا الحبيب للنشر بستان الزهور باللغة الانجليزية. وهي تصدر كل شهرين أي ست مرات في العام. وترسل إلى أبناء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في بلاد المهجر. وتتميز بإخراجها الأنيق بالصور الملونة مع القصص من الكتاب المقدس وحياة القديسين، وتعريف للناشئين بالكنيسة وإيمانها وطقوسها. وتنشر صور أصدقاء المجلة الذين يرسلون صورهم من سائر انحاء العالم.

براعم انطونيوس

براعم انطونيوس رسالة غير دورية تصدرها كنيسة القديس العظيم الأنبا انطونيوس بشبرا. والرسالة موجهة لمن هم في المرحلة الإبتدائية والإعدادية. ويشتمل العدد على كلمة افتتاحية موجهة إلى الأولاد والبنات، وقصص مصورة تعبر عن درس روحي لهذه المرحلة، وموضوع العدد يتصل بما يهم الأولاد والبنات مثل بداية العام الدراسي، واليوم الدراسي الناجح، البراعم وفيها اعياد الميلاد، ومقالات قصيرة يكتبها البراعم، ومذكرات، وقصص من الكتاب المقدس مصورة، وموضوعات روحية، ومسابقات وتسلية، ومعلومات عامة، وسؤال "ماذا يحدث لو..." والغلاف الأمامي للمجلة صورة لطفل، والغلاف الخلفي صور لأطفال الكتاب المقدس.

مجلة فيلوباتير

تصدر مجلة فيلوباتير عن كنيسة السيدة العذراء بأرض الجولف. وتحتوي مقالات روحية وقديس الشهر، وجولة في الكتاب المقدس، ومن روائع العهد القديم، وقصة هادفة، وإعرف كنيستك.

صوت الراعي: رسالة الفكر المسيحي للفتيان والفتيات

صوت الراعي رسالة غير دورية تصدرها خدمة إعدادي بكنيسة الشهيد العظيم مارجرجس

باسبورتنج بالإسكندرية. وفي كل عدد مقال افتتاحي، وقصة العدد، ودراسات في العهد القديم، ومن بستان آبائنا الرهبان، وشمعة المحبة، وموضوعات إيمانية وروحية، ولغتنا القبطية، وخراف الراعي، وهمسة في أذنك، وأعياد الشهر، وكذلك بستان التسالي والمسابقات.

مجلة دنيا الطفل

تصدر إيبارشية بورسعيد مجلة دنيا الطفل برعاية الأنبا تادرس أسقف بورسعيد. تتناول المجلة جوانب تربوية للآباء والأمهات والمربين، وتقدم دراسات حول النمو الروحي والنفسي والاجتماعي والبدني في حياة الطفل.

رسالة أغابي للأسرة

رسالة غير دورية يصدرها برنامج التربية الأسرية بأسقفية الخدمات العامة والاجتماعية. وتركز الرسالة على أبعاد الحياة الأسرية وجوانبها الروحية والنفسية والاجتماعية والقانونية. كما تقدم نماذج لأمهات قديسات، وكذلك تساؤلات وردود.

حكمة السنين

رسالة غير دورية يصدرها نيافة الأنبا دانيال الأسقف العام لخدمة المعادي. وتهتم المجلة بما يخص كبار السن، وتنقل أنشطتهم وما يتعلق برعايتهم الروحية والصحية والنفسية والاجتماعية، وحياة المسنين في الأسره، كما تتناول أنشطة بيوت المسنين والمسنات، والاجتماعات والمؤتمرات الخاصة بهم مثل "أسرة سمعان الشيخ" بجرسي سيتي بأمريكا"، "أسرة سمعان الشيخ بكنيسة مارمرقس بنزلة السمان"، "أسرة سمعان الشيخ بالملاك القبلي"، "أسرة الأنبا بيشوي بكنيسة ابي سيفين بحدائق القبة" وغيرها.

كما تقدم الرسالة في كل عدد شخصية من المسنين أو المسنات الذين كان لهم دور فعال في حياة الكنيسة والمجتمع، مثل القمص ميخائيل ابراهيم. والدكتور راغب مفتاح، وقد صدر منها خمسة وعشرون عدداً حتى بداية عام ٢٠٠٢م.

الباب الخامس

من تراث القبط
فى اللغة العربية

دكتور موريس أسعد

مقدمة الباب الخامس

د. موريس أسعد

يتناول هذا الباب تعريف بكتابات بعض القيادات القبطية باللغة العربية منذ القرن السابع إلى القرن العشرين. ولم نقصد أن نقدم حصراً شاملاً لجميع كتابات الأقباط فى اللغة العربية عبر تلك القرون، وإنما إكتفينا بأن نقدم نماذج منها. ولاشك أن الكثير من هذه الكتابات تستحق أن يعاد نشرها لمنفعة الكثيرين من أبناء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وغيرهم فى أيامنا هذه. وقد بدأت بالفعل نهضة واعية بين الأديرة والكنائس لنشر التراث القبطى العربى، وقد ألمحنا لبعض مانشرته الأديرة والكنائس والأشخاص من كتابات الآباء التى كتبت باللغة العربية.

ويتناول الفصل الأول من هذا الباب "التحول من اللغة القبطية إلى اللغة العربية". وما صاحب ذلك من بدايات للكتابة باللغة العربية. وفى الفصل الثانى، "عصور الإزدهار والإنتشار"، وهى الفترة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، فقد تميزت بغزارة إنتاج الأقباط فى اللغة العربية. ويقدم الفصل الثالث "عصور الكمون والسكون"، فيما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر، وهى فترة قل فيها إنتاج الكتاب الأقباط، ولذلك أصبح لما كتب فى هذه الفترة قيمة كبرى. ويعرض الفصل الرابع "النهضة الأدبية للأقباط فى القرنين التاسع عشر والعشرين".

الفصل الأول

التحول من اللغة القبطية إلى اللغة العربية

د. موريس أسعد

في عام ٧٠٦م أمر عبد الله بن عبدالملك والي مصر أن تستخدم اللغة العربية وحدها في دواوين الحكومة. وأنه يتعين على جميع العاملين في الدواوين من الأقباط أن يستخدموا اللغة العربية في جميع أعمالهم. أدى هذا إلى وجود وثائق حكومية مكتوبة باللغتين القبطية والعربية. وانتهى الأمر بأن سادت اللغة العربية وتوارت اللغة القبطية تدريجياً. وفي هذا الإطار ظهرت القواميس التي تقدم الكلمات القبطية ومرادفاتها العربية، وكانت تعرف باسم السلالم، وسيأتي ذكرها فيما بعد. (١)

وفي بداية ذلك العصر، بدأ الأقباط يكتبون اللغة العربية بالحروف القبطية، ثم تعلم الأقباط اللغة العربية، وأصبحت اللغة العربية هي لسان القبط في عهد البابا يؤانس السابع.

وقد استغرق تحول الأقباط من اللغة القبطية إلى اللغة العربية عدة قرون، مابين القرن السابع - بل من بداية القرن الثامن - حتى القرن العاشر الميلادي. وقد استمر ذلك التحول حتى القرن الثالث عشر الميلادي. ومع ذلك استمرت بعض البلاد والقرى تتحدث باللغة القبطية بين جميع أهلها حتى القرن التاسع عشر.

وبدأ استخدام اللغة العربية في الصلوات الطقسية للكنيسة القبطية، إلى جانب اللغة القبطية، منذ القرن الثاني عشر، عندما سمح البابا غبريال الأول، البطريرك السابع والخمسون (سيم بطريركا عام ٩٠٠م، ويبقى على الكرسي الرسولي أحد عشر عاماً) باستخدام اللغة العربية في صلوات الكنيسة.(٢) وتواصلت عملية تعريب الصلوات الطقسية حتى يومنا هذا. ومنذ القرن العاشر الميلادي بدأت تسود اللغة العربية بين الأقباط. وقد قلق كثير من المفكرين الأقباط على مصير اللغة القبطية. لذلك قام عدد منهم بوضع قواميس اللغة القبطية وما يقابلها من كلمات عربية. وفي تلك العصور كان كثير من الأقباط يكتبون اللغة العربية بحروف اللغة القبطية.

وقد أطلق واضعوا القواميس على ما ألفوه من كتب في قواعد اللغة القبطية "المقدمات" أو "السلالم". فقد وضع الأنبا يؤانس أسقف سمنود (المعروف باسم السمنودي) كتاب "مقدمات السلم"، أورد فيه الألفاظ القبطية الواردة في الأناجيل والرسائل والمزامير والكتب الليتورجية وما يقابلها باللغة العربية. كما ألف مقدمة للغة القبطية البحيرية، وألف كتاباً آخر عن اللهجة القبطية الصعيدية.

---

١ - إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، وفي تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية التي اسسها مارمرقس البشير، الكتاب الثاني، (الإسكندرية، مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج، ١٩٦٨م)، ص ٣٣٢.

القس منسي يوحنا، كتاب تاريخ الكنيسة القبطية، (القاهرة: الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية والسيدة العذراء بالفجالة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م)، ص ١٠.

Fawzil Maher Ishaq, "Coptic Language, Spoken", in Coptic Encyclopedia, (New York, Macmillan Publishing company, 1991), Volume 2, p. 605.

٢. الراهب القمص انطونيوس الأنطوني، وطقس الكنيسة القبطية وتاريخها، الجزء الأول، (القاهرة، دار الطباعة القومية بالفجالة، ١٩٩٥م)، ص ١٩٦.

والف القليوبى كتاباً مشابهاً عنوانه "الكفاية". ووضع الشيخ المؤتمن شمس الرياسة بن الشيخ الأسعد أبو البركات بن كبر "السلم الكبير". وقد وضع فيه الكلمات القبطية ومرادفاتها العربية.

أما ابن كاتب قيصر فكتب "التبصيرة". وهو مقدمة فى قواعد اللغة القبطية.

والف الأنبا اثناسيوس اسقف قوص كتاباً عنوانه: "قلادات التحرير فى علم التفسير". ويحوى هذا الكتاب قواعد اللغة القبطية البحيرية والصعيدية معاً.

أما أنبا غريستوذولوس مطران دمياط (المعروف باسم ابن الضهيرى) فقد الف كتاباً ينقد فيه ما كتبه سابقوه عن الأجرومية القبطية. وقد حاول فى كتابه أن يتفادى ماوقع فيه سابقوه من أخطاء. وقد تبادل ابن الضهيرى القواميس مع المؤتمن بن العسال المعاصر له. وكذلك الف اسحق بن العسال كتاب "السلم المقفى والذهب المصفى".[1]

وفى هذه الفترة "بدأت تظهر صناعة الكتب. إذ بدأت فكرة تكوين المخطوط من صفحات بأرقام مسلسلة، وقبلاً كانت تستعمل اللفائف البردية أو المدارج والأسفار أو الشقافة أو العظام أو قطع الأحجار أو اللوحات الخشبية."[2]

وقد استمر الكتاب الأقباط يدبجون مؤلفاتهم باللغة القبطية بعد الفتح العربى لمصر. فالأنبا يؤانس (يوحنا) النيقيوسى، الذى عاش فى أواخر القرن السابع الميلادى، وضع مؤلفه الشهير فى التاريخ باللغة القبطية. وقد اسهب فى التفاصيل التاريخية منذ العصور الفرعونية، ولكنه أوجز فى وصف دخول العرب لمصر.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الحبشية المحفوظة فى الكنيسة الحبشية. وقد ترجم إلى اللغة العربية من اللغة الحبشية فيما بعد.[3]

وقد تاثر الإنتاج الفكرى للأقباط بما واجههم من اضطهادات فى القرن السابع. لهذا نجد أن الإنتاج الفكرى والفنى قد أصابه الركود المزعج فى فترات الاضطهاد. ولهذا السبب عينه كانت لمأخلفه القرن السابع قيمة مثلى لأنها نادرة.[4]

ومن المخطوطات النادرة فى هذه الفترة ماكتبه الأنبا مينا اسقف ابشتاى عن تاريخ حياة البابا إيساك البطريرك الحادى والأربعين، وكان ذلك فى مناسبة ذكرى هذا البابا الجليل.[5]

ومن كتاب القرن السابع ايضاً الأرشيدياكون أبو جراح. وكان صديقاً للبابا سيمون (سمعان) الأول، وهو البطريرك الثانى والأربعون (٦٨٩م- ٧٠١م).

وقد كتب أبو جراح عن بطاركة كنيسة الإسكندرية للأقباط الأرثوذكس من البابا كيرلس الأول

---

١ - إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، (الإسكندرية، مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج، ١٩٨٩)، ص ٢١٠، ٢١١، ٢١٥.

٢ - المرجع السابق، ص ٣٩.

٣ - إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثانى، مرجع سابق، ص ٢٨١، ٢٨٨.

٤ - المرجع السابق، ص ٢٠٠، ٢٠١.

٥ - المرجع السابق، ص ٢٠١، ٢١٥.

(٤١٢ ـ ٤٤٤م) حتى حياة البابا الكسندروس الثانى (٧٠٥ ـ ٧٣٠م)، أى من البابا الثانى والعشرين إلى البابا الثالث والأربعين. وقد عاصر أبو جراح عدداً من الخلفاء الأمويين، من عبد الملك (٦٨٥ ـ ٧٠٥م) إلى هشام (٧٢٤ ـ ٧٤٣م). ويغطى مؤلف أبى جراح الفترة من مجمع خلقيدونية (٤٥١م) حتى دخول العرب مصر (٦٤١م). وكذلك الفترة القصيرة التى تلت ذلك فى ايامه. وقد أسهب فى الكتابة عن حياة البطريرك سيمون الأول والبطريرك الكسندروس الثانى، وهما البطريركان اللذان عاصرهما ابو جراح.(١)

وفى منتصف القرن الثامن الميلادى عاش الشماس يوحنا أثناء الحكم الأموى. وقد سجل تاريخ بعض البطاركة على الكرسى المرقسى ـ على ما يعتقد باللغة العربية ـ إذ لم يوجد أصل قبطى للكتاب. وقد تناول فى مؤلفه حياة البطاركة من البطريرك الكسندروس الثانى (البطريرك الثالث والاربعون) إلى البطريرك خائيل الاول (البطريرك السادس والأربعون)، أى منذ عام ٧٠٥ إلى ٧٦٧ ميلادية.(٢)

ومؤرخ آخر يحمل اسم يوحنا أكمل مابداه سابقه، فكتب سير البطاركة من البطريرك مينا الأول (البطريرك السابع والأربعون) إلى البطريرك شنودة الأول (البطريرك الخامس والخمسون). أى من عام ٧٦٧ حتى عام ٨٨٠ ميلادية.(٣)

---

١. Aziz S. Atiya, "Abu Jirah", in Coptic Encyclopedia, Volume1, p.20.

٢. Aziz S. Atiya, "Yuhanna the Deacon", Coptic Encyclopedia, Volume 7, pp. 2356 - 2357.

٣. المرجع السابق.

الفصل الثانى

عصور الازدهار والانتشار

د. موريس أسعد

إزدهرت الكتابة بين الكتاب الاقباط الذين وضعوا مؤلفاتهم باللغة العربية فيما بين القرن العاشر الميلادى والقرن الرابع عشر الميلادى.

ولعل أول من نلتقى به فى النصف الأول من القرن العاشر هو أبو اسحق بن فضل الله. وهو يعتبر من أوائل من الفوا مخطوطاتهم باللغة العربية، وهو سابق على ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين - والذى يعتبره البعض أول من الف باللغة العربية. كذلك الف أبو إسحاق كتابين ضمهما مخطوط واحد. وهذان الكتابان - كما يصفهما بول سبات Paul Sbath فى الفهرس تحت رقم ٢٥١٨، ٢٥١٩ هما: كتاب فى شرح الآية الإنجيلية: "السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لايزول" (مرقس ١٣: ٣٦) والكتاب الثانى عبارة عن مقالة لإعلان ما سيحدث فى نهاية الزمان. وقد كتب هذين الكتابين فى عامى ٩٢٤ - ٩٢٥م.[١]

ومن مؤرخى القبط فى القرن العاشر سعد الله بن جرجس بن مسعود الملقب أبو المكارم، فقد وضع كتاباً عن تاريخ الأديرة والكنائس القبطية عام ٩٢٥م. وقد نسب هذا الكتاب خطأ إلى أبى صالح الأرمنى.[٢]

ومن أشهر الكتاب الاقباط باللغة العربية فى القرن العاشر الميلادى الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين (وشهرته ساويرس بن المقفع). وقد اكتسب كتابه "تاريخ البطاركة" شهرة واسعة. وقد [illegible] من [illegible] الفر[illegible] [illegible] [illegible] كان يجيدهما. وسطر كتابه باللغة العربية. وقد كتب فى مقدمة هذا الكتاب: "بعد دراسة المؤلفات التى وضعت عن البابوات الإسكندريين المتداولة بين الأيدى والمحفوظة فى أديرة الأنبا مكارى الكبير ونهيا وغيرهما، هيأت لى العناية الإلهية الفرصة لأن أجمعها فى كتاب واحد. وقد شاء الآب السماوى أن يمد فى عمرى حتى بلغت التسعين فاستطعت بهذه النعمة أن أتم وضع هذا الكتاب".[٣]

وقد الف الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين خمسة وعشرون كتاباً وعدة مقالات، وهى:

- كتاب التوحيد.
- كتاب الاتحاد الباهر (وقد أجاب فى هذا الكتاب على أسئلة اليهود عن الدين المسيحى).
- الشرح والتفصيل (وفى هذا الكتاب فند بدعة نسطور).
- كتاب مبادىء الدين (وجهه إلى أبى اليمن قزمان بن مينا كاتب ديوان والى مصر).

---

١. Khalil Samir, S.J., "Abu Ishaq Ibn Fadlallah", in Coptic Encyclopedia, Volume I, pp. 19 - 20.

٢. القس منسى يوحنا، كتاب تاريخ الكنيسة القبطية، الطبعة الثالثة، مرجع سابق، ص ٤٦٣.

٣. المرجع السابق، ص ٤٦٣، ٤٦٤.

إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثانى، مرجع سابق، ص ١٩٦، ٢٠١.

- كتاب نظم الجوهر (وفيه يرد على القائلين بالقضاء والقدر).
- كتاب طب القم وشفاء الحزن (وهو كتاب لتعزية الحزانى).
- كتاب المجلس.
- كتاب تفسير الأمانة (وهو شرح قانون الإيمان: نؤمن بإله واحد ...).
- كتاب الردود على سعيد بن البطريق بطريرك الملكيين.
- كتاب تربية أولاد المؤمنين وأولاد غير المؤمنين.
- كتاب التبليغ (فند فيه مزاعم اليهود ضد الإيمان المسيحى).
- كتاب الأقوال النفسية.
- كتاب الإستبصار.
- كتاب الإيضاح.
- كتاب ترتيب الكهنوت.
- كتاب الأحكام (وهو خاص بالأحكام الكنسية).
- كتاب إيضاح الاتحاد (وفيه يشرح عقيدة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية حول التثليث والتوحيد).
- كتاب الرد على بشر بن جارود (وهو عبارة عن سؤال وجواب).
- كتاب تفسير الأناجيل الأربعة.
- كتاب شرح أصول الدين وترتيب الخدمة للبخور ورسم الصليب ونسبة السيدة (يقصد أنساب السيدة العذراء مريم).
- البيان المختصر فى الإيمان.
- المثالات والرموز.
- التعاليم فى الاعتراف بالذنوب.
- كتاب المجامع (فى جزئين).
- مقال عن دهن المسيح بالطيب بيد مريم الخاطية فى بيت سمعان الأبرص الفريسى وأخت لعازر.
- تعليق على كتاب قول السيد المسيح "السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لايزول" (متى ٢٤: ٣٥) لاسحق بن فضل الله.

وقد نشرت بعض كتابات الأنبا ساويرس بن المقفع. وقد ولد الأنبا ساويرس فى بدايات القرن العاشر الميلادى من عائلة قبطية تقية. وكان اسمه العلمانى أبو البشر وأبوه كان يطلق عليه ابن المقفع.

وفي هذا العصر كان الأقباط قد اهتموا بتعلم اللغة العربية، لغة حكام البلاد، وكان لابد من استخدام اللغة العربية لمخاطبة السلطات الحاكمة في البلاد.

ترك أبو البشر العالم وأصبح راهباً، وأغلب الظن أنه ترهب في دير الأنبا مقار، وقد قضى معظم وقته في دراسة ما في مكتبة الدير الغنية من مخطوطات. وكان على علم واسع بالفلسفة اليونانية واللاهوت وعلوم عصره. ونال شهرة واسعة، فما أن خلى كرسي الأشمونين بنياحة أسقفه حتى تمت رسامته أسقفاً عليها، وكان ذلك في عهد البابا ثيوفانس (٩٥٢ - ٩٥٦م) البطريرك الستون ، أوفي عهد البطريرك مينا الثاني البطريرك الحادي والستون (٩٥٦ - ٩٧٤م). وكانت للأنبا ساويرس حظوة كبيرة لدى المعز لدين الله الفاطمي، وكذلك كان محبوباً من البطاركة الذين عاصرهم.

وقد تناولت كتابات الأنبا ساويرس الجوانب اللاهوتية والليتورجية والتقليد القبطي ودراسة الكتاب المقدس. ويعرف عنه أنه كان قد حفظ أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ودافع عن عقائد الكنيسة القبطية وتراثها الروحي، في مواجهة البطريرك الملكاني أوطاخي المعروف باسم سعيد بن البطريق.

أما كتابات ساويرس التاريخية فلعل أهمها هو كتاب "تاريخ البطاركة". وقد سجل كتابه هذا باللغة العربية. وتناول فيه تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندرية من عهد القديس مرقس مؤسس كنيسة الإسكندرية إلى القرن العاشر. وقد اعتمد في ذلك على المخطوطات التي كانت موجودة في الأديرة – وعلى الخصوص في دير الأنبا مقار بوادي النطرون.

وقد ساعده في ذلك الدياكون ميخائيل بن بيداير الدمنهوري (أصبح فيما بعد أسقفاً على تانيس)، والشيخ بُكيرة الرشيدي المعروف بحامل الصليب، والقس يؤانس بن ذاكر، رئيس دير الناحية، والشماس تادرس ابن مينا المنوفي. [1]

ومن المعاصرين للأنبا ساويرس أسقف الأشمونين الواضح بن رجا، وهو متنصر، وأصبح اسمه بولس. وقد ترك بولس هذا عدة مؤلفات، نذكر منها:

- "هتك المحجوب".
- "نوادر المفسرين".
- "الواضح بالحق". [2]

ولم يغفل كُتّاب الأقباط في تلك العصور عن الاهتمام بالحياة الاجتماعية. نذكر من هؤلاء أحد الرهبان اسمه أبو ياسر بن القسطال، وكان كاهناً. ألف كتاباً عن الحياة الاجتماعية واهتم بالحياة الأسرية فقال: " انه يجب على الخطيب والخطيبة أن يتقابلا متى انعقدت نيتهما على

Aziz. Atiya. "Sawirus Ibn Al - MuQaffa", im Coptic Encycopedia. Volume 7. pp. 2100 - 2102.

١ - إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثامن، (القاهرة، مكتبة المحبة، ١٩٨٨) ، ص ٨٧ ، ٨٨.

٢ - القس منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مرجع سابق، ص ٤٦٦ ، ٤٦٩.

الراهب القمص أنطونيوس السرياني، وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٢٠٣ ، ٢٠٨.

الزواج. لأنهما في تقابلهما سيعرف كل منهما الآخر إن كان قد راق في عيني الآخر. ومتى قبل كل منهما الآخر عن رضى ومن غير إكراه شرعت العائلتان في اتخاذ إجراءات الزواج".(١)

وقد قاوم أبو ياسر ممارسة الختان، إذ كان الأقباط لايعمدون أطفالهم إلا بعد ختانهم. فبين أن الختان "عادة اجتماعية فقط كانت مفروضة عند اليهود، ولكنها لم تعد فرضاً في المسيحية. فمن شاء ممارستها نفذها ومن لم يشأ تركها. أما المعمودية فهي الباب الوحيد الذي يستطيع المؤمن أن يدخل منه إلى الإيمان المسيحي، فهو ضرورة موضوعة على الجميع".(٢)

وفي هذه الفترة اعتنق المسيحية رجل يهودي يسمى عبد المسيح الإسرائيلي الراقي. وقد ألف ستة كتب.

- مقالة في إثبات مجيء السيد المسيح.
- مقالة في النفس العاقلة.
- مقالة في الرد على اليهود.
- مقالة في انتصار الصليب على اليهودية والوثنية.
- كتاب الاستدلال.
- شرح مختصر عن الثالوث.(٣)

قام الشماس موهوب بن منصور بن مفرج الإسكندراني (١٠٢٥ ـ ١١٠٠م) بإكمال "تاريخ البطاركة" الذي بدأه الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين (ابن المقفع). ويرجع الفضل في الحفاظ على هذا المؤلف الثمين إلى الشماس موهوب، الذي قام بجمع تاريخ البطاركة الذي سجله السابقون عليه، وعلى الخصوص ما سجلة الأنبا ساويرس. وقد أضاف موهوب إلى ذلك حياة البطريركين اللذين عاصرهما، وهما البابا خريستوذولوس (١٠٤٧ ـ ١٠٧٧م) والبابا كيرلس الثاني (١٠٧٨ـ ١٠٩٢م). وقد عاونه في ذلك الشماس أبو حبيب ميخائيل بن بدر الدمنهوري.(٤)

وقد سجل في مقدمة مؤلفه عن تاريخ البطاركة مايلي:"منذ أن عنى آباؤنا الأبرار بتدوين سير البابوات والقديسين مبتدئين باللحظة التي وطئت فيها قدما مرقس البشير أرضنا الحبيبة حتى الأنبا شنودة الثاني خليفته السادس والخمسين لبنيان المؤمنين، رأيت أن أنهج على منوالهم وأكمل سير الآباء الذين تعاقبوا على الكرسي المرقسي من بعد الأنبا شنودة. وكان هدفي بنيان المؤمنين وبنيان نفسي... ".(٥)

---

١. إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ٩٦.

٢. المرجع السابق، ص ٥٦.

انظر أيضاً القس منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مرجع سابق ص ٥١٢ ـ ٥١٣.

٣. إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثاني، مرجع سابق، ص ٥٠٢.

٤. Khalil Samir, S.J. "Abd Al- Masih Al- Israili Al- Raqqi", in Coptic Encyclopedia, Volume1, pp. 5-7. Johannes Den Heijer, "Mawhub Ibn Mansour Ibn Mufrij Al-IsKandarani", in Coptic Encyclopedia, Volume 5, pp. 1573 - 1574.

إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، مرجه سابق، ص ٧٦ ـ ٧٨، ٩٦.

٥. المرجع السابق، ص ٧٦.

وقام مؤلف قبطي مجهول الإسم بوضع كتاب سماه "اعترافات الآباء"، ويرجع تاريخ هذا الكتاب إلى عام ١٠٧٨م. وهو يحتوى على نصوص من كتابات آباء الكنيسة. وقد قام راهب من دير المحرق بإعداده وطبعه معتمداً على مخطوط موجود بمكتبة دير المحرق. وكتب مقدمة لهذه الطبعة الأنبا ساويرس أسقف ورئيس دير المحرق.

وقد جاء ذكر هذا الكتاب في كتاب "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة" لابن كبر. ويحتوى كتاب "اعترافات الآباء" على نصوص من آباء الكنيسة حول عقيدة التثليث والتوحيد والتجسد والاتحاد، والرد على المخالفين. ويشتمل على مجموعة من اليامر، وشرح الاعتقاد من أقوال الاثنى عشر رسولاً وباقى الرسل السبعين وخلفائهم من باباوات الإسكندرية والآباء في القرنين الثالث والرابع حتى البابا خرسطوذودوس البطريرك السادس والستون من بطاركة الإسكندرية.(١)

وفي القرن الثاني عشر قام الأنبا ميخائيل أسقف دمياط بتأليف كتاب تعليمي للشعب، وذلك في عهد البابا ميخائيل الخامس. وتوجد أربع نسخ مخطوطة من هذا الكتاب، اثنتان في مكتبة البطريركية بالأزبكية، وواحدة في المكتبة الأهلية بباريس، والرابعة في مكتبة الفاتيكان. وتتناول تعاليم الأنبا ميخائيل بعض الفرائض الكنسية، نذكر منها: الاعتراف السرى، الختان، عدم الإبقاء على شيء من الأسرار المقدسة، البخور، رسم علامة الصليب، زواج الأقارب.

يقول الأنبا ميخائيل عن الاعتراف السرى: "أما الاعتراف السرى فهو طب روحاني نسبته إلى الروح نسبة الطب الجسدى إلى الجسد. وكما أن الجسداني لا يتم إلا بطبيب خبير ... فكذلك الروحاني ..."(٢)

وللأنبا ميخائيل أسقف دمياط ميامر ومواعظ وتفاسير للكتاب المقدس وعدة رسائل تبادلها مع أبي صالح الأرمني.(٣) كما كان فناناً إذ رسم تسعين صورة للبشائر الأربع تصور الأحداث والمواقف التي جاءت في الإنجيل.(٤)

وهناك أيضاً أبو الفتح الصعيدى الذى كان قساً بارعاً. وقد قام بنسخ الكثير من الكتب وأوقفها على الكنائس والأديرة التي ساهم في ترميمها.

ومن أبرز العلماء وارق الشعراء في ذلك العصر الشيخ المكين أبو البركات المعروف بابن كثافة. ومن أجمل أبيات شعره:

واكتم السر حتى عن إعادته إلى المسير من غير نسيان

---

١ . الأب جورج شحاته قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، ص ٢٠٣.
من مخطوطات دير المحرق، اعترافات الآباء، إعداد راهب من دير المحرق، تقديم الأنبا ساويرس أسقف ورئيس دير المحرق، (٢٠٠٢) (٤٦٤ صفحة قطع كبير ـ ١٧×٢٤سم)

٢ . إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، مرجع السابق، ص ١٣٩

٣ . المرجع السابق، ص ١٧٣.

٤ . المرجع السابق، ص ١٧٢.

وذاك أن لساني ليس يعلمه سمعي بسر الذي كان ناجاني

وهذان البيتان من قصيدة كتبها ابن كثافة عنوانها "الخطير في كتمان السر".(١)

وهناك راهب اسمه سمعان بن كليل بن أبي الفرج بن مقارة، قضى حياته في دير الأنبا يؤانس (يحنس) القصير. وقد انصرف هذا الراهب إلى التأمل والبحث ودراسة الأسفار الإلهية. ووضع عدداً من المؤلفات منها: "تفسير بشارة متى الرسول"، وكتاب "روضة الفريد وسلوة الوحيد". وضمن في هذا الكتاب اختياراته الروحية. وقد جاء فيه: "غرض هذا الكتاب أن يوطد أمر الإنسان على السيرة التي خلق من أجلها .... ومنفعة هذا الكتاب ظاهرة بينة لذوي الألباب بما أوضح فيه من ترتيب خلقة الإنسان وكيفية حصول نفسه في البدن واتحادها به ..... ومرتبة هذا الكتاب فهي مقصورة على استعمال الإنسان فضائل القوة العاقلة الناطقة بالتمييز الصالح الذي به يفرق بين الحق والباطل في المعتقد، وبين الخير والشر في الفعل، وبين الصدق والكذب في القول ..." (٢)

ومن الشخصيات التي يشار إليها بالبنان شخصية الأنبا بولس البوشي، الذي كان زميلاً للراهب داود الذي أسبيع البابا كيرلس الثالث فيما بعد، وقد رسمه هذا الأخير أسقفاً على بابليون. وقد حاول بولس البوشي أن يعاون البابا كيرلس الثالث على قدر استطاعته، فاشترك معه في تأليف كتاب "المعلم والتلميذ"، وقد أوضحا في هذا الكتاب القيمة الروحية لسر الاعتراف.

وقد اهتم بولس البوشي بالبحث والدراسة منذ كان راهباً. ومن مؤلفاته:

- رسالة عن "الأدلة العقلية التي توصل إلى معرفة الإله المتأنس". (أوضح فيها سر التجسد).
- كتاب عن العلوم الروحية (مخطوط في مكتبة دير السريان بوادي النطرون).
- كتاب عن موضوع "المصير المحتوم والحرية الإنسانية".
- "تفسير سفر الرؤيا".
- "كتاب المناقشات بين السائل والمجيب". (والسائل في هذا الكتاب شخص غير مسيحي والمجيب الأنبا بولس البوشي).
- وضع عدداً من الميامر خاصة بالأعياد السيدية.(٣)

وفي القرن الثالث عشر قام أبو نصر بن هارون بن عبد المسيح بنسخ عدة مخطوطات بخط بديع واضح، إذ كان أبو النصر ناسخاً مدققاً. وكان من بين المخطوطات التي نسخها:

- "مجموعة أصول الدين ومسموع محصول اليقين" لمؤتمن الدولة بن العسال.
- "التبصيرة المختصرة" لمؤتمن الدولة بن العسال. وهو مؤلف في التعليم المسيحي للأطفال

---

١ - إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

٢ - المرجع السابق، ص ١٤٦ - ١٤٧.

إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثامن، (القاهرة، مكتبة المحبة، ١٩٨٨م) ص ٩١،٩٣.

كامل صالح نخلة، سلسلة تاريخ البطاركة، الحلقة الأولى، مرجع سابق، ص ٨٧.

٣ - إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ١٩٤ - ٢٠٢.

والناس البسطاء. وهو يحتوى على قسمين: الأول عن "الله الواحد الثالوث" والثانى عن "التجسد".(١)

واشتهر العديد من الأقباط على مر العصور بالأشتغال بالطب، نذكر منهم علم الدين أبو النصر جرجس بن أبى حليقة الذى كان الطبيب الخاص للملك الكامل. ويوصف هذا الطبيب بأنه كان متفنناً فى العلم والأدب. ومن كتاباته: "ضرورة الموت"، "حفظ الصحة". وكتب كذلك كتابين: الأول عن الأدوية المفرده والمركبة".

وكان لعلم الدين ابن صار هو الآخر طبيباً مثل والده، واسمه "مهذب الدين". وقد وضع كتاباً فى الطب. كما كان لعلم الدين إبن آخر اسمه "موفق الدين أبو الخير" برع فى صناعة الكحل، وألف كتاباً عن الكحل.(٢)

وممن مارسوا الطب فى القرن الثالث عشر أبو الخير الراشد بن الطيب، وقد كان كاهنا وطبيباً فى نفس الوقت. وقد عُين كاتب سر للأمير القاضى الفاضل وزير السلطان عثمان صلاح الدين. وقد كتب هذا الكاهن الطبيب عدة مؤلفات نذكر منها:

- "تنوير العقول".
- "خلاصة معتقد الملة المسيحية".
- "الرد على طائفتى الإسلام واليهودية من موضوعاتهم وأصول مذاهبهم".
- "رسالة البيان الأظهر فى رد من يقول بالقضاء والقدر".
- "ترياق العقول فى علم الأصول".
- "مجموع أصول الدين".(٣)

وللأنبا يوحنا أسقف سمنود، وهو من أوائل الأساقفة الذين قام البابا كيرلس الثالث برسامتهم عام ١٢٤٠م، كتاب "أخبار شهداء سمنود". وله كذلك كتاب لاهوتى فى صيغة سؤال وجواب لتعليم الشعب. هذا إلى جانب مؤلفاته فى اللغة القبطية: "مقدمات السلم" وكذلك "السلم الكنائسى".(٤)

وقام الأنبا يؤانس أسقف أسيوط فى القرن الثالث عشر بإعداد كتاب "شهداء إسنا" الذين استشهدوا أيام مكسيميان (٢٨٦ - ٣١٠م).(٥)

ووضع الأنبا يوحنا نعمة الله أسقف البرلس "مقالة فى قيامة السيد المسيح وقيامة الأجساد". كما كتب سيرة القديسة الشهيدة دميانة.(٦)

---

١. Khalil Samir, S.J., "Abu Nasr Ibn Harun Ibu Ald Al-Massih", in Coptic Encyclopedia, Volume1, P. 31.

٢. إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

٣. المرجع السابق، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

Vincent Frederick, "Abu Al - Khair Al - Rashid Ibn Al - Tayeb", in Coptic Encyclopedia, Volume 1, p. 20 -21.

٤. Vincent Frederick, "Youhanna", in Coptic Encyclopedia, Volume 7, pp. 2355 - 2356.

٥. Khalil Samir , "Yuannis", in Coptic Encyclopedia, Volume 7, P. 2355.

٦. كامل صالح نخلة، سلسلة تاريخ البطاركة: الحلقة الأولى، (مطبوعات دير السريان، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م)، ص ٨٧ - ٨٨.

وكتب الأنبا ميخائيل الأتربى أسقف مليج، الشهير باسم ميخائيل الجميل، عدة مؤلفات، لعل أهمها "السنكسار القبطى"، وكتاب" الاشعة فى محاماة القضية اليعقوبية"، وكتاب "الطب الروحانى"، ورسالة من ٣٧ سؤال وأجوبتها، ومقالة عن "خلاص المسيح لمن كان مأسوراً بخطية آدم".(١)

أماالأنبا يؤانس أسقف أسيوط فقد وضع كتاب "أخبار القديسين والشهداء الذين قتلوا فى مدينة إسنا"(٢)

والف الأنبا يؤانس أسقف إسنا كتاباً عن "حياة واستشهاد القديسة دولاجى على عهد القيصر مكسيميانوس".(٣)

ومن مشاهير كتاب الأقباط فى القرن الثالث عشر ابن العبرى الذى (ولد عام ١٢٢٦م). واسمه أبو الفرج جمال الدين بن تاج الدين هارون بن طعمه الملطى. وله كتابات باللغة السريانية. أما كتبه باللغة العربية فمنها:

- كتاب مختصر تاريخ الدول. (وقد عرف هذا الكتاب فى القرن الرابع عشر. وفى أواخر القرن السابع عشر نسخ هذا الكتاب ناسخ قبطى غير معروف. وفى أواخر القرن الثامن عشر نسخ هذا الكتاب ميخائيل الصباغ. وقد وجدت للكتاب ٣٥ مخطوطة).
- كتاب "منارة الأقداس". (توجد نسختان منه فى مكتبة البطريركية بالأزبكية بالقاهرة).(٤)

وفى القرن الثالث عشر أيضاً عاش أبو حليقة واسمه الكامل "راشد الدين أبو الوحش بن الفارس أبو الفخر بن أبو سليمان داود بن أبو المنى بن فنا أبو حليقة" (١١٩٥ - ١٢٧٧م). وكان أبو حليقة طبيباً [illegible] اشتهر عنه قدرته على شفاء العديد من الأمراض. كما كان [illegible]

[illegible] بين أبو حليقة عدة رسائل مع ابن أبى أصيبعة، والتقيا معاً عدة لقاءات. ولابن أبى أصيبعة مؤلف هام فى مجال الطب هو "عيون الأنباء فى طبقات الأطباء".(٥)

وفى أواخر القرن الثالث عشر عاش أبو الفخر المسيحى. وكان يهودياً تحول إلى المسيحية. وقد تبادل عدة رسائل مع رجل يهودى يدعى أبو العلاء السائح، وقد شرح فى هذه الرسائل بعض الفصول الصعبة من الكتاب المقدس، كما ناقش العقيدة المسيحية. وقد ألف أبو الفخر "كتاب التواريخ". وقد اعتمد عليه بعض المؤرخين الذين جاءوا بعده مثل سعيد بن البطريق وأبيفانيوس وغيرهما.(٦)

---

١. المرجع السابق، ص ٨٨.
٢. المرجع السابق، ص ٨٨.
٣. المرجع السابق، ص ٨٨.

٤. Khalil Samir, "Bar Hebraeus (Ibn Al-Ibri)", in Coptic Encyclopedia, Volume 2, pp. 345 - 347.

٥. Penelope gohnstone, "Abu Hulayqah" in Coptic Encyclopedia, Volume 1, p. 19.

٦. Vincent Frederick, "Abu Al _ FaKhr Al - Masihi", in Coptic Encyclopedia, Volume 1, P. 19.

وفى أيام البابا كيرلس الثالث (ابن لقلق) قام الأنبا يوساب أسقف فوة بجمع سير البطاركة السابقين على عصره ثم سجل حياة البابا كيرلس الثالث وخليفته البابا اثناسيوس الثالث (ابن كليل)[1]

وفى هذا العصر عاش الشماس بطرس أبو شاكر بن الراهب، المعروف بأبى الكرم، وكان منافساً للبابا كيرلس الثالث على الكرسى البابوى. فاتجه بعد ذلك إلى الدراسة والبحث والتأليف. ومن مؤلفاته:

- كتاب "الشفاء فى كشف ما استتر من لاهوت المسيح واختفى".
- مقدمة " فى التثليث والتوحيد".
- كتاب "فى حساب الأبقطى" (وضع له مقدمة ضافية باللغتين القبطية والعربية).
- كتاب "البرهان فى القوانين المكملة وانقراض المهملة".
- كتاب "التواريخ".
- كتاب "تاريخ ابن الراهب".
- كتاب "المجامع المكانية السبعة".[2]

كاتب آخر من هذا العصر هو معانى أبو المكارم بن بركات أبو العلا. وقد كتب سيرتى البابا مرقس بن زرعة البطريرك الثالث والسبعين، وخليفته البابا يؤنس السادس البطريرك الرابع والسبعين (المعروف باسم أبى المجد بن أبى غالب). وقد سجل أبو المكارم أخبار الكنيسة حتى عام ٩٤٥ ش (١٢٢٩م).[3]

ووضع كاهن فيما بين القرن الثانى عشر والقرن الثالث عشر شرحاً لقانون الإيمان النيقوى - القسطنطينى. واسم هذا الكاهن أبو المجد بن يؤنس. وكان معاصراً للأنبا غبريال أسقف قوص. وكان هدف أبو المجد من تأليف "شرح قانون الإيمان" هو الرد على شخص يهودى انتقد قانون الإيمان. وقد اعتمد الكاتب فى هذا الشرح على نصوص من العهد القديم.[4]

ومن أهم مشاهير الكنيسة القبطية فى القرن الثالث عشر أولاد العسال الذين تركوا مؤلفات هامة. فقد وضع المؤتمن أبو اسحق المصنفات التالية.

- "مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين".
- "آداب الكنيسة".
- "خطب الأعياد السيدية".

---

١ ـ كامل صالح نخلة، سلسلة تاريخ البطاركة: الحلقة الأولى ـ البابا كيرلس الثالث، مرجع سابق، ص ٨٥.
٢ ـ المرجع السابق ، ص ٨٦ ـ ٨٧.
٣ ـ المرجع السابق ، ص ٨٦.
٤ ـ المرجع السابق ، ص ٨٧.

Khalil Samir . S. J., "Abu Al - Majd. Ibn yuannis", in Coptic Encyclopedia, Volume1, pp. 21-23

- "مقدمة فى رسائل بولس".

هذا إلى جانب "التبصرة المختصرة فى اللغه القبطية".

ووضع الأسعد أبو الفرج هبة الله الكتب التالية:

- "مقابلة وتصحيح لترجمات الأناجيل الأربعة".
- "رسالة عن مقدمة رسائل بولس الرسول التى كتبها أخوه المؤتمن".
- "كتاب فى حساب الأبقطى وفيه بعض قواعد فلكية وتاريخية وجداول البطاركة".
- "أرجوزة فى حساب الأبقطى".
- "رسائل عن الأنفس بعد مفارقتها الجسد".

كذلك وضع الأسعد "مقدمة فى اللغة القبطية".

أما الأخ الثالث من أولاد العسال فهو الصفى أبو الفضائل. وقد ألف الكتب التالية:

- "الصحائح فى الرد على النصائح".
- "السبيل فى الرد على من قدح فى الإنجيل"
- "المجموع الصفوى" (وهو موسوعة قانونية).
- "حواشى على مناظرات الشيخ عيسى الوراق العالم الإسلامى مع الشيخ يحيى بن عدى العالم اللاهوتى السريانى وأجوبة قاطعة على اعتراضات الشيخ عبد الله الناشىء والإمام فخر الدين بن الخطيب".
- "فصول فى العماد والوصية والميراث"
- "نبذة عن الأوقاف".
- "كفاية المتبدئين فى علم القوانين" (وهذا الكتاب لم يعثر عليه بعد).
- "الكتاب الأوسط".
- "فصول مختصرة عن التثليث والتوحيد".(١)

ومن الكتابات القبطية التى أهملت قروناً طويلة كتابات "ابن المكين". وهو "جرجس أبو ياسر بن أبو المكارم بن العميد بن المكين" (١٢٠٥-١٢٧٣م). الملقب بابن المكين. عاش بتولاً بحاثاً. وترهب فى دير الأنبا يؤنس القصير بطرة. وقد ترك ابن المكين كتباً أربعة: "المستفاد من بديهة الاجتهاد"، "المجموع المبارك" وهو تاريخ مدنى يقع فى جزأين، كما أكمل كتاب المؤرخ الطبرى بعد

---

١ - إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ٢١٥، ٢١٧.
القس منسى يوحنا، كتاب تاريخ الكنيسة القبطية، مرجع سابق، ص ٥٢٥ ، ٥٢٧.

Khalil Samir, S.J., "Safi Ibn Al-Assal, Al-", in Coptic Encyclopedia, Volume7, pp. 2075 - 2079.

وفاته.(١)

ولعل أشهر كتب ابن المكين كتاب: "مختصر البيان في تحقيق الإيمان الموسوم بالحاوي". وقد قام راهب من دير المحرق بالاهتمام بطبعه، مع مقدمة للأنبا ساويرس أسقف ورئيس دير المحرق. وقد قام الدير المحرق بطبعه تحت عنوان: "الموسوعة اللاهوتية الشهيرة بالحاوي لابن المكين". وهو في أربعة اجزاء: الجزء الأول والثاني صدرا عام ١٩٩٩م، والجزءان الثالث والرابع صدرا عام ٢٠٠١. والأجزاء الأربعة تحتوي على أكثر من ١٦٠٠ صفحة: وقد جاء في مقدمة الجزء الأول من الموسوعة اللاهوتية الشهيرة بالحاوي: "ويعتبر مختصر البيان في تحقيق الإيمان هو أكبر موسوعة لاهوتية ظهرت في القرن الثالث عشر، ولذلك أطلق عليه اسم أكثر شمولاً: وهو الحاوي، وذلك لأنه يحوي أو يحتوي على أمور لاهوتية، وعقيدية، وتاريخية، وكتابيه، وروحية، وفلسفية، ولغوية مستعيناً بكتب الآباء مستلهما بفيض عطية الروح القدس."(٢)

وقام الأنبا بطرس أسقف مليج في القرن الثالث عشر بتاليف "كتاب الإشراق". وله كذلك "كتاب البرهان".(٣)

وألف الإيغومانوس المؤتمن أبو المكارم سعد الله جرجس بن مسعود (الأسعد بن سعيد الملقب بشرف الدين أبي المكارم) كتاب "تاريخ الكنائس والأديرة". وقد أخطأ بعض الباحثين إذ نسبوا هذا الكتاب خطأ إلى أبي صالح الأرمني. وقد قام الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر بنشر هذا الكتاب بعنوان: "تاريخ الكنائس والأديرة في القرن الثالث عشر الميلادي الذي نسب خطأ إلى أبي صالح الأرمني". وقد عاش أبو المكارم بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر. وكان من المؤلفين البارزين شعراً ونثراً. ويذكر أنه وضع مايربو على عشرين مؤلف، منها كتاب التاريخ المذكور من قبل.(٤)

كاتب أخر من القرن الثالث عشر اسمه الأنبا أبريم (ابرام أو افرام) القبطي. ألف الأنبا ابريم كتاباً عن تاريخ العالم منذ بداية الخليقة حتى عام ٦١٤ للشهداء، عام ١٢١٦م.(٥)

ومن المؤلفين في القرن الثالث عشر الراهب القس بطرس السدمنتي الذي كان عالماً لاهوتياً ومتضلعاً في الكتاب المقدس. وقد ترك عدداً من المؤلفات القيمة نذكر منها:

- "القول الصحيح في الأم السيد المسيح" (أو "تصحيح الاعتقاد في الام سيدنا يسوع المسيح

---

١ . إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ٢١٩ ، ٢٢٠.
Aziz S. Atiya, "Makin, Ibn Al-Amid, Al - ", in Coptic Encyclopecdia, Volume 5, p. 1513.

٢ . الموسوعة اللاهوتية الشهيرة بالحاوي لابن المكين، الجزء الأول، الجزء الثاني (من مخطوطات الدير المحرق، ١٩٩٩م)، الجزء الثالث، الجزء الرابع (من مخطوطات الدير المحرق، ٢٠٠١م)، إعداد راهب من الدير المحرق، تقديم الأنبا ساويرس أسقف ورئيس دير السيدة العذراء بالمحرق. (من مخطوطات الدير المحرق، ١٩٩٩م)، الجزء الثالث، الجزء الرابع (٢٠٠١). كما صدر تلخيص وتبسيط وتطبق للأجزاء الأربعة للدياكون د. ميخائيل مكس اسكندر. بعنوان : موسوعة علوم الدين (١٢٠٥م- ١٣٧٣م) - الأربعة أجزا في مجلد واحد، (القاهرة: مكتبة المحبة، ٢٠٠٣م).

٣ . Vincent Frederick, "Butrus Sawirus, Al- gamil", in Copitie Emcyclopedia, Vol 2, p.431.

٤ . القس منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مرجع سابق، ص ٤٦٣.
Aziz S. Atiya, "Abu Al. Makarim", in Coptic Encyclopedia, Volume1, p. 23.

٥ . إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ٢٠٦.
Samir Khalil , S. J., "Abrim Al. Kibti, Anba", in Coptic Encyclopedia, Volume 1, pp. 14 - 15.

وبيان الحق فيه على الوجه الصحيح"). وقد طبع عام ١٨٧٢م."

- "أرجوزة في الاعتقاد" (طبعت كملحق لكتاب البرهان السديد في التثليث والتوحيد"، القاهرة ١٨٨٤م، وكذلك في كتاب القوانين لمرقس جرجس ، (القاهرة ١٩٢٧م).
- "رسالة في تفسير الإنجيل".
- "مقالة في تقسيم تدابير المسيح من حين حُبل به إلى حين صعوده إلى السماء".
- "مقالات لاهوتية".
- "مقالات في تراجم القديسين والدفاع عن الدين".
- "مختصر تهذيب النفس".(١)

ويذكر أن القس بطرس السدمنتي له أربعة عشر مؤلفاً مبعثرة بين المكتبة الأهلية بباريس ومكتبات الفاتيكان ومكتبات بعض الأديرة في لبنان.(٢)

وقد أعد القس بطرس السدمنتي كتاباً في "اللاهوت الأخلاقي" بناء على طلب من الأنبا يوساب أسقف أخميم.(٣)

ومن العلماء اللاهوتيين فيما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر يوحنا بن زكريا المعروف بابن سباع الذي ألف كتاب "الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة". وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة عام ١٩٠٢م. وهو مرجع لاهوتي وطقسي معاً، إذ يحتوي على شرح التثليث والتوحيد، وخلق الملائكة والعناصر، والإنسان، والوظائف الكنسية، وممارسة السيد المسيح لها على الأرض، والأسرار المقدسة، والبخور، والأيقونات، والشورية، والأعياد الكنسية، والممارسات الطقسية، وكذلك مسئوليات الإكليروس من البطريرك إلى الأسقف إلى الكاهن والشماس.(٤)

وألف الأنبا أثناسيوس أسقف قوص، في القرن الرابع عشر كتاباً عنوانه: "قلادات التحرير في علم التفسير".

وقد ظهر في القرن الرابع عشر كتاب عنوانه: "تريدون". وهو كتاب شعري باللغة القبطية الصعيدية، وكان يحتوي على ٧٣٤ بيتاً من الشعر، بقي منها ٤٢٨ بيتاً فقط مع ترجمة عربية لها.

ومن الكتاب الذين حازوا تقديراً من المؤتمن أبو اسحق بن العسال في القرن الثالث عشر نجد

---

١ - الأب جورج شحاته قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، مرجع سابق، ص ٢١٠ ، ٢١١.

Aziz S. Atiya, "Butrus Al- Sidmanti", in Coptic Encyclopedia, Volume 2, pp. 427- 428.

٢ - مريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، مرجع سابق ٢٠٨، ٢٠٩.

Kalil Samir , "yusab", in Coptic Encyclopedia, Volume 7, P. 2359.

٣ - مريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ١٢٩، ١٣٠.

٤ - الأب جورج شحاته قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

Aziz S. Atiya, Ibn Siba, Yuhanna Ibn Abi Zakariyya", in Coptic Encyclopedia, Volume 4, pp. 1[illegible]

وقد صدر شرح وتعليق لكتاب "الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة" للدياكون د. ميخائيل إسكندر، مراجعة وتقديم نيافة الأنبا متاؤس، (القاهرة: مكتبة المحبة، ٢٠٠١).

ابن كاتب قيصر. ويعتبر المؤتمن كتاب[1] "تبصيرة" لابن كاتب قيصر من الكتب الهامة في قواعد اللغة القبطية ومقابلتها باللغة العربية. وينسب لابن كاتب قيصر كذلك كتاب "تفسير سفر الرؤيا" وقد نشر هذا الكتاب حبشي شحاتة البرماوي عام ١٩٣٩م في القاهرة تحت عنوان: "تفسير سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي لابن كاتب قيصر". وينسب لابن كاتب قيصر كذلك تفسير أعمال الرسل ورسائل بولس الرسول والرسائل الجامعة. (رسائل بطرس الأولى والثانية ويعقوب ويهوذا).

كانت - ولا تزال - "الدسقولية: تعاليم الرسل" المرجع الرئيسي للقوانين الكنسية عبر العصور. وقد اهتم بطاركة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بسن القوانين التي تساعد الإكليروس والشعب على الإهتداء بها في حياتهم الروحية وممارساتهم الكنسية والإجتماعية.

فقد وضع البابا خريسطوذولوس، البطريرك السادس والستون (١٠٤٧- ١٠٧٨م) قوانين كنسية جديدة وكان عددها ٢١ قانوناً، وكان بينها قانون يحرم زواج الاقباط الأرثوذكسي من الرجال والنساء من الأجانب وغير الأرثوذكس.[2] وجاء من بعده البابا كيرلس الثاني، البطريرك السابع والستون (١٠٧٨- ١٠٩٢م) فعكف على الدرس والاطلاع واستوعب العلوم والمعارف، وقام بنشر القوانين الكنسية على الإكليروس والشعب، وصاغ القوانين الكنسية في أربع وثلاثين مادة لتذكير الشعب بالمبادىء الإيمانية الصحيحة.[3]

وجاء البابا غبريال الثاني، البطريرك السبعون المعروف باسم غبريال بن تريك (١١٣١ - ١١٤٥م) فشعر بحاجة الكنيسة إلى قوانين جديدة. فوجه خطاباً إلى الإكليروس والشعب جاء فيه: "... إذ أحسست بضعفي وعجزي أمام مجد الكرامة الكهنوتية وما يستتبعها من مسئوليات. وعندها رن في اذني الأمر الإلهي .... فلم يسعني إلا أن أبذل الجهد لتنفيذ أحكام الله، طالباً إليه تعالى أن يسندني بنعمته ويؤازرني بحكمته ويقويني لكي أرعى شعبه وأرشده إلى ميناء السلام .... ولهذه الأسباب كلها سارعت إلى تدوين هذه القوانين تذكيراً لكم، واستنهاضاً لهمتكم...."[4]

وقام البابا غبريال الثاني بعد هذا الخطاب بتدوين مجموعتين من القوانين. المجموعة الأولى منها تتضمن اثنتين وثلاثين مادة في جزئين: الجزء الأول منها يحدد للأساقفة والكهنة ما يجب عليهم انتهاجه كرعاة مؤتمنين على الشعب المسيحي. ويتناول الجزء الثاني من المجموعة الأولى من قوانين البابا غبريال الثاني ما يختص بالشعائر الدينية والفرائض الكنسية.

أما المجموعة الثانية من قوانين البابا غبريال الثاني فتتناول المسائل المتعلقة بالميراث وتنظيم الإرث. وأشار في مستهل هذه القوانين أن الآباء الأولين أغفلوا أمر المواريث إغفالاً تاماً. ثم أدرك البابوات حاجة الشعب إلى إرشادهم في هذه الأمور. وقام البابا غبريال الثاني بتنقيحها وتبويبها، حتى تكون صالحة للعصر الذي سطر فيه قوانينه.[5]

وفي عهد البابا كيرلس الثالث (إبن لقلق) ، البطريرك الخامس والسبعين، الذي سعى

---

١. Vincent Frederik, "Ibn Katib Qaysar," in Coptic Encyclopedia, Volume 4, p.1268.

٢. القس منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مرجع سابق، ص ٤٧٩.

٣. إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ١٠٣.

٤. المرجع السابق، ص ١٣٣.

٥. المرجع السابق، ص ١٣٣ - ١٣٤.

للحصول على البطريركية لمدة عشرين سنة حتى تبوأ كرسي مارمرقس في وقت لم يبق فيه سوى عدد قليل من الأساقفة. وكان محباً للمال، وعرف عهده بالسيمونية، اجتمعت كلمة الشعب والإكليروس، وقدموا مطالب إصلاحية.(٩) وانتهى الأمر بعقد إجتماع للمجمع المقدس في كنيسة العذراء في حارة زويلة عام ١٢٣٩م (٩٥٥ ش) ثم في القلعة عام ١٢٤٠م (٩٥٧ش).(١)

وقد قام المجمع المقدس بوضع القوانين التي أصبحت تعرف باسم "القوانين المنسوبة للبابا كيرلس بن لقلق البطريرك الخامس والسبعين". وفي الواقع استغرق المجمع ثلاث سنوات تم فيها إعداد هذه القوانين. وقد قسمت عدة اقسام:

الكتاب الأول عن نظام إدارة البطريركية، بما في ذلك إختيار الأساقفة ورسامتهم، ومنع الشرطونية والسيمونية. والقسم الثاني من الكتاب الأول عن قوانين الأحوال الشخصية وترتيب الطقوس واجتماع المجامع. والقسم الثالث عن الختان ومنع الأكاليل في البيوت. وباقي اقسام الكتاب الأول الثلاثة عشر تتناول غير ذلك من الموضوعات.

أما الكتاب الثاني من قوانين كيرلس بن لقلق فيختص بالعماد والزواج والوصية والميراث والكهنوت.

والكتاب الثالث من هذه القوانين يحتوي على ما يتعلق بالأوقاف وشروط الوقف والصدقة.

والكتاب الرابع يتناول "الطقوس المرتبة على العادة الجارية في البيعة القبطية بما في ذلك الأعياد والطقوس المصاحبة لها، الطقوس المتعلقة بالقداسات اليومية".

والكتاب الخامس والأخير ينظم أعمال البطريركية والديوان البطريركي.(٢)

وإلى جانب البطاركة الذين اهتموا بالقوانين الكنسية نذكر الأنبا ميخائيل أسقف دمياط الذي جمع القوانين الكنسية في مجموع واحد. وكذلك الصفي بن العسال الذي جمع القوانين الكنسية في الكتاب الشهير حتى اليوم المعروف باسم "المجموع الصفوي".(٣)

واهتم بالقوانين الكنسية كذلك راهب من دير القديس يوحنا بوادي النطرون اسمه أبو مقار الكاتب (مكاريوس القانوني)، وذلك في القرن الرابع عشر الميلادي. فقد جمع هذا الراهب قوانين الكنيسة باللغة العربية جمع فيها:

- الدسقولية.
- رسالة بطرس إلى اكليمدس.
- قوانين هيبوليتوس.
- القوانين المنسوبة إلى باسيليوس.

---

١ ـ كامل صالح نخلة، سلسلة تاريخ البطاركة، الحلقة الأولى، مرجع سابق، ص ٧١ ـ ٧٢.

٢ ـ المرجع السابق، ص ٧٣ ـ ٧٦.

٣ ـ المرجع السابق، ص ٩٤ ـ ١٢١.

٤ ـ القس منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

- القوانين المنسوبة إلى غريغوريوس النيسى.
- القوانين المنسوبة إلى إبيفانيوس. [1]

وقد عاش أبو مقار هذا فى الفترة التى تلى البطريرك كيرلس بن لقلق، لأنه سرد بين القوانين التى ذكرها تلك التى وضعها ابن لقلق.

ومن الشخصيات التى ذاع صيتها بين الأقباط "ابن كبر". وهو "الشيخ المؤتمن شمس الرياسة ابن الشيخ الأسعد أبو البركات بن كبر". كان وزيراً للأمير بيبرس ركن الدين الدوادار المنصورى المتوفى فى عام ١٣٢٣م. وقد ساعد ابن كبر المنصورى فى تأليف كتاب: "زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة". ويعتبر قاموس ابن كبر فى اللغة القبطية ومرادفاتها العربية من أفضل القواميس التى وضعت. وقد اتقن اللغات اليونانية والعبرية والسريانية، إلى جانب اللغتين القبطية والعربية.

كان ابن كبر كاهناً لكنيسة السيدة العذراء المعلقة فى مصر القديمة، واستمر فى منصبه الكهنوتى حتى نياحته. وكان بطاركة الكنيسة القبطية يوقرونه .

وفى عام ١٣٢١م تعرض الأقباط لموجة جديدة من الإضطهاد، وقد نجى ابن كبر من الغوغاء الذين كانوا يقصدون قتله. واختفى ابن كبر عنهم. وفى أثناء فترة اختفائه التى امتدت حوالى أربع سنوات استطاع ابن كبر أن ينجز العديد من كتبه الخالدة، والتى منها:

- كتاب "مصباح الظلمة فى ايضاح الخدمة".[2]
- كتاب "جلاء العقول فى علم الأصول الملقب بكشف الأسرار الخفية فى أسباب المسيحية".

ومن أهم مؤلفاته كتاب "السلم الكبير" الذى وضع فيه الكلمات القبطية ومرادفاتها العربية. وله غير ذلك عدة كتابات متفرقة.

وأول كتاب الفه ابن كبر كان عن الميرون والمواد التى تستخدم فيه وكيفية طبخه.[3]

وعاش فى عهد صلاح الدين الأيوبى الأسعد بن مماتى (واسمه الأسعد بن المهذب بن زكريا بن مينا شرف الدين أبو المكارم بن سعيد بن المليح بن مماتى) الذى كان يشغل وظيفة كاتب الجيوش، ومنحه صلاح الدين رياسة بيت المال. وكان ابن مماتى مساعداً لقراقوش وزير صلاح الدين. فوضع كتاباً بعنوان: "الفاشوش فى حكم قراقوش". وقد أضفى ابن مماتى على كتابه جانباً كبيراً من الخيال وعدداً وفيراً من النوادر والفكاهات، وينسب إليه أنه مؤلف كتاب "كليلة ودمنة". وتوفى سنة ٦٠٦ هـ/١٢٠٩م .[4]

ومن كُتاب القرن الرابع عشر الراهب طعمة بن النجيب لطف الله (المعروف بالخليلى).

---

١. Rene Georges Coquin, "Macarius the Canonist", in Coptic Encyclopedia, Volume 5, pp. 1490 -1491.

٢ - وقد صدر تلخيص وتبسيط لكتاب "مصباح الظلمة فى إيضاح الخدمة"، لابن كبر - الجزءان فى مجلد واحد- ديباكون د. ميخائيل مكسى اسكندر (القاهرة: مكتبة المحبة، ٢٠٠٢).

٣ - إيريس حبيب المصرى. قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، مرجع سابق، ٢٦١ - ٢٦٢.
Aziz. S. Atiya, "Ibn Kabar", in Coptic Encyclopedia, Volume4, p. 1267 -1268.

٤ - إيريس حبيب المصرى. قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ١٧٤.
Aziz. S. Atiya, "Ibn Mammati", in Coptic Encyclopedia, Volume4, pp. 1268 -1269.

ويبدو انه كان راهباً في دير شهران بالقرب من طرة.

وكان الراهب طعمة ناسخاً. وقد قام بنسخ عدد من المخطوطات: منها مخطوطان للأنبا ميخائيل أسقف دمياط ضد أبو الفخر مرقس بن قنبر الذى كان كفيفاً وتحول إلى الكنيسة الملكانية، ومخطوط عن رؤيا القديس أثناسيوس، ومخطوط آخر يصف رؤيا القديس صموئيل القلموني، وآخر يحتوى على مجموعة من النصوص الرهبانية، وغيرها من المخطوطات التى قام الراهب طعمة بنسخها. وكان قد انتهى من نسخ المخطوطين الأولين عن رؤيا القديس أثناسوس والقديس صموئيل القلموني فى عام ١٣٥٧م.(١)

وفى القرن الرابع عشر أيضاً قام الراهب يوحنا المقسى من دير البراموس فى وادى النطرون بنسخ المجموع الصفوى للصفى بن العسال فى عام ١٣٢٩م. ويوجد هذا المخطوط فى دير القديس مكاريوس بوادى النطرون.(٢)

---

١. Khalil Samir, S. J. "Tuma Ibn Al- Najib Lutfallah", in Coptic Encyclopedia, Volume 7, pp. 2281 - 2282.

٢. Khalil Samir, S. J. "Yuhanna Al - Maqsi", in Coptic Encyclopedia, Volume 7, pp. 2358.

الفصل الثالث

عصور الكمون والسكون

د. موريس اسعد

تعتبر الفترة مابين القرن الخامس عشر والقرن الثامن عشر فترة كمون وسكون. لم يعد فيها التوهج الذى شهدته العصور السابقة. غير أن هذه الفترة قد حظيت هى الأخرى بوجود بعض القيادات القبطية القليلة التى اهتمت بالكتابة والتاليف، نذكر من بينها فى القرن الخامس عشر الأنبا قرياقص أسقف البهنسا الذى قام بوضع العديد من الميامر فى مديح السيدة العذراء، وفى قيامة رب المجد، وفى لجوء العائلة المقدسة إلى مصر، وفى مديح الشهيد بقطر.(١)

وعاش الإيغومانوس أبو المُنا كاهن كنيسة العذراء قصرية الريحان فى مصر القديمة فى القرن السادس عشر. وقد قام بنسخ عدد من المخطوطات تبين منها براعته الفنية، إذ زين المخطوطات التى نسخها برسوم بديعة. وكان من المخطوطات التى قام بنسخها:

- كتاب " الوحدة والثالوث".
- كتاب "التجسد وحقيقة المسيحية". للأنبا بولس البوشى.
- مؤلف عن "الكهنوت" لأغاثون الحمصى.
- كتاب "رفض مقولة Proclus ابدية العالم" ليوحنا فيلوبون.(٢)

وفى بدايات القرن السابع عشر (عام ١٦٠٢م) الف المعلم يوحنا الحاذق القبطى "كتاب أخبار الزمان". ولم يقصد بكتابه هذا أن يكون كتاباً تاريخياً، وإنما هو دفاع عن المسيحية مبتدئا من الخليقة وتتبع العهد القديم مبرهناً منه على الوهية السيد المسيح. وانتهى كتابه بكرازة الرسل فى المسكونة.(٣)

وفى أواسط القرن السابع عشر ألف رجل قبطى يدعى أبو ذقن المتوفى كتاباً باللغة العربية شرح فيه أحوال الأقباط ومعتقداتهم وأحوالهم فى ذلك العصر، وقد دافع فيه عن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فى مواجهة الكنائس الأخرى. وقد جاء فى هذا الكتاب أن الأقباط قد اكتسبوا فى ذلك الزمان ثقة المسلمين بهم، بحسن خدماتهم وصداقاتهم. وأن معظم الصنائع كانت فى أيدى الأقباط. وكانت تدرس فى المدارس القبطية اللغات العربية والقبطية والحساب والجغرافيا والدين.(٤)

ومن اللاهوتيين المشهورين فى القرن الثامن عشر الأنبا يوساب الأبح أسقف كرسى جرجا وأخميم (١٧٣٥ - ١٨٢٦م). ومن أهم الكتب التى ألفها كتاب "سلاح المؤمنين"، ضمنه معتقدات

---

١ - إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ٢٤٧.

٢ - Khalil Samir, S.G., "Abu Al - Muna", in Coptic Encyclopedia, Volurme 1, pp. 29 - 30

٣ - Khalil Samir, "Yuhanna Al - Hadhiq Al - Qibti (Muallim)", in Coptic Encyclopedia, Volumet 7, P. 2357.

٤ - كامل صالح نخله الإسكندرى، سلسلة تاريخ بابوات وبطاركة الكرسى الإسكندرى، الحلقة الرابعة، تنقيح ومراجعة الأنبا متاؤس أسقف دير السريان، الطبعة الثانية (مطبوعات دير العذراء السريان، ١٠٠٠م)ص ٦١.

الكنيسة القبطية وتعاليمها القويمة. وكتب كتباً أخرى نسبها للبابا يؤانس الثامن عشر. وقام بالرد على رسالة بابا روما إلى البابا يؤنس الثامن عشر. وقد دافع الأنبا يوساب الأبح في هذا الرد عن معتقدات كنيسة الإسكندرية.(١)

وللأنبا يوساب الأبح أكثر من ثلاثين مقالة حول معتقدات الكنيسة القبطية وطقوسها، والبعض منها يتعلق بتفسير بعض أصحاحات الكتاب المقدس، ومنها تعاليم تتعلق ببعض العادات والممارسات في الأعياد والمناسبات المختلفة.(٢)

وقد كتب البابا يؤنس الثامن عشر البطريرك السابع بعد المائة من بطاركة كرسي مارمرقس الرسول رسالة إلى شخص يدعى برتولوماوس، كان قد جاء موفداً من قبل بابا روما ليدعو الكنيسة القبطية الأرثوذكسية للانضمام إلى الكنيسة الكاثوليكية. وجاء هذا الموفد حاملاً صورة خطاب ليقوم بابا الإسكندرية بإرساله إلى بابا روما. فأعد البابا يؤنس رداً على هذا الخطاب يُعد وثيقة لاهوتية هامة، جاء فيها:

"... السلام مني إلى حضرة الأب الفاضل الراهب برتولوماوس اللاتيني الذي يدعي مرسولاً بل رسولاً من قبل بابا الرومانية إلى بلادنا الإسكندرية ... وأني لنعجب غاية العجب من كثرة زكاوة عقلكم ودقة فهمكم الرفيع الذي لم نره في أحد قط من مدة كبيرة وماينيف عن ألف ومائتي سنة، وما سمعنا بأن أحداً من المرسلين من قبل البابا الروماني كتب من عنده صورة رسالة إلى آبائي الذين سبقوا قبلنا، ويعرفه فيها أن يكتبها للبابا الروماني، ويخضع له، ويصير تحت اعتقاده كما صنعتم الآن .... وفي رسالتكم لنا هل ياترى درستم سائر الكتب وفهتم دقيقات غوامضها وحققتم أن الاعتقاد الحقيقي هو عندكم ... لأننا نحن أطلعنا على اعتقادكم فوجدنا كم تقرون بإتحاد الطبايع بقولكم إن الطبايع اتحدوا وتنقضون قولكم هذا بقولكم في المسيح طبيعتين ومشيئتين وفاعلين، وقد نقضتم معنى الاتحاد لأن الاتحاد هو الوحدانية ...".

ويواصل البابا يؤانس الثامن عشر شرح عقيدة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في رسالته المسهبة التي تستحق الشرح والتحليل.(٣)

وهناك كاتب من القرن الثامن عشر غير معروف إلا قليلاً، هو الراهب بسطوروس الحريري. كتب هذا الراهب قصائد شعرية دينية بلغة بسيطة، قلد فيها بعض أسفار الكتاب المقدس مثل سفر الأمثال. وقد أطلق عليها "مقالات" وعددها ١٤٩ قصيدة دينية. ويوجد مخطوط بهذه القصائد بمكتبة البطريركية بالأزبكية، كما توجد نسخة منه طرف عائلته.(٤)

ومن النساخ في القرن الثامن عشر ابراهيم بن سليمان النجار الميري. فقد قام بنسخ مخطوط خاص بتقديس الميرون باللغتين القبطية والعربية، وعن كيف يتم حفظ الميرون. كما قام بنسخ مجموعة من القصائد العربية عددها ١٤٩ قصيدة من تأليف بسطورس الحريري.(٥)

---

١ . المرجع السابق، الحلقة الخامسة، ص ٦٤ ، ٦٧.

٢ . Khalil Samir, S. J., "Yousab", in Coptic Encyclopedia, Volume7, pp. 2359 - 2362.

٣ . كامل صالح نخلة، سلسلة البطاركة، الحلقة الخامسة، مرجع سابق، ص ٣٠ ، ٤٢.

٤ . Khalil Samir, S. J., "Bisurah Al - Hariri", in Coptic Encyclopedia Volume 2, p. 403.

٥ . Samir Khalil , S. J., "Ibralim Ibn Sulayman Al - Najjar Al - Miri", in Coptic Encyclopedie, Volume 4, PP. 1273 - 1274.

الفصل الرابع

النهضة الأدبية للأقباط فى القرنين التاسع عشر والعشرين

د. موريس اسعد

يعتبر القرنان التاسع عشر والعشرين العصر الذهبى للكتاب القبطى. فقد شارك فى النهضة الأدبية فى هذين القرنين قيادات من الإكليروس ومن العلمانيين.

فقد قام البابا بطرس السابع البطريرك التاسع بعد المائة الشهير بالجاولى (١٨١٠ ـ ١٨٥٢م) بكتابة عدة رسائل ومواعظ إلى شعبه ليوضح لهم عقيدة آبائهم وجهادهم من أجل الحفاظ على إيمانهم الأرثوذكسى. كما كتب مقالات بخط يده باللغة العربية فى مائة وعشرين ورقة، نذكر منها:

- مقالة فى الرد على من يقول إنا مهملون فى السعى عن سياسة أولاد بيتنا ولسنا منتبهين مثل غيرنا.
- مقالة فى الرد على من يقول إن فى المسيح مشيئتين وطبيعتين منفصلتين ويعطون لطبيعة المجد وللأخرى الهوان.
- مقالة فى الرد على من يقول إن غيرهم من الطوائف ملازمون الاعتراف وتناول القربان وطائفة الأقباط نادر لهم هذا الفعل.
- مقالة فى الرد على من يقول إن القبط عدموا المساعدة من باريهم وصارت خطاياهم مشهورة.
- مقالة فى من يميل لغير اعتقاده لأجل المجد الباطل رغبة منه للفخفخة الجسدانية وميلاً لمحبة الفضة.(١)

كما كتب البابا بطرس السابع رسالة بعث بها إلى شعب إيبارشية منفلوط وهى التقليد الأسقفى للراعى الجديد، قال فيها: "... تبذلون الطاعة الكلية والمودة الحقانية وتعاملونه كالأب بالمحبة الروحانية. ولاتخرجوا على ما يشير به من القوانين الشرعية. وتحافظون على الأصوام المفروضة والصلوات المنصوصة، والقداسات المرفوعة والسهرانات بالتراتيل المسموعة، والصدقات على محاويجكم بقدر طاقتكم. ورفع القرابين من بكوركم وثمار غلاتكم. وتحافظوا على طهارة النفس والجسد والقلب. وتعتمدوا على الصوم الصلاة فى أوقاتها المفروضة ..." (٢)

ومن المعتقد أن كتاب "الدر الثمين فى إيضاح الدين" الذى ينسب إلى الأنبا ساويرس (ابن المقفع) إنما هو فى حقيقة الأمر قد كتبه البابا بطرس السابع.(٣)

---

١ ـ إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الرابع، مرجع سابق، ص ٢٧٣.

٢. المرجع السابق، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

٣ ـ المرجع السابق، ص ٢٧٨.

من تراث الآباء للقديس الأنبا ساويرس ـ من آباء القرن العاشر" الدر الثمين فى إيضاح الدين"، (القاهرة، ابناء البابا كيرلس السادس، ١٩٧٨م).

ومن لاهوتي القرن التاسع عشر ابراهيم روفائيل الطوخي (١٨٣٦م ـ ١٩٠٤م). كتب ستة مؤلفات في موضوعات دينية، كما راجع كتاب تفسير سفر الرؤيا لابن كاتب قيصر، وتولى طباعته على نفقته. ومن مؤلفاته:

- ردع أهل الجهالة في سر الكهنوت والاستحالة.
- تفسير فصول آحاد كيهك والصوم الكبير.(١)

ولاننسى كتاب "الأقباط في القرن العشرين" تأليف رمزي تادرس في خمسة أجزاء" (١٩١٠ ـ ١٩١١م). وكذلك كتاب "مختصر تاريخ الأمة القبطية في عصرى الوثنية والمسيحية". تأليف سليم سليمان الفيومي (١٩١٤م). ونذكر كذلك كتاب "القول اليقين في مسألة الأقباط الأرثوذكسين: تاريخ الأمة القبطية في العشرين سنة الأخيرة من ستة ١٨٩٣م ـ ١٩١٢م"، لمؤلفه يوسف منقريوس، وكتاب "نوابغ القبط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر "في جزئين (١٩١١م ـ١٩١٢م)، تأليف توفيق اسكاروس.(٢)

وكان من قادة الفكر المدافعين عن الكنيسة القبطية في مواجهة الإرساليات الأجنبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الإيغومانوس فيلوثاوس ابراهيم (١٨٣٧م ـ ١٩٠٤م). وقد ألف عدة كتب وهي: "نفخ العبير في الرد على البشير"، "الحجة الأرثوذكسية ضد اللهجة الرومانية"، "تنوير المبتدئين في تعاليم الدين"، "كتاب خطب ومواعظ"، "الخلاصة القانونية في الأحوال الشخصية"، "مختصر التعليم المسيحي"، "خطبة عن ميلاد المسيح"، "خطبة عن القيامة". وكتب الإيغومانوس فيلوثاوس كذلك عدة نبذات، نذكر منها: نبذة بعنوان "الله واحد"، ونبذة بعنوان: "حكمة الشريعة في ترجمة صلوات البيعة"، كذلك نُشرت للإيغومانوس فيلوثاوس مقالات عديدة في المجلات القبطية التي كانت تنشر في أيامه، وهي: "الحنان"، "النحلة"، "الحق"، "التوفيق".(٣)

ومن أشهر المؤلفين في القرن التاسع عشر يعقوب نخلة روفيلة (١٨٤٧م ـ ١٩٠٨م). ولعل أهم كتاب عُرف به: "تاريخ الأمة القبطية". وقد تمت طبعته الأولى عام ١٨٩٨. ثم قامت مؤسسة القديس مرقس لدراسات التاريخ القبطي بإصدار الطبعة الثانية من هذا الكتاب عام ٢٠٠٠م.(٤)

وقد حَفَل القرنان التاسع عشر والعشرون بعدد من الآباء الرهبان الذين اهتموا بالكتابة والتأليف ونسخ الكتب. نذكر منهم ثلاثة حملوا جميعاً اسم عبد المسيح.

الأول هو القمص عبد المسيح المسعودي الكبير (١٨١٩م ـ ١٩٠٥م) وقد وضع الكتب التالية:

- "كتاب الإيضاحات الجلية في أمانة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية".

---

١ ـ كامل صالح نخلة، سلسلة تاريخ البطاركة، الحلقة الخامسة، مرجع سابق، ص ١٧٢.
إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الرابع، مرجع سابق، ص ٢٨٢.

٢ ـ الراهب باسيليوس المقاري، "النهضة الكنسية في القرن العشرين"، مجلة مدارس الأحد، (القاهرة، السنة ٥٦، العدد الثالث والرابع، مارس ٢٠٠٢م)، ص ٨٧.

٣ ـ القس منسى يوحنا، كتاب تاريخ الكنيسة القبطية، مرجع سابق، ص ٦٦٤.
إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الرابع، ص ٢٧٧.

٤ ـ Aziz S. Atiya, "Yacoub nakhla Rufaylah", in Coptic Encyclopedia, Volume7, P. 2353.
يعقوب نخلة روفيلة، تاريخ الأمة القبطية، الطبعة الثانية، تقديم د. جودت جبرة، (القاهرة، ٢٠٠٠م).

- "كتاب الأجوبة الجلية على ست مسائل بروتستانتية".
- "كشف المستور عن تمويهات أتباع نسطور". (طبع فى كتاب واحد مع الكتاب السابق).
- "سيرة الأنبا باخوم أبى الشركة" (هذا الكتاب نقحه ورتبه من الكتب القديمة).

والثانى هو القمص عبد المسيح صليب. أما مؤلفاته فهى:

- "التحفة البرموسية فى شرح وتتمة قواعد حساب الأبقطى للكنيسة القبطية الأرثوذكسية".
- "كتاب الدرة النفيسة فى حسابات الكنيسة".
- "كتاب الكرمة أو كتاب الكنز الثمين فى كرامات المتقدمين".
- "تحفة السائلين فى ذكر أديرة رهبان المصريين".

(وقد صدرت هذه الكتب فى النصف الأول من القرن العشرين).

والثالث هو القمص عبد المسيح عبد الملاك وكانت ميوله تعبدية، فاهتم بنظم المدائح والإبصاليات للمناسبات الكنسية المختلفة.[1]

ومن المؤرخين الذين قاموا بالاهتمام بالتاريخ المصرى والقبطى فيما بين القرنين التاسع عشر والعشرين المؤرخ ميخائيل شاروبيم الذى قضى جانباً كبيراً من حياته فى تدوين مؤلفه الشهير "الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث" فى خمسة مجلدات.

وقد قام ميخائيل شاروبيم بنشر المجلدات الأربعة الأولى أثناء حياته. وتناول فى المجلد الأول تاريخ مصر القديم حتى نهاية الحكم الرومانى ودخول العرب مصر. وفى المجلد الثانى سجل تاريخ مصر فى العصور الوسطى والحكومات الإسلامية المتعاقبة حتى حكم السلطان سليم الثانى لمصر عام ١٥١٧م. ويتناول المجلد الثالث الحكم التركى وحكم المماليك. ويسجل المجلد الرابع تاريخ مصر الحديث منذ الحملة الفرنسية على مصر وحكم أسرة محمد على حتى عهد الخديوى توفيق.[2] وقد قام ميخائيل شاروبيم بجمع المادة الخاصة بالمجلد الخامس، وقامت بنشره دار الكتب المصرية فى قسمين: يتناول القسم الأول الفترة منذ وفاة الخديوى توفيق عام ١٨٩٢م حتى عام ١٨٩٥م. ويتناول القسم الثانى من المجلد الخامس الفترة من ١٨٩٦م حتى عام ١٩٠٠م. ويقع القسمان فى ١٢٣٩ صفحة.[3]

وتواصلت النهضة الأدبية للأقباط على امتداد القرن العشرين. فلقد أثرى الأنبا إيسيذوروس (١٨٦٧م - ١٩٤٢م)، أسقف دير البراموس، المكتبة القبطية بمؤلفاته الثمينة التى نذكر منها:

- "الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة".
- "التبر المسبوك فى تاريخ البطاركة والملوك".

---

١ - إيزيس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الخامس، ص ١٠٨ - ١٠٩.

٢ - Aziz S. Atiya, "Mikhail Sharubim". in Coptic Encyclopedia, Voluem 5, PP.1630 - 1631.

٣ - ميخائيل بك شاروبيم، الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث، الجزء الخامس، القسم الأول والقسم الثانى، تحقيق عبد الوهاب بكر (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٨م).

- "المطالب النظرية فى المواضيع الإلهية".
- "مشكاة الطلاب فى حل مشكلات الكتاب".
- "البيانات الوفية والبراهين الثاقبة".
- "مراه الحقائق الجلية فى حياة الكنيسة القبطية".
- "المراة الجلية فى تاريخ التوراه السبعينية وحسابات الكنيسة القبطية الأصلية الأرثوذكسية".
- "تعليم الدين باختصار".
- "مرشد العابد ودليل القاصد إلى وجوب العبادة".
- " كتاب مقالات مار افرام".
- "البرهان القاطع فى الرد على القبطى التابع".
- "المطالب النظرية فى الدروس الدينية".
- " كتاب الروضة الزهية فى المسامرات الدينية ".
- "كتاب وسائل التيسير فى علم التفسير".
- "حسن السلوك فى تاريخ البطاركة والملوك".
- "بلوغ المرام فى ترجمة سمعان الخراز والأنبا ابرام: أعجوبة نقل جبل المقطم".
- "رواية التجسد".
- "تنوير الاذهان بالبرهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربيه من زيغان".
- "رد افتراء ذوى المراء".
- "الأخاء والسلم بين الدين والعلم".
- "نظم الياقوت فى سر الكهنوت".
- "الجاسوس على البرهان المحسوس أو الدليل الملموس فى ثبات الرهبنة ووجوب ترمل القسوس".
- "بيان البهتان الموجود فى كتاب شرح أصول الإيمان للبروتستانت".
- "الوضع الإلهى فى تاسيس الكنيسة".(١)

ومن الشخصيات القبطية فى مجال التاليف جرجس فيلوثاوس عوض (١٨٦٧م- ١٩٥٥م)

١. Aziz S. Atiya, "Isidhurus", im Coptic Encyclope' a, Volume 4, P. 1307.
الأب الراهب باسيليوس المقارى، "النهضة الكنسية فى القرن العشرين"، مرجع سابق، ص ٨٦.
أمير نصر، العلامة الأرثوذكسى الأسقف إيسيذورس أول رئيس لدير البراموس (١٨٩٧ - ١٩٤٢)، مراجعة الأنبا إيسيذورس اسقف ورئيس دير البراموس، (دير السيدة العذراء البراموس، ٢٠٠٩م)، ص ٨٢ - ٩٣.

الذى قام بتأليف ونشر العديد من كتب الهامة نذكر منها:

- "حكمة الشريعة فى ترجمة صلوات البيعة".
- "تنوير المبتدئين فى تعاليم الدين".
- "الحجة الأرثوذكسية".
- "الخلاصة القانونية فى الأحوال الشخصية".
- "تاريخ الإيغومانوس فيلوثاوس".
- "تهذيب الأخلاق ليحيى بن عدى".
- "تاريخ أبى الإصلاح القبطى (كيرلس الرابع)".
- "تاريخ المجلس الملى ولائحته".
- "القول اليقين فى وجوب انتخاب البطاركة من المتزوجين".(١)

وكان للأرشيدياكون حبيب جرجس (١٨٧٦م - ١٩٥١م). تأثير كبير فى حياة الكثيرين من الأقباط. فإلى جانب "مجلة الكرمة" التى أصدرها لمدة سبعة عشر عاماً منذ عام ١٩٠٦م، فإنه قام بتأليف الكتب الخاصة بتعليم الدين المسيحى لتلاميذ المدارس تحت عنوانين كان لهما أثر فعال فى حياة الكثير من الأجيال من أبناء وبنات الأقباط. وكانت السلسلة الأولى بعنوان "الكنز الأنفس"، والثانية بعنوان "المبادىء المسيحية". كما ألف العديد من الكتب التى لاتزال منتشرة بين الأقباط، نذكر منها:

- "أسرار الكنيسة السبعة".
- "سر التقوى".
- "عزاء المؤمنين".
- "الصخرة الأرثوذكسية".
- "القديس مرقس الإنجيلى مؤسس الكنيسة المصرية".
- "الإصلاحات العملية للكنيسة الأرثوذكسية".(٢)

ولعل من أهم القيادات الفكرية القبطية فى النصف الأول من القرن العشرين القس منسى يوحنا (١٨٩٩م - ١٩٣٠م). ففى فترة حياته القصيرة على الأرض ترك تراثاً هاماً ماتزال الأجيال تنهل منه. فلقد ترك لنا كتباً هامة بلغة سلسلة شيقة للقارىء وهى:

- "كتاب تاريخ الكنيسة القبطية".
- "حل مشاكل الكتاب المقدس".

---

١ - قاموس التراجم القبطية، (الإسكندرية، جمعية مارمينا العجايبى للدراسات القبطية بالإسكندرية، ١٩٩٠م)، ص ٦٤.
٢ - المرجع السابق، ص ٧١ - ٧٢.

- "كمال البرهان على حقيقة الإيمان للأنبا أثناسيوس الرسولي".
- "القديس يوحنا فم الذهب أوخطيب مدينتين".
- " الدليل الصحيح على تأثير دين المسيح".
- "حياة آدم".
- "طريق السماء".
- "يسوع المصلوب".
- "النور الباهر في الدليل إلى الكتاب الطاهر".
- "قارورة طيب كثيرة الثمن".
- "تعليم الدين باختصار".
- "شمس البر".
- "تاريخ انتشار الديانة المسيحية".
- "رد على انتقاد الأب لويس شيخو لكتاب تاريخ الكنيسة".(١)

ومن الكتب التي أقبل عليها الشباب على وجه الخصوص في النصف الأول من القرن العشرين مؤلفات الإيغومانس إبراهيم لوقا راعي كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة (١٨٩٧م- ١٩٥٠م). نذكر منها:

- "منتخبات الترانيم" (١٩١٩م).
- "بحث في حقيقة الإيمان" (١٩٢٢م).
- "اهرب لحياتك" (١٩٢٣م).
- "التناول من الشركة المقدسة" (١٩٢٧م).
- "مرض خطير وطبيب قدير" (١٩٣٢م).
- "العفاف" (١٩٣٢م).
- "تأملات روحية في إنجيل متى" (١٩٣٥م).
- "رسائل مجملة عن الكنيسة القبطية وعقائدها القويمة" (١٩٣٧م).
- "المسيحية في الإسلام (١٩٣٨م)".
- "بيان ثم احتكام (١٩٣٩م)".
- "دليل العبادة المتحدة" (١٩٤٠م).

---

١ - إبريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الخامس، مرجع سابق، ص ٩٧.

- "إلى الأعماق" (١٩٤٤م).
- "البطاركة ومن أى فئة يختارون" (١٩٤٦م).
- "هل رجعت إلى نفسك (١٩٤٧م)".
- "يوم الرب" (١٩٥٠م).

وهناك عديد من المؤلفات التى لم تطبع بعد من كتابات الإيغومانس ابراهيم لوقا.[١]

ولا ننسى فى النصف الأول من القرن العشرين القمص ميخائيل ميخا (١٨٨٣م- ١٩٥٦م) الذى اشتهر بعظاته فى الكنائس إلى جانب خدمته كمدير لكلية الرهبان اللاهوتية بحلوان. ويعتبر مؤلفه الشهير "علم اللاهوت" بأجزائه الثلاثة موسوعة لاهوتية. وله مؤلفات أخرى نذكر منها: "تحفة هذا الجيل فى شرح التوراة والإنجيل".[٢]

وكان الأرشيدياكون بانوب عبده (١٨٩٦م-١٩٦٧م). من الوعاظ الذين كانت لهم شهرة واسعة فى النصف الأول من القرن العشرين. وقد قام بنشر عظاته فى ستة أجزاء من الحجم الكبير فيما بين أعوام ١٩٥٢م- ١٩٦٥م. وقد تميز كتاب "كنوز النعمة لخدام الكلمة" بالربط بين القراءات التى تقرأ أثناء القداس: البولس والكاثوليكون والإبركسيس والسنكسار والمزمور والإنجيل. وفى هذا كله يؤكد على وحدة المعرفة اللاهوتية والعقيدية والطقسية فى تعليم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

وفى عام ١٩٣٢م أصدر الأرشيدياكون بانوب عبده كتاب "المحدث الأمين". وهو كتاب يحتوى على عرض للتاريخ المسيحى عبر العصور.[٣]

وفى عام ١٩٣٤م نشر الأرشيدياكون اسكندر حنا (١٨٨٠م- ١٩٤٤م) كتابه "إيضاحات الإخلاص فى طريق الخلاص".[٤]

وقام الشماس كامل صالح نخلة بتأليف سلسلة من خمسة أجزاء عن "تاريخ البطاركة منذ عهد البابا كيرلس الثالث حتى عهد البابا ديمتريوس (من البطريرك الخامس والسبعين حتى البطريرك المائة والحادى عشر). وقد قام دير السريان بطبعه لأول مرة فيما بين الأعوام ١٩٥١م- ١٩٥٤م، ثم أعاد طبعه طبعة ثانية مابين عامى ٢٠٠١ - ٢٠٠٢.[٥]

وقام فرنسيس العتر (١٨٨٤م-١٩٧٤م) رئيس شماسة الكنيسة البطرسية بشارع رمسيس

---

١ - أرشيدياكون فايز رياض، جهاد كاهن: من مكتبة الإيغومانوس ابراهيم لوقا، (القاهرة ١٩٨٦م). ص ٥٧ - ٥٨.

٢ - جمعية مارمينا العجايبى للدراسات القبطية بالإسكندرية، قاموس التراجم القبطية، مرجع سابق، ص ٢٤ - ٢٥.

٣ - المرجع السابق، ص ٤٥. بولس عياد عياد، من مشاهير أقباط القرن العشرين: الأرشيدياكون عياد عياد، مراجعة القمص إشعياء ميخائيل بياوى، (القاهرة، ٢٠٠٢م).

٤ - قاموس التراجم القبطية، مرجع سابق، ص ٢٤ - ٢٥.

٥ - الشماس كامل صالح نخلة، سلسلة تاريخ الباباوات بطاركة الكرسى الإسكندرى، تنقيح ومراجعة الأنبا متاؤس أسقف دير السريان العامر، ٢٠٠١ - ٢٠٠٢).

الحلقة الأولى: البابا كيرلس الثالث (١٢٣٥ - ١٢٤٢م).

الحلقة الثانية: من البطريرك ٧٦ إلى البطريرك ٨٦ (١٣٥٠م - ١٣٧٨م).

الحلقة الثالثة: البابا متاؤس الأول البطريرك ٨٧ (١٣٧٨ - ١٤٠٨م) والأنبا غريغ (الشهير بالأنبا رويس).

الحلقة الرابعة: من البطريرك ٨٨ إلى البطريرك ١٠٣ (١٤٠٩ - ١٧١٨م).

الحلقة الخامسة: من البطريرك ١٠٤ إلى البطريرك ١١١ (١٧١٨- ١٩٠٦م).

بالعباسية بتأليف عدد من الكتب، نذكر منها:

- "كتاب طقس مسحة الملوك" ـ ترجمه من العربية إلى الفرنسية بمناسبة تتويج الإمبراطور هيلاسيلاسي عام ١٩٣٠، بأمر من البابا يؤنس التاسع عشر.
- "الردود الأرثوذكسية" (١٩٣٥).
- "المسألة القبطية" (١٩٤٣).
- "العرب والعربية" (١٩٤٩).
- "الأمة القبطية وكنيستها الأرثوذكسية" (١٩٥٣).(١)

ومن القيادات القبطية التي ساهمت في حركة التأليف في النصف الأول من القرن العشرين القمص ميخائيل سعد ابراهيم راعي كنيسة السيدة العذراء والقديس يوسف بسموحة بالإسكندرية، ومؤسس "بيت النعمة للخدمات" ومن مؤلفاته:

- "كتاب مراحل الصلاة والحياة الروحية".
- "سيرة القديس الأنبا ابرام أسقف الفيوم الأسبق".
- "سيرة القديس الأنبا صرابامون".
- "سيرة القديس يوسف البار".
- "رسائل في اللاهوت والعقيدة" (٢١ رسالة).(٢)

وتعتبر شخصية القمص مرقس سرجيوس (١٩٨٣م ـ١٩٦٤م). من الشخصيات التي تحظى بحظ وافر من الدراسة. سواء على المستوى الوطني أو على المستوى الكنسي. فقد لقبه سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩م باسم "خطيب الثورة".

وكانت كتاباته في مجال الإصلاح تغضب القيادات الكنسية. وقد أعاد البابا كيرلس السادس إلى القمص سرجيوس كرامته بإعادته إلى رتبته الكهنوتية وبالصلاة على جثمانه في كاتدرائية القديس مرقس الرسول بالأزبكية.(٣)

فإلى جانب مجلة المنارة المصرية التي كان ينادي فيها بالإصلاح بجرأة غير معهودة، فإن مؤلفاته تستحق أن ترى النور لمنفعة الأجيال. وللقمص سرجيوس عدد كبير من الكتب "التي دافع فيها عن العقيدة الأرثوذكسية، من الكتاب المقدس، بل استند أيضاً إلى الكثير من الآيات القرآنية وبعدد من كبار المفكرين المسلمين. كذلك كتب الكثير من المقالات في غير مجلته كان يوقع عليها باسم "يونس المهموز".(٤)

وقام الأنبا ديسقورس أسقف المنوفية (١٩٠٥ ـ ١٩٧٦) بإصدار الجزء الأول من كتاب "موجز

---

١ ـ جمعية مارمينا العجايبي للدراسات القبطية بالإسكندرية، قاموس التراجم القبطية، مرجع سابق، ص ١٦٩.

٢ ـ جمعية مارمينا العجايبي، المرجع السابق، ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

٣ ـ Ibrahm Hilal, "Sarjiyus, Malaty", in Coptic Encyclopedia, Volume 7, PP. 2096- 2097.

٤ ـ إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الخامس، مرجع سابق، ص ١٠٥ـ ١٠٦.

تاريخ المسيحية" عام ١٩٤٩م. ثم أصدر الجزئين الثانى والثالث من هذا الكتاب عام ١٩٦٠م. كما أصدر "تاريخ دير السيدة العذراء برموس" عام ١٩٦٠م.(١)

ومن الشخصيات التى أثرت المكتبة القبطية والمصرية بوجه عام إيريس حبيب المصرى (١٩١٠م ـ١٩٩٤م). ولعل أشهر ما كتبته "قصة الكنيسة المصرية: وهى تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية التى أسسها مارمرقس البشير" فى تسعة أجزاء.(٢) كما كان لها كتباً أخرى عن شخصيات قبطية منها: "قصة الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والاجتماعية"، "حبيب المصرى". كما اهتمت بالكتابة للمرأة وعنها، ومن ذلك: "المرأة العصرية فى مواجهة المسيح"، "الجهاد الروحى للمرأة"، ولها خمسة كتب عن السيدة العذراء. ولها كذلك "ظل الخيرات العتيدة"، "نحو هدف أمثل"، "الحصاد"، "السنكسار الجديد". ولها كتب فى علم النفس والتربية. كما قامت بترجمة عدد من الكتب.(٣)

وقد حفل النصف الثانى من القرن العشرين بفيض حركة التأليف والنشر. وقد قام مجلس كنائس الشرق الأوسط بإصدار "دليل الكتاب المسيحى" فى جزأين. الجزء الأول يسجل ماصدر من كتب مسيحية منذ عام ١٩٥٠م حتى عام ١٩٧٩م،(٤) والجزء الثانى يسجل الكتب المسيحية التى صدرت مابين عامى ١٩٨٠م ـ ١٩٩٠م.(٥) وسوف نذكر منهما ما يخص الكتب الصادرة عن مؤلفين من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. ففى الفترة من ١٩٥٠م ـ ١٩٧٩م صدرت الكتب التالية:

فى مجال الكتاب المقدس وتفاسيره والمناقشات حوله نذكر:

للأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف والبهنسا دراسات فى "إنجيل متى"، "وإنجيل يوحنا".

وللدكتور مراد كامل "الكتب التاريخية فى العهد القديم".

وللقمص متى المسكين، "كيف تقرأ الكتاب المقدس"، "أيقونة جميلة". "التوبة والنسك فى الإنجيل" وللقمصين بفنوتيوس السريانى ووبصا السريانى "تأملات روحية فى المزمور الكبير ١١٨".

ولوليم سليمان قلادة ترجمة "تفسير المزامير" للقديس أوغسطينوس.

وللأنبا غريغوريوس" امرأة من لبنان"، "المولود أعمى أو أحد التناصير".

وللقمص سمعان السريانى "تفسير أناجيل أسبوع الآلام".

وللقس مرقس داود تعريب "تفسير المزمور المائة والتاسع عشر" لمتى هنرى.

"تفسير رسالتى بولس الرسول الأولى والثانية إلى تيموثاوس" لنفس المؤلف.

وللأرشيدياكون رمسيس نجيب "معاملات المسيح مع الخطاة".

---

١ ـ قاموس التراجم القبطية، مرجع سابق، ص ٨٧.

٢ ـ دورا حبيب المصرى، إيريس حبيب المصرى: مؤرخة قصة الكنيسة القبطية، (القاهرة، ١٩٩٦م)، ص ١٣٧ ـ ٢٣٩.

٣ ـ المرجع السابق ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤٣.

قاموس التراجم القبطية، (مرجع سابق) ، ص ٤٠-٤١.

٤ ـ مجلس كنائس الشرق الأوسط، دليل الكتاب المسيحى، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٨٠م).

٥ ـ مجلس كنائس الشرق الأوسط، دليل الكتاب المسيحى، (بيروت، دار الشروق، المكتبة الشرقية، ١٩٩٣م).

وللقس بيشوى كامل تعريب "الموعظة على الجبل" القديس بولس الرسول."

ولوريس تواضروس "الإيمان فى رسائل القديس بولس الرسول".

ولكمال استينو "معنى إسرائيل فى الكتاب المقدس".

وفى مجال العقيدة :

لقداسة البابا شنودة الثالث "كلمات المسيح على الصليب".

وللأب متى المسكين "كلمة الله"، "مع المسيح فى الآمه وموته وقيامته"، "أعياد الظهور الإلهى، "الإيمان بالمسيح"، "التبرير بين الماضى والحاضر"، "الصوم الأربعينى المقدس"، "العنصرة"، "المواهب الكنسية"، "الكنيسة الخالدة"، "تأملات فى القداس الإلهى"، "الروح القدس وعمله داخل النفس"، "الصليب المقدس".

ولهانى رزق "أسس التدين المسيحى"، "يسوع المسيح فى ناسوته ولاهوته". "الأفخارستيا والقداس". "علم السلوك المسيحى".

وللأنبا غريغوريوس "الإلحاد وكيف نجابهه"، "أنت المسيح بن الله الحى"، "المسيح ملكنا".

ولناشد حنا "الروح القدس: أقنوميته ولاهوته وأعماله".

ولقديس مصرى "الروح القدس والحياة فى المسيح".

ولجورج بباوى تعريب "شرح تجسد الإبن الوحيد" تأليف القديس كيرلس الاسكندرى، "لماذا اعتمد المسيح"، "نور العالم".

ولنصحى عبد الشهيد "الصليب والمعمودية والامتلاء من الروح القدس".

وللقس يوحنا حنين "سر الصليب".

وللقمص متياس فريد تعريب "فى شبه الناس" تأليف القديس يوحنا فم الذهب.

وللقمص ابراهيم جبرة "قيامة المسيح فى ضمير التلاميذ".

ولزكى شنودة "المسيح".

وللقمص تادرس يعقوب ملطى "المسيح فى سر الأفخارستيا".

ولراهب من دير السريان "وضع نفسه".

وللقس مرقس عبد المسيح "التبرير والتقديس".

وللقس بيشوى عبد المسيح "دراسة لعقائد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من خلال الإنجيل المقدس".

وللدكتور راغب عبد النور "الذبيحة ممتدة ومستمدة".

وللأنبا يؤانس "السماء".

وللأنبا يؤانس "السماء".

وللقس يوسف أسعد "خواطر القيامة".

وفى مجال التربية والأخلاق المسيحية:

لسليمان نسيم "تاريخ التربية القبطية"، "العلاقات الأسرية في ضوء المسيحية".

ولكمال حبيب (الأنبا بيمن فيما بعد) "العفاف المسيحى"، "الأسرة المسيحية".

وللأرشيدياكون رمسيس نجيب "العفة".

وللأنبا غريغوريوس "الأم"، "الرأى المسيحي في تحديد النسل".

وللقس يوسف أسعد "الأم بين التاريخ المقدس وتاريخ الكنيسة"، "كيف يتعامل الخطيبان"، "كيف يختار الإنسان شريك حياته".

وللأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف والبهنسا والمطران زكا عيواص (بطريرك السريان الأرثوذكس حالياً) والأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والاجتماعية "تنظيم الأسرة".

ولوريس أسعد "الأسرة والانفجار السكانى فى مصر"، "التوافق الزوجى ووسائل تنظيم الأسرة".

وللأب متى المسكين "رأى في تحديد النسل".

وفى مجال التعليم المسيحى:

لقداسة البابا شنودة الثالث "انطلاق الروح".

وفى مجال تاريخ الكنيسة:

للقمص شنودة السريانى (الأنبا يؤنس أسقف الغربية) الاستشهاد في المسيحية"، "الكنيسة المسيحية في عصر الرسل".

ولسعد سعد "أمجاد العصر القبطى".

ولرؤوف حبيب "تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر وآثارها الإنسانية على العالم".

ولحليم أرمانيوس "تاريخ شهداء الأقباط فى عصر الرومان".

ولراد كامل "حضارة مصر فى العصر القبطى".

وللقس مرقس داود تعريب "حياة قسطنطين العظيم" تأليف يوسابيوس القيصرى.

ولراغب عبد النور "خدمة الكنيسة وطنياً وعالمياً".

وللأنبا غريغوريوس "الدير المحرق".

وللأب متى المسكين :"الرهبنة القبطية فى عصر القديس أنبا مقار".

للأنبا غريغوريوس "الالتزام الاجتماعي في فكر الآباء وتاريخ الكنيسة.

ولجورج بباوى تعريب "الأم المسيح وقيامته في إنجيل يوحنا" للقديس كيرلس الإسكندرى. وتعريب "شرح تجسد الابن" تأليف القديس كيرلس الإسكندرى.

وللقس مرقس داود تعريب "تجسد الكلمة" تأليف القديس أثناسيوس الرسولي.

وللأب متى المسكين "التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي".

ولكنيسة مارجرجس باسبورتنج تعريب كتاب "الرعاية" تأليف القديس غريغوريوس الكبير

وللقمص تادرس يعقوب ملطي تعريب "سنعود بقوة أعظم" تأليف القديس يوحنا فم الذهب، "في الحب الأخوى"، وتعريب "من يقدر أن يؤذيك" تأليف القديس يوحنا فم الذهب.

وللقمص متى جندى تعريب "العظات الذهبية" تأليف القديس يوحنا فم الذهب.

وفي مجال الخدمة الكنسية:

للأب متى المسكين "الخدمة للكهنة والمكرسين وكافة الخدام".

وللقس يوسف أسعد "سلامة إخوتي الخدام".

وفي مجال الحركة المسكونية والكنيسة في العالم:

لقداسة البابا شنودة الثالث "رأى المسيحية في إسرائيل"، "المسيحية وإسرائيل".

وللأنبا غريغوريوس "وثائق للتاريخ".

وللأب متى المسكين "الوحدة المسيحية"، "المسيحي في المجتمع"، "مقالات في السياسة والدين".

وللأنبا بيمن "الرؤية الأرثوذكسية نحو العالم".

ولإيريس حبيب المصري "نحو هدف أمثل".

وفي مجال الحياة الرهبانية:

للقمص صموئيل تواضروس "الأديرة العامرة".

وللجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف والبهنسا طبع "بستان الرهبان"، تأليف آباء الكنيسة القبطية.

وللقمص شنودة السرياني (الأنبا يؤانس أسقف الغربية) "بستان الروح".

وفي مجال الدراسات الليتورجية:

للأب تادرس يعقوب ملطي "المسيح في سر الأفخارستيا".

وللقس متياس فريد "ترتيب قراءات أسبوع الآلام".

وللقس لوقا سيداروس "تأملات فى عيد الصليب".

وللقمص سمعان السريانى "تفسير أناجيل أسبوع الآلام"، "روحانية قراءات أحاد الصوم المقدس".

ولأسرة التربية الكنسية بحارة السقايين "جهاد أيوب".

وللأب متى المسكين "الصوم الأربعينى المقدس"، "عيد الشهداء"، "عيد الصعود والعنصرة"، "التسبحة اليومية ومزامير السواعى".

ولكمال حبيب (الأنبا بيمن أسقف ملوى) "مستويات تدريس الأعياد".

وللأرشيدياكون فايز رياض "دليل العبادة فى أسبوع الآلام".

وللقس صرابامون باسيليوس "صلوات وطقس الجمعة العظيمة"

وليوسف حبيب "القداس الكيرلسى"، "المنتخب من المدائح الكنسية".

ولمكتبة المحبة "مدائح كيهك".

وفى مجال حياة الرب يسوع المسيح:

لقداسة البابا شنودة الثالث "كلمات السيد المسيح على الصليب".

وللقس منسى يوحنا "يسوع المصلوب".

وللأنبا غريغوريوس "العذراء فى الزيتون".

وللأب متى المسكين "القديسة العذراء مريم ثيوتوكوس".

ولسليمان نسيم "مصر تستقبل العذراء".

ولنخبة من الآباء الأقباط الأرثوذكس "اللآلىء السنية فى الميامر والعجائب المريمية".

وفى مجال سير القديسين:

لآباء الكنيسة القبطية "بستان الرهبان" (مراجعة وتصحيح لجنة التحرير والنشر بمطرانية بنى سويف والبهنسا).

ولحليم أرمانيوس "تاريخ شهداء الأقباط فى عصر الرومان".

ولميلاد زكى بطرس "حيوانات فى سير القديسين".

وللأب متى المسكين "القديس أنطونيوس ناسك إنجيلى".

وللقس يوسف أسعد "الكاروز العظيم" ماربولس الرسول".

وللقس منسى يوحنا وعبد القادر الجرجانى "يوحنا فم الذهب".

ولإيريس حبيب المصرى "حبيب المصرى".

وللقس مرقس داود تعريب "حياة قسطنطين العظيم" تاليف يوسابيوس القيصري.

وللانبا ميساك "سيرة الانبا بيشاى والانبا بطرس".

وفى مجال الكتب الروحية والتقوية:

لقداسة البابا شنودة "انطلاق الروح".

وللاب متى المسكين "تغيروا عن شكلكم"، "توجيهات فى الصلاة"، "حبة الحنطة"، "حياة الصلاة الأرثوذكسية"، "الخدمة" (فى ثلاثة أجزاء)، "الاقتداء بالمسيح فى المفهوم الأرثوذكسى"، "مع المسيح فى الآمه وموته وقيامته".

وللقمص تادرس يعقوب ملطى "الحب الأخوى".

وللقس مرقس داود "القراءات اليومية فى الكتب السماوية"، الزرع والحصاد"، وتعريب "الحياة الخالدة" تاليف د.ل. مودى وللأرشيدياكون رمسيس نجيب "المحبة".

ولإيريس حبيب المصرى ولكمال حبيب (الأنبا بيمن) تعريب "مقالتان فى الروحانية الأرثوذكسية" تاليف الآب توماس هوبكو.

وليسى حنا "الكنز الصالح"

ولكنيسة مارجرجس باسبورتنج "يوم مع الرب يسوع".

وللانبا غريغوريوس "امراة من لبنان".

وللقمص ابراهيم الأنبا بيشوى "قاموس الآيات لتكوين العظات".

ولميلاد زكى "مفتاح المعرفة".

وفى مجال الفن القبطى:

لسعاد ماهر "الفن القبطى".

وفى مجال الدين المقارن:

لوليم سليمان "الحوار بين الأديان".

ويقدم الجزء الثاني من كتاب دليل الكتاب المسيحي الكتب المسيحية التي نشرت في الفترة بين ١٩٨٠م - ١٩٩٠م.

ففي مجال نصوص ودراسات الكتاب المقدس:

لقداسة البابا شنودة الثالث "تأملات في سفر يونان النبي"، "تأملات في مزامير الأجبية"، "يارب لماذا"، "شخصيات الكتاب المقدس"، "آدم وحواء"، "قايين وهابيل".

للجنة برئاسة الأنبا غريغوريوس. ترجمة "انجيل يوحنا".

وللقس مكاري يونان "كتاب الله".

ولصموئيل كامل عبد السيد وموريس تواضروس "اللغة اليونانية للعهد الجديد - الكتاب الأول".

وللقمص بيشوى عبد المسيح بشاى "إعرف كتابك: الكتاب المقدس والأسفار القانونية الثانية"، "الصلاة بالمزامير".

وللأنبا موسى "الأناجيل والأعمال"، "رسائل الكاثوليكون".

ولموريس تواضروس "العهد الجديد: منهج لدراسته"، تفسير سفر الرؤيا".

ولأحد الآباء الرهبان "كيف وصلنا العهد الجديد".

وللقمص تادرس يعقوب ملطى "من تفسير وتأملات الآباء الأولين" فى ثلاثة عشر جزءاً.

وللأنبا متاؤس "تأملات روحية فى مزامير النوم" فى جزئين، "تأملات روحية فى المزمور الكبير".

وللقمص مرقس داود "تأملات هادئة فى سفر أستير"، تعريب "الرسالة إلى الوثنين للقديس اثناسيوس الرسولى".

وللأنبا غريغوريوس "تأملات وتعليقات على رسالتى القديس بولس الرسول إلى تيموثاوس"، "مقالات فى الكتاب المقدس".

وللأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف والبهنسا "دراسات فى سفر أعمال الرسل".

وللأب متى المسكين "المدخل لشرح إنجيل يوحنا".

وللقس مرقس عزيز خليل "الأسفار المحذوفة: قانونيتها والرد على الإعتراضات الموجهة إليها"، "الإعجاز فى الكتاب المقدس: معجزة الأعداد والأرقام".

ولليشع حبيب "الأسبوع الأخير".

وليوسف عدلى "أسئلة حول الإنجيل" مراجعة وتقديم الأنبا موسى.

وللقس ابراهيم عبد السيد "الخمر من وجهة نظر مسيحية".

وللقمص عبد المسيح توفيلس النخيلي "رؤى الآباء والأنبياء".

ولسمير لطفي "عصر المكابيين".

وللقس منسي يوحنا "كتاب حل مشاكل الكتاب المقدس".

وفي مجال العقيدة:

لقداسة البابا شنودة الثالث "سنوات مع أسئلة الناس: الجزء الثاني أسئلة لاهوتية وعقائدية"، "الكهنوت"، "بدعة الخلاص في لحظة".

وللأنبا أثناسيوس مطران بني سويف والبهنسا "المسيح والإنسانية".

وللأنبا غريغوريوس "موجز الإعتقاد في وحدانية الله"، "القيم الروحية المنطوية في عقائد وطقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: الجزء الثاني في سر المعمودية".

وللأنبا موسى "أسئلة حول التجسد"، "دراسة مبسطة في كتاب تجسد الكلمة: القديس العظيم أثناسيوس الرسولي يشرح التجسد".

ولوريس تواضروس ونصحي عبد الشهيد تعريب عن اليونانية "رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي".

ولصموئيل كامل عبد الشهيد تعريب عن اليونانية "المسيح في رسائل القديس أثناسيوس".

ولوريس تواضروس "علم اللاهوت العقيدي" في سبعة أجزاء.

ولإيبارشية المنيا وأبو قرقاص "الكفن المقدس: حديث علمي مؤثر عن الآم الرب يسوع".

ولشرابي إسكندروس "الهيبوستاس أو الأقانيم الإلهية في الله الواحد الأحد" تقديم الأنبا غريغوريوس.

وللقمص تادرس يعقوب ملطي "بنوتي للآب الكاهن".

وفي مجال التربية والأخلاق:

لقداسة البابا شنودة الثالث "إدانة الآخرين"، "الغضب".

وللقس مكاري يونان "احفظ نفسك طاهراً".

ولسليمان نسيم "التربية في العصر القبطي"، "الشباب والجنس وحياة الطهارة"، "فترة الخطبة".

وللأنبا غريغوريوس "الختان في المسيحية"، "الربا الحرام والربا الحلال"، "المسيحية والتدخين".

ولعادل حليم "الجسد في المفهوم المسيحي"، "الرجولة والأنوثة: رؤية مسيحية"، "الجنس والزواج: دراسة إنسانية مسيحية".

وللأنبا موسى "الشباب وحياة الطهارة"، "كيف أتخذ قراراً"، "كيف نخدم الشباب".

ولنبيل صبحي حنا "علاقات الخطيبين".

وللأنبا أثناسيوس مطران بني سويف والبهنسا "الإرشاد الأسري في الكنيسة".

ولموريس أسعد وآخرين "الأسرة والطفل المسيحي في المجتمع المعاصر".

وللأنبا بيمن "الطفولة من منظور مسيحي".

ولموريس تواضروس "الفهم المتبادل بين الزوجين"، "المحبة بين الأخوين".

ولفيليب اسكاروس "طرق التدريس في مدارس الأحد".

وفي مجال تاريخ الكنيسة:

لإيريس حبيب المصري "قصة الكنيسة القبطية" في تسعة أجزاء، "لماذا نسينا؟".

ولباقي جيد بشارة "أضواء على تاريخ ظهور البروتستانت في أوروبا وفي مصر".

ولسليمان نسيم "الأقباط والتعليم في مصر الحديثة" تقديم الأنبا غريغوريوس وعزيز سوريال عطية، "الشباب والقضايا الاجتماعية".

وللقمص ميصائيل بحر "بحث تاريخي عن إيبارشية ملوى وأنصنا والأشمونين".

ولماجد القمص تادرس "تاريخ إيبارشية سمالوط وطما مع سيرة مارفام الجندي الطحاوي وتاريخ كنيسة أبنوب الحمام".

وللقس منسي يوحنا "تاريخ الكنيسة القبطية".

وللراهب القس صموئيل السرياني وبديع حبيب جورجي "الدليل إلى الكنائس والأديرة القديمة".

ولوليم سليمان قلادة وآخرين "الشعب الواحد والوطن الواحد: دراسة في أصول الوحدة الوطنية"، ولوليم سليمان قلادة "المسيحية والإسلام على أرض مصر".

ولرياض سوريال "المجتمع القبطي في القرن التاسع عشر".

وللقمص تادرس يعقوب ملطي "التقليد والأرثوذكسية"، "قانون إيمان الرسل: الديداكية"، "القديس إكليمندس الروماني".

ولأبناء الأنبا شنودة رئيس المتوحدين "دير السيدة العذراء براموس: تاريخه، قديسوه، آباؤه".

وللأب متى المسكين "دير القديس أنبا مقار والرهبنة في مصر".

وللأنبا باخوميوس مطران البحيرة وخمس مدن الغربية "الرهبنة القبطية".

ولإميل نصر "دير القديسة دميانة بالبرارى".

وفى مجال الدراسات الليتورجية:

لقداسة البابا شنودة الثالث "تأملات فى أسبوع الآلام"، "تأملات فى الميلاد"، تأملات فى يوم الجمعة العظيمة"، "تأملات فى يوم خميس العهد".

وللأنبا متاؤس "دراسات وتأملات فى الثلاثة قداسات".

وللقمص سمعان السريانى "روحانية قراءات شهر كيهك".

وفى مجال سير القديسين:

للأنبا متاؤس "الأنبا متاؤس الفاخورى".

ولرشدى واصف بهمان "سيرة الشهيد مار بقطر شو وتاريخ كنيسته بدير شو".

ولنادر سعيد كامل "الشهيد العظيم الأمير تاوضروس (تادرس المشرقى) والشهيد الأمير أقلوديوس ابن الملك ابطلماوس".

ولأنيس موريس "القديس أبانوب النهيسى وكنيستة بسمنود".

ولأبناء أنبا شنودة رئيس المتوحدين "القديس أنبا بولا أول السواح" مراجعة الأنبا بنيامين " من الآباء السواح" مراجعة الأنبا باكوبوس.

ولأمير نصر "القديس العظيم الأنبا شنودة رئيس المتوحدين" تقديم الأنبا كيرلس، "مارمرقس الرسول ومدرسة الإسكندرية "تقديم الأنبا موسى.

وللقمص تادرس يعقوب ملطى "القديس يوحنا ذهبى الفم".

وللأنبا غريغوريوس "القديس يوسف النجار خطيب العذراء مريم".

وفى مجال الكتب الروحية والعامة:

لقداسة البابا شنودة الثالث "الله والإنسان: ١. الله وكفى - ٢. الوجود مع الله"، "حروب الشياطين"، "حياة التوبة والنقاوة"، "الرجوع إلى الله"، "السهر الروحى"، "كلمة منفعة - أربع أجزاء"، "كيف نبدأ عاماً جديداً"، "الهدوء"، "اليقظة الروحية"، "خبرات فى الحياة"، "كلمات السيد المسيح على الصليب".

وللأنبا يؤنس أسقف الغربية "بستان الروح - جزء٣".

ولعادل حليم "هل أنا حقاً مسيحى؟".

وللأب متى المسكين "المسيح قام ... حقاً قام".

وللأنبا غريغوريوس "الرأى المسيحى فى أطفال الأنابيب ونقل الأجنة".

نشر الكتاب المسيحى وتوزيعه

منذ أواخر القرن التاسع عشر بدأت طباعة الكتب المسيحية ونشرها وتوزيعها. وعلى امتداد القرن العشرين نهضت الأديرة والإيبارشيات والكنائس فى مجال نشر الكتاب المسيحى وتوزيعه. فتكاد لاتخلو كنيسة من مكتبة لتوزيع الكتب المسيحية والكاسيتات الصوتية وأشرطة الفيديو والأشرطة المغنطة. كما أن هناك مبادرات فردية لأشخاص وجمعيات قبطية لنشر الكتاب المسيحى. وفيما يلى نذكر أهم دور النشر والمكتبات القبطية:

- منشورات قداسة البابا شنودة الثالث.
- منشورات الدراسات العليا اللاهوتية والبحث العلمى (الأنبا غريغوريوس، منذ عام ١٩٦٧م).
- لجنة التحرير والتأليف والنشر بمطرانية بنى سويف (الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف والبهنسا ١٩٦٢ ـ ٢٠٠١).
- منشورات مطرانية ملوى.
- منشورات أسقفة الشباب.
- مكتبة كنيسة مارجرجس ـ سيورتنج بالإسكندرية.
- لجنة التأليف والترجمة والنشر بكنيسة مارمرقس بشبرا.
- مكتبة كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة.
- مكتبة المحبة.
- منشورات مجلة مدارس الأحد.
- دار نشر مجلة مرقس.
- منشورات جمعية مارمينا العجايبى للدراسات القبطية بالإسكندرية.
- مكتبة التربية الكنسية بالجيزة.
- منشورات جمعية الآثار القبطية بالعباسية.
- مكتبة مارجرجس بشبرا.
- أبناء البابا كيرلس.
- فيلوباتور.
- مركز دراسات الآباء بمصر الجديدة.

- دار القديس يوحنا الحبيب للنشر ويتبعها مكتبة الرجاء بمصر الجديدة (الأنبا بطرس الأسقف العام).
- لجنة رعاية الفتاة بمطرانية بنى سويف (سلسلة رعاية الفتاة).
- مكتبات الكنائس فى سائر إيبارشيات الكرازة المرقسية فى مصر والخارج.

الفهـــرس

الموضـــــــوع	الصفحة
المجلد الرابع	
الطب والعلوم والتعليم والحياة الاجتماعية والصحافة القبطية واللغة العربية	
مقدمة المجلد الرابع	٣
د. موريس أسعد	
الباب الأول : الطب والعلوم فى العصر القبطى	٥
الفصل الأول: الطب والعلوم عند الأقباط	
أ.د. خليل مسيحة جرجس	٦
الفصل الثانى: آلات الجراحة والعقاقير المصرية القديمة	١٢
أ.د. خليل مسيحة جرجس	
الفصل الثالث: إنتقال الطب الفرعونى والوصفات الطبية عبر التاريخ إلى اليونان والعرب وأوروبا	١٨
أ.د. خليل مسيحة جرجس	
الفصل الرابع: مقدمه فى تعليم الطب فى العصر القبطى.....	٢٧
مدارس الفكر الطبى	٢٨
العقاقير والادويه التى استخدمها الطبيب القبطى.....	٣٠
الفصل الخامس: بعض مشاهير أطباء القبط	٣٣
أ.د. خليل مسيحة جرجس	
الفصل السادس: المستشفيات والصحة فى العصر القبطى	٤٦
أ.د. خليل مسيحة جرجس	

الموضـــــوع	الصفحة

الفصل السابع: علم الفلك والرياضيات ٥١

أ.د. خليل مسيحة جرجس

الفصل الثامن: الصناعات الكيماوية الصغيرة فى العصر القبطى ٥٧

أ.د. خليل مسيحة جرجس

الفصل التاسع: التقويم القبطى ٦٥

م. داود خليل مسيحة

الفصل العاشر: الات بيان الوقت ٧٢

م. داود خليل مسيحة

الفصل الحادى عشرر: علماء الأقباط ٧٧

م. داود خليل مسيحة

الباب الثانى : الأقباط والتعليم والثقافة ٨١

إشراف أ.د. سليمان نسيم

مقدمة الباب الثانى ٨٢

د. موريس أسعد

الفصل الأول: التراث التعليمى للأقباط ٨٤

أ.د. سليمان نسيم

الفصل الثانى: نظام الكتاتيب فى مصر الحديثة ودوره فى التعليم ٩٤

أ.د. سليمان نسيم

الفصل الثالث: أحوال التعليم عند الأقباط فى الفترة من سنة ١٨٦٣م إلى سنة ١٨٢٤م: منذ بداية عهد اسماعيل حتى إعلان قيام الدولة المصرية ١٠٧

أ.د. سليمان نسيم

الموضـــــــوع	الصفحة

الفصل الرابع: امتداد حركة التجديد التربوى بعد البابا كيرلس الرابع (١٨٦٢م - ١٩٢٧م)..... ١٢٩

أ.د. طلعت زكرى مينا

الفصل الخامس: الإرساليات الأجنبية فى مصر ونشاطها التربوى من منتصف القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٥٦م ١٣٩

أ.د. طلعت زكرى مينا

الباب الثالث : الأقباط فى الحياة الاجتماعية المصرية..... ١٧٥

إشراف د. موريس أسعد

مقدمة الباب الثالث ١٧٦

د. موريس أسعد

الفصل الأول: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ورعاية الإنسان ١٧٧

د. موريس أسعد

الفصل الثانى: مظاهر الحياة القبطية واستمرارها فى الحياة المعاصرة..... ١٨٤

د. موريس أسعد

الفصل الثالث: الأسرة القبطية والتحولات الاجتماعية ٢٠٢

د. موريس أسعد

الفصل الرابع: العائلة القبطية فى الكنيسة..... ٢١١

د. موريس أسعد

الفصل الخامس: المرأة فى العصر القبطى..... ٢٢٠

د. آمال جورجى شحاتة

الفصل السادس: المرأة القبطية فى العصر الحاضر..... ٢٢٤

أ. هيدى فيليب بانوب

الموضـــــــوع	الصفحة

الفصل السابع: الجمعيات والمؤسسات القبطية ٢٢٩

د. موريس أسعد

الباب الرابع: الصحافة القبطية ٢٤٨

إشراف د. موريس أسعد

مقدمة الباب الرابع: ٢٤٩

د. موريس أسعد

الفصل الأول: بدايات الصحافة القبطية ٢٥٠

د. موريس أسعد

الفصل الثاني: الجرائد القبطية ٢٥٤

د. موريس أسعد

الفصل الثالث: المجلات القبطية التى توقفت عن الصدور ٢٥٩

د. موريس أسعد

الفصل الرابع: المجلات القبطية التى يتواصل صدورها ٢٦٥

د. موريس أسعد

الفصل الخامس: المجلات القبطية للشباب والخدام ٢٧٢

د. موريس أسعد

الفصل السادس: المجلات القبطية للنشء والأسرة وكبار السن ٢٧٤

د. موريس أسعد

الباب الخامس: من تراث القبط فى اللغة العربية ٢٧٦

إشراف د. موريس أسعد

مقدمة الباب الخامس: ٢٧٧

د. موريس أسعد

الموضـــــــوع	الصفحة

الفصل الأول: التحول من اللغة القبطية إلى اللغة العربية ٢٧٨

د. موريس أسعد

الفصل الثاني: عصور الإزدهار والانتشار ٢٨١

د. موريس أسعد

الفصل الثالث: عصور الكمون والسكون ٢٩٧

د. موريس أسعد

الفصل الرابع: النهضة الأدبية للأقباط فى القرنين

التاسع عشر والعشرين ٢٩٩

د. موريس أسعد

خاتمة: نشر الكتاب المسيحى وتوزيعه ٣١٧

د. موريس أسعد

دراسة من ستة مجلدات فى حوالى ألفى صفحة

المجلد الأول : من تاريخ القبط

المجلد الثانى : الإيمان والعبادة والحياة النسكية

المجلد الثالث : الآثار و الفنون والعمارة القبطية

المجلد الرابع : الطب والعلوم والتعليم والحياة الإجتماعية
والصحافة القبطية
وتراث القبط فى اللغة العربية

المجلد الخامس : القانون الكنسى
والعلاقات الكنسية

المجلد السادس : اللغة القبطية
والموسيقى
والألحان

دار القديس يوحنا الحبيب للنشر
St. John the Beloved Publishing House (SJPH)